# الدر الأزهر
## في شرح
# الفقه الأكبر

للإمام الأعظم
أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي
المتوفى 150 هـ
برواية ابنه حماد بن أبي حنيفة
المتوفى 176 هـ

تأليف
الإمام العلامة القاضي
أبي محمد عبد القادر بن محمد إدريس السلهتي
المتوفى بعد 1297 هـ

وهو من أفاضل علماء شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشر الهجري

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه
عين الحق القاسمي
أستاذ الجامعة الإسلامية دار العلوم - روب عنج - بنغلاديش

يُطبع لأول مرة

كنز ناشرون
Kanz Publishers

الدرة الأزهر
في
الفقه الأكبر

# الدر الأزهر في شرح الفقه الأكبر

## للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي

برواية ابنه حماد بن أبي حنيفة


اسم المؤلف : الإمام القاضي أبو محمد عبد القادر بن محمد إدريس الشلهتي

تحقيق : عين الحق القاسمي

عدد الصفحات : ٤٥٦ صفحة

قياس الطبعة : ١٧ × ٢٤ سم

الناشر : كنز ناشرون ش.م.ل.



جميع الحقوق محفوظة



الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

ISBN: 978-614-507-041-2

9 786145 070412

كنز ناشرون
Kanz Publishers

كنز ناشرون ش.م.م.
فردان – حسن كامل الصباح
مبنى شاتيلا - بيروت – لبنان
هاتف : 9613040478+ - 9613689159+

كنز ناشرون م.م.ح.ذ.م.م.
مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر - المنطقة الحرة -الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 971504416123+

Email: kanzpublishers@gmail.com

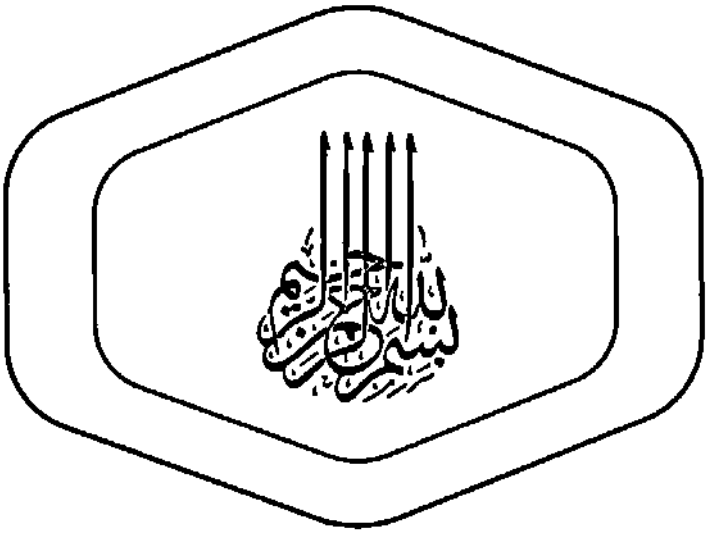
بسم الله الرحمن الرحيم

## الإهداء

أُهدِي هذا الكتاب بكل معاني التواضع
إلى فضيلة أستاذي الجليل، العالِم المحقق المتفنن،
الشيخ مولانا المفتي رشيد أحمد أسلم القاسمي
- حفظه الله تعالى ورعاه بالصحة والعافية -
الذي حبَّب إليَّ العلم، ونوَّر به درب قلبي،
وعلَّمني العربيةَ بنهاية الشفقة وبالغ الجهد.
فها أقول معترفًا اعترافَ العبد أمام مولاه:
لمَا وُفِّقتُ لمثل هذه الخدمة العلمية لولاه!

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمات التحقيق

الحمد لله الذي أنعمَ علينا بالإسلام، ورضِيه لنا دينا، حيث قال جَلَّجَلَالُهُ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، والذي لا يقبل منا دونه؛ إذ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[2]، فنعمة الإسلام من أعظم النعم التي وهبَنا الله إياها، فلو أنفقْنا ما في الأرض جميعًا، ما وفيناه حقَّ هذه النعمة، فله الحمد عليها عددَ ما كان، وعددَ ما يكون، وعددَ ما يملأ ما بين السماوات والأرض.

والصلاة والسلام على رسولنا محمد خاتم النبيين، الذي أرسله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا وهاجًا وقمرًا منيرًا، الذي فارق الدنيا وقد تركَنا على ملة مثل البيضاء، حيث قال ﷺ: «تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[3]، وعلى آله وأصحابه الذين هم كالنجوم، بأيهم تقتدي الأمة تهتدي إلى سواء السبيل.

أما بعد، فهذا كتاب:

«الدُّرُّ الأزهرُ في شرحِ الفقهِ الأكبرِ»

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ (١٧١٤٢)، واللفظ له؛ وأبو داود في «السنن» (٧٦٠٧)؛ والترمذي في «الجامع» (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه في «السنن» (٤٢). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: «حديث صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن».

المنسوب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شَرَحَه العلامة الشيخ القاضي أبو محمد عبد القادر بن محمد إدريس السِّلهِتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي كان من أفاضل علماء سلهت - بنغلاديش في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الهجري، وشَرْحُه هذا يمتاز بالنفاسة والجودة، مع كونه صغير الحجم، ومشتملًا على طريقتي السلف والخلف؛ من الاستشهاد بالأدلة النقلية والعقلية، مما يرجحه على كثير من الشروح لـ«الفقه الأكبر» التي وقعت في نظري، وكان تم طبعه من المطبع النظامي بـ كانبور - الهند سنة ١٢٩٨هـ، طبعة حجرية، إلا أنه مع نفاسته وجودته ما زال كما كان، لم تصل إليه الأيدي؛ لإخراجه من ظلمات المخطوطات إلى نور المطبوعات مُحَقَّقًا ومُخَرَّجًا.

من المعلوم، أن ما خلفه علماؤنا المتقدمون من المخطوطات يُعَدُّ بالملايين، وما زال معظم هذه المخطوطات قابعًا في مراكز المخطوطات والمكتبات، يحتاج إلى من ينفض عنه الغبار ويبعث فيه الحياة من جديد، فهذا التراث الضخم الذي بلغت عدته ٢٦٢ مليون مجلد مخطوط، كما أُحصِيت حتى سنة ١٩٤٨، ويقال بعد ذلك: إنها أُحصيت بمئات الملايين[١].

وإن من أحسن ما يُقدِّمه المرء لأمته أن يسهم في الإخراج إلى حيز الوجود - محقَّقًا ومصفىً - ذخائر الماضي من تراث أمجادنا العلمي، الذي كان من مظاهر عزها، وأساسًا لنهضتها، وثمرة يانعة لحياتها وثقافتها؛ ليتسنى الوقوف على أصالته، وما برز به من نظريات وحلول لمختلف القضايا النازلة[٢].

وهذا عملي الثاني المتواضِعُ في سلسلة إحياء التراث الماتريدي، وشرعتُ في هذا العمل - مع قلة بضاعتي - لِمَا أني رأيت هناك ذخيرة من تراث سادتنا الماتريديةِ ما زالت مخطوطة، لا يُعتَنى بها كما ينبغي، وقد شجَّعتني على هذا وأثَّرت في قلبي

---

(١) انظر: «منهج البحث العلمي»، للدكتور ثريا ملحس (ص٢٤٦).

(٢) انظر: «مقدمة تحقيق مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول» (ص١٩).

(وكنت أحد المشاركين بقسم التخصص في علوم الحديث الشريف بالجامعة الأهلية دار العلوم هات هـزاري شيتاغونغ، بنغلاديش سنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) كلماتٌ للعلامة المحقق المحدث الفقيه الأصولي الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تحقيقه على: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»[1] للكَنوي، حيث قال:

«وقد اقترح عليَّ بعضُ العلماء المحبين أن أجعلَ هذه التعليقات - التي تضاعفت بِطُولها وسعتها أضعافًا كثيرة عن حجم الأصل المعلَّق عليه - كتابًا جديدًا مستقلًا يندرج الأصلُ فيه، وأنسُبَه لنفسي وأتصرفَ فيه بحسب تخطيطي ودرسي، فأجبت بـ أن إتمام بناء الآباء، خيرٌ مئةَ مرةٍ من إنشاء البناء من الأبناء، فضلًا عن أنه جزءٌ من الحق الذي لهم علينا والوفاء، فهم الأصلُ الأصيلُ، والنور الدليل، والفَهِمُ المستقيم، والعَلَمُ القويم. وما تركوا في آثارهم من بقايا فجواتٍ طفيفةٍ، لا تعطيهم والإعراض عن آثارهم النفيسة».

وقد بذلت ما في وُسعي من جهد، من أجل إخراج هذا العمل المتواضِع بأفضل حلة، سعيًا صادقًا مني إلى انتشال هذا الأصل المخطوط من الضياع وتراكم غبار السنين عليه في رفوف المكتبات؛ لإخراجه إلى عالم النور والمطبوعات، من غير إطناب ولا إخلال، مؤثرًا الإحالة إلى المصادر مما تيسر لي الوقوف عليه، وعلَّقتُ عليه حيث وجدت التعليق ما لا بدَّ منه، وفي مواضع منه بسطت التعليق، وذلك لضرورة دعت الحاجة إليها.

فإن أكن قد وُفِّقتُ في ذلك، فهو فضل الله تعالى وحسن توفيقه، وإن تكن الأخرى، فحسبي أني لم أدَّع لعملي هذا الكمالَ، وإني إنما سعيت صادقًا ومخلصًا لأكون ممن نالوا شرف خدمة ديننا الحنيف، وأسهموا في بعث تراثنا العريق، وعلى من يجد فيه هفوة أو زلة أو خطأً أن يغفر لي ذلك، ويلتمس لي عذرًا، وعزائي أني قصدت صادقًا إلى إخراج هذا الكتاب إلى النور مع زيادة فوائد مني في التعليقات؛

---

(١) انظر: تقدمة الطبعة الثالثة (ص٦).

ليجد مكانه بين أيدي طلبة العلم، ولم آلُ في ذلك جهدًا.

وقبل أن أختم، أقدم الشكر الجزيل للأخ الفاضل، المحقق الباحث الشيخ عمر السلطاني (المقيم بفلوجة العراق)، وصاحبة حياته العالمة الفاضلة؛ فإنهما رغبا مدفوعين من قلوبهما في طبع هذا الكتاب من «مركز ساجقلي زاده لتحقيق المخطوطات» بالاشتراك مع «دار كنز ناشرون» ببيروت - لبنان، فجزاهم الله تعالى خيرًا في الدارين.

وكتبه

العبد الحقير

عين الحق القاسمي

الجامعة الإسلامية دار العلوم روب غنج، بنغلاديش

٢٠-١١-١٤٤٥هـ

## المبحث الأول
## ترجمة الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ
## صاحب «الفقه الأكبر»

### الاسم والنسب والولادة:

هو الإمام الأعظم، الفقيه الأبجل، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه التيمي الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، وُلد سنةَ ثمانين من الهجرة، في خلافة عبد الملك بن مروان. يقال: إنه من أبناء الفرس، أما زوطى جده: فإنه من أهل كابل، أسلم أيام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتحول إلى الكوفة، واتخذها سكنًا له، أما أبوه ثابت، فإنه وُلد على الإسلام، وأدرك عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ذهب إليه بابنه أبي حنيفة وهو صغير، فدعا له عليٌّ بالبركة فيه وفي ذريته، قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: «ونحن نرجو من الله تعالى أن يكون قد استجاب لعلي بن أبي طالب»[1].

### شرفه بإدراك الصحابة:

وكان الإمام تابعيًّا جليلا، فقد كانت ولادته في عصر الصحابة الأخير الذهبي، وكان بعض الصحابة الصغار ما زالوا في قيد الحياة وقتئذ، فأدرك جماعةً من الصحابة، منهم: أنس بن مالك وعبد الله بن أنس، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن جزء الزبيدي، ومعقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إلا أن الرواية عنهم من ناحية الإثبات وعدمه مما اختلف فيه العلماء[2].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٢٦)؛ و«مناقب أبي حنيفة» للمكي: (ص٥٤)؛ و«الخيرات الحسان» لابن حجر الهيتمي (ص٣٠)؛ و«أبو حنيفة: حياته وعصره - آراؤه وفقهه»، لمحمد أبو زهرة، (ص١٤).

(٢) إمامنا الأعظم أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تابعي على المختار، ومندرج في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ=

.....

= ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، قال الإمام ملا علي القاري الحنفي في «الطبقات»: «قد ثبتت رؤيته بعضَ الصحابة، واختُلِف في روايته عنهم، والمعتمد ثبوتها، كما بينته في «سند الأنام شرح مسند الإمام» حال إسناده إلى بعض الصحابة الكرام، فهو من التابعين الأعلام، كما صرح به العلماء والأعيان». انتهى من «تذكرة الراشد» (ص٢٧٠).

وذكره الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٨)، وقال: «مولده سنة ثمانين، رأى أنس بن مالك غير مرة لما قدم عليهم الكوفة، رواه ابن سعد عن سيف بن جابر أنه سمع أبا حنيفة يقوله». انتهى. وهذا يدل على جزم الذهبي برواية ابن سعد هذه كما لا يخفى.

وقال خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تبييض الصحيفة» (ص٦): «ورُفع هذا السؤالُ - أي: أن أبا حنيفة يُعَدُّ في التابعين أم لا؟ - إلى الحافظ ابن حجر فأجاب بما نصه: «أدرك الإمام أبو حنيفة جماعة من الصحابة؛ لأنه ولد بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة، وبها يومئذ من الصحابة عبد الله بن أبي أوفى؛ فإنه مات بعد ذلك بالاتفاق، وبالبصرة يومئذ أنس بن مالك، ومات سنة تسعين أو بعدها، وقد أورد ابن سعد بسند لا بأس به أن أبا حنيفة رأى أنسا، وكان غير هذين من الصحابة بعده في البلاد أحياء، وقد جمع بعضهم جزءًا فيما ورد من رواية أبي حنيفة عن الصحابة، لكن لا يخلو إسنادها من ضعف، والمعتمد على إدراكه ما تقدم، وعلى رؤيته لبعض الصحابة ما أورده ابن سعد في «الطبقات»، فهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له كالأوزاعي بالشام، والحمادين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة ومسلم بن خالد الزنجي بمكة، والليث بن سعد بمصر، والله أعلم». اهـ.

قال السيوطي: «هذا آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر، وحاصل ما ذكره هو وغيره: الحكم على أسانيد ذلك بالضعف وعدم الصحة، لا بالبطلان، وحينئذ فسهل الأمر في إيرادها؛ لأن الضعيف يجوز روايته ويطلق عليه أنه وارد، كما صرحوا». انتهى.

فثبت بهذا كله أن رؤية الإمام لبعض الصحابة ثابتة بما يُعتمد عليه، وروايته عنهم واردة بروايات ضعيفة، فلو كان ضعفها لفسق الرواة، فلا ترتقي بمجموعها إلى درجة الحسن، ولكن تخرج لكثرة الطرق عن كونها لا أصل له، وإن كان لغير الفسق ترتقى عن الضعف إلى درجة الحسن، ولا يخفى أن كون الرجل يروي عن أحد ليس من باب الأحكام بل من قبيل الأخبار والفضائل، فلا يُتشدد فيها مثلَ التشدد في الأحكام؛ لأن التساهل في باب الفضائل لم يزل معروفًا بين المحدثين .انظر: «الإمام أبو حنيفة وأصحابه المحدثون» (ص٧)، للعلامة ظفر العثماني التهانوي.

**أمانته وصدقه في التجارة:**

نشأ الإمام بالكوفة، وذلك في أسرة مسلمة صالحة ذات اليسر والغنى، وكان أبوه خزَّازًا، يبيع الخز، وهو نوع من الأقمشة، يبيع الأثواب في دكان له بالكوفة، وكان جده أيضًا خزازا، وأخذ أبو حنيفة من والده هذه المهنة وخَلَفه بعد وفاته عن طريق المتوارَث، وكان يتكسب منها، وكان مضرب المثل في الأمانة والصدق، حتى يُروى أنه قد جاءته امرأة بثوب من الحرير تبيعه له، فقال: «كم ثمنه؟»، فقالت: «مائة»، فقال: «هو خير من مائة، بكم تقولين؟»، فزادت مائة مائة حتى قالت: «أربع مائة»، قال: «هو خير من ذلك»، قالت: «تهزأ بي»، قال: «هاتي رجلًا يقوِّمه»، فجاءت برجل، فاشتراه بخمس مائة[1].

**اتجاهه إلى طلب العلم:**

وقد حفظ الإمام القرآن في صغره كشأن غيره من أبناء زمانه، مع اشتغاله ببيع الخز مع والده، وكان بعيدًا عن تحصيل العلوم حينئذ، يختلف إلى الأسواق، ولا يختلف إلى العلماء إلا قليلًا، إلى أن لقي الإمامَ الشعبي، وهو تابعي إمام فقيه محدث، قال أبو حنيفة: «مررت يومًا على الشعبي وهو جالس فدعاني، فقال لي: «إلى من تختلف؟»، فقلت: «أختلف إلى السوق»، فقال: «لم أعن الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء»، فقلت له: «أنا قليل الاختلاف إليهم»، فقال لي: «لا تغفل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء؛ فإني أرى فيك يقظة وحركة»، قال: «فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله»[2].

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره، خرج به أبوه لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر

---

(١) انظر: «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه»، لشمس الدين الذهبي (ص٣٨)؛ و«أبو حنيفة»، لمحمد أبو زهرة (ص٣٣).

(٢) انظر: «مناقب أبي حنيفة» لموفق المكي (ص٥٤)؛ و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٠)؛ وأبو حنيفة، لمحمد أبو زهرة (ص٢٢).

النبي ﷺ، قال تلميذه الإمام أبو يوسف: «سمعت أبا حنيفة، يقول: حججت مع أبي سنة ست وتسعين ولي ستة عشر سنة، فإذا أنا بشيخ قد اجتمع عليه الناس، فقلت لأبي: من هذا الشيخ؟ قال: هذا رجل قد صحب محمدًا ﷺ، يقال له: عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، فقلت: فأي شيء عنده؟ قال: أحاديثَ سمعها من النبي ﷺ، فقلت له: «قدِّمني إليه، حتى أسمع منه، فتقدم بين يدي، فجعل يفرج الناس، حتى دنا منه، فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: «من تفقه في دين الله، كفاه الله جَلَّوَعَلَا همّه ورزقَه من حيث لا يحتسب»[1].

**اشتغاله بالكلام وبراعته فيه:**

كانت الكوفة من أعظم مدن العراق، وكانت موطِنَ وموطِئ العلماء المقيمين والمسافرين، وكان العراق بعد الإسلام مزيجًا من أجناس مختلفة، وفيه اضطراب وفتن، وفيه آراء تتضارب في السياسة وأصول العقائد؛ ففيه: الشيعة، وفي باديته الخوارج، وفيه المعتزلة، وفيه تابعون مجتهدون حملوا علمَ من لقوا من الصحابة، فكان فيه علم الدين سائغًا موردًا، وفيه النِّحل المتنازعة والآراء المتضاربة[2].

وكان أول ما اتجه إليه الإمام أبو حنيفة من العلوم علم أصول الدين، ومناقشة

---

(١) أخرجه الصيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (ص٤)؛ وأبو نعيم الأصفهاني في «مسند أبي حنيفة» (ص٢٥)؛ والعلامة الصالحي في «عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان» (ص٥٧-٥٨). وفي سنده أحمد بن محمد بن الصلت بن المغلس الحماني، قال عنه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ١٩٩): «ما رأيت في الكذابين أقل حياءً منه»؛ وقال الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٤٠): «كذاب وضاع»؛ وقال عنه الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١/ ٥١٢) في ترجمة ابن الصلت: «كذاب، فلهذا يدلسه بعضهم، فيقول: ثنا أحمد بن عطية، وبعضهم أحمد بن الصلت». وقد أورد الحافظ ابن حجر ما رواه ابن الصلت عن أبي حنيفة، وقال معقبا: «هذا كذب، فابن جزء مات بمصر، ولأبي حنيفة ست سنين، وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر، وهو باطل أيضا». اهـ.

(٢) انظر: «أبو حنيفة»، لمحمد أبو زهرة (ص٢١-٢٢).

أهل الضلال، ولقد دخل البصرة أكثر من سبع وعشرين مرة، يناقش ويجاور ويجادل الملاحدة حتى أقرَّهم على الشريعة، ويناظر المعتزلة والخوارج فألزمهم الحجة، وحاور غلاة الشيعة، ولم يبلغ من العمر العشرين حتى أصبح عَلَمًا يشار إليه بالبنان، واتخذ حلقة خاصة له في مسجد الكوفة، يجلس إليه فيها طلاب أصول الدين[1].

ومما يُروى في مناقشته مع أهل الشُّبه والباطل، أنه كان رجل بالكوفة، يقول: «عثمان بن عفان كان يهوديًّا»! ولم يستطع العلماء إقناعه أو إرجاعه عما يقول، فأتاه أبو حنيفة، وقال: «أتيتك خاطبًا»، قال: «لمن»؟ قال: «لابنتك، رجل شريف، غني بالمال، حافظ للكتاب، يقوم الليل في ركوع، كثير البكاء من خوف الله تعالى، إلا أن فيه خصلة»، قال: «وما هي»؟ قال: «يهودي»! قال: «سبحان الله! أتأمرني أن أزوج بنتي من يهودي»؟ قال: «ألا تفعل»؟ قال: «لا»، قال: فالنبي ﷺ قد زوَّج ابنته من يهودي (يقصد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي يزعمه الرجل كذلك) قال: «أستغفر الله، إني تائب إلى الله جَلَّ وَعَلَا»[2].

ولقد كان الإمام في وقته سيف السُّنة المسلط على رقاب المعتزلة، فقد تتبع مجالسهم في البلاد وناظرهم وأقام عليهم الحجة، وبلغ في علم الكلام أنه كان المشارَ إليه بين الناس، كما سيأتي من قول زفر بن الهذيل، وكان معتمدَ أهل السُّنة وأشهرَهم في الرد على أهل الأهواء، ولا سيما المعتزلة، وقد نقل الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه «أصول الدين» عن الإمام الصيمري: «أن الإمام كان متكلمَ هذه الأمة في زمانه وفقيهَهم في الحلال والحرام»[3].

لم يكن الإمام أبو حنيفة نفسه متكلمًا فقط؛ فقد كان صاحباه: أبو يوسف

---

(١) انظر: «مناقب الإمام الأعظم»، لابن البزاز الكردري (١/ ١٢١).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٦٤).

(٣) انظر: «أصول الدين»، للإمام عبد القاهرالبغدادي (ص١٦٢-١٦٣)؛ ومقدمة التحقيق على «منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر»، للقاري (ص١٣)، بتحقيق وهبي سليمان الغاوجي؛ ومقدمة التحقيق على «شرح الفقه الأكبر»، للبابرتي، بتحقيق حمزة البكري.

ومحمد أيضًا متكلمين، كلهم كانوا خصموا الناس وذبوا عن الدين، فإنه جاء في «مناقب الكردري» عن خالد بن زيد العمري: «أنه كان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزُفر وحماد بن أبي حنيفة قد خصموا بالكلام الناس، أي: ألزموا المخالفين، وهم أئمة الدين»[1].

وهذا بيان واضح ودليل ساطع على أن علم الكلام - الذي هو علم التوحيد المتعلق بمعرفة ما يجب لله من الصفات وما يستحيل عليه من الصفات - هو علم ممدوح بدليل أن الإمام أبا حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان من أكثر الناس اشتغالًا به في وقته، وكان تبحره في هذا العلم هو سلاحه المشهور على أهل الأهواء والضلال، ولا سيما المعتزلة؛ إذ تتبعهم في البلاد، ودحض مزاعمهم، وأبطل شبهاتهم، وبيَّن زيفهم؛ فإن كتابيه «الفقه الأكبر» و«الفقه الأبسط» دليل ساطع على خوضه في علم الكلام من خلال إقامته الأدلة العقلية والنقلية على مسائل علم الكلام، التي هي على مذهب أهل السُّنة والجماعة.

**طلب أبي حنيفة الفقه:**

رُوي عن زفر بن الهذيل، سمعت أبا حنيفة يقول: «كنت أنظر في الكلام، حتى بلغت فيه مبلغًا يُشار إليَّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان، فجاءتني امرأة يومًا، فقالت لي: «رجل له امرأة أمة، أراد أن يطلقها للسُّنة، كم يطلقها»؟ فلم أدر ما أقول، فأمرتُها أن تسأل حمادًا، ثم ترجع تخبرني، فسألته، فقال: «يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فإذا اغتسلت، فقد حلت للأزواج»، فرجعت، فأخبرتني، فقلت: «لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله، فأحفظ قوله، ثم يعيدها من الغد فأحفظها، ويخطئ أصحابه»، فقال: «لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة»[2].

---

(١) انظر: «مناقب أبي حنيفة»، للموفق المكي، (ص١٠٠).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء»، لشمس الدين الذهبي (٦/ ٣٩٧). قال الحافظ الذهبي متعقبًا هذه =

وقال أبو حنيفة عن شيخه حماد: «أحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يومًا بالعشي وعزمي أن أفعل، فلما رأيته، لم تطِبْ نفسي أن أعتزله، فجاءه تلك الليلة نعيُ قرابة له قد مات بالبصرة، وترك مالًا، وليس له وارثٌ غيره، فأمرني أن أجلس مكانه، فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليَّ مسائلُ لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين، ثم قدم. فعرضتُ عليه المسائل، وكانت نحوًا من ستين مسألةً، فوافقني في أربعين، وخالفني في عشرين، فآليتُ على نفسي ألا أفارقه حتى يموت»[1].

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: حدثني أبي، قال: قال أبو حنيفة: قدمت البصرة، فظننت أني لا أسأَلُ عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي ألا أفارق حمادًا حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة[2].

---

= الحكاية: «وهذه أيضًا الله أعلم بصحتها، وما علمنا أن الكلام في ذلك الوقت كان له وجود، والله أعلم».
قلت (القاسمي): أخرجه الخطيب أيضًا في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٤) من طريق جعفر بن مُحَمَّد بن حازم، قال: حدَّثَنَا الوليد بن حماد، عن الحسن بن زياد اللؤلؤي، عن زفر بن الهذيل. وفي هذا السند الحسن بن زياد اللؤلؤي الذي له مكانة عظمى في الفقه والحديث، إلا أن أهل الحديث تكلموا فيه لأجل رأيه على عادتهم في أهل الرأي. وقد أجاب عن تلك الطعون والتهم وقام بالرد عليها ردًّا بليغًا العلامة الكوثري في كتابه «الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع» (ص٣٦-٥٢).
إذن هذا الخبر مما ليس بمردود، على أن مثل هذه الأخبار المتعلقة بالتاريخ لا يُطلب لها من الأسانيد ما يُطلب لحديث الصادق المصدوق، ولا يُتشدد في أمر رواياتها، وإنما مدار الأمر فيها على الشهرة بين أهل العلم بالتواريخ، ما لم يكن فيها ما يُستنكر.

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٧-٣٩٨)؛ و«تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٥/ ٤٤٤).

وقد وَرَدَ من أدب واحترام أبي حنيفة لأستاذه العَجبُ العُجابُ، فلقد كان يقصد أبو حنيفة الشيخ حمادًا في بيته، ينتظره عند الباب حتى يخرج لصلاته أو حاجته فيسأله ويصحبه، وكان إذا احتاج شيخه إلى شيء قام هو على خدمته. وكان يقول: «ما صليت صلاة منذ مات حمّاد، إلّا استغفرت له مع والدي»[1]. وبعد موت شيخه تصدر هو للإفتاء والتدريس مكان شيخه.

فقد أخرج الصيمري في كتابه «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» عن حماد بن سلمة، يقول: «كان مفتيَ الكوفة والمنظورَ إليه في الفقه بعد موت إبراهيم النخعي حمادُ بن أبي سليمان، فكان الناس به أغنياء، فلما مات احتاجوا إلى من يجلس لهم، وخاف أصحابه أن يموت ذكره ويندرس العلم، وكان لحماد ابنٌ حَسَنُ المعرفة، فأجمعوا عليه، فجاءه أصحاب أبيه أبو بكر النهشلي وأبو بردة العتبي ومحمد بن جابر الحنفي وغيرهم، فاختلفوا إليه، فكان الغالب عليه النحو وكلام العرب، فلم يصبر لهم على القعود، فأجمع رأيهم على أبي بكر النهشلي، فسألوه فأبى، فسألوا أبا بردة فأبى، فقالوا لأبي حنيفة، فقال: ما أحب أن يموت العلم، فساعدهم، وجلس لهم، فاختلفوا إليه، ثم اختلف إليه بعدهم أبو يوسف وأسد بن عمرو والقاسم بن معن وزفر بن الهذيل والوليد ورجال من أهل الكوفة، فكان أبو حنيفة يفقههم في الدين، وكان شديد البر بهم والتعاهد، وكان ابن أبي ليلى وابن شبرمة وشريك وسفيان يخالفونه ويطلبون شينه، فلم يزل كذلك حتى استحكم أمره، واحتاج إليه الأمراء، وذكره الخلفاء»[2].

**طلب أبي حنيفة الحديث:**

من المعلوم، أن الإمام أبا حنيفة كان من التابعين، وأنه أدرك بعض الصحابة، وأنه من أهل القرون الثلاثة الأولى التي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية والأفضلية،

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٥/ ٤٤٤).

(٢) انظر: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» للصيمري (ص٢١)، وفي إسناده أحمد بن المغلس الحماني، كذّبه العلماء، ولكن نقول: هذا من الأخبار التي تتعلق بالتاريخ دون الحديث؛ فلا يُتشدد فيه مثل ما يُتشدد في الحديث.

وقد كان هو راوٍ من رواة الحديث، وإمام من أئمته، وحافظ من حفاظه، لكن لم يكن مكثرًا من الرواية كالمحدثين المشهورين؛ لاشتغاله بالاستنباط وفقه الحديث والإفتاء، وتشدده في رواية الحديث.

ولا شك في أن له اطلاعًا واسعًا على الأحاديث النبوية وروايتها، وإلا فكيف يفتي الناس في دين الله، ويُوصف بالإمامة في الفقه من غير اطلاع على الحديث النبوي! وقد شهد له أئمة النقد وكبار المحدثين بعنايته بطلب الحديث وارتحاله في ذلك ومعاناته في تحصيله.

قال الحافظ شمس الدين الذهبي عنه: «وعُني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك»[1].
وقال أيضًا: «إن الإمام أبا حنيفة طلب الحديث وأكثر منه في سنة مائة وبعدها»[2].
وقال أيضًا في رسالته «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه»: «وسمع الحديث من عطاء بن أبي رباح بمكة، وقال: ما رأيت أفضل من عطاء»[3].

وأخرج الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد»: عن سعيد بن سالم البصري، قال: سمعت أبا حنيفة، يقول: «لقيت عطاءً بمكة، فسألته عن شيء»، فقال: «من أين أنت؟»، قلت: «من أهل الكوفة»، قال: «أنت من أهل القرية الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا؟» قلت: «نعم»، قال: «فمن أيِّ الأصناف أنت؟»، قلت: «ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحدًا بذنب»، قال: «فقال لي عطاء: عرفت، فالزم»[4].

وكان عطاء يفضله على تلامذته، وصنيعه هذا معه يدل على أن الإمام أبا حنيفة كان من أنجب تلامذته في الحديث، فقد أخرج الصيمري في كتابه «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»: عن الحارث بن عبد الرحمن، قال: «كنا نكون عند عطاء بعضنا خلف

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٢).
(٢) انظر: المصدر السابق: (٦/ ٣٩٦).
(٣) انظر: «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي، (ص١١).
(٤) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٣١).

بعض، فإذا جاء أبو حنيفة أوسع له وأدناه»[١].

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد» عن أبي مطيع البلخي، قال: «قال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال لي: «يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم»؟ قال: «قلت: عن حماد، عن إبراهيم، عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس»، قال: فقال أبو جعفر: «بخ، بخ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين»[٢]».

وقد فاق الإمام الأعظم أبو حنيفة في طلب الحديث على مشايخ عصره، فقد روى الحافظ الذهبي في «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه» عن مسعر بن كدام، وهو إمام حافظ شيخ العراق، قال: «طلبت مع أبي حنيفة الحديث فغلبَنا، وأخذنا في الزهد فبرع علينا، وطلبنا الفقه فجاء منه ما ترون»[٣].

وقال يحيى بن آدم، وهو أحد شيوخ البخاري: «إن في الحديث ناسخًا ومنسوخًا كما في القرآن، وكان النعمان جمع حديث أهل بلده كله، فنظر إلى آخر ما قبض عليه النبي ﷺ فأخذ منه»[٤].

وقال عبد الله بن داود الخُريبي، وهو من أئمة ورواة الحديث الثقات: «يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلاتهم»، ثم ذكر حفظه عليهم السنن والفقه. وقال أيضا: «ما يقع في أبي حنيفةَ إلا حاسدٌ أو جاهل»[٥].

وقد شهد الأئمة في القديم والحديث بإمامته في الحديث، قال الإمام المحدث حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»، للصيمري، (ص٨٣).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد»، للبغدادي (١٣/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه»، للذهبي (ص٢٧).

(٤) انظر: «كشف الأسرار»، للعلاء البخاري (١/ ١٦).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٤٤)؛ و«تاريخ الإسلام»، للذهبي (٦/ ٤٠٢).

في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»؛ وكذا في كتابه «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» عن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني يقول: «رحم الله مالكًا كان إماما، رحم الله الشافعي كان إماما، رحم الله أبا حنيفة كان إماما»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عند كلامه على حديث رد الشمس لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢) ورَدِّه على الطحاوي الذي صححه: «وهذا يدل على أن أئمة أهل العلم لم يكونوا يصدّقون بهذا الحديث، وهذا أبو حنيفة أحد الأئمة المشاهير... ومع هذا أنكر الحديث، وأبو حنيفة أعلم وأفقه من الطحاوي وأمثاله»(٣).

وقال ابن خلدون: «ويدل على أنه - أبا حنيفة - من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتمادُ مذهبه بينهم - أي: الأئمة - والتعويل عليه واعتباره ردًا وقبولًا»(٤).

وقال محمد بن يوسف الصالحي: «اعلم - رحمك الله تعالى - أن الإمام أبا حنيفة من كبار حفاظ الحديث، ولولا كثرة اعتنائه بالحديث ما تهيأ له استنباط الفقه؛ فإنه أولُ مَن استنبطه من الأدلة»(٥).

---

(١) انظر: «جامع بيان العلم وفضله»، للقرطبي (٢/ ١٦٣).

(٢) حديث رد الشمس لعلي أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٨) عن أسماء بنت عميس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حُجر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك، فرد عليه الشمس»، قالت أسماء: «فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت».
وأخرجه الجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (١/ ١٥٨)؛ وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٥٥، ٣٥٦). قال الجوزقاني على أثره: «حديث منكر مضطرب». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٥٧٢): «وهذا الإسناد فيه من يجهل حاله؛ فإن عونًا هذا وأمه لا يعرف أمرهما بعدالة وضبط يقبل بسببهما خبرهما فيما دون هذا المقام، فكيف يثبت بخبرهما هذا الأمر العظيم الذي لم يروه أحد من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة؟! فالله أعلم. ولا ندري أسمعت أم هذا من جدتها أسماء بنت عميس أم لا».

(٣) انظر: «منهاج السنة»، لابن تيمية (٤/ ١٩٤).

(٤) انظر: «مقدمة ابن خلدون» (١/ ٤٥٥).

(٥) انظر: «عقود الجمان»، لابن يوسف الصالحي (ص٣١٩).

وقال أبو الفداء العجلوني: «وأنه - أبا حنيفة - كان أعلم الناس بالكتاب والسُّنة؛ لأن الشريعة إنما تُؤخذ من الكتاب والسُّنة. نعم، لم يكن من المكثرين كسائر الأئمة، وليس من شروط الإمامة والاجتهاد الإكثار في الرواية؛ لأن الاجتهاد إنما يتوقف على حفظ السنن وتحملها، لا على أدائها وتبليغها»[١].

**شيوخ أبي حنيفة:**

إن شيوخ الإمام أبي حنيفة كثيرون، لا يسع ذكرهم، وقد ذكر منهم الإمام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ، وقال غيره: «له أربعة آلاف شيخ من التابعين، فما بالك بغيرهم؟»، وبالجملة من شيوخه: الليث بن سعد، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة[٢]، وعطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له وأفضلهم على ما قيل، والشعبي، وطاووس، وقتادة، وجبلة بن سحيم، وعدي بن ثابت، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعمرو بن دينار، وأبو سفيان طلحة بن نافع، ونافع مولى ابن عمر، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، ومحارب بن دثار، وعلقمة بن مرثد، وعبد العزيز بن رفيع، وحماد بن أبي سليمان وبه تفقه، وسماك بن حرب، وعبد الملك بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر، وعطاء بن السائب، وعطية العَوفي، وهشام بن عروة، وقيس بن مسلم، ومسلم البطين، وخلقٌ سواهم[٣].

**تلاميذ أبي حنيفة:**

حدَّث عن الإمام أبي حنيفة خلقٌ كثير، منهم: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وزفر بن الهذيل العنبري، وإبراهيم بن طهمان عالم خراسان، وأبيض بن الأغر بن

---

(١) انظر: «الرسالة العجلونية» (ص٤).

(٢) انظر: «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ص٢٦).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩١).

الصباح المنقري، وأسد بن عمرو البجلي، وإسماعيل بن يحيى الصيرفي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وحفص بن عبد الرحمن القاضي، وابنه حماد بن أبي حنيفة، وحمزة الزيات وهو من أقرانه، وداود الطائي، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقرئ، ومحمد بن الحسن الشيباني، ويوسف بن خالد السمتي، وغيرهم كثير[1].

**عقيدة أبي حنيفة:**

كان الإمام على عقيدة النبي ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ إذ التقى ببعضهم وأخذ عنهم، وشأنه شأن غيره من أئمة السلف الذين هم على عقيدة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن التشبيه والجسمية والمكان، ويدل على ذلك ما جاء في كتابه «الفقه الأبسط»، وهو قوله: «كان الله ولا مكان، كان قبل أن يخلق الخَلْق، كان ولم يكن أينٌ ولا خَلْق ولا شيء وهو خالق كل شيء». وغير ذلك من عقائده مبسوطة في «الفقه الأكبر»، وفي «الوصية».

وقال يحيى بن نصر: «كان أبو حنيفة يفضِّل أبا بكر وعمر، ويحب عليًّا وعثمان، وكان يؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه، ولا يتكلم في الله جَلَّ وَعَلَا بشيء، وكان يمسح على الخفين، وكان من أفقهِ أهل زمانه وأتقاهم»[2].

قال حماد بن أبي حنيفة: سمعت أبا حنيفة، يقول: «الجماعة أن تفضِّل أبا بكر وعمر وعليًّا وعثمان، ولا تنتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تكفِّر الناس بالذنوب، وتصلي على من يقول: لا إله إلا الله، وخَلْف من قال: لا إله إلا الله، وتمسح على الخفَّين، وتفوِّض الأمر إلى الله، وتدَعَ النطق في الله جَلَّ جَلَالُهُ»[3].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٦)؛ و«طبقات الفقهاء»، لأبي إسحاق الشيرازي (ص١٣٤).

(٢) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٦٣).

(٣) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٦٦).

قال أبو حنيفة: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال غيرَ هذا فهو كافر»[١].
وقال أيضا: «ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ووحيه وتنزيله، لا هو ولا غيره؛ بل هو صفته على التحقيق، مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسن، محفوظ في الصدور وغير حالٍّ فيها، والحبر والكاغذ والكتابة مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد، وكلام الله تعالى غير مخلوق؛ لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن، لحاجة العباد إليها، وكلام الله تعالى قائم بذاته، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء»[٢].

قال أبو حيفة: «الناس عندنا على ثلاث منازل؛ الأنبياء من أهل الجنة، ومَن قالت الأنبياء: إنه من أهل الجنة، فهو من أهل الجنة، والمنزلة الأخرى المشركون، نشهَد عليهم أنهم من أهل النار، والمنزلة الثالثة: المؤمنون، نقف عنهم، ولا نشهد على واحد منهم أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار، ولكنا نرجو لهم ونخاف عليهم، ونقول كما قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]، حتى يكون الله جَلَّ وَعَلَا يقضي بينهم، وإنما نرجو لهم؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ونخاف عليهم بذنوبهم وخطاياهم، وليس أحدٌ من الناس أوجب له الجنة، ولو كان صوَّامًا قوَّامًا، غير الأنبياء، ومن قالت فيه الأنبياءُ: إنه من أهل الجنة»[٣].

قال أبو حنيفة: «الإيمان هو المعرفة والتصديق والإقرار بالإسلام، والناس في التصديق على ثلاث منازل؛ فمنهم من صدَّق الله وما جاء منه بقلبه ولسانه، ومنهم من صدَّقه بلسانه وهو يكذِّبه بقلبه، ومنهم من يصدِّق بقلبه ويكذِّب بلسانه، فأما من صدَّق اللهَ عَزَّوَجَلَّ وما جاء به رسول الله ﷺ بقلبه ولسانه فهم عند الله وعند الناس مؤمنون، ومن صدَّق بلسانه وكذَّب بقلبه كان عند الله كافرًا، وعند الناس مؤمنًا؛ لأن

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: «الجوهرة المنيفة في شرح وصية الإمام أبي حنيفة» (ص١٠٣).

(٣) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٦٨).

الناس لا يعلمون ما في قلبه، وعليهم أن يسمُّوه «مؤمنًا» بما أظهَر لهم من الإقرار بهذه الشهادة، وليس لهم أن يتكلفوا عِلم القلوب، ومنهم من يكون عند الله مؤمنًا وعند الناس كافرًا؛ وذلك أن يكون المؤمنُ يُظهر الكفر بلسانه في حال التقيَّة، فيُسميه مَن لا يعرفه «كافرًا» وهو عند الله مؤمنٌ»[1].

**ذكاء أبي حنيفة:**

قال الحسن بن زياد اللؤلؤي: «كانت عندنا امرأةٌ مجنونةٌ، يقال لها: أم عمران، مر بها إنسانٌ فقال لها شيئًا، فقالت: يا ابن الزانيَينِ، وابن أبي ليلى قائمٌ يسمع، فأمر أن يُؤتى بها، فأدخلها المسجد وهو فيه، فضربها حدَّيْن؛ حدًّا لأبيه وحدًّا لأمه، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فيها من ستة مواضع: المجنونة لا حَدَّ عليها، وأقام الحد عليها في المسجد ولا تقام الحدود في المساجد، وضربها قائمةً والنساء يُضرَبن قعودًا، وأقام عليها حدينِ، ولو أن رجلًا قذف قومًا ما كان عليه إلا حدٌّ واحدٌ، وضربها والأبوان غائبان ولا يكون ذلك إلا بمحضرهما؛ لأن الحدَّ لا يكون إلا لِمَن يطلبه، وجمع بين الحدين في مقام واحد، ومَن وجب عليه حدانِ، لم يُقَمْ عليه أحدهما حتى يجف الآخر، ثم يضرب الحد الثاني، فبلغ ذلك ابنَ أبي ليلى، فذهب إلى الأمير فشكاه، فحجَر الأمير على أبي حنيفة أن يفتي، فهذه قصة حجر الأمير في الفتيا على أبي حنيفة»[2].

قال ابن شُبرمة: «كنت شديد الإزراء على أبي حنيفة، فحضر الموسم وكنت حاجًّا يومئذ، فاجتمع عليه قومٌ يسألونه، فوقفتُ من حيث لا يعلم مَن أنا، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا حنيفة، قصدتُك أسألك عن أمر قد أهمني وأعجزني، قال: ما هو؟ قال: لي ولدٌ ليس لي غيره، فإن زوجتُه طلَّق، وإن سرَّيتُه أعتَق، وقد عجزت عن هذا، فهل من حيلة؟ فقال له للوقت: اشترِ الجارية التي يرضاها هو لنفسِك، ثم زوِّجها منه، فإن

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٣٥).

طلَّق رجعت مملوكتُك إليك، وإن أعتق أعتق ما لا يملِك، قال: فعلمتُ أن الرجل فقيهٌ، فمن يومئذ كففتُ عن ذِكره إلا بخير»[١].

قال علي بن المديني: «حُدِّثتُ أن رجلًا من القُوَّاد تزوج امرأةً سرًّا فولدت منه، ثم جحدها، فحاكمته إلى ابن أبي ليلى، فقال لها: هاتِ بينةً على النكاح، فقالت: إنما تزوجني على أن الله جَلَّوَعَلَا الولي، والشاهدان: الملَكان، فقال لها: اذهبي، وطردها، فأتت المرأة أبا حنيفة مستغيثةً، فذكرت ذلك له، فقال لها: ارجعي إلى ابن أبي ليلى فقولي له: إني قد أصبت بينةً، فإذا هو دعا به ليُشهِد عليه، قولي: أصلح الله القاضي، يقول: هو كافرٌ بالوليِّ والشاهدين، فقال له ابن أبي ليلى ذلك، فنكَل ولم يستطِعْ أن يقول ذلك، وأقر بالتزويج، فألزمه المهرَ، وألحق به الولد»[٢].

قال الزبير بن كعيب: «قال لي شريكٌ: كنا في جنازة غلام من بني هاشم وقد تبعها وجوه الناس وأشرافهم، فأنا إلى جنب ابن شبرمة أماشيه، إذ قامت الجنازة، فقيل: ما للجنازة لا يمشى بها؟ قيل: خرجت أمه والهةً عليه، سافرةً وجهها في قميص، فحلف أبوه بالطلاق لترجعن، وحلفت هي بصدقة ما تملِك لا رجعت حتى يُصلى عليه، وكان يومئذ مع الجنازة ابن شبرمة ونظراؤه، فاجتمعوا لذلك، وسئلوا عن المسألة، فلم يكن عندهم جوابٌ حاضرٌ، قال: فذهبوا فدعوا بأبي حنيفة وهو في عرض الناس، فجاء مغطيًا رأسه والمرأة والزوج وقوفٌ والناس، فقال للمرأة: علامَ حلفتِ؟ قالت: على كذا وكذا، وقال للزوج: بمَ حلفت؟ قال: بكذا، قال: ضعوا السرير، فوُضِع، وقال للرجل: تقدَّم فصلِّ على ابنك، فلما صلى، قال: ارجعي، فقد خرجتما عن يمينكما، احملوا ميتكم، فاستحسنها الناس، فقال ابن شبرمة - على ما حكى عنه شريكٌ -: عجزتِ النساء أن تلدَ مِثل النعمان»[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص١٥٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٦١).

قال عبد الله بن المبارك: «قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة من الغِيبة! ما سمعتُه يغتاب عدوًّا له قط، قال: هو والله، أعقل من أن يسلِّط على حسناته ما يذهَب بها»[١].

قال علي بن عاصم: «لو وُزن عقلُ أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض، لرجَح بهم»[٢].

قال يحيى بن معين: «دخل الخوارج مسجد الكوفة وأبو حنيفة وأصحابه جلوس، فقال أبو حنيفة: لا تبرحوا، فجاؤوا حتى وقفوا عليهم، فقالوا لهم: ما أنتم؟ فقال أبو حنيفة: نحن مستجيرون، فقال أمير الخوارج: دعُوهم وأبلِغوهم مأمنهم، واقرؤوا عليهم القرآن، فقرؤوا عليهم القرآن، وأبلَغوهم مأمنهم»[٣].

**عبادة أبي حنيفة:**

قال خارجة بن مصعب: «ختَم القرآنَ في الكعبة أربعة من الأئمة: عثمان بن عفان، وتميم الدَّاري، وسعيد بن جُبير، وأبو حنيفة»[٤].

قال الحسن بن محمد الليثي: «قدمت الكوفة فسألت عن أعبدِ أهلها، فدُفعت إلى أبي حنيفة»[٥].

قال سفيان بن عيينة: «رحم الله أبا حنيفة؛ كان من المصلِّين»[٦].

قال محمد بن فضيل: «قال أبو مطيع: كنت بمكة، فما دخلت الطواف في ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفةَ وسفيان في الطواف»[٧].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٣/ ٣٦٤).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٦٦).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٣٥٦).

(٥) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٣٥٣).

(٦) انظر: المرجع السابق.

(٧) انظر: المرجع السابق.

قال يحيى بن أيوب الزاهد: «كان أبو حنيفةَ لا ينام الليل»[١].

قال أبو عاصمٍ النبيل: «كان أبو حنيفة يسمَّى الوتِدَ؛ لكثرة صلاته»[٢].

قال مِسعَر بن كِدام: «رأيت أبا حنيفة قرأ القرآن في ركعة»[٣].

قال المثنى بن رجاء: جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقًا أن يتصدَّق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقةً، تصدَّق بمثلها»[٤].

قال أسد بن عمر: «صلى أبو حنيفة الفجرَ بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، فكان عامةَ الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يُسمَع بكاؤُه بالليل حتى يرحَمَه جيرانُه»[٥].

قال مِسعَر بن كدام: «دخلتُ المسجد فرأيت رجلًا يصلي، فاستحلَيْتُ قراءته، فقرأ سبعًا، فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث، ثم قرأ النصف، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة، فنظرتُ، فإذا هو أبو حنيفة»[٦]!

**جودُ وكرمُ أبي حنيفة:**

قال قيس بن الربيع: «كان أبو حيفة يبعث بالبضائع إلى بغداد، فيشتري بها الأمتعةَ، ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدِّثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: أنفقوا في حوائجكم، ولا تحمَدوا إلا اللهَ؛ فإني ما

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٤٠٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٠١).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٦٣).

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٥٦).

أعطيتُكم من مالي شيئًا، ولكن من فضل الله عليَّ فيكم، وهذه أرباح بضائعكم؛ فإنه هو والله، مما يُجريه الله لكم على يدي، فما في رزق الله حولٌ لغيره»[١].

قال حفص بن حمزة القرشي: «كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل، فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة (حاجة) وصَله، وإن مرِض عاده، حتى يجره إلى مواصلته»[٢].

وعن أبي سعيد الكندي: «كان أبو حنيفة يبيع الخز، فجاءه رجلٌ، فقال: يا أبا حنيفة، قد احتجت إلى ثوب خز، فقال: ما لونه؟ فقال: كذا وكذا، فقال له: اصبر حتى يقع وآخذه لك إن شاء الله، فما دارت الجمعة حتى وقع، فمر به الرجل، فقال له أبو حنيفة: قد وقعت حاجتك، فأخرج إليه الثوب فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة، كم أزِنُ للغلام؟ قال: درهمًا، قال: يا أبا حنيفة، ما كنت أظنك تهزأ، قال: ما هزأت، إني اشتريت ثوبين بعشرين دينارًا ودرهم، وإني بعت أحدهما بعشرين دينارًا، وبقِيَ هذا بدرهم، وما كنت لأربحَ على صديقٍ»[٣].

وكان أبو حنيفة إذا اكتسى ثوبًا جديدًا، كسا بقدر ثمنه الشيوخَ العلماء[٤].

### زُهد وورع أبي حنيفة:

قال سوار بن حكم يومًا: «ما رأيتُ أورع منه؛ نُهِي عن الفتيا، فبينا هو وابنته يأكلان تخللت ابنته، فخرج على خلالها صفرة دم، فقالت: يا أبت، عليَّ في هذا وضوءٌ؟ فقال: إني نُهِيت عن الفتيا، فحلفتُ لهم، فسَلِي أخاك حمادًا»[٥].

قال محمد بن شجاع عن بعض أصحابه: «إنه قيل لأبي حنيفة: قد أمر لك

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٣/ ٣٦٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٣٦٢).

(٤) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٣٥٨).

(٥) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٥٩).

أبو جعفر أمير المؤمنين بعشرة آلاف درهم، قال: فما رضي أبو حنيفة، فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى إليه بالمال، صلى الصبح، ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال، فدخل به عليه فكلمه، فلم يكلمه، فقال مَن حضر: ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة، فقال: ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت، قال: ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته، فقال لابنه: إذا أنا متُّ ودفنتموني، فخُذ هذه البدرة، فاذهب بها إلى الحسن بن قحطبة، فقُل له: هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة، فلما دفنَّاه وأخذتها وجئت حتى استأذنت على الحسن بن قحطبة، فقلت: هذه الوديعة التي كانت لك عند أبي حنيفة، قال: فقال الحسن: رحمة الله على أبيك، لقد كان شحيحًا على دِينه»[1].

قال علي بن حفص البزاز: «كان حفص بن عبد الرحمن شريكَ أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة هو الذي يقوم بشراء البضاعة، فبعث إليه في رفقة بمتاع، وأعلَمه أن في ثوب كذا وكذا عيبًا، فإذا بعتَه فبيِّن هذا العيب، فباع حفصٌ المتاعَ ونسِي أن يبيِّن العيب، ولم يعلم من اشتراه، فلما علِم أبو حنيفة بذلك، تصدق بثمن المتاع كله»[2].

وقال يزيد بن الكُميت: «كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس، نظرت إلى أبي حنيفة، وهو جالس يتفكر ويتنفس، فلما خرجت تركت القنديل فيه زيت قليل يكاد ينطفئ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحيته، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرًا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرًا، أجِر النعمان عبدك من النار ومما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذَّنْتُ والقنديل يُزْهر، فلما دخلتُ قال لي: اكتم عليَّ ما رأيت، وركع ركعتين وجلس حتى أقمتُ الصلاة، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل».

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٥٨).

قال مكي بن إبراهيم: «جالستُ الكوفيين فما رأيت أورعَ من أبي حنيفة»[١].

**أقوال العلماء في أبي حنيفة:**

قال إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين: «كان أبو حنيفة ثقةً، لا يحدِّث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ»[٢].

قال الإمام الشافعي: «قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيتُ رجلًا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا، لقام بحجَّته»[٣].

قال الشافعي: «من أراد أن يتبحر في الفقه، فهو عيال على أبي حنيفة، كان أبو حنيفة ممن وُفق له الفقه»[٤]. وقال: «الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة»[٥].

قال عبد الله بن المبارك: «ما رأيت رجلًا أوقر في مجلسه، ولا أحسن سمتًا وحِلمًا من أبي حنيفة»[٦].

قال حيان بن موسى المروزي: «سئل ابن المبارك: مالكٌ أفقه، أو أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة»[٧].

وقال ابن المبارك: «أبو حنيفة أفقهُ الناس»[٨].

قال أبو معاوية الضرير: «حُبُّ أبي حنيفة من السنَّة»[٩].

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٦/ ٣٩٩).

(٤) انظر: «تبييض الصحيفة»، للسيوطي (ص٢٨).

(٥) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٤٠٣).

(٦) (٦) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٠٠).

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٤٠٢).

(٨) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٠٣).

(٩) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٠١).

قال علي بن عاصم: «لو وُزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح ليهم»[١].

قال حفص بن غياث: «كلام أبي حنيفة في الفقه، أدقُّ من الشَّعر، لا يعيبه إلا اهلٌ»[٢].

سُئل الأعمش عن مسألة، فقال: «إنما يُحسِن هذا النعمانُ بن ثابت الخزاز، أظنه بورك له في علمه»[٣].

وسمع زيد بن كميت رجلًا يقول لأبي حنيفة: «اتـقِ اللهَ، فانتفض، واصفرَّ، أطرق، وقال: جزاك الله خيرًا، ما أحوجَ الناسَ كلَّ وقت إلى من يقول لهم مثل ذا»[٤].

قال رَوْح بن عبادة: «كنت عند عبدالملك بن جريج سنة خمسين ومائة، فأتاه وتُ أبي حنيفة فاسترجع وتوجع، وقال: أيُّ علم ذهب»![٥].

قال عبدالصمد بن عبد الوارث: «كنا عند شعبة بن الحجاج، فقيل له: مات و حنيفة، فقال شعبة: لقد ذهب معه فقه الكوفة، تفضل الله علينا وعليه»[٦].

وقال شعبة بن الحجاج أيضًا: «كان والله حسَنَ الفهم، جيد الحفظ»[٧].

قال عبد الله بن داود الخريبي: «ينبغي للناس أن يَدْعوا في صلاتهم لأبي حنيفة؛ حفظه الفقهَ والسُّنَن عليهم»[٨].

---

١) انظر: المصدر السابق (٦/ ٤٠٣).

٢) انظر: المرجع السابق (٦/ ٤٠٣).

٣) (٦) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٢٦).

٤) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٤٠٠).

٥) انظر: «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٦٣٠).

٦) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٢٦).

٧) انظر: «الخيرات الحسان»، لابن حجر الهيتمي المكي (ص٣٤).

٨) انظر: «البداية والنهاية»، لابن كثير (١٠/ ١١٠).

قال شيخ البخاري مكي بن إبراهيم: «كان أبو حنيفة أعلمَ أهلِ الأرض»(١).

قال علي بن الجعد: «كنا عند زهير بن معاوية، فجاءه رجلٌ، فقال له زهيرٌ: مِن أين جئت؟ فقال: مِن عند أبي حنيفة، فقال زهيرٌ: إن ذهابك إلى أبي حنيفة يومًا واحدًا أنفعُ لك من مجيئك إليَّ شهرًا»(٢).

قال حاتم بن آدم: «قلت للفضل بن موسى السيناني: ما تقول في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة؟ قال: إن أبا حنيفة جاءهم بما يعقِلونه وبما لا يعقِلونه من العلم، ولم يترك لهم شيئًا؛ فحسَدوه»(٣).

قال يحيى بن سعيد القطان: «لا نكذب الله، ما سمعنا أحسنَ مِن رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثرِ أقواله»(٤).

قال أبو نُعيم الأصبهاني: «كان أبو حنيفة صاحبَ غوصٍ في المسائل»(٥).

قال الذهبي: «الإمامة في الفقه ودقائقه مسلَّمةٌ إلى هذا الإمام، وهذا أمرٌ لا شك فيه»(٦).

قال ابن حجر العسقلاني: «مناقب الإمام أبي حنيفة كثيرة جدًّا؛ فرضِيَ الله تعالى عنه، وأسكنه الفردوسَ، آمين»(٧).

### حُسن جوار أبي حنيفة:

قال عبد الله بن رجاء الغداني: «كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكاف يعمل

---

(١) (٦) انظر: المرجع السابق (١٠/ ١١٠).

(٢) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٣٠).

(٣) انظر: «المرجع السابق (ص١٣٦).

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٤٠٦).

(٥) انظر: «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٦٣٠).

(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٤٠٠).

(٧) انظر: «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني: (٥/ ٦٣١).

نهاره كله، حتى إذا أقبل الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحمًا فطبخه، أو سمكة فيشويها، ثم لا يزال يشرب الخمرَ، حتى إذا دب الشراب فيه، غنَّى بصوت وهو يقول:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسدادِ ثغرِ

فلا يزال يشرب الخمر، ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمَع ضجته، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسَس (الشرطة) منذ ليالٍ، وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غدٍ، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، قال الأمير: ائذَنوا له، وأقبلوا به راكبًا، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له من مجلسه، وقال: ما حاجتك؟ قال: لي جار إسكاف، أخذه العسس منذ ليالٍ، يأمر الأمير بتخليته! فقال: نعم، وكل من أخذه بتلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكافي يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه، فقال: يا فتى، أضعناك؟ قال: لا، بل حفِظت ورعَيت جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل، ولم يعُدْ إلى ما كان»[1].

**ابتلاء أبي حنيفة:**

قال عبيد الله بن عمرو الرقي: «كلم الأمير ابنُ هبيرة أبا حنيفة أن يتولى قضاء الكوفة، فأبى عليه، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ابن هبيرة ذلك خلَّى سبيله»[2].

وروي عن الربيع أنه قال: رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، فقال أبو حنيفة: «اتَّقِ الله ولا تُرعي أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب ولا أصلح لذلك»، فقال له المنصور: «كذبت، أنت

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٦٣٠).

تصلح»، فقال له: «قد حكمت لي على نفسك، كيف تولِّي قاضيًا على أمانتك وهو كذّاب»؟.

**وفاة أبي حنيفة:**

قال حماد بن أبي حنيفة: «لما مات أبي، سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله، ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله تعالى وغفر لك، لم تُفطِر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسَّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبتَ مَن بعدك، وفضحتَ القرَّاء»[1].

وكانت وفاته سنة ١٥٠ للهجرة، وهي السَّنة التي وُلد فيها الإمام الشافعي لإحدى عشرة ليلة خلت من جُمادى الأولى، فقيل: «مات قمر وولد قمر». وقيل: مات في السجن لرفضه أن يلي القضاء، وقيل: إنه لم يمت في السجن. وله حينئذ من العمر سبعون سنة، وصلى الناس عليه ببغداد ستَّ مرات؛ لكثرة الزحام، وقد خرج في جنازته قريب من خمسين ألفًا، ودُفن في مقبرة الخيزران ببغداد[2].

يُنظر للترجمة: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة»، لابن عبد البر (ص١٣٧ - ١٦٣)؛ و«سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي (٦/ ٤٠٠-٤٠٦)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٤٠٦-٤١٥)؛ و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٢٣-٣٦٦)؛ و«الجواهر المضية» للقرشي (١/ ٢٣-٢٦)؛ و«مرآة الجنان» لليافعي (١/ ٣٠٩)؛ و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ١٠٧)؛ و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢/ ١٢).

(١) انظر: «تهذيب التهذيب»، لابن حجر العسقلاني (٥/ ٦٣٠).

(٢) انظر: «البداية والنهاية»، لابن كثير (١٠/ ١١١).

## المبحث الثاني
## نسبة «الفقه الأكبر» إلى أبي حنيفة

من المعلوم، أن عصر الإمام أبي حنيفة لم يكن عصر تأليف وتدوين بالمعنى المعروف فيما بعد؛ بمعنى: أن يخلو العالِم إلى نفسه فيكتب أو يملي الأشياء الكثيرة، فلم يكن أبو حنيفة قد فرغ نفسه للتأليف والإملاء؛ فإنه كان يكثر العبادة، ويؤدي حاجاته، وينظر أحوال تجارته، ويجلس لتعليم الناس والإجابة على أسئلتهم.

والتدريس شغله عن التأليف، وهو فوق ذلك مرجع طلاب العلم وشُداته، يقصدونه من الكوفة والبصرة وداني البلاد وقاصيها؛ لذا لم تكن لأبي حنيفة تآليف كثيرة تتناسب مع مكانته العلمية العظيمة[1].

رغم ذلك نُسبت إلى الإمام أبي حنيفة رسائل، وهي: «الفقه الأكبر»، و«الفقه الأبسط»، و«العالم والمتعلم»، و«رسالة أبي حنيفة إلى البتي»، و«الوصية» وغيرها، وهذه الرسائل يتعلق معظمها بالعقيدة الإسلامية، وبعضها بالنصائح الغالية والتوجيهات القيمة.

وهذه الرسائل تمثل مرجع أهل السُّنة والجماعة الماتُريدية في الاعتقاد لمعرفة العقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه ومن سار على نهجهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، كإمام الهدى أبي منصور الماتُريدي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي تلقّى عقيدة الإمام الأعظم وشرحها وفصَّلها وبيّنها، فكانت عقيدة هذا الإمام الهُمام التي تُعرف بالعقيدة الماتُريدية امتدادًا لعقيدة التابعي الجليل أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن السرور أن هذه الرسائل طُبعت بتحقيق العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال العلامة السيد محمد مرتضى الزَّبيدي[2] رَحِمَهُ اللَّهُ في .....

---

(١) انظر: «أبو حنيفة النعمان - إمام الأئمة الفقهاء»، وهبي سليمان غاوجي (ص٢٨٩).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني الواسطي العراقي الحنفي، ويكنى أبا الفيض وأبا الجود وأبا الوقت. لغوي ومحدث =

«إتحاف السادة المتقين»[1] بعد أن ذكر أن الإمام الماتريدي[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنى كتبه في العقائد على نصوص الإمام أبي حنيفة، وهي في خمسة كتب نُسِبَت إليه، وهي:

---

= وعالم بالرجال والأنساب. ارتحل لطلب العلم، فدخل مدينة زبيد وأقام بها مدة طويلة حتى قيل له: الزبيدي، وبها اشتهر، أصله من واسط في العراق، ومولده في الهند في بلدة بلكرام، ومنشؤه في زبيد باليمن، ورحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وبها توفي. ألف حوالي ١٠٧ مؤلفًا بين رسالة وكتاب، أهمها وأضخمها شرحه على القاموس المسمى بـ«تاج العروس من جواهر القاموس»؛ و«إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين» وغيرهما؛ توفي بمرض الطاعون في شهر شعبان سنة ١٢٠٥هـ. انظر: «الأعلام»، للزركلي: (٧/ ٧٠).

(١) انظر: «إتحاف السادة المتقين»: (١/ ١٣-١٤).

(٢) هو الإمام محمد بن محمد بن محمود المعروف بـ«أبو منصور الماتريدي»، ولد بـ«ماتريد»، وهي محلة بسمرقند في بلاد ما وراء النهر، ولا يعلم تحديدًا بتاريخ ولادته. كان من كبار علماء أهل السنة والجماعة، وكان له دور مهم في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة وتوضيحها بالنقل والعقل، والرد على أهل البدع والضلالات. وهو إمام «المدرسة الماتريدية» التي يتبعها الأحناف في العقيدة، وقد استفاد من آراء أبي حنيفة الكلامية وبيَّنها وفصلها حتى تشكلت آراء أبي حنيفة بمرور الزمان مدرسة عقائدية، وقد لقبه أصحابنا الأحناف بألقاب مختلفة؛ منها: «إمام الهدى»، و«علم الهدى»، و«إمام المتكلمين»، و«مصحح عقائد المسلمين»، و«رئيس أهل السنة»، و«قدوة أهل السنة والاهتداء»، و«رافع أعلام السنة والجماعة»، و«قالع أضاليل الفتنة والبدعة». فهذه الأوصاف والألقاب تدل على عظمة مكانته في نفوس أصحابنا، وإلى دور بارز تحقق له في نصرة السنة والدفاع عنها. قد أخذ العلم عن عدة من المشايخ، فمنهم: أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، أبو نصر أحمد بن العياضي، نصير بن يحيى، محمد بن مقاتل الرازي وغيرهم. تخرج عليه عدّة من العلماء، منهم: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الشهير بالحكيم السمرقندي، الإمام أبو الليث البخاري، الإمام أبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي وغيرهم. له العديد من المؤلفات، منها: «كتاب التوحيد»، و«كتاب المقالات»، و«كتاب الأصول»، و«تأويلات أهل السنة» وغيرها. توفي سنة ٣٣٣هـ. انظر للترجمة: «الجواهر المضية»، للقرشي (١/ ١٣٩)؛ و«أعلام الأخيار»، للكفوي (ص١٣٩)؛ و«الفوائد البهية»، للكنوي، (ص٥٣)؛ و«طبقات الحنفية»، لطاش كبري زاده (ص٧٤-٧٥)؛ ومقدمة «كتاب التوحيد» (ص٥).

«الفقه الأكبر» و«الفقه الأبسط» و«العالم والمتعلم» و«رسالة أبي حنيفة إلى البتي»[١] و«الوصية»، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختُلِفَ في ذلك كثيرًا، فمنهم مَن يُنكِرُ عَزوها إلى الإمام مطلقًا، وأنها ليست من عمله. ومنهم مَن يَنسِبُها إلى محمد بن يوسف البخاري المكنى بأبي حنيفة[٢]، وهذا قول المعتزلة؛ لما فيها من إبطال نصوصهم الزائغة، وادِّعائهم كون الإمام منهم، كما في «المناقب الكردرية»[٣]، وهذا كذب منهم على الإمام؛ فإنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصاحبيه أوّلُ مَن تكلم في أصول الدين وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة الأولى، ففي «التبصرة البغدادية»[٤]: أول متكلمي أهل السُّنَّة من الفقهاء أبو حنيفة، ألَّف فيه: «الفقه الأكبر» و«الرسالة» في نصرة أهل السُّنة، وقد ناظر فرقةَ الخوارج[٥]

---

(١) هو أبو عمرو عثمان بن سليمان بن جرموز البصري، المعروف بـ«البتي» - بفتح الباء الموحدة بعدها مثناة مكسورة -. وكان يبيع البتوت فقيل: البتي، والبت كساء غليظ جمعه بتوت. كان من رواة الحديث، ومن فقهاء التابعين بالبصرة؛ لذلك يقال: إنه كان صاحب رأي وفقه، مات سنة ١٤٣هـ. انظر: «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٧/ ٢٥٧).

(٢) ذكر عنه الزعفراني فيما روى عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية. انظر: «الجواهر المضية في تراجم الحنفية»، للقرشي (٢/ ١٤٨).

(٣) انظر: «مناقب أبي حنيفة»، للكردري (ص١٢٢)؛ وانظر أيضًا (ص١٦٠).

(٤) انظر: كتاب «أصول الدين»، لعبد القاهر البغدادي (ص١٦٢)؛ وانظر أيضًا (ص١٦٤).

(٥) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١١٤): «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان». وزاد ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٤٥): بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن. وعرفهم الدكتورعلي عبد الفتاح المغربي في كتابه «الفرق الكلامية الإسلامية» (ص١٥٩): بأنهم هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وهم حزب سياسي ديني، قام في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فهموه، وهم لا يعدون أنفسهم خارجين عن الدين بل خارجين من أجل الدين، ومن أجل إقامة شرع الله، متمسكين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد تشبثوا بهذا المبدأ وتطبيقه، حتى أصبح علامة من علاماتهم، ورامواإلى إقامة دولة إسلامية تقوم على الدين وأحكامه.

والشيعة[١] والقدرية[٢] والدهرية[٣]، وكانت دُعَاتُهم بالبصرة، فسافر إليها نيفًا وعشرين مرة، وفضَّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام إلى أنه كان المُشار إليه بين الأنام، واقتفى به تلامذتُه الأعلامُ».

---

(١) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٤٦): «الشيعة هم الذين شايعوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله». اهـ.

(٢) قال الأوزاعي: «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، كان نصرانيًا، فأسلم، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد». مذهب القدرية أول ما ظهر هو إن الأمر أُنُف، أي: لم يسبق به قدر ولا علم من الله، وإنما يعلمه بعد وقوعه، والقول بالقدر بهذا المعنى مركب من قضيتين: الأولى: إنكار علم الله السابق بالحوادث، الثانية: أن العبد هو الذي أوجد فعل نفسه. القدرية القائلون بهذا القول قد انقرضوا. قال القرطبي: «قد انقرض هذا المذهب، فلا نعرف أحدًا ينسب إليه من المتأخرين». وقال العسقلاني: «القدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على وجه الاستقلال، وهو مع كونه مذهبًا باطلا أخف من المذهب الأول». انظر: «العقيدة السفارينية» (١/ ٣٠١)؛ و«التبصير في الدين»، للإسفراييني (ص٦٨)؛ و«الملل والنحل»، للشهرستاني (١/ ٣٠).

(٣) الدهريّة نسبة إلى الدهر، وهي معتقدات فكرية، ظهرت في فترة ما قبل الإسلام، وتسمى الدهرية لاعتبارها الزمان، أو الدهر السبب الأول للوجود، وأنّه غير مخلوق ولا نهائي، وتعتبر الدهريّة أن المادّة لا فناء لها، وتعدّ هذه الاعتقادات قريبةً من اعتقاد «اللادينيّة» و«الإلحاد» و«المادّيّة». وذكر في القرآن عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وذكرهم الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» بـ«معطلة العرب»، وقال: «إن بينهم ثلاث مجموعات: مجموعة تنكر الخالق والبعث؛ ومجموعة تقرّ بالخالق وتنكر البعث؛ ومجموعة تقرّ بالخالق والخلق الأول وتنكر الرسل». انظر: «جزيرة العرب قبل الإسلام»، لبرهان الدين دلّو، (ص٦٢١-٦٢٣).

وقال الزَّبيدي أيضًا: «وقد عُلِمَ مما تقدَّم أن هذه الكتب من تأليف الإمام نفسه، والصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذه الكتب من أمالي الإمام التي أملاها على أصحابه، كحماد، وأبي يوسف، وأبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي[1] وأبي مقاتل

---

(١) هو القاضي الإمام الشيخ أبو مطيع حكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن البَلْخي الحنفي، المتوفى ببلخ في جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ. وكان من كبار أصحاب أبي حنيفة، وهو راوي «الفقه الأبسط»، وولي قضاء بَلْخ، تفقه عليه أهل بلاده، وحَدَّث ببغداد، وتناظر مع أبي يوسف، واستمر على قضائه ست عشرة سنة، وكان يقول بالحق ويعمل به، وكان ابن المبارك يجله لدينه وعلمه. وقال العقيلي: «كان مرجئًا صالحًا في الحديث إلا أن أهل السُّنة أمسكوا عن الرواية عنه». فهذا توثيق من العقيلي، حيث حكم عليه بصالح الحديث، إلا أنه اتهمه قائلا: إنه مرجئ! ومن هنا تكلم فيه عامة أهل الحديث.

وفي الحقيقة أنه ليس بشيء مما يُتهم به أو يُجرح به أحد؛ فإن الإمام أبا حنيفة وأصحابه وإن كانوا لا يرون العمل داخلًا في الإيمان، لكنهم يرغِّبون فيه ويقولون: إنه من الأجزاء المكملة للإيمان. لذلك لم يعدهم العلماء من المرجئة الضالة، بل عدهم من مرجئة الفقهاء أو مرجئة أهل السنة والجماعة. وفي ذلك يقول الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٤١): «كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه: مرجئة السنة. وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان. والرجل مع تحريجه في العمل كيف يفتي بترك العمل؟ وله سبب آخر، وهو أنه كان يخالف القدرية، والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول. والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئا، وكذلك الوعيدية من الخوارج، فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج، والله أعلم».

فخلاصة القول: إن أبا مطيع البلخي كان صدوقًا وصالح الحديث في نفسه على ما قاله العقيلي، وبذلك قال العلامة المحدث أنور شاه الكشميري في «عرف الشذي في شرح جامع الترمذي» (١/ ٤١٥): «أبو مطيع الحكم بن عبد الله تلميذ أبي حنيفة، وهو متكلم فيه، ولكن عندي هو صدوق».

نعم، كان ضعيفًا في ضبط الأثر، كما قال عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٧٤): «وكان بصيرًا بالرأي علامة كبير الشأن، ولكنه واه في ضبط الأثر». لذلك لا يقبل حديثه إذا تفرد ما لم يتابع له، كما قال ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٢١٤): «وأبو مطيع بين الضعف في أحاديثه وعامة ما يرويه لا يتابع عليه». =

حفص بن سلم السمرقندي[1]، فهم الذين قاموا بجمعها، وتلقاها جماعة عنهم كإسماعيل بن حماد[2]،.....

= انظر للترجمة: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، لحاجي خليفة (٢/ ٦١)؛ و«تاج التراجم»، لقاسم بن قُطلُوبغا (ص٣٣٣)؛ و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، للقرشي (٤/ ٨٧)؛ و«تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (٨/ ٢٢٣ - ٢٢٥)؛ و«الفوائد البهية»، للكنوي (ص٦٨ - ٦٩)؛ و«لسان الميزان» (١/ ١٤٨) (٢٦٩١)، للعسقلاني.

(١) هو أبو مقاتل حفص بن سلم الفزاري، عالم بسمرقند في عصر أبي حنيفة، تتلمذ على أبي حنيفة، ولازمه في السفر والحضر، وكان طويل الصحبة له، قال الموفق المكي: «صحب أبا حنيفة ولزم له وأكثر عنه الرواية»، قال العلامة الكوثري: وقد طالت ألسنة بعض النقلة على أبي مقاتل كطول لسانهم على أبي حنيفة وأصحابه متذرعين في ذلك برميهم إياه بالرأي والإرجاء والتجهم ونحو ذاك مما يعلو تحقيق الحق والباطل منه على مداركهم حتى تراهم يرمونه بالكذب من غير حجة، وكل من قال بخلاف رأيهم فهو كذاب لقوله بما هو خلاف الواقع في نظرهم على جلالة قدره عند أصحابنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لا آخذ الله المخالفين على هذا العدوان الصارخ - فإن كان لا بدَّ من النقل عن غير أصحابنا في التعويل على المرء، فدونك كلام أبي يعلى الخليلي في «الإرشاد» في أبي مقاتل: «مشهور بالصدق غير مخرج في الصحيح وكان يفتي وله في الفقه محل و تعنى بجمع حديثه خلف بن يحيى قاضي الري»، عمِّر كثيرا وعاش إلى أن مات سنة ٢٠٨ وما وقع في اللسان من سنة ٢٥٨هـ كتاريخ لوفاته فسبق قلم، وإقامة لـ (٥) بدل الصفر». انظر للترجمة: «مناقب أبي حنيفة»، للموفق المكي (١/ ٢٤٦)؛ و«مناقب الإمام الأعظم»، للكردري (١/ ٢٤٦)؛ و«الإرشاد في معرفة علماء الحديث»، للخليلي (٣/ ٩٧٥)؛ ومقدمة الكوثري على «العالم والمتعلم» (ص٥).

(٢) هو إسماعيل بن حماد بن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، فقيه حنفي، تفقه على أبيه وعلى الحسن بن زياد، ولم يدرك جده، ولي القضاء بالجانب الشرقي ببغداد، وقضاء البصرة والرقة. كان يختلف إلى أبي يوسف يتفقّه عليه، جاء في كتاب «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»: «كان بصيرًا بالقضاء، عارفًا بالأحكام والوقائع والنوازل، صالحًا دينًا عابدًا زاهدًا». صنف: «الجامع» في الفقه عن جده أبي حنيفة، وكتاب «الرد على القدرية»، وكتاب «الإرجاء» و«رسالة إلى البستي»؛ مات شابًا سنة ٢١٢ للهجرة. انظر: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه»، للصيمري (ص١٤٣)؛ و«الجواهر المضية» (١/ ١٤٨): و«تاريخ بغداد» (٦/ ٢٤٣)؛ و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، للكنوي (ص٤٦).

ومحمد بن مقاتل الرازي[١]، ومحمد بن سماعة[٢]، ونصير بن يحيى البلخي[٣]، وشداد بن الحكيم[٤]، وغيرهم إلى أن وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبي منصور الماتريدي، فمن عزاهنَّ إلى الإمام صح؛ لكون تلك المسائل من إملائه، ومن عزاهنَّ إلى أبي مطيع البلخي أو غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح؛ لكونها من جمعه.

ونظير ذلك: «المسند» المنسوب للإمام الشافعي؛ فإنه من تخريج أبي عمرو

---

(١) هو محمد بن مقاتل الرازي من أصحاب محمد بن الحسن، قال الذهبي: «حدث عن وكيع وطبقته»، وقال: «تكلم فيه، ولم يُترك». انظر: «الجواهر المضية»، للقرشي (٢/ ١٣٤)؛ و«ميزان الاعتدال»، للذهبي (٤/ ٤٧).

(٢) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن سماعة بن عبد الله الحنفي التميمي، كان إمامًا فاضلا، صاحب اختيارات في المذهب وروايات، وله المصنفات الحسان، كَتَب النوادر عن أبي يوسف ومحمد، وروى الكتب والأمالي؛ قال الصيمري: وهو من الحفاظ الثقات، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٣٣هـ، ولما مات قال ابن معين: «اليوم مات ريحانة أهل الرأي». انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٠/ ٥٤٦)؛ و«الوافي بالوفيات» (٣/ ١١٦)؛ و«طبقات الفقهاء»، للشيرازي (ص١٣٨)؛ و«تاج التراجم»، لابن قطلوبغا (ص٢٤٠)؛ و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، للقرشي (٢/ ٥٨)؛ و«الفوائد البهية»، للكنوي (ص١٧٠)؛ و«النجوم الزاهرة»، لابن تغري بردي (٢/ ٢٧١).

(٣) هو الشيخ الفاضل نصير بن يحيى البلخي، أخذ الفقه عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد، اجتمع مع أحمد بن حنبل وبحث معه، مات سنة ٢٦٨ الهجرية. انظر للترجمة: «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»، للزبيدي (٢/ ٦)؛ و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، للكنوي (١/ ٢٢١)؛ و«الطبقات السنية»، للغزي، رقم الترجمة: ٢٦٠٢؛ و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، للقرشي (٣/ ٥٤٦).

(٤) هو أبو عثمان شداد بن حكيم البلخي، كان من أصحاب زفر بن الهذيل، وقال الخليلي في «الإرشاد»: «روى عن الثوري، وأبي جعفر الرازي وأقرانهما، وروى نسخة عن زفر بن الهذيل وهو صدوق». انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، للقرشي: ١/ ٢٥٦؛ و«لسان الميزان»، للعسقلاني: ٤/ ٢٣٧.

محمد بن جعفر بن محمد بن مطر النيسابوري[١] لأبي العباس الأصم[٢] من أصول الشافعي»[٣].

قال السيد الزبيدي: «وذكر بعضَ مسائل «الفقه الأكبر» شيخ الإسلام محمد بن إلياس[٤] في «فتاويه»، وابن الهمام[٥] في «المسايرة». وذكر بعضَ مسائل «الفقه

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ الإسلام»، للذهبي: ٢٦/ ٢١٣؛ و«مرآة الجنان»، لليافعي: ٢/ ٢٨٠؛ و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: ١٦/ ١٦٣؛ و«تاريخ نيسابور»، للحاكم أبي عبد الله: (١/ ١٠٣).

(٢) هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي، الشهير بـ«أبو العباس الأَصَمّ»، المتوفى ٣٤٦هـ، محدّث من الثقات من أهل نيسابور، وهو راوي كتاب «الأم» للشافعي. انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١٥/ ٤٥٣-٤٦٠).

(٣) قال الكتاني في «الرسالة المستطرفة»: «وليس هو من تصنيفه، وإنما هو عبارة عن الأحاديث التي أسندها؛ مرفوعها موقوفها، ووقعت في مسموع أبي العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأصم الأموي، مولاهم المعقلي النيسابوري، عن الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم، المؤذن المصري صاحب الشافعي وراوية كتبه، من كتابي «الأم» و«المبسوط» للشافعي، إلا أربعة أحاديث رواها الربيع عن البويطي عن الشافعي، التقطها بعض النيسابوريين؛ وهو: أبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مطر المطري العدل النيسابوري الحافظ، من شيوخ الحاكم، من الأبواب لأبي العباس الأصم المذكور؛ لحصول الرواية له بها عن الربيع، وقيل: جمعها الأصم لنفسه، فسمى ذلك مسند الشافعي، ولم يرتبه؛ فلذا وقع التكرار فيه في غير ما موضع».

(٤) هو محمد بن محمد بن إلياس الملقب فخر الدين المايمرغي، تلميذ الكردري، وروى الهداية عنه عن مصنفها، وهو أستاذ السغناقي، وعنه روى الهداية عن الكردري عن المصنف رحمة الله عليهم. انظر: «الجواهر المضية»، للقرشي: (٢/ ١١٥).

(٥) هو شيخ الإسلام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم الإسكندري، المعروف بـ«ابن الهمام»؛ الإمام المحقق من علمائنا الحنفية. وكان إمامًا في الأصول والتفسير والفقه والفرائض والحساب والتصوف والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والمنطق والجدل. أصله من سيواس، ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة، وأقام بحلب مدة، وجاور بالحرمين، قرأ على العز بن عبد السلام والبساطي والشمني والجلال =

الأبسط» الإمامُ أبو المعين النسفي[1] في «التبصرة» في فصل التقليد وغيره[2]، ونور الدين البخاري[3] في «الكفاية» في فصل التنزيه، وحافظ الدين النسفي[4] في «الاعتماد شرح العمدة» و«كشف المنار»، والناطفي في «الأجناس»، والقاضي أبو العلاء

---

= الهندي والولي العراقي والعز بن جماعة، وسمع من جماعة، كالحافظ ابن حجر وغيره، ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر، وكان معظمًا عند الملوك وأرباب الدولة. توفي بالقاهرة سنة ٨٦١ الهجرية. من كتبه: «فتح القدير» في شرح الهداية، و«التحرير» في أصول الفقه و«المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة» و«زاد الفقير» مختصر في فروع الحنفية. انظر للترجمة: «النجوم الزاهرة»، لابن تغري بردي: ١٦/ ١٨٧؛ و«الفوائد البهية»، للكنوي ص١٨؛ و«الجواهر المضية» ٢/ ٨٦؛ و«شذرات الذهب» ٧/ ٢٨٩؛ و«الأعلام»، للزركلي ٢/ ٢٥٥.

(١) تأتي ترجمته عن قريب.

(٢) نقل النسفي عن «الفقه الأكبر» و«العالم والمتعلم» في مواضع من التبصرة»، منها: ١/ ٢٥٠.

(٣) هو الإمام نور الدين أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني البخاري المتوفى ٥٨٠هـ عالم حنفي ومتكلم من الماتريدية. نسبته إلى عمل الصابون أو بيعه. له: «البداية من الكفاية» في أصول الدين، اختصره من كتابه «الكفاية في الهداية» ويسمى: «عقيدة الصابوني». انظر للترجمة: «الفوائد البهية»، للكنوي: ص٤٢؛ و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، للقرشي: ١/ ١٢٤؛ و«تاج التراجم»، لابن قطلوبغا: ص٢٧؛ و«الطبقات السنية»، للغزي: ٢/ ١٠٢.

(٤) هو الإمام أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ كان إمامًا كاملا عديم النظير في زمانه، رأسًا في الفقه والأصول، بارعا في الحديث ومعانيه، من أهل إيذج -من كور أصبهان- نسبته إلى «نسف» ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها: «مدارك التنزيل» في تفسير القرآن، و«كنز الدقائق» في الفقه، و«المنار» في أصول الفقه، و«كشف الأسرار»، و«شرح المنار»، و«الوافي» في الفروع، و«الكافي» في شرح الوافي، و«المصفى» في شرح منظومة أبي حفص النسفي في الخلاف، و«عمدة العقائد». انظر للترجمة: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، للكنوي: (ص١٠١)؛ و«الدرر الكامنة»: ٢/ ٢٤٧؛ و«الجواهر المضية»: ١/ ٢٧٠؛ و«تاج التراجم» ص٢٢؛ و«كشف الظنون» ص١١٩؛ و«ايضاح المكنون»: ١/ ٩٨؛ و«هدية العارفين»: ١/ ٤٦٤.

الصاعدي[١] في كتاب «الاعتقاد»، وأبو شجاع الناصري[٢] في «البرهان الساطع» شرح عقائد الطحاوي، وأبو المحاسن محمود القونوي[٣] في شرحها أيضًا، وشرَحَه الفقيه عطاء بن علي الجوزجاني[٤] شرحًا نفيسًا».

وقال أيضًا: «فقد ذُكر جُمَلٌ من مسائل الكتب الخمسة منقولًا عنها في نحو

---

(١) هو القاضي عماد الإسلام أبو العلاء صاعد بن محمد بن أحمد الأستوائي النيسابوري المتوفى ٤٣٢هـ فقيه حنفي، نسبته إلى أستواء، وهي قرية بنيسابور. ولي قضاء نيسابور مدة، وتوفي فيها، وانتهت إليه رئاسة الحنفية بخراسان في زمانه، له كتاب «الاعتقاد». انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، للكنوي: ص٨٣؛ و«تاج التراجم»، لابن قطلوبغا: ص١٧١؛ و«الجواهر المضية»، للقرشي: ١/ ٢٦٠.

(٢) هو نجم الدين بَكْبَرس بن يَلَنْقِلِج التركي الناصري الحنفي المتوفى ٦٥٢هـ، أحد علماء الفقه والأصول الأحناف. يكنى أبو شجاع وأبو الفضائل، له «مختصر» في الفقه الحنفي، و«شرح العقيدة» للطحاوي، سماه بـ«النور اللامع والبرهان الساطع». انظر: «الجواهر المضية»، للقرشي: ١/ ١٧١؛ و«الطبقات السنية»: ١/ ١٩٥؛ و«تاج التراجم»، لابن قطلوبغا ص: ١٩؛ و«هدية العارفين»: ١/ ٢٣٣؛ و«معجم المؤلفين»: ٣/ ٥٥.

(٣) هو أبو الثناء جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى الدمشقي الحنفي، كان عالمًا فاضلا، وله باع طويل في العلوم العقلية والنقلية، ولي قضاء دمشق، ودرَّس بالريحانية، وصنف «المنتهي في شرح المغني» في أصول الفقه، و«القلائد في شرح العقائد» و«الزبدة في شرح العمدة» في أصول الدين، واختصر «شرح الهداية» للسغناقي وسماه «خلاصة النهاية» وأكمل شرح والده على «الجامع الكبير». وله: «التفريد في مختصر التجريد» للقدوري، و«تهذيب أحكام القرآن» و«التكملة في فوائد الهداية» و«البغية» في الفتاوى، و«الغنية» في الفتاوى، و«الجمع ببين وقفي هلال والخصاف» و«الإعجاز في الاعتراض على الأدلة الشرعية» و«المعتمد» مختصر مسند الإمام أبي حنيفة ﷺ بتخريج الحارثي، و«المستند في شرح المعتمد» و«مُشرِق الأنوار في مُشْكِل الآثار» و«مقدمة» في رفع اليدين في الصلاة، وغير ذلك.

(٤) هو الإمام العلامة عطاء بن علي بن محمد الجوزجاني، من فقهاء الأحناف ومتكلمي الماتريدية، شارح الفقه الأكبر برواية البلخي، توفي قبل سنة ٦٨٧هـ. انظر: مقدمة شرح الفقه الأبسط، لعطاء بن علي الجوزجاني، بتحقيق زليها البرنجي، (ص٨).

ثلاثين كتابًا من كتب الأئمة، وهذا القدر كافٍ في تلقّي الأمة لها بالقبول، والله أعلم».

ويُضاف إليه شروح الكتب المذكورة من قبل أئمة الحنفية وعلمائهم، وهذا دليل ظاهر على قبولهم لما فيها، وتصحيح نسبتها إلى الإمام تأليفًا أو إملاء». اهـ

وقال الإمام عبد القاهر البغدادي المتوفى ٤٢٩هـ في كتابه «أصول الدين»[١]: «وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب أبو حنيفة والشافعي، فإن أبا حنيفة ألَّف كتابًا في الرَّدِّ على القدرية سمّاه «الفقه الأكبر».

وقال الإمام أبو المظفر الإسفراييني في «التبصير في الدين»[٢]: ما يلي «كتاب العالم والمتعلم» لأبي حنيفة، فيه الحجج القاهرة على أهل الإلحاد والبدعة، وكتاب «الفقه الأكبر»، الذي أخبرنا به الثقة بطريق معتمد وإسناد صحيح عن نصر بن يحيى عن أبي حنيفة».

وقال ابن النديم في «الفهرست»[٣]: «له - أي: الإمام أبي حنيفة -: «الفقه الأكبر» و«رسالة إلى البتي» و«كتاب العالم والمتعلم» رواية مقاتل، و«كتاب الرد على القدرية»، و«العلم برًّا وبحرا شرقا وغربا بُعدًا وقربا تدوينه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقال العلامة المحقق الناقد الشيخ محمد زاهد الكوثري رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة «العالم والمتعلم»[٤]: «تلك الرسائل هي العمدة عند أصحابنا في معرفة العقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه الغر الميامين ومن بعدهم من أهل السُّنة على توالي السنين، وإمام الهدى أبو منصور الماتريدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن سائر الأئمة، بنى توضيح الدلائل على مسائل تلك الرسائل، كما جرى على ذلك الإمام المجتهد أبو جعفر الطحاوي[٥] في كتابه: بيان عقائد أهل السُّنة والجماعة على

---

(١) انظر: (ص٣٠٨).

(٢) انظر: (ص١١٣).

(٣) انظر: (ص٢٥١).

(٤) انظر: (ص٣).

(٥) هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي المتوفى سنة =

مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المعروف بـ«عقيدة الطحاوي»[1]، فيتبيَّن من ذلك مبلغ أهمية تلك الرسائل عند الباحثين». اهـ.

وقال الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني في مقدمة تحقيق «منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر»[2] ما نصه: «والفقه الأكبر هو تأليف الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وإملاؤه». ثم أضاف الشيخ قائلا: «وفيه عرض جيد لعقيدة أهل السُّنة والجماعة، طُبع أول مرة بتحقيق الكوثري رَحِمَهُ اللَّهُ».

وقال أيضًا: «وقد رأيت مخطوطة جيدة من «الفقه الأكبر» في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت رَحِمَهُ اللَّهُ بالمدينة المنورة - على ساكنها ألف صلاة وسلام - رواية علي بن أحمد الفارسي عن نصر بن يحيى عن أبي مقاتل عن عصام بن يوسف عن حماد بن أبي حنيفة».

---

= ٣٢١هـ حافظ وفقيه حنفي، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في قرية طحا في المنيا بصعيد مصر، تفقه أولًا على مذهب الشافعيّ، ثم انتقل حنفيًا، من أشهر كتبه: «شرح معاني الآثار» و«شرح مشكل الآثار» و«العقيدة الطحاوية». انظر للترجمة: «الجواهر المضية»، للقرشي (١/ ٢٧٧)؛ و«وفيات الأعيان» (١/ ١٧)؛ و«طبقات الحفاظ»، للسيوطي (ص٣٣٩)؛ و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، للكنوي، ص٢٣؛ و«طبقات الحفاظ»، للذهبي: ٣/ ٢١؛ و«الأعلام»، للزركلي: ١/ ٢٠٢ .

(١) ومسائل هذه الرسائل متفقة مع عقيدة الطحاوي التي هي بيان عقيدة السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة، أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى، بل بعض مسائلها متفقة معها باللفظ أيضًا.

(٢) انظر: (ص١٢).

## المبحث الثالث
## أقسام مؤلفات الإمام أبي حنيفة بالإيجاز

تنقسم الكتب والرسائل المروية عن الإمام أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قسمين: قسمٌ أملاه على تلاميذه وكتبوه مباشرة كرسائله ووصاياه، ومنها: رسالته إلى مقاتل بن سليمان المفسر وموضوعها عن الاستواء، والرسالة إلى عثمان البتي التي كُتبت سنة ١٤٠هـ وموضوعها عن مفهوم الإرجاء.

ووصيّته لتلاميذه في مرض موته بعد أن خرج من سجن المنصور، أي: سنة ١٥٠هـ وهي متن شامل في العقيدة، وهي آخر ما أملاه الإمام على تلاميذه.

ويندرج تحت هذا القسم أي: القسم الذي أملاه الإمام على تلاميذه كتاب «الفقه الأكبر»، الذي يرويه الإمام حماد بن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كان له عناية خاصة بهذا العلم، فقد قال له الإمام: «يا بُني، تعلم الكلام فإنه الفقه الأكبر». وهو المتن الأشهر والأشمل عن الإمام أبي حنيفة، وهو عمدة عقيدة أهل السُّنة والجماعة، ومنه نُسخت المتون كالطحاوية والنسفية وغيرها حتى المخالفين نقلوا نصوصًا حرفية منه في كتبهم.

أما القسم الثاني: فهو مما جمعه ورواه تلاميذه، كالإمام أبي مقاتل السمرقندي، في كتاب «العالم والمتعلم» فقد جاء الكتاب على صيغة حوار بين المتعلم «أبي مقاتل» والعالم «أبي حنيفة». وهذا الحوار شمل الكلام عن الفِرق المخالفة لأهل السُّنة والجماعة.

ومن هذا القسم؛ أي: القسم الذي جمعه ورواه تلاميذه الكتاب المسمّى بـ«الفقه الأكبر» ويسمى أيضًا بكتاب «الرد على القدرية» وبـ«الفقه الأبسط» تمييزًا له عن الكتاب الذي يرويه الإمام حماد.

وهذا الكتاب «الفقه الأبسط» هو روايات جمعها الإمام أبو مطيع البلخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن الإمام أبي حنيفة، أغلبها أسئلة كان سألها للإمام بنفسه، وروايات عن الإمام في العقائد، وروايات حديثية، وموضوعها الأساسي هو الرد على الفِرق المخالفة كالروافض والخوارج والقدرية[1].

(١) انظر: «الميسر في الكلام» (ص٢١)، لأبي اليسر البزدوي، تحقيق الشيخ أكرم محمد إسماعيل.

## المبحث الرابع
## وقفة مع من أنكر نسبة «الفقه الأكبر»

وقد أنكر بعض الناس نسبة «الفقه الأكبر» إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ قديم الزمان، على رأسهم المعتزلة؛ فإنهم لمَّا رأوا في هذا الكتاب ما يخالف مذهبهم؛ من إثبات الصفات لله، وكون القرآن كلام الله غير مخلوق، وإثبات عذاب القبر، والميزان، ورؤية الله في الآخرة، وغير ذلك مما لا يقولون به، بادروا إلى إنكار نسبته إلى الإمام أبي حنيفة، وادَّعوا أن هذا الكتاب لأبي حنيفة البخاري! وفي ذلك قال الكردري ما يلي:

«إن المعتزلة ادّعوا أن الإمام ليس له تأليف في علم الكلام، وغرضهم من ذلك نفي أن يكون «الفقه الأكبر» و«كتاب العالم والمتعلم» له؛ لأنه صرَّح فيهما بأكثر قواعد أهل السُّنة والجماعة، ويقولون: إن الإمام كان معتزليًّا، وهذان الكتابان لأبي حنيفة البخاري! وهذا غلط صريح؛ إذ نجد آراءه في هذه الرسائل موافقة لمذهبه الكلامي الذي وصل من غير هذه الطرق، وليس فيه ما يدل على أنه ليس هذان الكتابان من تواطؤ الإمام. ذكر مولانا شمس الملة والدين البراتقي العمادي أن هذين الكتابين لأبي حنيفة، وقد تواطأ على ذلك جماعة كثيرة من المشايخ. وقد عاتب المأمون من غسل كتب الإمام وزجره زجرًا شديدا»[1].

هذا، وقد تكلم غير واحد من الكُتَّاب الباحثين والمستشرقين في نسبة الفقه الأكبر من بين الكتب المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة، على رأسهم كارل بروكلمان، فقد نفى نسبة جميع الكتب المنسوبة إلى أبي حنيفة، وتبعه على ذلك فؤاد سزكين، حيث يرى أن هذه الكتب من عمل تلامذة الإمام أبي حنيفة، سوى رسالته إلى عثمان البتي؛ فإنها من عمل يده، أما أرنذجان ونسنك فقد نفى صحة كتاب الفقه الأكبر وصحح نسبة

---

(١) انظر: «إتحاف السادة المتقين»، للزبيدي (٢/ ١٤).

الفقه الأبسط إليه، أما أحمد أمين فيرى أن الفقه الأكبر الذي بين أيدي الناس أساسه صحيح النسبة إلى أبي حنيفة وأنه زيد عليه[١].

وتابعهم الشيخ محمد أبو زهرة في التشكيك في نسبة الفقه الأكبر برواية حماد إلى الإمام أبي حنيفة، حيث قال: «إن نسبة الفقه الأكبر لأبي حنيفة موضع نظر عند العلماء، فلم يتفقوا على صحة هذا الكتاب إليه، ولم يدّع أحد الاتفاقَ على صحة هذه النسبة، حتى أشد الناس تعصبًا له، ويعلل ذلك أنه قد ذُكرت مسائلُ في «الفقه الأكبر» لم يكن الخوض فيها معروفًا في عصر أبي حنيفة، ولا العصر الذي سبقه، فلم نجد فيمن قبله ولا من معاصريه من المصادر التي تحت أيدينا من تصدى للتفرقة بين الآية والكرامة والاستدراج، مما يدفعنا إلى الظن بأن هذه المسائل قد زيدت في الرسالة في العصور التي خاض العلماء فيها في هذه المسائل، أو أن الرسالة كلها كتبت في العصور المتأخرة متلاقية مع آراء الماتريدية والأشاعرة»[٢].

ومما يلاحظ من البيان السابق أن هناك من فرق بين الفقه الأكبر برواية حماد والفقه الأبسط برواية أبي مطيع البلخي، حيث إنكر بنسبة الأول، واعترف بنسبة الثاني إلى أبي حنيفة بكونه من جمع أبي مطيع البلخي، ولذلك قرينة، وهي: أن أسلوب الثاني يدل على أنه من إملاء الإمام أبي حيفة على أبي مطيع البلخي، وهذا هو رأي أرنذجان وننسك وأبي زهرة.

وإليه يشير كلام الإمام العلامة أنور شاه الكشميري الحنفي الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «وأما ما نسب إلى أبي حنيفة في الفقه الأكبر فالمحدِّثون على أنه ليس من تصنيفه؛ بل من تصنيف تلميذه أبي مطيع البلخِي، وقد تكلم فيه الذهبي، وقال: إنه جَهْمِيٌّ. أقول: ليس كما قال، ولكنه ليس بحجةٍ في باب الحديث، لكونه غير ناقد، وقد رأيت عدة نُسخ للفقه الأكبر، فوجدتُها كلها متغايرة. وهكذا كتاب العالم

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان ٣/ ٢٣٧؛ وتاريخ التراث، لفؤاد سزكين ٢/ ٣١-٣٢؛ وعقيدة الإسلام ص١١٦، ١٢٣.

(٢) انظر: «أبو حنيفة: حياته وعصره وآراؤه وفقهه» (ص١٨٧-١٨٩).

والمتعلم والوسيطين: الصغير والكبير، كلها منسوبة إلى الإمام، لكن الصواب أنها ليست للإمام»[1].

وأشد الناس إنكارًا لنسبة الفقه الأكبر إلى الإمام أبي حنيفة السلفيةُ المعاصرةُ، بل هم أشد إنكارًا من المعتزلة؛ فإنهم أيضًا لما وجدوا في هذا الكتاب ما يخالف عقيدتهم، من عدم زيادة الإيمان ونقصانه، واللفظ بالقرآن مخلوق، وتكلُّمِ الله بلا حرف ولا صوت، وكون الله شيئا بلا جسم ولا حد، وما إلى ذلك مما لا يعتقدون، تسارعوا إلى إنكار نسبة الكتاب إلى الإمام أبي حنيفة من دون تفريق بين رواية حماد والبلخي، وقالوا: إن فيه ألفاظًا تخالف العقيدة!

ومن العجب، في حين أنهم أنكروا نسبةَ الكتاب بالطريقتين كلتيهما متهمين رواة الكتاب بالجهالة والتجهم والإرجاء وما إلى ذلك من الهراء، تشبثوا بعبارة وردت في الفقه الأكبر برواية حماد ما يفيد عقيدتهم التجسيمية بزعمهم، وهي: «**وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن، من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال**»، كما تشبثوا بعبارة وردت في الفقه الأبسط برواية البلخي، وهي: «قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول : الرحمن على العرش استوى؛ وعرشه فوق سماواته...».

ما هذا التناقض! إن لم تثبت نسبة الكتاب برأسها إلى الإمام أبي حنيفة عندهم، فكيف تصلح بعض عباراته لأن يستدلوا بها! ومن العجب العجاب، أن كبيرًا من كبرائهم يُثبت نسبة الكتاب إلى الإمام، وهو الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -[2].

---

(١) انظر: «فيض الباري شرح صحيح البخاري» (١/ ١٣٤).

(٢) اسمع رأي الشيخ في فتاوى الدرس السادس عشر من سلسلة شرح الفتاوى الحموية حول إثبات نسبة الكتاب إلى الإمام أبي حنيفة، وذلك من خلال الشبكة بعنوان: «الرد على تشكيك =

على رغم أنوف السلفية المعاصرة اعتمد على الكتاب برواية أبي مطيع البلخي كثير من سادة أهل الأثر المتقدمين، ونسبوه إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة، منهم العلامة ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية»[١]، والإمام ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل»[٢]، وابن قيم الجوزية في «اجتماع الجيوش الإسلامية»[٣]، والحافظ الذهبي في «العلو»[٤]، وابن قدامة المقدسي في «العلو»[٥].

حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في «درء تعارض العقل والنقل» ما ملخصه: «إن الكتاب معروف مشهور عند أصحاب أبي حنيفة، وأنهم رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي». فصنعُهم هذا يدل على أنهم معتمدون على نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الأعظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

وعندي، أن الكتاب برواية حماد وإن لم يُنسب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة بطريق القطع؛ لكن يُنسب إليه بطريق الظن الغالب الذي يُرجِّح جانبَ الصدق؛ فإن حديث الآحاد إذا ورد بإسناد لا بأس به يفيد الظن، وذلك على قول كثير من العلماء، فكتاب «الفقه الأكبر» رُوي بإسناد لا بأس به، وهذا يفيد الظن أيضا، مع ما احتفَّ به من القرائن؛ فإن كبار الأئمة الحنفية وغيرهم اعتمدوا عليه ونقلوا منه بكونه منسوبًا إلى أبي حنيفة كما سلف، على أن هذا الكتاب تلقته الأمة بالقبول، مما يغني عن

---

= بعض المعاصرين في نسبة كتاب «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، أراد الشيخ أن يقول: إنه لم يقع التشكيك في نسبة رسالة «الفقه الأكبر» إلى الإمام أبي حنيفة فقط؛ بل وقع التشكيك في غيرها، كـ«رسالة الصلاة» للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حتى قال: إنه ليست في «الفقه الأكبر» ألفاظ تخالف العقيدة.

(١) انظر: (ص٦٥).

(٢) انظر: (٦/ ٢٦٣).

(٣) انظر: (١/ ١٣٨).

(٤) انظر: (ص١٠١).

(٥) انظر: (ص١٧٠).

البحث في إسناده؛ فإن الحديث الضعيف إذا تلقته الأمة بالقبول، لا يُنظر إلى حال إسناده على قول كثير من أهل الحديث[1].

وجميع ما قلنا يرجع إلى أصل الكتاب؛ فإن نسبة أصل الكتاب ثابتة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة بالإسناد كما سيأتي، ولا يَبعُد إمكان الزيادة في العصور المتأخرة، ولكن هذا احتمال فقط، لا اليقين؛ فمهما كان هذا احتمالًا مما لا يرتقي إلى درجة الجزم والتيقن، لا تُنكَرُ بذلك نسبةُ أصل الكتاب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

(١) قال الإمام ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢١٧) - وهو يتكلم عن حديث: البحر هو الطهور ماؤه -: «وهذا الحديث لا يصححون مثل إسناده، لكن الحديث عندي صحيح؛ لأن العلماء تلقوه بالقبول». اهـ.

## المبحث الخامس
## الفرق بين «الفقه الأكبر» و«الفقه الأبسط»

إن «الفقه الأكبر» جاءنا بروايتين، إحداهما رواية حماد بن أبي حنيفة، وهي معروفة بـ«الفقه الأكبر»، وشَرَحه علي القاري وغيره؛ والأخرى رواية أبي مطيع البلخي، وهي معروفة بـ«الفقه الأبسط»، تمييزًا له عن «الفقه الأكبر» برواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه، وشرحه الفقيه أبو الليث السمرقندي وغيره[1].

هذا الفرق وإن شاع لكن العلماء يُطلقون: «الفقه الأكبر» على «الفقه الأبسط»، وكذا يطلقون: «الفقه الأبسط» على «الفقه الأكبر»، وهذا ما قاله العلامة الكوثري[2]. وهذا أمر مما يُهتم به؛ فإنه يختلط على كثير من الناس.

وهناك فرق لطيف بين الروايتين، وهو أن «الفقه الأكبر» مما أملاه الإمام أبو حنيفة على أصحابه، فجاء حاملًا لآرائه وأقواله برواية ابنه حماد؛ ليس فيه رأي أو قول لغيره، أما «الفقه الأبسط» فهو ليس مما أملاه الإمام على أصحابه؛ بل هو مما جمعه تلميذه أبو مطيع البلخي؛ فإن هذا الكتاب فيه أجوبة أبي حنيفة لسؤالات سألها أبو مطيع إياه، كما أن أبا مطيع أكثر فيه من أقوال وآراء نفسه، والله أعلم.

(١) انظر: تعليقات العلامة زاهد الكوثري على «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين»، لأبي المظفر الإسفراييني (ص١١٣)؛ ومقدمة الشيخ زاهد الكوثري في الرسائل الخمسة لأبي حنيفة.

(٢) انظر: تعليقات الشيخ زاهد الكوثري على «اللمعة» للأستاذ العلامة راغب باشا (ص٤٨)؛ و«معارف السنن» للشيخ يوسف البنوري (١٣٦/ ٤).

## المبحث السادس
## الكلام حول سند «الفقه الأكبر»

أما سند «الفقه الأكبر» الذي هو رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه، ففي النسخة الخطية المحفوظة ضمن المجموعة رقم (٢٢٤) بمكتبة شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة - زادها الله شرفا -، ففي أولها سند الشيخ إبراهيم الكوراني في الكتاب إلى علي بن أحمد الفارسي عن نصير بن يحيى عن ابن مقاتل (محمد بن مقاتل الرازي) عن عصام بن يوسف عن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه [١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإليك تراجمهم بالاختصار:

(١) علي بن أحمد الفارسي: توفي عن سن عال سنة ٣٣٥هـ[٢].

(٢) نصير بن يحيى البلخي: كان من أصحاب أبي سليمان الجوزجاني وأبي مطيع البلخي، روى عنه: أبو غياث البلخي ومحمد بن محمد بن سلام، أخذ الفقه عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد، اجتمع بأحمد بن حنبل، وبحث معه؛ توفي سنة ٢٦٨هـ وقد ناهز التسعين[٣].

(٣) محمد بن مقاتل الرازي: هو من أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، قال الذهبي: «كان من الفقهاء الكبار»، وقال: «حدث عن وكيع وطبقته». ذكره

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق الشيخ زاهد الكوثري في رسالة «العالم والمتعلم»، لأبي حنيفة، (ص٤).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص٤).

(٣) انظر لترجمته: «الجواهر المضية» برقم ١٧٤٥؛ و«كتائب أعلام الأخيار» برقم ١٢٧، و«الطبقات السنية» برقم ٢٦٠٢، و«الفوائد البهية»، للكنوي (٢٢١)؛ و«البدور المضية في تراجم الحنفية»، لمحمد حفظ الرحمن الكملائي (١٩/ ١٢٤)؛ مقدمة تحقيق الشيخ زاهد الكوثري في رسالة «العالم والمتعلم»، لأبي حنيفة، (ص٤)؛ و«إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» للزبيدي (٢/ ٦)؛ و«الطبقات السنية» للغزي برقم ٢٦٠٢، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية»، للقرشي (٣/ ٥٤٦).

أبو الحسن بن بانويه في «تاريخ الري»، فقال: «كان إمام أصحاب الرأي بالري وقاضيها، وكان مقدَّمًا في الفقه». روى عن سفيان بن عيينة، وأبي معاوية ووكيع، وابن فضيل والمحاربي وحكام بن سلم وسلم بن الفضل وقبيصة في آخرين. وروى عنه محمد بن جرير الطبري، ومحمد بن أيوب والجمال، ومُحمد بن علي الحكيم الترمذي، وأحمد بن خالد، وأحمد بن جعفر، والحسين بن حمدان وآخرون. وسمع منه البخاري ولم يحدث عنه، وذلك من قبل الرأي. وفي «لسان الميزان»: «تُكلم فيه، ولم يُترك»، وقال أبو حاتم: «كان ثقة فقيها»، توفي سنة ٢٤٨هـ[1].

(٤) عصام بن يوسف: هو أبو عصمة عصام بن يوسف بن ميمون بن قدامة البلخي، وهو أخو إبراهيم بن يوسف، كانا شيخي بلخ في زمانهما بغير مدافع لهما. ذكرهما أبو حاتم بن حبان في كتاب الثقات. قال اللكنوي: «يَروي عصام بن يوسف عن ابن المبارك، وروى عنه أهل بلده، وكان صاحب حديث ثبتًا في الرواية، وربما أخطأ». وفي طبقات القاري: «عصام بن يوسف روى عن ابن المبارك والثوري وشعبة، وكان صاحب حديث». وقال الخليلي: «صدوق»، روى عنه إسماعيل بن بشر بن منصور، وخلف بن أيوب، ومحمد بن الهيثم بن حماد بن واقد، وإسماعيل بن بشر، وحسين بن علي بن مهران وغيرهم. توفي سنة ٢١٠هـ[2].

---

(١) انظر: «الجواهر المضية»، للقرشي (٢/ ١٣٤)؛ و«ميزان الاعتدال»، للذهبي (٤/ ٤٧)؛ و«أخبار أبي حنيفة وأصحابه»، للصيمري، (ص١٥٧)؛ و«لسان الميزان»، للعسقلاني، رقم الترجمة (٧٤٢٩).

تنبيه: قال العلامة الشيخ المحقق زاهد الكوثري في مقدمة تحقيقه على رسالة «العالم والمتعلم» لأبي حنيفة، (ص٤): «وقد وقع في بعض النسخ المطبوعة والمخطوطة وفي بعض الكتب المطبوعة «أبو مقاتل» و«نصر» بدلًا «ابن مقاتل» و«نصير» غلطا، فوجبت الإشارة إلى ذلك».

(٢) انظر: «الجواهر المضية»، للقرشي (١/ ٣٤٧)؛ و«الفوائد البهية» (١١٦)؛ و«ميزان الاعتدال» =

(٥) حماد بن أبي حنيفة: هو أبو إسماعيل حَمَّاد بن أبي حنيفة النُّعمان بن ثابت الكوفي الحنفي، تفقه على أبيه وأفتى في زمانه، وهو من طبقة أبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد. وكان الغالب عليه الورع والزهد. قال الفضل بن دكين: «تقدم حماد بن النعمان إلى شريك بن عبد الله في شهادة، فقال له شريك: والله إنك لعفيف النظر والفرج، خيار مسلم». واستُقضِيَ على الكوفة بعد القاسم بن معين الكوفي تلميذ أبي حنيفة. قال الذهبي: «حماد بن أبي حنيفة عن أبيه وغيره، ضعفه ابن عدي، وله نسخة مروية». تُوفّي سنة ١٧٦ الهجرية[1].

**ملاحظة:**

هؤلاء الرجال المترجَمون معروفون عند العلماء عامة، وعند الأحناف خاصةً، إلا أن معرفة بعضهم لم تتوفر، وذلك لا يضر، ومثل هذا يُتسامح فيمن ندرت معرفته، فقد ضاعت تراجم كثيرين مثله؛ لأنهم ليسوا من رواة الحديث، ولبعدِ ديارهم، وضياع كثير من كتب تواريخ تلك البلاد، وعدم اهتمام المشارقة بتراجم غير المحدثين من تلك الديار[2]، وتأخُّر تدوين تراجم الحنفية، إضافةً إلى النظر في حال الأئمة الثقات الذين رووا رسالة «الفقه الأكبر» بهذا الإسناد، ونقلهم إياها لِمَن بعدهم به وتلقيَهم لها بالقبول، بل تلقي الحنفية جميعًا لها بالقبول يغني عن البحث في الإسناد عند جماعة من أهل العلم.

على أن بعض هؤلاء الرجال وإن لم يعرفهم غيرهم، عرفهم أهل تلك الديار،

---

= (٣/ ٦٧)؛ و«كتائب أعلام الأخيار» برقم ١١٢؛ و«هدية العارفين» (١/ ٦٦٣)؛ و«الطبقات السنية» (٢٤٢٧).

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» ص: ٦٩، لعبد الحي اللكنوي؛ و«لسان الميزان»، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢/ ٣٤٦)؛ و«ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين»، للحافظ شمس الدين الذهبي (ص١٣٠).

(٢) وتذكَّر ما قاله الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السير» في ترجمة الحافظ أحمد بن علي السليماني محدث ما وراء النهر: «حدث عنه جماعةٌ لا نعرفهم بتلك الديار».

فإنه يقال: «صاحب البيت أدرى بما فيه»؛ فإن بعضهم لما كانوا من فقهاء الأحناف، ذكرهم الفقيه أبو الليث السمرقندي مع بيان وفياتهم في كتابه «النوازل»[١]، وهذا القدر يخرجهم عن كونهم غير معروفين أصلا.

قال حاجي خليفة شلبي في «كشف الظنون» بعد ذكر كتاب «النوازل» للسمرقندي: «ذكر فيها أنه جمع من كلام محمد بن شجاع الثلجي، ومحمد بن مقاتل الرازي، ومحمد بن سلمة، ونصير بن يحيى، ومحمد بن سلام، وأبي بكر الإسكافي، وعلي بن أحمد الفارسي، والفقيه أبي جعفر محمد بن عبد الله، فإنهم وفقوا النظرَ فيما وقع لهم من النوازل»[٢].

وبقي هناك كلام عن جرح بعض أهل الحديث في بعض من تقدمت ترجمته، ولكن يبدو بالنظر إليه أن السبب الرئيسي هو الاتهام بالرأي والإرجاء، وهذا الأمر عانى به المتقدمون من الأحناف، حتى المتأخرين منهم، وقد أجاب عن هذا الاتهام كثير من العلماء، ما يغني عن البحث من جديد، على رأسهم العلامة المحقق الشيخ زاهد بن الحسن الكوثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيل مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية سابقًا في كتبه ورسائله. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكر أبي مقاتل ما يلي:

«وقد طالت ألسنة بعض النقلة على أبي مقاتل كطول لسانهم على أبي حنيفة وأصحابه متذرعين في ذلك برميهم إياه بالرأي والإرجاء والتجهم ونحو ذاك، مما يعلو تحقيق الحق والباطل منه على مداركهم، حتى تراهم يرمونه بالكذب من غير حجة، وكل من قال بخلاف رأيهم، فهو كذاب، لقوله بما هو خلاف الواقع في نظرهم على جلالة قدره عند أصحابنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - لا آخذ الله المخالفين على هذا العدوان الصارخ -»[٣].

---

(١) هذا الكتاب يسمى «فتاوى النوازل»، بتحقيق السيد يوسف أحمد، طبعته دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.

(٢) انظر: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، لحاجي خليفة (٣/ ٥٠٣).

(٣) انظر: مقدمة الكوثري على «العالم والمتعلم» (ص٥).

نقول: إن الإرجاء الذي يُتهم به الأحناف ليس بشيء مما يُتهم به أو يُجرح به أحد؛ فإن الإمام أبا حنيفة وأصحابه وإن كانوا لا يرون العمل داخلًا في أصل الإيمان، لكنهم يرغِّبون فيه، ويقولون: إنه من الأجزاء المكملة للإيمان. لذلك لم يَعُدَّهم العلماء من المرجئة الضالة؛ بل عدهم من مرجئة الفقهاء أو مرجئة أهل السُّنة والجماعة.

وفي ذلك يقول الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١٤١): «كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه: مرجئة السُّنة. وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة، ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان. والرجل مع تحريجه في العمل كيف يفتي بترك العمل؟ وله سبب آخر، وهو أنه كان يخالف القدرية، والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول. والمعتزلة كانوا يلقبون كلَّ من خالفهم في القدر مرجئا، وكذلك الوعيدية من الخوارج؛ فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج، والله أعلم».

وأما الرأي، فقد أجاب عنه كاشفًا القناع الإمام ابن عبد البر القرطبي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الشهير «جامع بيان العلم وفضله»[1]، حيث قال: «وأفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتجاوزوا الحد في ذلك، والسبب الموجب لذلك عندهم إدخاله الرأي والقياس على الآثار واعتبارهما، وأكثر أهل العلم يقولون: إذا صح الأثر من جهة الإسناد بطل القياس والنظر.

وكان رده لما رد من الأحاديث بتأويل محتمل، وكثير منه قد تقدمه إليه غيره وتابعه عليه مثله ممن قال بالرأي، وجل ما يوجد له من ذلك ما كان منه اتباعًا لأهل بلده، كإبراهيم النخعي وأصحاب ابن مسعود، إلا أنه أغرق وأفرط في تنزيل النوازل هو وأصحابه، والجواب فيها برأيهم واستحسانهم، من ذلك خلاف للسلف، وشنع هي عند مخالفيهم بدع.

---

(١) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ١٤٨-١٥٠).

وما أعلم أحدًا من أهل العلم إلا وله تأويل في آية أو مذهب في سنة، رد من أجل ذلك المذهب بسنة أخرى بتأويل سائغ أو ادعاء نسخ، إلا أن لأبي حنيفة من ذلك كثيرًا وهو يوجد لغيره قليلا.

وقد ذكر يحيى بن سلام، قال: سمعت عبد الله بن غانم في مجلس إبراهيم بن الأغلب يحدث عن الليث بن سعد، أنه قال: «أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة، كلها مخالفة لسنَّة رسول الله ﷺ مما قال فيها برأيه، قال: ولقد كتبت إليه في ذلك».

فهذا الاتهام - الإرجاء والرأي - جعل الإمام أبا حنيفة وأصحابه غرضًا لأصحاب الحديث حتى صاروا كالأعداء، وفي ذلك قال الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي في كتابه «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء»[1]: «وأما سائر أهل الحديث فهم كالأعداء لأبي حنيفة وأصحابه». اهـ.

هذا، رغم ذلك هناك أناس ينتقدون على إسناد «الفقه الأكبر» دائمًا على طريقة المحدثين، فبعضهم يقولون: إن رواة «الفقه الأكبر» مجروحون عند أهل الحديث. ومنهم من يقول: إن في إسناد «الفقه الأكبر» انقطاعا. وبعضهم يقولون: إن رواته مجاهيل، فلهم عبارات مختلفة في انتقاد «الفقه الأكبر» مما يؤدي إلى عدم قبولها.

ولقد أفحمهم الدكتور حمزة وسيم البكري، حيث قال في مقدمة «شرح الوصية»[2] للبابرتي: «وتلقي الحنفيَّةِ لهذه الرسائل بالقبول يغني عن البحث في الأسانيد، فقد صرح غير واحد من أهل العلم من المحدثين والأصوليين بأن الحديث النبوي إذا تلقته الأمَّةُ بالقبول وعملت به كان ذلك تصحيحًا له، وإن كان لا يصح من جهة الإسناد، منهم ابن عبد البر وأبو إسحاق الإسفراييني وابن القيم وابن حجر

(١) انظر: «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة» (ص١٧٣).

(٢) انظر: (ص٢٤).

وابن الهمام والسخاوي والسيوطي، فإذا كان هذا في الحديث النبوي، - والأمر فيه شديد - فكيف بالكتب والرسائل التي لا يعتنى بنقلها كما يعتنى بنقل الأحاديث، بل إن بعض الكتب المشهورة التي تتوفر الدواعي على نقلها من طرق لم تصل إلينا إلا من طرق غريبة وروايات آحاد، والله تعالى أعلم»[1].

(١) انظر: مقدمة تحقيق الدكتور حمزة البكري على شرح وصية الإمام أبي حنيفة للبابرتي، ص٢٧.

## المبحث السابع
## عناية الأمة برسالة «الفقه الأكبر»

إن رسائل الإمام الأعظم أبي حنيفة حظيت مكانة سامية في تاريخ هذه الأمة، ونالت اهتمامًا بالغًا لعلماء أهل السُّنة والجماعة، والشاهد على ذلك كثرة نسخ رسائله في آفاق العالم، وتلقي العلماء لها بالقبول، ولذلك أسباب؛ منها: أنها رسائل تُنسب إلى أحد الأئمة الأربعة المتبوعين الذي يُعد من التابعين، وأنها تتضمن أسس العقيدة الإسلامية، حتى أصبحت متونًا للعقيدة الإسلامية؛ وأن عقيدته كانت صافية لقرب عهده بالصحابة، وأنه كان من متكلمي هذه الأمة، كما سيأتي.

إن الأمة المسلمة اهتمت بـ«الفقه الأكبر» كغيرها من رسائل الإمام الأخرى منذ قديم الزمان؛ لِما أن هذه الرسائل تعتبر متونًا للعقيدة الإسلامية الأساسية، حتى اتخذ منها الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة، وربما ينقل منها العبارة برمتها، وكذا اتخذها الإمام أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ اللَّهُ عمدة لمسلكه الاعتقادي، وفي ذلك قال الكوثري بعد أن ذكر الرسائل المنسوبة للإمام أبي حنيفة:

«فتلك الرسائل هي العمدة عند أصحابنا في معرفة العقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه الغر الميامين، ومن بعدهم من أهل السُّنة على توالي السنين. وإمام الهدى أبو منصور الماتريدي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن سائر الأئمة - بَنَى توضيح الدلائل على مسائل تلك الرسائل، كما جرى على ذلك الإمام المجتهد أبو جعفر الطحاوي في كتابه: «بيان اعتقاد أهل السُّنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المعروف بـ«عقيدة الطحاوي»، فيتبين من ذلك مبلغ أهمية تلك الرسائل عند الباحثين». انتهى.

وقد أظهر العلامة إسحاق الحكيم الرُّومي (ت ٩٥٠هـ) انطباعه حول «الفقه الأكبر» في شرحه للفقه الأكبر المسمى بـ«مختصر الحكمة النبوية» بما يلي: «فاعلم أن الكتاب المسمّى بـ«الفقه الأكبر» قد بلغ درجة في بيان التَّوحيد والصِّفات، وسائر

الاعتقاديَّات، بحيث لو كان الإنس والجنُّ كلُّهم مجتهدين، وأجمعوا باجتهادهم على أن يأتوا بمثله بدون توفيق الله إيّاهم ونصرته لهم، لما قدروا على ذلك». اهـ.

وهناك شروح كثيرة على «الفقه الأكبر»، مما يدل على مدى عناية العلماء بهذه الرسالة؛ فإن كثرة الشروح على كتاب تدل على مدى اهتمام العلماء بهذا الكتاب، ولذلك تكاثرت الشروح على «العقيدة الطحاوية»، وأظن أن «الفقه الأكبر» تكاثرت شروحه أيضًا بعد «العقيدة الطحاوية» في بيان عقيدة المدرسة الماتريدية، وستأتي تفاصيل تلك الشروح في المبحث الذي يلي.

## المبحث الثامن
## شروح «الفقه الأكبر» مع ذكر الأوصاف

وقد عُلم أن رسالة «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة تُعتبر من أهم المدونات العقدية، وأقدمها عند أهل السنة والجماعة، وتُعدُّ من أهمِّ الأصول التي يبني عليها سادتنا الأحناف الماتريدية قواعدهم ومسائلهم العقدية؛ لذلك حصلت عناية كبيرة بهذه الرسالة من قبل عدد كبير من العلماء قديمًا وحديثًا، فكثرت شروحه وتنوّعت، ما بين مختصر ومطوّل، ومن أهم الشروح على «الفقه الأكبر» ما يلي ذكره:

١ - شرح العلامة أبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣هـ[١]، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». ذكر ذلك الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»[٢]. قلت: وهذا الشرح مطبوع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر بعناية عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. وقد نُسب إلى أبي منصور الماتريدي خطأ، نبه على ذلك العلامة الشيخ زاهد الكوثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة «العالم والمتعلم»[٣].

٢ - شرح العلامة فخر الإسلام البزدوي صاحب الكتاب المشهور في الأصول، المتوفى سنة ٤٨٢هـ[٤]. ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»،.....

---

(١) هو أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب السمرقندي الفقيه الحَنَفِيُّ المتوفى ٣٧٣هـ الإمام، الفقِيه، المحدِّث، الزَّاهد، الملقب بإمام الهدى. صاحب تفسير القرآن الكريم الّذي سمّاه بـ«بحر العلوم». وله كتاب في التصوف الإسلامي باسم «بستان العارفين» وكتاب «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين». انظر: «الأعلام»، للزركلي: ٨/ ٢٧؛ و«طبقات المفسرين»، لشيخ زاده، ص: ٩١ - ٩٢.

(٢) انظر: «إتحاف السادة المتقين»: ١/ ١٣-١٤؛ و«كشف الظنون»: (٢ - ١٢٨٧).

(٣) انظر: (ص٤-٧).

(٤) هو الإمام العلامة الشيخ أبو الحسن فخر الإسلام علي بن محمد بن الحسين بن =

وحاجي خليفة في «كشف الظنون»[1].

طُبع في ليدن سنة ١٢٧٩هـ، على ما قاله بروكلمان (٢/ ٢٥٥). قلت: لكن ما وجدنا أحدًا ممن ترجم للبزدوي أنه كتب شرحًا على «الفقه الأكبر»، رغم ذلك نسب البعض شرح المغنيساوي إلى البزدوي خطأ قائلًا: بأنه طبع سنة ١٢٧٩ الهجرية، والله أعلم.

٣- شرح العلامة عطاء بن علي بن محمد الجوزجاني الحنفي، المتوفى قبل سنة ٦٨٧ هـ المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». يوجد مخطوطه في مكتبة فاتح برقم ٣١٣٧. وقد حقَّقتْه الباحثة زليها برنجي في جامعة مرمرة بتركيا سنة ٢٠٠٧ م.

٤- شرح العلامة أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد البابرتي الحنفي المتوفى ٧٨٦هـ[2]. المسمى بـ«الإرشاد». ذكره أيضًا: الزبيدي في «إتحاف السادة

---

= عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد البزدوي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٢هـ. الفقيه بما وراء النهر، وهو من أكابرنا الحنفية، من سكان سمرقند، نسبته إلى «بزدة» قلعة بقرب نسف. قال السمعاني: «كان إمام الأصحاب بما وراء النهر». وقال الذهبي: «وكان مولده في حدود الأربعمائة». روى عنه أبو المعالي محمد بن نصر الخطيب. له كتاب «المبسوط» أحد عشر مجلدا، وشرح «الجامع الكبير» وشرح «الجامع الصغير» وكتابه في «أصول الفقه» مشهور. توفي يوم الخميس خامس رجب سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ودفن بسمرقند.

(١) انظر: «إتحاف السادة المتقين»: ١/ ١٣-١٤؛ و«كشف الظنون»: (٢ - ١٢٨٧).

(٢) هو الإمام العلامة أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الرومي البابرتي الحنفي الماتريدي، المتوفى سنة ٧٨٦هـ عالم وأديب، وفقيه حنفي، ومحدث بارع، له باع طويل في العقيدة على منهج المتكلمين، نسبته إلى «بابرتي»، وهي قرية من أعمال دجيل في بغداد، أو «بابرت» التابعة لمنطقة أرضروم في تركيا. تعلم مبادئ العلوم في بلده، وتفقه على قوام الدين الكاكي، ثم رحل إلى حلب، فأنزله القاضي ابن العديم بالمدرسة السادحية، فأقام بها مدة وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى القاهرة بعد سنة ٧٤٠هـ فأخذ عن أبي حيان الأندلسي، وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخون أمور الخانقاه، توفي سنة ٧٨٦هـ الموافق ١٣٨٦ م في مصر. ألف في شتى مجالات العلوم، من أشهرها: «العناية =

المتقين»، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»[1]. قلت: كَتب أصحاب التراجم أن البابرتي شرح «الفقه الأكبر» وسماه «الإرشاد»، ولكن بعد التتبع الطويل لم أظفر بهذا الشرح، نعم هناك كتاب للبابرتي المسمى بـ«الإرشاد»، ولكنه في الفقه الحنفي، طبعته دار السمان بإستانبول لأول مرة سنة ٢٠٢١ الميلادية بتحقيق أحمد عبد المنعم عبد الله ريحان.

٥ - شرح العلامة محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي الحنفي[2]، المتوفى سنة ٨٢٥هـ، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». انظر: «معجم المؤلفين» (١٢/ ١٣٠) لعمر رضا كحالة؛ و«جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٣٢٨)؛ و«معارف العوارف» (٢٣٤).

٦ - شرح العلامة أحمد بن سيف الدبن بن فخر الدين النسفي القمي السمرقندي الحنفي المتوفى بعد سنة ٨٤٥هـ المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». أوله: الحمد لله الذي توحد بالقدم والبقا، فرغ من تأليفه سنة ٨٤٥هـ يوجد مخطوطه بخط المؤلف بالجامعة الأمريكية (٤٨١). انظر: «جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (ص١٣٢٨).

---

= شرح الهداية»، و«الإرشاد»، و«شرح العقيدة الطحاوية»، و«شرح مشارق الأنوار»، و«شرح عمدة العقائد»، و«شرح وصية الإمام أبي حنيفة». انظر: «الأعلام»، للزركلي: (٧/ ٤٢)؛ ومقدمة «شرح وصية الإمام أبي حنيفة»، للبابرتي.

(١) انظر: «إتحاف السادة المتقين»: ١/ ١٣-١٤؛ و«كشف الظنون»: (٢ - ١٢٨٧).

(٢) هو الشيخ العلامة أبو الفتح صدر الدين محمد بن يوسف بن علي بن محمد الحسيني الدهلوي الحنفي، المتوفى سنة ٨٢٥هـ. زاهد من العلماء. ولد وتعلم في دهلي بالهند، واستقدمه فيروز شاه البهمني إلى كلبركة سنة ٨١٥، فسكن بها يدرس ويفيد إلى أن توفي. له نحو ١٢٥ مصنَّفًا بالعربية والفارسية. منها بالعربية: «المعارف» شرح العوارف للشهاب السهروردي، وفى تفسير القرآن كتابان، أحدهما على منوال الكشاف. وشرح عدة كتب كالفصوص، و«آداب المريدين» بالعربية والفارسية، و«شرح الفقه الأكبر»، وغير ذلك. انظر: «الأعلام»، للزركلي (٧/ ١٥٤).

٧- شرح العلامة علاء الدين البخاري الحنفي[١]، المتوفى سنة ٨٤١هـ المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». طبعته حديثًا مكتبة الغانم بعمان - الأردن، بتحقيق محمد مصعب كلثوم.

٨- شرح العلامة إلياس ين إبراهيم السِّينوبي المتوفى سنة ٨٩١هـ[٢]، وهو شرح مفيد، على ما قاله الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»[٣]. قلت: حققه عمران نادي علي أبو خنجر كرسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في قسم الفلسفة الإسلامية بجامعة المِنيا تحت إشراف الدكتور السيد محمد سيد عبد الوهاب سنة ٢٠٢٠ الميلادية؛ وطبعته حديثًا مكتبة الغانم بعمان - الأردن، بتحقيق الشيخ أكرم محمد إسماعيل.

---

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو عبد الله علاء الدين محمد بن محمد البخاري الحنفي، المتوفى سنة ٨٤١هـ هو فقيه حنفي صوفي، ومتكلم ماتريدي. كان من كبار علماء الحنفية في عصره. ولد بإيران ونشأ ببخارى، فتفقه بأبيه وعمه العلاء عبد الرحمن، وأخذ الأدبيات والعقليات عن العلامة سعد الدين التفتازاني صاحب «شرح العقائد النسفية»، وتوجه إلى الهند فاستوطنها مدة، وعظم أمره عند ملوكها، ثم قدم مكة فأقام بها، ودخل مصر فاستوطنها وتصدّر للإقراء بها، ونال عظمة بالقاهرة، ثم توجه إلى الشام، فأقام بها حتى توفي بالمزة من ضواحي دمشق. له رسالة في الرد على ابن عربي سماها «فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين»، ورسالة في الرد على ابن تيمية، اسمها «ملجمة المجسمة». وكان يقول: ابن تيمية كافر، وابن عربي كافر. فرد عليه ابن ناصر الدين الدمشقي بمصنف سماه: «الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر». انظر للترجمة: «إنباء الغمر»، لابن حجر العسقلاني (٤/ ٤٧٧)؛ «البدر الطالع»، للشوكاني (صـ٨١٥)؛ والمقدمة على كتاب «ملجمة المجسمة» بتحقيق الشيخ سعيد فودة (ص٦١).

(٢) هو إلياس بن إبراهيم السِّينوبي، مفسر تركي وعالم بعلم الكلام، من فقهاء الحنفية وأعلام الماتريدية. تفقه وتأدب وصنف بالعربية، ولد في سينوب -مرفأ على البحر الأسود في تركيا- وأقام في بروسة، مدرسًا في مدرستها السلطانية، من مؤلفاته: «شرح الفقه الأكبر» و«حاشية على شرح المقاصد للتفتازاني». انظر: «الأعلام»، للزركلي: ٢/ ٨.

(٣) انظر: «إتحاف السادة المتقين» (١/ ١٣-١٤)؛ و«كشف الظنون»: (٢ - ١٢٨٧).

٩ - شرح العلامة الشيخ محمد بن محمد خطيب زاده المتوفى نحو سنة ٩٢٠هـ، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». يتواجد مخطوطه في مغنيسيا بخط المؤلف، على ما قاله فؤاد سزكين (١/ ٤١٣).

١٠ - شرح العلامة الشيخ إسماعيل بن إسحاق الخطيري الحنفي المتوفى بعد سنة ٩٠٣هـ، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر»، أوله: الحمد لله مستحق الحمد من عباده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله إلخ. تتواجد مخطوطاته بمركز الملك فيصل ٥٤، وأخرى برقم ٢٦٣٣، وفي الأزهرية ٤٧٠٨. انظر: «جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٣٢٩).

١١ - شرح العلامة الشيخ أبي المنتهى شهاب الدين أحمد بن محمد المغنيساوي المتوفى سنة ١٠٠٠هـ[١]، المسمى بـ«الحكمة النبوية»[٢]، قاله الزبيدي. وقال حاجي خليفة في «كشف الظنون»[٣]: «وله مختصر ذلك الشرح، قال في مختصره: وقد كتبت قبل كتابًا مفصلًا في تبيين مسائله متمسكًا بالشريعة المصطفوية لا بالعقل والروية، سميته بـ«الحكمة النبوية»، ثم استخرجت منه هذا المختصر، فسميته بـ«مختصر الحكمة النبوية»، وهو للحكيم إسحاق على ما رأيته في آخر نسخة منه منقولة من خطه، وهو شرح ممزوج».

قلت: وسيأتي ذكر مختصر الحكيم إسحاق الرومي. وشرح المغنيساوي هذا مطبوع ضمن الرسائل السبعة التي طبعتها دار البصائر بمصر؛ وأيضًا دار السراج بتركيا سنة ١٤٣٩هـ؛ ودار النور المبين بعمان - الأردن، بتحقيق غزوان صالح الموصلي.

---

(١) هو أبو المنتهي شهاب الدين أحمد بن محمد المغنيساوي المتوفى ٩٣٩هـ، فقيه حنفي عالم بالقراآت، من أهل مغنيسا بتركيا، له كتب عربية، منها: «شرح الفقه الأكبر» و«إظهار المعاني في شرح حرز الأماني». انظر: «الأعلام»، للزركلي: ١/ ٢٣٤.

(٢) طبعته دار السراج بإستانبول - تركيا سنة ١٤٣٩ الهجرية/ ٢٠١٨م، بتسمية «شرح الفقه الأكبر».

(٣) انظر: «كشف الظنون»، لحاجي خليفة (٢ - ١٢٨٧).

١٢ - شرح العلامة الشيخ حكيم إسحاق الرومي المتوفى سنة ٩٥٠هـ[١]، المسمى بـ«مختصر الحكمة النبوية»، على ما قاله الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»[٢]. قلت: طبعته دار الكتب العلمية سنة ٢٠١٥م، بتحقيق بايزبد نيتسيفيتش.

١٣ - شرح العلامة محيي الدين محمد بن بهاء الدين بن لطف الله البيرامي المعروف بـ«بهاء الدين زاده الحنفي» المتوفى سنة ٩٥٦هـ[٣]، جمع فيه بين الكلام والتصوُّف، وأتقَنَ المسائل وأوضَحَها غاية الإيضاح، سماه: «القول الفصل إذ كله جد

---

(١) كان في أول عمره طبيبًا نصرانيًّا يعرف الحكمة معرفة تامة، وقرأ على المولى لطفي المنطق والحكمة وباحث فيها، ثم انجر كلامهم إلى البحث في العلوم الإسلامية وقرر عنده أدلة فاعترف بها وأسلم، ثم اشتغل بتصنيف فخر الإسلام البزدوي وداوم على العمل بالكتاب والسُّنة، وصنف شرحًا على «الفقه الأكبر»، وله «شرح كليات القانون» ورسائل أخرى، فسلك مسلك الخلاف للصوفية، فكتب بعضهم رسالة في رده. وكان من أطباء السلطان سليمان القانوني. انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، لحاجي خليفة (١/ ٢٩٥).

(٢) انظر: «إتحاف السادة المتقين» (١/ ١٣-١٤).

(٣) هو الشيخ الإمام محيي الدين محمد بن بهاء الدين بن لطف الله الرحماوي البيرامي، الشهير ببهاء الدين زاده المتوفى ٩٥١هـ فقيه حنفي صوفي، معمر من أهل «بالي كسري» جمع بين آداب الطريقة وعلوم الشرع. أقام في القسطنطينية، وكان عالمًا فاضلًا في العلوم الشرعية والفرعية ماهرًا في العلوم العقلية، عارفًا بالتفسير والحديث، والعربية، زاهدًا ورعًا ملازمًا لحدود الشريعة، ولما مرض مفتي التخت السلطاني علاء الدين الجمالي، وطالت مرضته وعجز عن الكتابة، قيل له: اختر من العلماء من يكون مقامك، فاختار الملا المذكور لوثوقه بفقهه وورعه وتقواه. وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ووقع منه كلام في حق إبراهيم باشا الوزير بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحنق عليه الوزير، فخافوا على الشيخ منه، وأشاروا إليه أن يسكت عنه، فقال: «غاية ما يقدر عليه القتل وهو شهادة، والحبس وهو عزلة وخلوة، والنفي وهو هجر». صنف كتبًا في «تفسير القرآن العظيم»، و«شرح الفقه الأكبر»، و«شرح الأسماء الحسنى»، ورسائل كثيرة في التصوف. انظر: «هدية العارفين»: ٢/ ٢٣٨؛ و«الشقائق النعمانية»: ٢/ ٣٠؛ و«الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة»، للنجم الغزي: ١/ ٢١٦؛ و«المختار المصون من أعلام القرون»، لمحمد بن حسن بن عقيل موسى، ص: ٧٥٩-٧٦٠.

وما هو بالهزل»، ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» وحاجي خليفة في «كشف الظنون»[1]. قلت: وهو مطبوع، طبعته مكتبة الحقيقة بإستانبول سنة ١٤٣٨هـ؛ وطبعته دار المنتخب العربي، بتحقيق د. رفيق العجمي؛ وطبعته دار الكتب العلمية – بيروت، بعناية الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحنفي الأشعري.

١٤ – شرح العلامة الشيخ معين الدين أبي الحسن عطاء الله بن محمد القرشاوي، المتوفى بعد القرن العاشر الهجري تقريبا، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر»، طبع قازان ١٨٩٠ م، على ما قاله سزكين (١-٤١٤). انظر: «جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٢٢٩).

١٥ – شرح العلامة الشيخ المحدث الملا علي بن سلطان القاري الهروي الحنفي[2]، المتوفى سنة ١٠١٤هـ، وسماه: «منح الروض الأزهر في شرح الفقه

---

(١) انظر: «إتحاف السادة المتقين»: ١/ ١٣-١٤؛ و«كشف الظنون»: (٢ – ١٢٨٧).

(٢) هو الإمام العلامة الملا نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي المتوفى ١٠١٤هـ المعروف بملًا علي القاري، محدث وفقيه حنفي ماتريدي صوفي. ولد في هراة وبها نشأ، وصلّى بالناس إمامًا، فلُقب بالقاري، ثم ارتحل إلى مكة، وذلك بعد وقوع فتنة السلطان إسماعيل الصفوي، وتلقى من علمائها، من أشهرهم شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي، وعلي المتقي الهندي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروفًا بالتدين والتورع والتعفف، كان يأكل من عمل يده، متقللًا من الدنيا، غلب عليه الزهد والعفاف والرضا بالكفاف. وكان قليل الاختلاط بالناس، كثير العبادة والتقوى، وكان يكتب كل عام مصحفًا بخطه الجميل، ويهمشه بالقراءات والتفسير، فيبيعه ويكفيه قوتا عامه كله. من أشهر مؤلفاته: «تفسير القرآن»، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، و«شرح نخبة الفكر»؛ و«جمع الوسائل شرح الشمائل»، «وشرح الشفا للقاضي عياض» وغيرها. انظر للترجمة: «البضاعة المزجاة»، للشيخ عبد الحليم النعماني ص٣٠؛ و«الأعلام»، للزركلي: ٥/ ١٢؛ و«خلاصة الأثر»، للحموي: ٣/ ١٨٥؛ و«سمط النجوم»: ٤/ ٤٠٢؛ و«التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح»، للكاندهلوي، ص: ٦؛ و«التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص٨-٩)؛ و«منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر»، للملا علي القاري، (ص١٥-١٩).

الأكبر». قلت: وهو أشهر شروح «الفقه الأكبر» بين أهل العلم، وله طبعات، منها طبعة دار الكتب العلمية، بتحقيق علي محمد دندل، وطبعته دار النفائس - بيروت، سنة ٢٠١٦ م، بتحقيق الشيخ مروان محمد الشعار. ولكن أفضل الطبعات هي التي اعتنى بها العلامة الفقيه الشيخ وهبي سليمان غاوجي.

١٦ - شرح العلامة الشيخ نور الله بن محمد بن رفيع بن عبد الرحيم الشرواني الحنفي المدرس ببيروت، المتوفى سنة ١٠٦٥هـ، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». انظر: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٤٩٩)؛ و«الأعلام» للزركلي (٣/ ٥٣)؛ و«جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٢٢٩).

١٧ - شرح العلامة الشيخ مراد بن عثمان بن علي بن قاسم العمري الموصلي، المتوفى سنة ١٠٩٢هـ، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». انظر: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٤٢٤)؛ و«جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٢٢٩).

١٨ - شرح العلامة الشيخ كمال الدين أحمد بن حسام الدين بن حسن بن سنان الدين البسنوي الرومي، المعروف ببياضي زاده الحنفي[1]، المتوفى سنة ١٠٩٨هـ، المسمى بـ«إشارات المرام من عبارات الإمام». انظر: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (١/ ١٦٤)؛ و«جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٢٢٩). قلت: وهو شرح للعبارات المنتخبة لـ«الفقه الأكبر» و«الوصية» و«تعليم المتعلم» وغيرها من الرسائل للإمام أبي حنيفة. وطبعته دار الكتب العلمية، بتحقيق أحمد فريد المزيدي.

---

(١) هو الشيخ العلامة كمال الدين أحمد بن حسن بن سنان الدين الحنفي، المعروف ببياضي زاده، ولد في إستانبول، وتوفي بالقرب منها سنة ١٠٩٨هـ، هوقاض بشناق الأصل، ولي قضاء حلب وبورصة ثم مكة فإستانبول. كان يجيد العربية. من مؤلفاته: «إشارات المرام من عبارات الإمام»؛ و«سوانح العلوم من ستة فنون»؛ و«الفقه الأبسط» مع تعليقاته. انظر: «البدور المضية»، لحفظ الرحمن الكملائي البنغلاديشي (٢/ ٣٠٣)؛ و«الأعلام»، للزركلي (١/ ١١٢).

١٩ - شرح العلامة الشيخ نور الدين أبي الفضل علي بن مراد بن عثمان بن علي بن قاسم العمري الموصلي[1]، المتوفى سنة ١١٤٧هـ، المسمى بـ«شرح الفقه الأكبر». انظر: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (١/ ٧٦٦)؛ و«الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٢)؛ و«جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٢٢٩). يتواجد مخطوطه في لاله لي ٢٣٢٥، والمتحف البريطاني ١٢٣٥.

٢٠ - شرح العلامة الشيخ مصطفى بن محمد المرادي الكوزل حصاري الرومي الحنفي، المعروف بخلوصي، المتوفى سنة ١٢١٥هـ، المسمى بـ«تحفة النبي في شرح الفقه الأكبر». انظر: «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٤٥٤)؛ و«جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي (١٢٢٩).

٢١ - شرح العلامة الشيخ إبراهيم بن حسن بن إبراهيم الأسكُداري الرومي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٦٠هـ، المسمى بـ«وقاية عن الكفر والضلال»، ومعه شرح الوصية المسمى بـ«كفاية المحصلين». ومخطوطه المصور موجود عندي.

٢٢ - شرح العلامة الشيخ أبي محمد عبد القادر بن محمد إدريس السَّلهِتي، المتوفى بعد سنة ١٢٩٨هـ، المسمى بـ«الدر الأزهر في شرح الفقه الأكبر»، وهو الشرح الذي قمت بتحقيقه.

٢٣ - شرح العلامة الشيخ سليمان رصد الحنفي الشاذلي الأزهري المتوفى سنة ١٣٤٧هـ، المسمى بـ«المصباح الأزهر شرح الفقه الأكبر»، بتحقيق حازم السيد النحاس، طبعته دار الإحسان.

٢٤ - شرح العلامة الشيخ نضال آله رشي، المسمى بـ«البدر الأنور شرح الفقه الأكبر»، طبعته دار النور المبين.

---

(١) هو الشيخ نور الدين أبو الفضل علي بن مراد العمري، المتوفى ١١٤٧ هـ، مفتي الموصل، وأحد فضلائها. رحل إلى القسطنطينية مرارا، وولي الإفتاء ببغداد عامين ونيفا. من كتبه: «شرح الفقه الأكبر»، لأبي حنيفة؛ و«شرح كتاب الآثار»، لمحمد بن الحسن. انظر: «سلك الدرر»، للمرادي (٣/ ٢٣١)؛ و«الأعلام»، للزركلي (٥/ ٢٢).

٢٥ - شرح الشيخ الدكتور جميل محمد حليم الهاشمي القرشي، المسمى بـ«النجم الأظهر في شرح الفقه الأكبر»، طبعته دار المشاريع.

٢٦ - شرح الشيخ الدكتور عبد الستار عبد الجبار، خطيب الحضرة الحنفية بالعراق، المسمى بـ«المختصر الميسر شرح الفقه الأكبر»، أصدره مجمع الفقه العراقي سنة ٢٠١٩ م.

وقبل أن أختم هذا المبحث الذي يتعلق بشروح «الفقه الأكبر» يجدر لي أن أذكر شيئًا مما يتعلق بـ«شرح الفقه الأكبر» للملا علي القاري؛ فإن شرحه أشهر الشروح المتداولة المقبولة بين أهل العلم، ولكن أخذ عليه بعض العلماء المتأخرين بأنه تأثر بابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ) شارح «العقيدة الطحاوية»، فأتى - القاري - في شرحه بأشياء من آراء وأقوال الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية؛ فإن ابن أبي العز بنى شرحه هذا على آراء وأقوال هذين الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

## المبحث التاسع
## تأثُّر القاري في شرحه بابن أبي العز الحنفي

هناك غير واحد من العلماء الذين لهم باع طويل في العقيدة، شَكَوا على الإمام الملا علي القاري الحنفي بأنه تأثر بابن أبي العز الحنفي، سواء كان يدري أو لا يدري! منهم العلامة الشيخ نضال آله رشي، حيث قال في «البدر الأنور شرح الفقه الأكبر»[1]: «ثم إني قد نظرت قديمًا في «شرح الملا علي القاري»، فألفيت فيه زلات ومتابعات لابن أبي العز الحشوي، المنتسب إلى مذهب الإمام الأعظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ»!

قلنا: إن الإمام ابن أبي العز الحنفي وإن كان حنفيًّا سُلالة، لكنه كان تيميًّا؛ كان يتبع الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية - رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ - في باب الاعتقاد، وذلك يبدو من خلال مطالعة مؤلفاته، خصوصًا من شرحه على «العقيدة الطحاوية»؛ فإنه ما أتى فيه بجديد، إلا ما ترك ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية في مؤلفاتهما، حتى مقدمة شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية منقولة من كتبهما أيضًا!

وإمامنا الملا علي القاري نقل من شرح ابن أبي العز الحنفي! فإنك تتعجب حينما تقرأ بداية كتابه «شرح الفقه الأكبر»، تجده يذم علم الكلام، سواء كان علم الكلام بحق أو بباطل، نقل ذلك عن الإمام القاضي أبي يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلًا: «عن أبي يوسف، إنه لا تجوز الصلاة خلف المتكلم، وإن تكلم بحق؛ لأنه مبتدع»[2]، مع أن القاري نفسه من أهل الكلام على طريقة الماتريدية، وأن شرحه «شرح الفقه الأكبر» برمته في علم الكلام! فمن أين أتى بتلك العجائب؟ ألا ذلك من مقدمة ابن أبي العز الحنفي لشرح العقيدة الطحاوية!

قال الملا علي القاري في شرح «الفقه الأكبر»[3] متبنيًا تقسيم التوحيد إلى ثلاثة

---

(١) انظر: مقدمة شرحه للفقه الأكبر، (ص٤٤).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص٩).

(٣) انظر: (ص١٦).

أقسام: «بل غالب سور القرآن وآياته متضمنة لنوعي التوحيد، بل القرآن من أوله إلى آخره في بيانهما وتحقيق شأنهما. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوته إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يُعْبَدُ من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب والسلاسل والأغلال، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد».

وهذا الكلام منقول من شرح ابن أبي العز الحنفي، الذي يقول في شرحه على «العقيدة الطحاوية»[1] ما نصه: «وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن؛ فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما فعل بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد». اهـ.

وقال القاري في «شرح الفقه الأكبر»[2] أيضًا: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وثنائهم، وفي شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم. فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد.

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، (ص٤١)، بتعليق أحمد شاكر.

(٢) انظر: (ص١٦).

وهذا أيضًا مأخوذ من شرح ابن أبي العز الحنفي[١]، حيث يقول: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. فـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد».

وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»[٢]: «وكذا السُّنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، فلم يحوجنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلى رأي فلان وذوق فلان ووجد فلان في أصول ديننا. ولذا تجد من خالف الكتاب والسُّنة مختلفين مضطربين. بل قد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلا نحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسُّنَّة».

وهذا أيضًا مأخوذ من شرح ابن أبي العز الحنفي على «العقيدة الطحاوية»[٣] حيث يقول: «وكذلك السُّنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، لم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلان، ولا إلى ذوق فلان، ووجده في أصول ديننا. ولهذا تجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين. بل قد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلا يحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسُّنة».

قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر»[٤]: «وقد سئل أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما ورد من أنه سبحانه ينزل من السماء؟ فقال: ينزل بلا كيف، وكقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

---

(١) انظر: ص٤٢.

(٢) انظر: (ص١٦).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: (ص٦٠).

«إن الله خلق آدم على صورته». وفي رواية: «على صورة الرحمن». فيجب أن يجرى على ظاهره، ويفوض أمر علمه إلى قائله، وينزِّه الباري عن الجارحة ومشابهة الصفات المحدثات».

فلا شك في أن الإمام الملا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأثر بابن أبي العز الحنفي، بل تأثر بمن تأثر بهما ابن أبي العز الحنفي نفسه، وهما الإمام ابن تيمية وتلميذه. وتأثره هذا لم يظهر في «شرح الفقه الأكبر» حسب؛ بل في غيره من التأليفات، مثلًا في أعظم مآثره العلمية الخالدة «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»؛ فإنه نقل فيه كلام الإمام ابن قيم الجوزية ما يلي:

«كما قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] «كيف استوى؟» فأطرق مالك، حتى علاه الرحضاء، ثم قال: «الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». ففرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة، وبين الكيف الذي لا يعقله البشر، وهذا الجواب من مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ شاف، عام في جميع مسائل الصفات»(٥).

ثم علق الملا علي القاري قائلًا: «انتهى كلامه، وتبين مرامه، وظهر أن معتقده موافق لأهل الحق من السلف وجمهور الخلف، فالطعن الشنيع والتقبيح الفظيع غير موجه عليه، ولا متوجه إليه؛ فإن كلامه بعينه مطابق لما قاله الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم في فقهه الأكبر ما نصه: «وله تعالى يد ووجه ونفس، فما ذكر الله في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف»(٦).

وقال أيضًا في موضع الذب عن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نصه:

---

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٢١٧).

(٦) انظر: المصدر السابق.

«وهذا الكلام من شيخ الإسلام يبيِّن مرتبته من السُّنة، ومقداره في العلم، وأنه بريء مما رماه أعداؤه الجهمية من التشبيه والتمثيل، على عادتهم في رمي أهل الحديث والسُّنة بذلك»[1].

ولذلك حصلت للملا علي القاري مكانة عظمى في نفوس السلفية المعاصرة ممن قامت شريعتهم على آراء ومعتقدات الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ، حتى أظهر بعضهم هذيانه؛ حيث عد القاريَ من ذويهم قائلا: «إن الملا علي القاري كان أشعريًّا، ثم أصبح سلفيًّا»!

وهذا ليس مما يُرجم بالغيب، بل اعترف بذلك كبارهم، منهم الدكتور أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الملك عبد العزيز بن سعود الإسلامية في رسالته المسماة بـ«الماتريدية دراسة وتقويما» - التي أظهر بها نظريته السلبية حول الماتريدية -، حيث قال: «إن الملا علي القاري من أئمة الماتريدية...»، ثم قال: «وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يذب عن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، كما في مرقاة المفاتيح: ٨-٢٥١».

وقال الشيخ شمس الدين الأفغاني السلفي في كتابه «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية»[2]: - حبذا لو ذكر الشيخ بابا في كتابه عن عداء السلفية للماتريدية التي هي من أعظم فِرَق أهل السُّنة والجماعة - عن الإمام الملا علي القاري ما نصه: «كان كثيرًا ما يقرر عقيدة السلف ويثني على شيخ الإسلام».

حتى أنك تجد صاحب كتاب «الأشاعرة في ميزان أهل السُّنة» - الذي فيه ما فيه من البلايا والطامات - وهو الشيخ أبو عثمان فيصل بن قزار الجاسم، يحتج ببعض أقوال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» في تقرير مذهبهم السلفي المزعوم!

والحق أن الإمام الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ كان متكلمًا من الماتريدية، ومحدِّثًا

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (٨/ ١٤٧).

(٢) انظر: (ص٥٣٨).

وفقيهًا من الحنفية بالجملة، إلا أنه لما كان من المكثرين في التأليف، أتى في بعض مؤلفاته بما لا يُحكم عليه بالإتقان والتحقيق، وهذا هو اللازم لكل من أكثر، كما وقع للإمام جلال الدين السيوطي الموسوعي وابن الجوزي رَحِمَهُمَا اللَّهُ مع جلالة شأنهما وعلو كعبهما في كل فن وعلم، والله أعلم.

## المبحث العاشر
## سبب تسمية الرسالة بـ«الفقه الأكبر»

ولقد كان «الفقه» يُطلق في القرون الأولى على العلم بأحكام الشريعة كلها، ومنه قوله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[1]، وكذا دعاؤه ﷺ لابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما كان عامًّا في الدين كله، لا في مسائل الحلال والحرام فحسب، وهو قوله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[2].

ولكن المتأخرين من العلماء خصُّوا اسم «الفقه» بمعرفة مسائل الحلال والحرام والأحكام الأخرى المستنبَطة من القرآن والسُّنة. ثم اصطلحوا «الفقه الأكبر» للأصول، فسَمُّوا العقيدة بـ«الفقه الأكبر» مقارنة بـ«الفقه الأصغر» للفروع.

فأول من استعمل مصطلح «الفقه الأكبر» هو إمامنا الأعظم أبو حنيفة رحمه الله، فقد رُوي عنه هذا الكتاب في العقيدة بهذا الاسم، وهو مشهور عند العلماء شرقًا وغربا، حتى يعد هذا الكتاب من أقدم الكتب التي عليها أسس العقيدة الإسلامية.

وكذلك هناك كتاب آخر يُنسب للإمام الشافعي رحمه الله، يُسمى باسم «الفقه الأكبر» أيضا، الذي عُرضت فيه مسائل العقيدة. وسنتكلم عن هذا الكتاب في المبحث التالي إن شاء الله.

فبالجملة، سَمَّى الإمام أبو حنيفة كتابه «بالفقه الأكبر» تمييزًا له عن «الفقه الأصغر»؛ حيث إنّ الأصغر يعني الفروعَ المطلوب من المكلف الإتيانُ بها وتحصيلها؛ امتثالًا للأوامر والنواهي الواردة في القرآن والسُّنة، وهذه متعلقة بالأفعال والأقوال

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧١)؛ ومسلم في «صحيحه» (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨٧٩) عن سعيد بن جبير. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: «إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين».

التي تبنى عليها الأفعال، كصيغ العقود مثلًا، في حين أنّ الأكبر هو المتعلّق بأصول الدين من العقائد التي لا تصح الفروع إلّا بسلامتها، وهي مباحث الألوهية وما يندرج فيها، كالإيمان بوجود الله تعالى، ووجوب صفاته، وأنه الخالق المختار، ومباحث النبوات وفيها البحث في حقيقة المعجزة، وجهة دلالتها على صدق النبي ﷺ، وما يتفرع على مباحث النبوة من السمعيات التي هي أخبار الرسول ﷺ.

ومما يُنبَّه عليه، أن تسمية العقيدة بـ«الفقه الأكبر» لا تعني إهمال «الفقه الأصغر»، الذي يُسمى بالفروع، وهو مسائل الأحكام والحلال والحرام؛ لأن تسمية العقيدة بـ«الفقه الأكبر» تعني الاهتمام بها، والبدء بتصحيحها قبل القيام بأداء الأحكام، ولا تعني بأي حال إهمالَ أداء الأحكام، ومعرفةَ أدلتها التفصيلية؛ لأن دين الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، ولا يمكن الاستغناء عن بعضه، والاكتفاء بالبعض الآخر.

## المبحث الحادي عشر
## نسبة «الفقه الأكبر» إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

كما أن لإمامنا الأعظم أبي حنيفة كتابًا يسمى بـ«الفقه الأكبر»، كذلك هناك كتاب يُسمى بـ«الفقه الأكبر»، يُنسب إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أيضًا يشتمل على مسائل اعتقادية. لكن هذه النسبة ليست بصحيحة، على ما قاله المحققون.

قال حاجي خليفة في «كشف الظنون»[1] ما نصه: «الفقه الأكبر للإمام الشافعي، وهو جيد جدا، مشتمل على فصول، قرأه بعض أهل حلب على الشيخ زين الدين الشماع، لكن في نسبته إلى الشافعي شك، والظن الغالب أنه من تأليف بعض أكابر العلماء، أوله: الحمد لله رب العالمين... إلخ».

وقال الدكتور أكرم يوسف القواسمي في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي» ما يلي: «المصنفات المنسوبة إلى الإمام الشافعي: في هذا المطلب الذي أختم به عرض آثار الإمام الشافعي، أذكر عددًا من المصنفات التي نسبها بعض الباحثين المعاصرين إلى الإمام الشافعي، وتحديدًا كل من الدكتور كارل بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي»، والدكتور فؤاد سزكين في كتابه «تاريخ التراث العربي»، وقد ذكر كل منهما أماكن مخطوطات هذه الكتب في مكتبات العالم.

ثم أتبع قائلًا: «وهذه المصنفات هي: (١) كتاب «الفقه الأكبر»، وموضوعه في العقيدة، وقد جزم عدد من الباحثين المعاصرين بعدم صحة هذه النسبة إلى الإمام الشافعي».

نقول: ومما يدل على بطلان نسبة هذا الكتاب للإمام الشافعي قول صاحب هذا الكتاب: «قال بعض أصحابنا»، وهذه من ألفاظ المتأخرين عن الشافعي.

(١) انظر: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، لحاجي خليفة (١/ ٣٧٧).

## المبحث الثاني عشر
## ترجمة العلامة عبد القادر السلهتي رَحِمَهُ اللَّهُ
## صاحب «الدر الأزهر»

**اسمه ونسبه وولادته:**

هو الشيخ العلامة القاضي مولانا أبو محمد عبد القادر بن المولوي أبي النصر محمد إدريس بن المولوي أبي سعيد محمد محمود بن المولوي محمد كليم بن محمد رفيع بن صالح بن عبد الكريم الفاروقي المدني، ثم الهروي، ثم السِّلهِتي، الحنفي الماتريدي رَحِمَهُ اللَّهُ، أحد العلماء المشهورين الأفاضل بـ سِلْهِت - بنغلاديش الآن، وقديمًا كانت بأرض البنغال[1] بالهند قبل انقسامها، وُلد ونشأ بمحلة شيخ غات بمدينة سِلْهِت[2].

---

(١) بنغال: هي منطقة جغرافية شاسعة ذات خصائص عرقية ولغوية مميَّزة، تقع في القسم الشرقي من شبه القارة الهندية. قُسمت هذه المنطقة عام ١٩٤٧ عند تقسيم الهند إلى قسمين: شرقي وغربي، فالقسم الغربي انضم ضمن حدود الهند، يطلق عليه بـ«غرب البنغال». والقسم الشرقي انضم ضمن باكستان، فكانت تسمى بـ«باكستان الشرقية»، ثم تحرر من باكستان، وسُمِّي بـ«بنغلاديش» الآن، يسكن في هذه المنطقة الشاملة شعوب البنغال، ويتكلمون اللغة البنغالية. يقدر عدد سكانها بـ ٢٥٠ مليون نسمة.

(٢) سِلْهِت: بكسر السين المهملة وسكون اللام، وكسر الهاء المهملة، آخرها تاء معجمة، هي إحدى المدن الرئيسة في شمال شرق بنغلادش. تقع هذه المدينة على ضفاف نهر سورما، وتشتهر منطقة سلهت بخصائص امتازت بها عن المدن الأخرى لبنغلاديش، وهي مدينة مزدهرة؛ باعتبارها واحدة من أكثر المدن ثراءً في بنغلاديش، مدفوعة بشكل أساسي من قِبل المغتربين المقيمين في المملكة المتحدة، وغيرها من بلاد أوروبا.
ولهذه المدينة تاريخ من الفتوحات، وتراث من أنواع مختلفة من الثقافات. وتُوصف بأنها مدينة مقدسة؛ لما فيها من العلماء والأولياء والمساجد والمدارس الدينية الكثيرة، مع وجود ضريح الشيخ حضرة شاه جلال اليمني رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي جلب الإسلام إلى هذه المنطقة =

لم يطلع كل من ذكر ترجمته على تاريخ ميلاده، إلا أن زمان تعلمه وتأليفه يدل على أنه من مواليد منتصف القرن الثالث عشر الهجري، الموافق لمنتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ومن المعلوم، أن سلهت بأرض البنغال كانت في تلك الفترة من الزمان تحت حكومة الإنجليز الاستعمار.

كان جده الأعلى السادس عبد الكريم من المتصوفين العارفين بالله، هاجر من المدينة المنورة مارًّا بالهراة إلى سلهت، وأقام بها في غابر الزمان. وكان المولوي محمد كليم حفيدًا للجيل الثالث بسلسلة نسب عبد الكريم هذا، وكان - المولوي محمد كليم - أيضًا من أولياء الله الصالحين، وهو من المريدين والخلفاء للشيخ العارف بالله مِرزا مظهر جان جانان المتوفى سنة ١١٩٥هـ[1].

---

= خلال القرن ١٤ الميلادي. وقبل تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ م كانت منطقة سلهت جزءًا من ولاية آسام أثناء عهد السلطة البريطانية. ومن المؤسف، انضم جزء من هذه المنطقة إلى الهند عندما تم الاستقلال بين الهند وباكستان! وبعد الاستقلال بين الهند وباكستان أصبحت سلهت جزءًا من شرق باكستان، وهي الآن جزء من بنغلاديش. ومن الفخر، أن هذه المدينة المقدسة هي مسقط رأسي. صانها الله من الآفات والشرور، وأدامها كمدينة للعلم والعلماء إلى يوم القيامة.

(١) هو حبيب الله مرزا مظهر جانِ جانان، المعروف بالأردية «مرزا مظہر جانِ جاناں»، ويُعرف أيضًا بلقب «شمس الدين حبيب الله»، عالم شاعر صوفي نقشبندي من الهند. ولد عام ١١١٣هـ / ١٦٩٩م في أيام السلطان عالمكير بدهلي - الهند. كان صاحب الشيخ نور محمد البدوانى المتوفى ١١٣٥هـ وسلك على يديه الطريقة النقشبندية. ثم تتلمذ على عدد من المشايخ، منهم: الشيخ محمد أفضل، أخذ عنه علم الحديث. وقام بالكثير من المجاهدات في طريقة السلوك، حتى انتهى إلى سدة الإرشاد والتربية في الهند.
اشتهر مرزا مظهر جانِ جانان بالزهد بالمال والجاه، والإقبال بكنه الهمة على الله. قال له ملك الهند: «إن الله أعطاني مملكة واسعة، فأرجو أن تقبلوا منها شيئًا». فقال الشيخ: «إن الله قد وصف الدنيا بالخسة والهوان. فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] أما مملكتكم، فهى ولاية صغيرة، هي إقليم من أقاليم هذه الدنيا، فلا أريد أن أرزأكم في هذا الجزء الصغير». وقدَّم إليه مرة الأمير آصف جاه وزير المملكة المغولية في الهند عشرين ألف روبية، فلم يقبلها! فقال الأمير: «خذوها وقسموها على أهل الحاجة». فقال: =

والمولوي أبو سعيد محمد محمود كان حفيدًا للمولوي كليم هذا، واتخذه نواب مرشدآباد[1] «نديما» له، كما كان جدًّا لشارحنا، والمولوي أبو النصر محمد إدريس - الذي هو أبو شارحنا - كان متشرفًا بمنصب «صدر الصدور» بمرشد آباد، وهذان المنصبان مما كانا يُعَدَّان من المناصب العالية عند الحكومة، وأخيرًا انتقل المولوي أبو النصر محمد إدريس إلى مدينة سلهت قاضيا، وبنى داره على ضفاف نهر «سورما» بالمدينة.

**تحصيل العلوم والتخرج:**

أخذ الشارح العلَّامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلوم الابتدائية منذ نعومة أظفاره عن أبيه، ثم أخذ عن علامة زمانه المولوي رمضان الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتخرج على يديه، وكان - المولوي رمضان الله - تلميذًا لقاضي قضاة البنغال المولوي فضل الرحمن، وبهذه السلسلة العلمية ينتسب شارحنا إلى بحر العلوم العلامة محمد عبد العلي الفرنكي محلي اللكنوي [2] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

= «إني لا أحسن هذا العمل، فتولوا توزيعه بنفسكم». وكان يرشد مريديه قائلا: «حاصل هذه التكلفات كلها تهذيب الأخلاق على وفق مكارم أخلاق الرسول ﷺ، إذ قال: بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق».

توفي عام ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م أتى لزيارته ثلاثة من المجوس، فلما تأكدوا من شخصه، قام أحدهم بطعنه بسكين في خاصرته، وبعد ثلاثة أيام توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحينئذ جاوز الثمانين من عمره.

انظر للترجمة: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» المسمى بـ«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٢/ ٥٣)، لعبد الحي اللكنوي؛ و«خزينة الأصفياء»، لغلام سرور لاهوري (١/ ٦٨٧)؛ و«دائرة المعارف الإسلامية (٢١/ ٢٧٣).

(١) وهي إقليم من أقاليم أرض البنغال قديما، والآن هي محافظة تابعة لغرب البنغال في الهند.

(٢) هو العلامة أبو العباس محمد عبد العلي بن محمد نظام الدين السهالوي الأنصاري اللكنوي الهندي الملقب بـ«بحر العلوم»، نسبته إلى «سِهالي» بكسر السين واللام، من أعمال لكنو. الفقيه الحنفي الأصولي المنطقي، نشأ في القرن الثاني عشر، في حدود سنة ١١٨٠هـ =

وقد عُلم من بعض تأليفات الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كما ثبت في بعض المراجع - أنه تعلم بالمدرسة العالية بـ كلكته عاصمة أرض البنغال الغربية في الهند، وتخرج بالمدرسة المحسنية سنة ١٢٨٢هـ، أُراها كانت من مدارس البنغال أيضا، ثم رجع إلى وطنه سلهت. ومن المعلوم، أن المدرسة العالية بـ كلكته انتقلت من كلكته إلى داكا عاصمة البنغال الشرقية (وهي الآن بلادنا بنغلاديش) بعدُ.

**اشتغاله بالتدريس والتأليف:**

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مولعًا بالمطالعة؛ فإن الله جَلَّوَعَلَا رزقه حب العلم، فقد كان يقضي أوقاته صباحًا ومساء بالتدريس والتأليف، كما كان يستغرق وقته أيضًا بالبحث والتحقيق والتدقيق؛ ومن مناقبه النيرة أنه كان يذاكر مع العلماء المسائل العلمية والمباحث الدقيقة دائما، حتى جعله الله تعالى مرجعًا للعلماء في المسائل المغلقة؛ إذ كان عالمًا لوقته يُشار إليه بالبنان، وذاع صيته في آفاق شبه القارة الهندية التي لم تنقسم بعد.

وأخص بالذكر، أنه كان يعاصر العلامةَ صديق حسن خان القِنَّوجي نواب (أمير) بهوبال بالهند، المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، فحصلت بينهما مناقشات وردود علمية؛ ألف كتابه «الرد المعقول» ردًّا على «النهج المقبول» للقنوجي؛ فإن الشارح كان متصلبًا

---

= تلقى العلوم على علمائها، ونبغ في كثير منها، فكانت له مساهمات ثابتة في فقه الحنفية وفي الأصول وفي المنطق، درّس في مدارس في الهند.
صنف كتبا، منها: «فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت»، وهو كتاب في أصول الفقه لمحب الله بن عبد الشكور البهاري (ت: ١١١٩هـ)، مطبوع عدة طبعات؛ و«بحر العلوم على سلم العلوم» في علم المنطق، وهو شرح سلم العلوم في المنطق لمحب الله بن عبد الشكور البهاري (ت: ١١١٩)، مطبوع في الهند قديمًا طبعة حجرية، وطُبع مؤخرًا في دار الضياء- الكويت، بتحقيق عبد النصير أحمد الشافعي المليباري؛ و«تنوير المنار شرح منار الأنوار»، وهو شرح المنار لحافظ الدين النسفي، طبع في لكنو الهند سنة ١٢٩٤هـ.؛ و«رسائل الأركان»، وهو في الفقه الحنفي. انظر: «معجم المطبوعات العربية والمُعرَّبة» ليوسف سركيس: (٢/ ٥٣١).

على الحنفية مذهبًا وعلى الماتريدية معتقدا، والقنوجي كان من اللامذهبية فقهًا والوهابية عقيدة، قام النواب هذا بتأليف كتب مهمة نال بها إعجاب علماء الهند، فكم من عالم من أنحاء الهند مدحوه لا يُعدَّون ولا يُحصَون، إلا أنه أنكر عليه جمع من العلماء في مسائل فقهية وعقدية، على رأسهم القادران: أحدهما: شارحنا المولوي عبد القادر السلهتي، والآخر: المولوي عبد القادر المدراسي، ذكر ذلك القنوجي نفسه في إحدى تأليفاته.

**رئاسته وثروته وسخاؤه:**

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن دانت لهم الدنيا؛ فإن أباه عاش يرأس مدينة سلهت بكونه قاضيًا لها، ومنصب القضاء كان يمثل الرئاسة والسيادة آنذاك، فورث ثروة كبيرة ومنصب القضاء من أبيه، حتى وقعت رئاسة سلهت تحت يديه أيضا، ومن ثَمَّ لُقب بـ«رئيس سلهت»، ومع هذه الرئاسة امتلك إقطاعات شاسعة في بَنْيَاجَنْكْ بحبيب غنج - سلهت.

والجدير بالذكر، أن محلة «قاضي بازار» (سوق القاضي) في مدينة سلهت سُميت منسوبة إلى أسرته؛ إذ انتهت رئاسة القضاء لسلهت إلى أسرته الشهيرة.

وخلف ابنًا اسمه خان بَهادُر أبو نصر محمد يحيى المعروف بـ«جِيتُو مِيان» المتوفى سنة ١٩٢٥م، الملقب بـ«قيصر الهند»، تشرف بعدة مناصب عالية من الحكومة، وقام يرأس مدينة سلهت متوارثًا من آبائه، إلا أنه لم يكن عالمًا وعارفًا بالله كآبائه؛ عاش طيلة حياته كأحد من الرؤساء الأثرياء، لا تعلق له بالعلم والعلماء، ولكن قيل فيما غبر من الزمان: «كل شيء يرجع إلى أصله»، فتصديقًا لهذا القول واهتداءً من الله بايع أحدَ الشيوخ بيعة السلوك والعرفان قبل أن تغرب شمس حياته، سالكًا على طريقة آبائه.

فحُبِّب إليه العلم والعلماء؛ حتى أجرى المنحة الدراسية باسم «منحة عبد القادر» تيمنًا وتذكارًا لأبيه شارحنا العلام مولانا عبد القادر السلهتي، وذلك لتكريم طلاب المدرسة العالية بسلهت؛ وطلاب جامعة قاسم العلوم بـ درغاه حضرة شاه جلال

بسلهت، وهذه المنحة لا تزال ينابيعها فياضة حتى الآن، فالحمد لله من سلط أموال عباده الأثرياء على هلكتها في سبيله.

وكانت لهم دار ذات أبهة وفخامة وبهجة، بُنيت على طراز العمارة الإسلامية التاريخية، وقعت بالقرب من «قاضي بازار» في محلة «شيخ غات»، اشتهرت هذه الدار بالضيافة بسلهت في تلك الحقبة، فقد كانت مأوى القادمين إلى المدينة من أقاصيها وأدانيها؛ لقضاء حاجاتٍ مسَّتهم، فيطعمون فيها ضيوفا، حتى أن أكثر من مائة وعشرين تنّورًا تغلي عليها القدور الضخمة يوميًّا لإطعام الضيوف! كما كانت تتشرف هذه الدار بالقدوم الميمون للعلماء الكبار فيها.

لكن الآن سكان هذه الدار ذهبوا من الدنيا الفانية، وتركوها خالية لا أنيس فيها، فهي ما زالت باقية حتى الآن تذكارًا خالدًا للدهور الماضية، ضمتها الحكومة تحت وزارة الأوقاف بعد، وعدتها من الأماكن الأثرية، يزورها الآن الزوار؛ كي تقر أعينهم بما شاهدوا من فخامة أمجادهم الذين دانت لهم الدنيا يوما، ثم غادروها صافرة أيديهم وذهبوا إلى بطون الأرض.

**رسائله ومؤلفاته العلمية:**

ترك شارحنا تراثًا علميًّا كصدقة جارية قبل أن يغادر هذه الدنيا الفانية مما يعد ذخيرة ثمينة في الفقه والعقائد والموضوعات الأخرى، ما بين عربي وفارسي وأردي، يبلغ عددها إلى الواحد والأربعين، من أشهرها:

١ - «الدر الأزهر في شرح الفقه الأكبر»، وهو كتابنا هذا.

٢ - «الفوائد القادرية في شرح العقائد النسفية»، مخطوط[١].

٣ - «الرد المعقول على النهج المقبول»، في الرد على صديق حسن خان القنوجي والوهابية، مخطوط.

٤ - «الجوامع القادرية»، في عقائد أهل السُّنة، مخطوط[٢].

---

(١) يحققه الأخ العالم الشيخ عبد الله فهيم حفظه الله.

(٢) يحققه أيضًا الأخ الشيخ عبد الله فهيم حفظه الله.

٥ - «خلاصة المسائل في الفقه» (بالأردية)، مطبوع سنة ١٢٨٢هـ.

٦ - «مأخذ العرفان من صنع السبحان» (بالأردية)، في الوعظ والإرشاد، مطبوع سنة ١٣٠٤هـ.

وجدير بالذكر هنا، أن أباه المولوي أبا نصر محمد إدريس كان من العلماء الكبار، حشى على «جمع الجوامع» للسيوطي، كما كان أخوه الصغير الشيخ العلامة أبو الحسين عبد الرحمن السلهتي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا من العلماء الكبار المحققين، وهو صاحب كتاب «سيف الأبرار المسلول على الكفار» في الرد على الوهابية.

**رحلته من الدنيا الفانية:**

لم يذكر كلٌّ من نال ترجمته سنة وفاته، وقد وجدت في إحدى المواقع أنه توفي سنة ١٣٤٠هـ ولكن استبعدته؛ لأنه غير مستند إلى مرجع يوثق به، على أن هذا الشرح الذي قمت بخدمته ألَّفه في آخر عمره على لسان قول نفسه؛ إذ قال في بداية شرحه هذا: «فألهمني الله تعالى في آخر عمري أن أشرح هذا الكتاب شرحًا وجيزا»، وقد فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ١٢٩٧هـ، وطُبع في السَّنة التالية ١٢٩٨هـ، فهذا يدل على أنه توفي بعد سنة ١٢٩٧هـ، والله أعلم.

انظر للترجمة: «تذكره علمائے ہند» (بالفارسية): (ص١٢٨) للمولوي رحمان علي؛ و«تذكره علمائے حال» (بالأردية) (ص٥٩)، للمولوي الحافظ محمد إدريس نغرامي؛ و«سلہٹ میں اردو» (ص٩٤-٩٧) لمولانا عبد الجليل بسمل؛ و«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»: (٨/ ٢٨٧) للعلامة السيد عبد الحي الحسني اللكنوي؛ و«هداية الساري في دراسة البخاري» (٢/ ٢٥٩)، لشيخ الحديث العلامة إمداد الحق الحبيب غنجي السلهتي البنغلاديشي؛ و«نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر» (١/ ٧٨٩) للدكتور يوسف المرعشلي.

## المبحث الثالث عشر
## تحقيق نسبة «الدر الأزهر» إلى الشارح

نسبة هذا الكتاب إلى الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثابتة مما لا ريب فيه؛ فإن الشارح العلام نسب الكتاب إلى نفسه في نهاية الكتاب، حيث قال: «يقول العبد الضعيف أبو محمد عبد القادر - غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه -: قد فرغتُ من تسويد هذا الشرح بعون الله تعالى وحسن توفيقه يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين بعد المائتين وألف من هجرة صاحب الرسالة - عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات -. وهذا رابع تأليفي في علوم الدين، وسميته بـ«الدر الأزهر في شرح الفقه الأكبر»، راجيًا من الله تعالى أن يقبله خالصًا لوجهه الكريم، ويجعله حجة بيني وبينه يومَ لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

على أن العلماء المذكورين الذين تعرضوا لبيان ترجمته وأحواله نسبوا الكتاب إليه أجمعين، وكُتب على غلاف الكتاب اسمه مع الألقاب العلمية والأوصاف العالية بأنه مؤلفه.

# بعض صور الصفحات
# للمخطوطة المطبوعة

(صورة الصفحة الأولى [الواجهة] للمخطوطة)

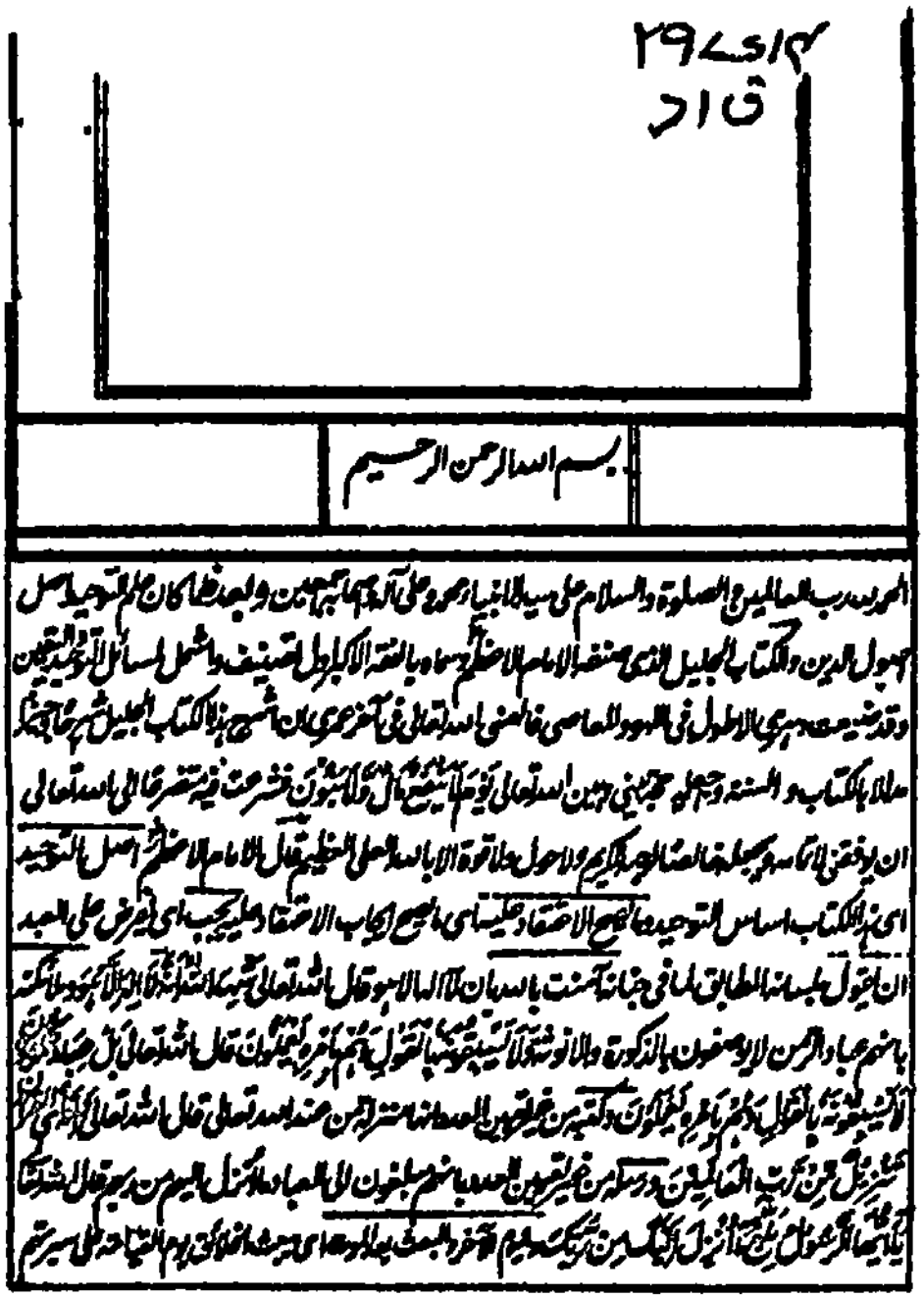
٢٩٧/١٤
ق ١ ر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد الانبياء محمد وعلى آله واصحابه اجمعين وبعد فلما كان علم التوحيد اصل
اصول الدين والكتاب الجليل الذي صنفه الامام الاعظم رضي الله عنه بالفقه الاكابر اول تصنيف واشمل المسائل التوحيد والتكوين
وقد ضيعه جهرة الاطوار في الامور العاصي فالمعنى الله تعالى في آخر عمري ان اشرح هذا الكتاب الجليل شرحا جميلا
مدللا بالكتاب والسنة وجعله حجابي بين الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون فشرعت فيه متضرعا الى الله تعالى
ان يوفقني لاتمامه ويجعله خالصا لوجهه الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال الامام الاعظم اصل التوحيد
اي هذا الكتاب اساس التوحيد هو الاعتقاد عليه اي واجب الاعتقاد عليه يجب اي يفرض على العبد
ان يقول بلسانه الطابق لما في جنانه آمنت بالله وبان لا اله الا هو قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة
باسم عباد الرحمن الذين وصفوا بالذكورة والانوثة لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون قال الله تعالى بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكتبه من غير تعيين العدد انها ستة من عند الله تعالى قال الله تعالى انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور وانزل عليه الزبور وانزل عليه الانجيل وانزل عليه القرآن وارسله من غير تعيين العدد بانهم مبلغون الى العباد ما انزل اليهم من ربهم قال الله تعالى
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وانزل عليه الصحف ابراهيم وشيث واخنوخ الذي هو ادريس عليهم السلام وانزل عليه التوراة على موسى عليه السلام

(صورة الصفحة الثانية للمخطوطة)

(صورة الصفحة الثالثة للمخطوطة)

(صورة الصفحة الثالثة والثلاثين للمخطوطة)

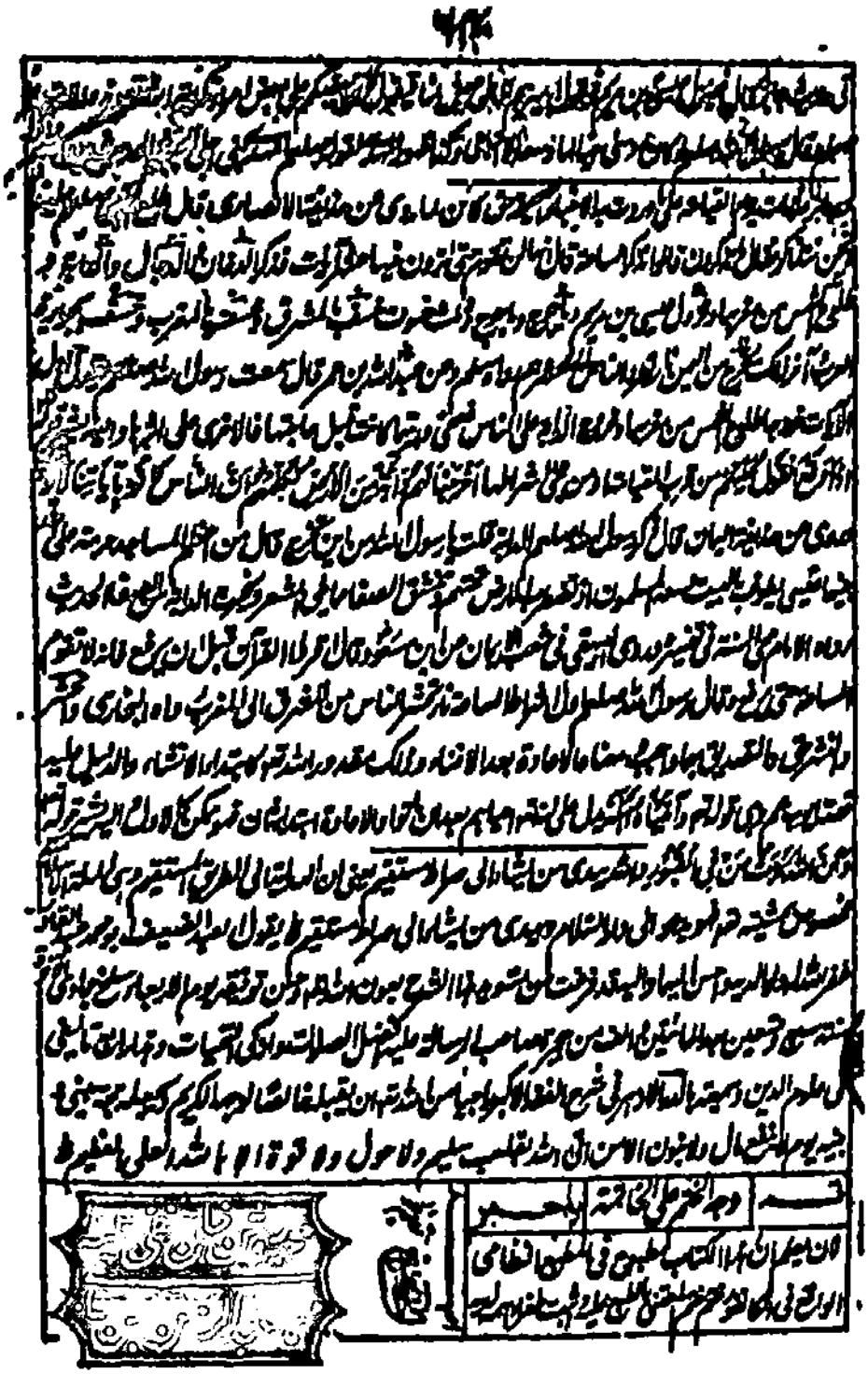

(صورة الصفحة الأخيرة للمخطوطة)

## منهج عملي في تحقيق الكتاب

(١) ضبطت نصوص الكتاب على وفق قواعد الإملاء والترقيم، وحققته تحقيقًا يوافق ضوابط تحقيق التراث، وقابلته مع النسخة الخطية المطبوعة الفريدة بكانبور – الهند.

(٢) جعلتُ المتون في أعلى الصفحات من نفسي، وزينت الكتاب بالعناوين الموافقة بمباحث الكتاب بين الحاسرتين زيادة مني، وأضخمت المتون بالمداد الأسود في أعلى الصفحات بين القوسين.

(٣) خرَّجت آيات القرآن في الهوامش غالبا، وكذا خرجت الأحاديث والآثار مع الحكم عليها بأقوال علماء هذا الشأن، كما قمت بتوثيق النقول والأقوال بالإحالة إلى المصادر والمراجع حسبَ ما تيسر لي.

(٤) شرحت الألفاظ الغريبة، والكلمات الاصطلاحية، وضبطت الكلمات الصعبة التي يغلط القراء في تلفظها غالبا، كما عرَّفتُ الفِرق الإسلامية بالاختصار.

(٥) ترجمت الأعلام الذين وردت أسماؤهم في ثنايا الكتاب؛ والمقدمات التي كتبتها أنا لمزيد الاستفادة ترجمة موجزة، وأضخمت المتون المشروحة بالمداد الأخضر خلال الشرح بين القوسين.

(٦) علقت في المواضع المهمة مستمدًّا من الكتب المعتمَدة عند السادة الماتريدية غالبا، التي تتعلق بمباحث هذا الكتاب، وربما أوسعت في التعليق، وذلك لضرورة مست الحاجة إليها.

(٧) كتبت كلمات للتحقيق في بداية الكتاب، وبينت فيها أهمية الكتاب، كما بينت فيها عن أسباب اختياري لتحقيقه، وتكلمت عن ضرورة الاعتناء بإحياء التراث؛ خصوصًا التراث الماتريدي.

(٨) جعلت في بداية الكتاب مقدمات بسيطة تحتوي على أربعة عشر مبحثًا مما يتعلق بالكتاب، وهذه المقدمات في غاية من الخطورة التي لا يستغني عنها أيّ قارئ لهذا الكتاب؛ حتى من قرأ رسالة «الفقه الأكبر» أو أي شرح لها.

(٩) جعلت في نهاية الكتاب فهارس عامة تشتمل على فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث والآثار الشريفة، والأعلام، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

# الدر الأزهر
## في شرح
# الفقه الأكبر

للإمام الأعظم
أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي
المتوفى 150 هـ
برواية ابنه حماد بن أبي حنيفة
المتوفى 176 هـ

تأليف
الإمام العلامة القاضي
أبي محمد بن عبد القادر بن محمد إدريس السلهتي
المتوفى بعد 1297 هـ

وهو من أفاضل علماء شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشر الهجري

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه
عين الحق القاسمي

## [مقدمة الكتاب]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فلما كان علم التوحيد أصلَ أصولِ الدين، والكتاب الجليل الذي صنفه الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسماه بـ«الفقه الأكبر»، أولَ تصنيف، وأشملَ لمسائل التوحيد واليقين، وقد ضيَّعتُ دهري الأطول في اللهو والمعاصي، فألهمني الله تعالى في آخر عمري أن أشرح هذا الكتاب شرحًا وجيزا، مدلِّلًا بالكتاب والسُّنة، وأجعله حجة بيني وبين الله تعالى يومَ لا ينفع مال ولا بنون، فشرعت فيه متضرِّعًا إلى الله تعالى أن يوفقني لإتمامه، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## [بحث في بيان أصول الإيمان]

أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه، يجب أن يقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، .....

قال الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أصل التوحيد) أي: هذا الكتاب أساس التوحيد (وما يصح الاعتقاد عليه) أي: ما يصح إيجاب الاعتقاد عليه (يجب) أي: يفرض[1] على العبد (أن يقول) بلسانه المطابق لما في جنانه: (آمنت بالله) بأن لا إله إلا هو، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[2] (وملائكته) بأنهم عباد الرحمن، لا يوصفون بالذكورة والأنوثة[3]، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، قال الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[4].

(وكتبِه) من غير تعيين العدد[5]، بأنها منزَّلة من عند الله تعالى، قال الله تعالى:

---

(١) والمراد بالفرض هنا فرض العين، ولا يُشترط فيه تعيين نية الفرض؛ لكونه متعينا غير متنوع إلى فرض ونفل، كما في «التقرير والتحبير»، لابن أمير الحاج (٣/ ٣١١)؛ وشرحه «تيسير التحرير»، لأمير بادشاه (٤/ ٩٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٣) الملائكة عباد مكرمون، أجسامهم نورانية، كما قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور»، رواه مسلم في «صحيحه» (٢٩٩٦).

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٦-٢٧.

(٥) هذا ما قاله الشارح العلام رَحِمَهُ اللَّهُ حول عدد الكتب السماوية هو المعتبر عند علماء الأمة؛ فإن الواجب على المسلم أن يؤمن بجميع الكتب المنزَّلة من عند الله تعالى، وهي كتب غير معلومة العدد؛ لأن الله تعالى كان يُنزل على الرسل والأنبياء الكتب، وكثير منهم لا نعلمهم، فلذا يجب الإيمان المجمل بالكتب التي لا نعلم تفاصيلها من غير قطع بعددها، فالله أعلم بذلك. =

ورسله،.....

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ -أي: القرآن- ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] (ورسلِه) من غير تعيين العدد[2]، بأنهم

= وقال محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٣٩٣) ما نصه: «وأما قوله: [وكتبه] فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سِوى ذلك كتبا، أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك بما فيه».

وقال المحقق الكمال ابن الهمام في «المسايرة» (٢/ ٧٨): «ولا ينبغي في الإيمان بالأنبياء القطعُ بحصرهم في العدد؛ لأن الوارد في ذلك خبر واحد، فإن وُجدت فيه الشروط، وجب ظن مقتضاه مع تجويز نقيضه». اهـ.

إلا أنه قد اشتهر على ألسنة الناس أن عدد الكتب السماوية مائة وأربعة، وذلك لحديث أخرجه ابن حبان عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده... قلت: يا رسول الله! كم كتابًا أنزله الله؟ قال: مئة كتاب، وأربعة كتب: أُنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ (شيث) ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

وهذا الحديث ضعيف، فإن فيه إبراهيم بن هشام الغساني، قال عنه أبو حاتم: «فأظنه لم يطلب العلم، وهو كذاب». قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: «فذكرت بعض هذا لعلي بن الحسين بن الجنيد، فقال: صدق أبو حاتم، ينبغي ألا يُحدَّث عنه». وقال ابن الجوزي: «قال أبو زرعة: كذاب». انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٧٢-٧٣). وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث». انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٠). ولهذا الحديث طرق كثيرة، لا يحتج بواحد منها، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد رُوي من وجوه متعددة، عن أبي ذر، وكلها لا تخلو من مقال». انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٧٤).

(١) سورة الشعراء، الآية ١٩٢.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلا، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا، ونص على أعيان =

والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى،.....

مبلِّغون إلى العباد ما أُنزل إليهم من ربهم، قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1]، (واليوم الآخر والبعث بعد الموت) أي: يبعث الخلائق يوم القيامة على سيرتهم الأولى، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[2].

(والقدرِ خيره وشره من الله تعالى) أي: منافع الإنسان ومضاره مقدَّرة بقضاء الله تعالى، قال الله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3]، وبذلك وردت السُّنة في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما سأله ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر؛ خيره وشره»، الحديث[4].

---

= من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم». انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ٤٤٨).

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٨.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨). وقد اختصره الشارح العلام رَحِمَهُ اللَّهُ بقدر الضرورة، وإلا كان الحديث أطول من ذلك، حيث أخرج الإمام مسلم عن عمر ر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟ =

والحساب، والميزان، والجنة، والنار، حق كله.

(والحساب) وهو أن يعطي صحائف الأعمال للأبرار عن اليمين، وللفجار عن الشمال وراء الظهور (والميزان) وهو عبارة عما يُعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته.

(والجنة والنار) وهما مخلوقتان موجودتان، لا تفنيان، ولا يفنى أهلهما (حق كله) لورود النصوص المتعلقه، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[٩].

= قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

(٥) سورة ص، الآية: ٥٣.

(٦) سورة الانشقاق، الآية: ٧-١٣.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٨.

(٨) سورة الشعراء، الآية: ٩٠-٩١.

(٩) سورة الانفطار، الآية: ١٣-١٤.

## [عقيدتنا حول وحدانية الله تعالى]

**والله تعالى واحد لا من طريق العدد، بل من طريقِ أنه لا شريك له، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.**

(والله تعالى واحد) لا ثاني له، وهذه الوحدة (لا من طريق العدد)؛ لأن العدد صفة حادثة في المعدودات، والله تعالى منزَّه عن صفات الحدوث والإمكان (بل من طريق أنه لا شريك له) يعني أن صفة الوحدة في ذاته تعالى ليست من الصفات الحادثة، كما في الوحدة العدديه؛ بل وحدته تعالى جَلَّجَلَالُهُ أنه قديم واجب، من حيث إنه لا ثاني له، لا من حيث الذاتُ، ولا من حيث الصفاتُ، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

ولما كان التوحيد مستفادًا من سورة الإخلاص على [صورة][2] الاختصاص، قال الإمام: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ متوحد في ذاته، متفرد بصفاته ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: هو المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب (﴿لَمْ يَلِدْ﴾) لانتفاء مجانسته (﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾) لأنه لا يفتقر إلى شيء، ولا يسبقه عدم (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾) أي: ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله.

وعن عبيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أقبلت مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلًا يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «وجبت»، فسألته ماذا وجبت يا رسول الله؟ فقال: «الجنة»[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٢) كان في المخطوط المطبوع: «سورة»، ولعل الصواب ما أثبتُه بين الحاسرتين.

(٣) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٢٨٩٧)؛ والنسائي في «السنن الصغرى» (٩٩٤)؛ وأحمد في «مسنده» (١٠٩٣٢)؛ ومالك في «الموطأ» (١٨)؛ والحاكم في «المستدرك» (٢١٣١). =

.....

وقوله جَلَّجَلَالُهُ: «هو الله» إشارة إلى أنه خالق الأشياء وفاطرها. وقوله: «أحد» وَصفٌ بالوحدانية، ونفيُ الشرك، وبأنه المتفرد بإيجاد الموجودات، والمتوحد لعلم الخَفِيَّات. وقوله: «الصمد» وصفٌ بأنه ليس إلا محتاجًا إليه، وإذا لم يكن إلا محتاجًا إليه فهو غني، لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد. وقوله: «لم يلد» نفيُ [المشابهة][1] والمجانسة. وقوله: «ولم يولد» نفيٌ للحدوث، ووصفٌ بالقدم والأزلية. وقوله: «ولم يكن له كفوا أحد» نفيُ أن يماثله شيء.

وفيه دليل على شرف علم التوحيد؛ لأن شرف العلم لكون شرف المعلوم، ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ، وصفاته المختصة به، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله[2]؟

---

= وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب»؛ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(١) كان في المخطوط: «المشبهة» على صيغة المفعول من التشبيه، ولعل الأوفق ما أثبته على المصدر من باب المفاعلة، كما يدل عليه اللفظ الذي يليه، والله أعلم.

(٢) إن لسورة الإخلاص مكانة عظمى من بين السور، وهذه المكانة حصلت لها لكونها مشتملة على أساس التوحيد والصفات، فهي أول سورة نزلت كاملة للتعريف بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإثباتِ بعض ما يجب له من صفات الجلال والكمال والجمال، ونفيِ ما لا يليق به خلاف ذلك. فالآية الأولى أثبتت واحدية الله، وأثبتت الآية الثانية كمالاته، كما أثبتت العبودية له وحده، وأثبتت الآية الثالثة التفرد، وأثبتت الآية الرابعة تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن الأنداد، فمن ثَمَّ تُسمى بـ«سورة التوحيد»، رغم شهرتها بـ«سورة الإخلاص»، وبعضهم سماها بـ«سورة الأساس»، بمعنى أنها تتحدث عن الأساس، وهو التوحيد، وتسمى أيضًا بـ«سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». ومن ثم كان يهتم بها رسول الله ﷺ، رُوي عن عمرة بنت عبد الرحمن، وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال =

## لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه.

(لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه)؛ لأن الأشياء كلها مخلوقة لله تعالى، مُحدَثة هالكة لا محالة، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ قديم واجب، لم يزل أزليًّا، ولا يزال أبديًا، ليس لوجوده أوَّلٌ ولا آخِرٌ، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1].

(ولا يشبهه شيء من خلقه) تصريح لما قبله، أي: كما أن الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ لا يشبه شيئا، كذلك لا يشبهه شيء من الأشياء[2]؛ لأن الممكنات المحدثات لا شِبه لها بالقديم الواجب، وقد كان الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ موجودًا في الأزل الذي لا بداية له، ويكون باقيًا إلى الأبد الذي لا نهاية له، وهو المُحدِث للأشياء كلها، فلا ابتداء لأزليته، ولا انتهاء لأبديته، وهو الحي القيوم، الذي ليس كمثله شيء، وأنّى يشبه المخلوقُ خالقَه، والمقدورُ مُقدِّرَه، والمصوَّرُ مصوِّرَه؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3].

---

= «سلوه لأي شيء يصنع ذلك»؟ فسألوه، فقال: «لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها»، فقال النبي ﷺ «أخبروه أن الله تعالى يحبه». رواه البخاري في «صحيحه» (٧٣٧٥)؛ ومسلم في «صحيحه» (٨١٣).

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨ .

(٢) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٣٢) ما نصه: «وفي شرح القُونَوي، قال نعيم بن حماد: من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر». وأضاف قائلا: «وقال إسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبّه صفاته بصفات أحد من خلق الله، فهو كافر بالله العظيم».

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١ .

## [صفات الله تعالى الذاتية والفعلية]

لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية.....

(لم يزل) من الأزل الذي لا بداية له (ولا يزال) إلى الأبد الذي لا نهاية له، منعوتًا (بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية) وصفاته تعالى جَلَّ جَلَالُهُ ليست عينَ الذات ولا غيرَ الذات[1].

فالصفات الذاتية: كالحياة والعلم وغيرهما؛ وأما الصفات الفعلية: كالتخليق والترزيق وغيرهما، والله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ قديم واجب بجميع صفاته الذاتية والفعلية[2].

---

(١) قال الإمام الأعظم أبو حنيفة في «وصيته» (ص٣١): «وصفاته لا هو ولا غيره».
وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٣١): «فإذا وجوده عين ذاته، وصفاته ليست عين ذاته، خلافًا للفلاسفة، ولا غير ذاته، كما تقوله المعتزلة، ولا حادثة، كما تقوله الكرامية، بخلاف المخلوقين؛ فإن صفاتهم غير ذاتهم عند الكل. والحاصل: أن الفلاسفة والمعتزلة نفوا الصفات احترازًا عن تعدّد القدماء، وكذا الأشاعرة؛ حيث ذهبوا إلى نفي غيريتها وعينيتها في تحقيق الأسماء».
وقال القاري أيضًا في «ضوء المعالي شرح بدء الأمالي» (ص٢٤): «صفات الله شملت صفات الذات وصفات الأفعال، فهي ليست عين الذات ولا غيرها... لو كانت عينًا لكانت ذاتًا، ولو كانت غيرًا لزم التركيب وهو من المحالات». انتهى بتغيير يسير.

(٢) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤١) ما نصه: «اعلم أن الحدّ بين صفات الذات وصفات الفعل مختلف فيه، فعند المعتزلة ما جرى فيه النفي والإثبات، فهو من صفات الفعل، كما يقال: خلق لفلان ولدًا ولم يخلق لفلان، ورزق لزيد مالًا ولم يرزق لعمرو، وما لا يجري فيه النفي، فهو من صفات الذات، كالعلم والقدرة، فلا يقال: لم يعلم كذا، ولم يقدر على كذا، فالإرادة والكلام مما يجري فيه النفي والإثبات. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]. فكانا من صفات الفعل، وكانا حادثين. وأما عند الأشعرية، فالفرق بينهما أن ما يلزم من نفيه نقيضه، فهو من صفات الذات؛ =

.....

أما الصفات الذاتية، فلا كلام في قِدمها ووجوبها. وأما الصفات الفعلية فقديمة واجبة أيضا؛ لأن صفات واجب الوجود متى نُسبت إلى ذاته أو فعله تكون واجبة أيضا، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾[1]، أي: هو الغني من حيث الذاتُ والصفاتُ، وما سواه من الموجودات حادثة مفتقرة إليه، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[4].

فصفة الحياة التي هي مختصة بذاته تعالى قديمة واجبة، وكذلك صفة الأمر الذي هو مختص به.

أما المأمور به - وهو العالَم - فحادث ممكن لا محالة، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5].

---

= فإنك لو نفيت الحياة يلزم الموت، ولو نفيت القدرة يلزم العجز، وكذا العلم مع الجهل وما لا يلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل، فلو نفيت الإحياء أو الإماتة أو الخلق أو الرزق لم يلزم منه نقيضه. فعلى هذا الحد لو نفيت الإرادة، لزم منه الجبر والاضطرار، ولو نفيت عنه الكلام لزم الخرس والسكوت، فثبت أنهما من صفات الذات. وعندنا أن كل ما وصف به ولا يجوز أن يوصف بضدّه فهو من صفات الذات، كالقدرة والعلم والعزّة والعظمة، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضدّه فهو من صفات الفعل، كالرأفة والرحمة والسخط والغضب».

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

تنبيه: وكان في المخطوطة: «له الملك والأمر»، ولعل هذا الخطأ صدر من الناسخ، حيث بدّل لفظ «الخلق» بـ«الملك»! والله أعلم.

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٠.

أما الذاتية : فالحياة والقدرة والعلم والكلام.....

ثم فصَّل الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صفاته الذاتية والفعلية، فقال: (أما) الصفات (الذاتية؛ فالحياة والقدرة) لأن من ثبت علمه وقدرته، ثبت بالضرورة حياته، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

(والعلم)؛ لأنه تعالى عالِم بجميع الموجودات، محيط بكل المخلوقات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

(والكلام) وهو صفة أزلية، عبر عنها بالنظم المسمّى بـ«القرآن»، والله تعالى متكلم بكلام، هو صفة له أزلية، وهو وصف قائم بذاته، ليست بصوت ولا حرف، ولا يشبه كلامه جَلَّ جَلَالُهُ كلامَ غيره، كما لا يشبه وجودُه وجودَ غيره، وهو صفة له، منافية للسكوت والآفة[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٣) قال الإمام أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة» (ص١٥٨) ما يلي: «وقال أهل الحق: إن كلام الله تعالى صفة أزلية ليست من جنس الحروف والأصوات، وهي صفة قائمة بذاته منافية للسكوت والآفة، من الطفولة، والخرس، ونحو ذلك، والله تعالى متكلم بها آمرٌ ناهٍ، وهذه العبارات دالة عليها، وتسمى العبارات كلام الله تعالى على معنى أنها عبارات عن كلامه، وهو ينادي بها؛ فإن عُبِّر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عُبِّر عنه بالسريانية فهو إنجيل، وإن عبر عنه بالعبرية فهو توراة، والاختلاف على العبارات المؤدية لا عليه، كما يُسمى الله تعالى بعبارات مختلفة بالألسنة، وفي لسان واحد بألفاظ مختلفة، والمسمى ذات واحد لا خلاف فيه، هذا هو بيان قول أهل الحق».
ملاحظة: إن كلام الله تعالى واحد لا يتعدد ولا يتبعض، قال الإمام أبو اليسر البزدوي في «أصول الدين» (ص٦٨) ما يلي: «ما هو قائم بالله تعالى شيء واحد، ليس له بعض، ولا عدد، ولا له نهاية ولا بداءة، بل الله قديم بكلامه، باق بكلامه».

والسمع والبصر والإرادة.

وأما الفعلية: فالتخليق .....

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[1]، أي: بأن يُوْحَى إليه في الرؤيا، كالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أو من وراء حجاب، كما وقع لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأن سمع كلامه جَلَّ جَلَالُهُ من وراء الحجاب، بلا صوت وحرف، وليس المراد به حجاب الله تعالى؛ لأنه تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام، بل المراد أن السامع محجوب به عن الرؤية في الدنيا، قال الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[2]، فيوحي بإذنه إلى المرسل إليه ما يشاء، وإليه يشير قوله تعالى: و﴿وَإِنَّهُ﴾ -أي: القرآن- ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ -أي: على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[3].

(والسمع والبصر)؛ لأنه تعالى سميع بصير، لا يعزب عن سمعه ورؤيته هواجس الضمير، وخَفَايا الوهم والتفكير، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4].

(والإرادة)؛ لأن إرادته تعالى قديمة، وفي القِدم تعلقت بإحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها، على وفقِ سبقِ العلم الأزلي، قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[5].

أما الصفات (الفعلية) وهي التي يتوقف ظهورها على إيجاد الخلق (فالتخليق)

---

(١) وقال الإمام نور الدين الصابوني في «البداية» (ص٣١): «قال أهل الحق: إن الله تعالى متكلم بكلام واحد، أزلي أبدي، قائم بذاته تعالى، لا يفارق ذاتَه ولا يزايله، ليس من جنس الحروف والأصوات، غير متجزٍّ ولا متبعض».

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢-١٩٤.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة البروج، الآية: ١٦.

.....

وهو صفة أزلية، تُسمى بـ«التكوين»[١]، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٢].

---

(١) مسألة صفة التكوين بين الأشاعرة والماتريدية:

قالت الماتريدية: «إن جميع صفات الأفعال المتعدية ترجع إلى صفة واحدة هي صفة التكوين، والتي فسروها بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود». انظر: «شرح الفقه الأكبر» المنسوب للماتريدي، والصحيح هو للفقيه أبي الليث السمرقندي، (ص٢٢)؛ و«المسايرة» لابن الهمام، (ص٨٤)؛ و«التمهيد» للنسفي، (ص٢٨).

وقد صرح العلامة البياضي زاده في «إشارات المرام» (ص١٨٨) أن الصفات الذاتية الثبوتية سبع، والصفة الثامنة هي التكوين، وهي صفة فعلية، فقال: «عند جِلَّة الخلف لا يزيد على الصفات الثمانية، والصفات الأخرى راجعة إليها».

وقال الإمام أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة» (١/ ٤٩١): «اعلم أن التكوين والتخليق والخلق والإيجاد والإحداث والاختراع أسماء مترادفة، يراد بها كلها معنى واحد، وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، فنخص استعمال لفظة التكوين؛ اقتفاء لآثار أسلافنا رحمهم الله تعالى ذلك».

وقال الإمام العلامة أنور شاه الكشميري الحنفي الماتريدي الديوبندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما يتعلق بالتكوين: «وقد قال الماتريدية بصفة التكوين، وأدرجوا هذه الصفات الفعلية كلها فيها، فجعلوا التكوين بمنزلة الجنس الذي يعم جميع هذه الصفات، فهي صفة ثامنة قديمة أزلية لله تعالى، والبخاري أيضًا يقول بصفة التكوين».

وقال تلميذه العلامة يوسف البانوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحًا قول شيخه هذا: «أي في صحيح البخاري، في باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض، من كتاب الرد على الجهمية، وأوضحه في جزء «خلق أفعال العباد». واعترف الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٧٠) بأن البخاري يوافق أبا حنيفة في صفة التكوين». انظر: «معارف السنن شرح جامع الترمذي» (٤/ ١٣٥-١٥٣)، وهو من أمالي الإمام الكشميري، بجمع تلميذه العلامة الشيخ يوسف البانوري.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

هذا، ومع ذلك صرح الإمام الكشميري بأن الأسماء الحسنى كلها مندرجة في صفة التكوين. انظر: «فيض الباري» (٤/ ٥١٧). =

## والترزيق والإنشاء والإبداع .....

(والترزيق) أي: رزق الأحياء، وهو صفة أزلية قائمة بالذات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[1].

(والإنشاء) أي: الإبداء، وهو أيضًا من الصفات الأزلية القائمة بالذات، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[3].

(والإبداع) أي: اختراع الأشياء، قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

---

= ملاحظة: قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤٢): «شبهة الأشاعرة والمعتزلة في ذلك أن التكوين لو كان أزليًا لتعلق وجود المكوَّن به في الأزل، ولو تعلق وجوده في الأزل لوجب وجود المكوّن في الأزل؛ لأن القول بالتكوين ولا مكوّن كالقول بالضرب، ولا مضروب، وأنه محال، فلا بدَّ أن يكون التكوين حادثا. والجواب: أن التكوين إن حدث بالتكوين فهو تكوين محتاج إلى تكوين، فيؤدي إلى التسلسل، وهو باطل، أو ينتهي إلى تكوين قديم، وهو الذي ندّعيه أولا بتكوين أحد، ففيه تعطيل الصانع، والحاصل أنّا نقول: التكوين قديم والمتعلق به هو المكوّن، وهو حادث، كما أن العلم قديم وبعض المعلومات حادث، على أنّ التكوين في الأزل لم يكن ليكون العالم به في الأزل، بل ليكون وقت وجوده، فتكوينه باق أبدا، فيتعلق وجود كل موجود بتكوينه الأزلي، بخلاف الضرب؛ لأنه عرض، فلا يُتصوّر بقاؤه إلى وقت وجود المضروب، ثم نقول لهم: هل تعلق وجود العالم بذاته، أو بصفة من صفاته أم لا؟ فإن قالوا: لا عطلوه، وإن قالوا: نعم، قلنا: فما تعلق به أزلي أم حادث؟ فإن قالوا: حادث، فهو من العالم، وكان تعلق حدوث العالم ببعض منه لا به تعالى، وفيه تعطيله، وإن قالوا أزلي قلنا: هل اقتضى ذلك أزلية العالم أم لا؟ فإن قالوا: نعم كفروا، وإن قالوا: لا، بطلت شبهتهم على أن تعلق وجود العالم بخطاب «كن» عند الأشعري، فكان تكوينا وهو أزلي فيكون مناقضا».

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ١١.

(٣) سورة المؤمن، الآية: ١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

والصنع، وغير ذلك من صفات الفعل.

(والصنع) أي: إظهاره بإظهار المصنوعات، وهما من الصفات الأزلية القائمة بالذات، قال الله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

(وغير ذلك من صفات الفعل) كالإحياء، والإماتة، والإنبات، والإنماء، والتصوير؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾[3]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[4]، والكل منها راجع إلى صفة أزلية قائمة بالذات، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾[5] الآية.

وزعمت الأشاعرة[6] أن الصفات الفعلية إضافات، وصفات الأفعال، وذا باطل

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٣.

(٣) (٦) سورة النحل، الآية: ١١.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الروم، الآية: ٤٠.

(٦) تعريف موجز عن الأشاعرة أكبر فرق أهل السُّنة والجماعة:

الأشاعرة هي أكبر جماعة أهل السنة والجماعة في العقيدة، مما فيهم جميع المالكية وغالب الشافعية وفضلاء الحنابلة، نُسبت هذه الجماعة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة ٣٢٤هـ الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من كبار علماء هذه الفرقة: البيهقي والباقلاني والقشيري والجويني والنووي والغزالي والفخر الرازي والعز بن عبد السلام والسيوطي وابن عساكر وابن حجر العسقلاني والقرطبي والسبكي وغيرهم من الأعلام.

والأشاعرة لا يخالفون إجماع الأئمة الأربعة، ولا يكفرون أحدًا من أهل القبلة، ويعتبر أتباعها أنفسهم منهجًا بين دعاة العقل المطلق وبين الجامدين عند حدود النص وظاهره، رغم أنهم قدموا النص على العقل، إلا أنهم جعلوا العقل مدخلًا في فهم النص، كما أشارت إليه الآيات =

.....

.....

= الكثيرة التي حثت على التفكير والتدبر. وهم الذين وقفوا في وجه المعتزلة، فزيفوا أقوالهم، وأبطلوا شبههم، وأعادوا الحق إلى نصابه على طريق سلف الأمة ومنهجهم.

وإلإمام الأشعري لم يؤسس في الإسلام مذهبًا جديدًا في العقيدة يخالف مذهب السلف، وإنما هداه الله إلى مذهب أهل السنة بعد أن كان على مذهب الاعتزال، عرف من خلالها حقيقة مذهبهم، وتمرس بفنونهم وأساليبهم في الجدال والنقاش والنظر، مما مكّنه من الرد عليهم وإبطال شبههم. فوجد فيه أهل السنة ضالتهم التي طالما بحثوا عنها فاتبعوه، وساروا على نهجه، لما رأوا فيه من القدرة على إفحام خصومهم والدفاع عنهم وتثبيت مذاهبهم. وعقيدة الإمام الأشعري التي سار عليها هي عقيدة الأئمة أحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأبي حنيفة وأصحابه، وهي عقيدة السلف الصالح، كما نص على ذلك أئمة أهل العلم ممن سار على هذه العقيدة.

برز هذا المنهج على يد أبي الحسن الأشعري الذي واجه المعتزلة، وانتصر لآراء أهل السُّنة، وأوجد مدرسة تستمد اجتهادها من المصادر التي أقرّها علماء السُّنة فيما يخص صفات الخالق ومسائل القضاء والقدر. بهذا مثّل ظهور الأشاعرة نقطة تحول في تاريخ أهل السنة والجماعة التي تدعمت بنيتها العقدية بالأساليب الكلامية كالمنطق والقياس، فأثبت أبو الحسن الأشعري بهذا أن تغيير المقدمات المنطقية مع استخدام نفس الأدوات التحليلية المعرفية يمكن أن يؤدي إلى نتائج مختلفة.

يعتبر الأشاعرة بالإضافة إلى الماتريدية، أنهما المكوّنان الرئيسيان لأهل السنة والجماعة إلى جانب فضلاء الحنابلة، وقد قال في ذلك العلاّمة المواهبي الحنبلي: «طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة، وحنابلة، وماتريدية، بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير من الكتب الكلامية وجميع كتب الحنابلة». وقال الزبيدي في «الإتحاف»: «إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية». وقال ابن حجر الهيتمي في «الزواجر»: «المراد بالسنة ما عليه إماما أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي». وقال ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»: «وأكثر العلماء في جميع الأقطار عليه وأئمة الأمصار في سائر الأعصار يدعون إليه». انظر للاستزادة كتاب «أهل السنة الأشاعرة شهادة =

لا محالة[1]؛ لأن صفات القديم الواجب لا تكون إلا قديمة قائمة بالذات[2]، وما

= علماء الأمة وأدلتهم» لحمد السنان وفوزي العنجري، (ص٧، و٢٤٨-٢٥٨)؛ ومقدمة كتاب «التوحيد» للإمام الماتريدي، (ص٧-٩).

(١) هذه المسألة من المسائل المختلفة فيها بين الأشعرية والماتريدية. قال العلامة نضال آله رشي في «البدر الأنور شرح الفقه الأكبر» (ص١٤٦) ما يلي: «إن الصفات كلها فعلية كانت أو ذاتية قديمة عندنا، خلافًا للأشاعرة في الفعلية، ومبنى الخلاف على الخلاف في أن الاسم مشترك بين الدال والمدلول، كما عند جمهور الماتريدية، أم لا؟ كما هو عند الأشعري وجمهور أصحابه. وثمرة الخلاف تظهر في أن مدلول جميع الأسماء الإلهية من الصفات السلبيات والإضافيات، والصفات الثبوتيات والمتشابهات ثابت الأنصاف بها في الأزل وفيما لا يزال عندنا، فيكون من قبيل إطلاق المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وصفًا قائمًا بذاته تعالى، وأما عند جهور الأشاعرة: فمدلول الاسم المشتق من صفة أزلية؛ كالقادر والعالم أزلي، ومدلول الاسم المشتق من الفعل ليس بأزلي، سواء كان مشتقًّا من فعله تعالى؛ كالخالق والرازق؛ لعدم أزلية صفات الفعل عندهم، أم كان مشتقًّا من فعل غيره سبحانه؛ كالمعبود والمشكور، فالقسمان ليسا بأزليين عندهم، فعلى هذا يكون من إطلاق ما بالقوة على ما بالفعل».

وقال الإمام نور الدين الصابوني في «البداية» (ص٣٦): «قال أصحابنا: إن جميع الصفات قديمة قائمة بذات الله تعالى، وقالت الأشعرية والمعتزله: كل ما كان من صفات الذات فهو قديم قائم بذات الله تعالى نحو العلم والقدرة، وما كان من صفات الفعل، فهو حادث غير قائم بذات الله تعالى، نحو التكوين والترزيق، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك... والصحيح ما قلنا، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وصف ذاته بأنه خالق وذاته أزلي وكلامه أزلي، فلو كان التكوين حادثًا لم يكن الله تعالى موصوفًا به في الأزل».

(٢) قال العلامة أنور شاه الكشميري الديوبندي في «معارف السنن شرح جامع الترمذي» (٤/ ١٣٥-١٥٣): «ثم إنا نقول: إنه لا دليل للأشاعرة بحدوث الصفات الفعلية، فإن قيل: إن للصفات الفعلية التي هي آثار الأسماء الحسنى للباري جل ذكره تعلقًا بالحوادث الكونية، فتكون حادثة. قلت: لو كان المدار بمحض التعلق بها فالتعلق كذلك حاصل في إرادته =

.....

يجب للصفات من نعوت القدم يجب للذات، كما تشير إليه النصوص المذكورة هنا، فمجموع الصفات الفعلية التي كلها أزلية قائمة بذاتها ثمانية عندنا[1].

= وقدرته مثلًا أيضًا. وأنتم لا تقولون بحدوثها، والمشهور بين المتكلمين: أن الإرادة قديمة، وتعلقها بالمتعلقات الحادثة حادث. وقال الحذاق منهم: والإرادة قديمة، وكذا تعلقها قديم، لكن المتعلق حادث، كما يقوله الدواني في رسالته فى الواجب سبحانه وتعالى».

(١) قال الملا علي القاري الحنفي في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤٣): «فالصفات الأزلية عندنا ثمانية، لا كما زعم الأشعري من أن الصفات الفعلية إضافات، ولا كما تفرّد به بعض علماء ما وراء النهر، بكون كلّ من الصفات الفعلية صفة حقيقية أزلية؛ فإن فيه تكثير القدماء جدًا، وإن لم تكن متغايرة، فالأولى أن يقال: إن مرجع الكل إلى التكوين؛ فإنه إن تعلق بالحياة يسمى إحياء، وبالموت إماتة، وبالصورة تصويرا، إلى غير ذلك، فالكل تكوين، وإنما الخصوص بخصوصيات المتعلقات».اهـ.

## [بحث في أن صفات الله تعالى أزلية]

**لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه، لم يحدث له اسم ولا صفة.**

**لم يزل عالما بعلمه، والعلم صفة في الأزل. قادرا بقدرته، والقدرة صفة في الأزل.**

ثم بيَّن الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعض الصفات الذاتية والفعلية، تحقيقًا لمعنى الأزلية، فقال: (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته) أي: لم يزل من الأزل الذي لا ابتداء له، ولا يزال إلى الأبد الذي لا انتهاء له، منعوتًا بنعوت الكمال، موصوفًا بأوصاف العز والجلال، (لم يَحْدُثْ) أي: لم يتجدد (له) تعالى (اسم ولا صفة)؛ لأن أسماءه تعالى وأوصافه كلها أزلية أبدية مقدسة عن صفات الحدوث؛ فإنه جَلَّ جَلَالُهُ واجب الوجود لذاته، أزلي أبدي كامل في الأسماء والصفات، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2].

(لم يزل عالمًا بعلمه) بحيث لا يخرج من علمه شيء (والعلم صفة في الأزل) بعني أن علمه تعالى أزلي أبدي منزَّه عن قبول الزيادة والنقصان، مقدس عن صفات الحدوث والإمكان، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

(وقادرا بقدرته) بحيث لا يخرج عن قدرته شيء (والقدرة صفة في الأزل) يعني أن قدرته تعالى صفة أزلية غير حادثة، فهو يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا؛ لأن العلم والقدرة متى نُسبتا إلى المخلوق تصيران حادثة، ومتى نسبتا إلى الخالق جَلَّ جَلَالُهُ

---

(١) سورة طه، الآية: ٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٨.

**ومتكلما بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالقا بتخليقه، والتخليق صفة في الأزل. وفاعلا بفعله، والفعل صفة في الأزل، والفاعل هو الله تعالى، .....**

تصيران من الصفات القديمة الأزلية، فقدرته تعالى أزلية أبدية لا يعتريه عجز ولا نقصان، فهو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1].

(ومتكلما بكلامه) الذاتي القدسي (والكلام) النفسي (صفة في الأزل) يعني أنه تعالى متكلم بكلام هو صفة له أزلية، ليس من جنس الحروف والأصوات، بل هو صفة منافية للسكوت والآفات (وخالقًا بتخليقه) بحيث لا يخرج من تخليقه شيء من الموجودات.

(والتخليق صفة في الأزل) يعني أن تخليقه تعالى صفة أزلية أبدية، فهو خالق الأشياء كلها، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، (وفاعلا بفعله) الذي هو التكوين.

(والفعل صفة في الأزل) يعني أن تكوينه تعالى للأشياء صفة أزلية قائمة بالذات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[4].

(والفاعل هو الله تعالى) لا شريك له في فعله وصنعه، فهو الموجِد للعوالم بقوله:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٨.

تنبيه: كان في المخطوط المطبوع: «يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد» هكذا على الخطأ الفاحش، إذ خُلط بين الآيتين المختلفتين، مع تقديم وتأخير في ترتيب الآية واللفظ، ففرقتُ بين الآيتين مراعيًا إلى الترتيب، وزدتُ لفظة «وقال» بعد الآية الأولى من جانبي، وهذا للتفرقة بين الآيتين، وإتمامِ ما يرومه الشارح العلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والفعل صفة له في الأزل.

والمفعول مخلوق، وفعل الله تعالى غير مخلوق، وصفاته جَلَّجَلَالُهُ في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال: إنها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيها،

---

«كن»، فلا يتوقف ما يراد إلا أن يكون موجودا، وإليه يشير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، فيحدث، أي: فهو كائن موجود لا محالة.

فالحاصل: أن المكونات بتخليقه وتكوينه، لكن عبر عن إيجاده بقوله: «كن» من غير أن كان فيه «كاف» و«نون»؛ لأن كلامه جَلَّجَلَالُهُ منزَّه عن الحروف والأصوات، وإنما هو لبيان سرعة الإيجاد، كأنه تعالى يقول: كما لا يثقل قول «كن» عليكم، فكذا لا يثقل على الله تعالى ابتداء الخلق وإعادتهم.

(والفعل صفة له في الأزل) يعني أن تكوينه للعوالم وكل جزء من أجزائها لوقت وجودها على حسب علمه وإرادته، صفة له أزلية باقية[2] إلى الأبد (والمفعول) أي: المكوَّن (مخلوق) حادث.

(وفعل الله تعالى غير مخلوق) بل هو قديم كفاعله، منزَّه مقدَّس عن صفات الحدوث (وصفاته جَلَّجَلَالُهُ في الأزل) الذي لا بداية له (غير محدثة ولا مخلوقة)؛ لأن صفات القديم الواجب لا تكون إلا قديمة منزهة عن الحدوث.

(فمن قال إنها مخلوقة أو محدثة) هاهنا إيراد لفظ «المحدثة» للتأكيد والتنبيه، الذي هو اللائق لمقام التنزيه، وإلا فما يكون مخلوقًا فهو محدثٌ لا محالة (أو وقف) فيها، بأن لم يجزم لقدم الصفات جزمًا قطعيًّا، بل طلب معرفة أخرى (أو شكَّ فيها) بأن تردد بين القدم والحدث، سواء أن ترجح أحد جانبيه أو لا،.....

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) ثبت في المخطوط: «باق» على صيغة المذكر.

فهو كافر بالله عزوجل.

(فهو كافر بالله) تعالى[١]، أي: ببعض صفاته[٢].

لأن الواجب على العبد أن يعرف الله تعالى بجميع صفاته الذاتية والفعلية، بأنه قديم واجب، أزلي أبدي بجميع صفاته الذاتية والفعلية، والشك والتوقف في الصفات الذاتية كالحياة، والعلم، والقدرة، وغيرها، بأنها قديمة أو حادثة، موجبة للكفر لا محالة، أما الشك أو التوقف في الصفات الفعلية كالتخليق والترزيق وغيرهما، بأنها قديمة أو حادثة، كفر لبعض صفاته تعالى وتقدس[٣].

(١) والحاصل أن من لا يعتقد أزلية صفات الله تعالى، فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، كما نص على ذلك العلامة البياضي زاده في «إشارات المرام»: (ص١٢٣).

(٢) ذكر الشهرستاني في «الملل والنحل»: (١/ ١٣٣) عن فرقة الشيبانية قولاً لأبي خالد زياد بن عبد الرحمن الشيباني في صفة العلم لله، أنه قال: «إن الله لم يعلم حتى خلق لنفسه علما، وأن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها».

(٣) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤٧): «وهو [الإنسان] مكلّف بأن يكون عارفًا بذاته وجميع صفاته، إلا أن الجهل والشك الموجبين للكفر مخصوصان بصفات الله المذكورة من النعوت المسطورة المشهورة، أعني: الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة والتخليق والترزيق».

## [القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق]

والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.

(والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب) أي: بأشكال الكتابة ونقوش الحروف (وفي القلوب محفوظ) أي: بألفاظ مخيلة (وعلى الألسن مقروء) أي: بحروفه الملفوظة المسموعة (وعلى النبي ﷺ منزل) أي: بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[1].

(ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوق وقراءتنا له مخلوق) وهذا كالتأكيد؛ لأنه سبق في كلام الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المفعول، أي: المكوَّن مخلوق، فما ظهر من الأفعال من المكوَّن، والتلفظ والكتابة والقراءة كلها مخلوقة لا محالة؛ لأن ذلك كله من أوصاف المكوَّن، والمكوَّن بجميع أوصافه حادث، كما أن الخالق جَلَّ جَلَالُهُ بجميع أوصافه قديم واجب.

والقرآن؛ أي: الكلام النفسي غير مخلوق، أي: قديم قائم بذاته، لقوله ﷺ: «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، فمن قال: إنه مخلوق، فهو كافر بالله العظيم»[2].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٢-١٩٤.

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥٨٣) وقال بعد أن سرد الأدلة على عدم صحة هذا الحديث: «ونقل إلينا عن أبي الدرداء مرفوعا: القرآن كلام الله غير مخلوق. وروي ذلك أيضا عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرفوعا، ولا يصح شيء من ذلك. أسانيده مظلمة، لا ينبغي أن يحتج بشيء منها، ولا أن يستشهد بها، وفيما ذكرناه كفاية». وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (رقم ١٨٦٩): «وقد حكم بوضع هذا الحديث ابن الجوزي والصغاني». =

.....

.....

= وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤٩): «وأما ما في شرح العقائد من أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق»، ومن قال: إنه مخلوق، فهو كافر بالله العظيم»، فهو لا أصل له، كما بيّنت في تخريج أحاديثه».

مسألة خلق القرآن والكلام النفسي لله تعالى:

هذه مسألة أثير الجدل حولها في القديم كثيرا، حتى قيل: سمي علم العقيدة بعلم الكلام لهذه المسألة مسألةَ خلق القرآن، وقد اختلفت الملل الإسلامية في هذه المسألة اختلافًا شديدا، فقال المجسمة المشبهة: «الله متكلم بكلام، هو حروف وأصوات متعددة، يحدث في ذاته، ثم ينقطع، ثم يحدث، ثم ينقطع». ووصل الغلو ببعضهم إلى اعتبار حروف اللفظ المنزل بين دفتي المصحف قديمة غير مخلوقة! وأما المعتزلة فقالوا: «لا يوصف بصفة الكلام، وإنما كلامه تعالى حروف وأصوات، يخلقها في غيره، كاللوح أو جبريل أو الرسول أو الشجرة، وهو حادث».

وأما إمام أهل السُّنة والجماعة أبو الحسن الأشعري، فقال قولًا ثالثًا وسطًا بين القولين الأولين، وحكم بأن ما نقرأه من القرآن كلام الله، بمعنى أنه ليس من تصنيف بشر ولا ملك، وبمعنى أنه دال على الكلام الأزلي. وإطلاق كلام الله على اللفظ المنزل حقيقة شرعية. أما كلام الله الذاتي فقديم غير مخلوق، وما كان كذلك لا يكون حرفًا ولا صوتا. انظر للاستزادة: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (٥/ ٥٥٦)؛ و«المسامرة شرح المسايرة»، لابن أبي شريف المقدسي: (ص٨٣)؛ و«تشنيف المسامع»، للزركشي: (ص٣٥٥، مخطوط)؛ و«نهاية الإقدام في علم الكلام»، للشهرستاني: (ص٣١٣).

وقال الحافظ ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (ص١٥٠) متحدثًا عن عقيدة الإمام الأشعرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك قالت المعتزلة: كلام الله مخلوق مخترَع مبتدَع. وقالت الحشوية المجسمة: «الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها والألوان التي يكتب بها وما بين الدفتين كلها قديمة أزلية». فسلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طريقة بينهما، فقال: «القرآن كلام الله قديم، غير مغير، ولا مخلوق، ولا حادث، ولا مبتدَع، فأما الحروف المقطعة والأجسام والألوان والأصوات والمحدودات وكل ما في العالم من المكيفات، مخلوق مبتدع مخترَع». اهـ.

وقال العز بن عبد السلام – الذي كان من أساطين الأشاعرة – في «رسائله في التوحيد»: =

.....

.....

= (ص١٢) ما نصه: «فالله متكلم بكلام قديم أزلي، ليس بحرف ولا صوت ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مدادًا في اللوح والأوراق شكلًا ترمقه العيون والأحداق، كما زعم أهل الحشو والنفاق، بل الكتابة من أفعال العباد، ولا يتصور من أفعالهم أن تكون قديمة، ويجب احترامها لدلالتها على كلامه، كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاته... فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد أو رسم من أشكال المداد» اهـ.

وقال الإمام أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الفقه الأكبر» و«الوصية»: «والقرآن كلام الله غير مخلوق، ووحيه وتنزيله على رسول الله مكتوب في المصاحف مقروء بالألسنة محفوظ في الصدور غير حالّ فيها. والحبر والكاغد والكتابة والقراءة مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد». انظر: «إشارات المرام شرح عبارات الإمام» (ص١٦٧)، للبياضي زاده .

وقال الإمام أبو المعين النسفي في «بحر الكلام» (ص١٣٥) ما نصه: «القرآن كلام الله تعالى وصفته، والله تعالى بجميع صفاته واحد قديم غير محدث ولا مخلوق، بلا حرف ولا صوت ولا مقاطع ولا مبادئ له، لا هو ولا غيره، فأسمعه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصوت والحروف، فخلق صوتًا فسمعه بذلك الصوت والحروف فحفظه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووعاء، ونقل إلي النبي إنزال الوحي والرسالة لا إنزال الشخص والصورة، وتلاه على النبي ﷺ، فحفظه النبي ﷺ ووعاء، وتلاه على أصحابه فحفظوه، وتلوه على التابعين والتابعون على الصالحين، هكذا حتى وصل إلينا».

وقال أبو القاسم الأنصاري في «شرح الإرشاد» (ق/ ١٦١-١٦٣): «وأنكر الإمام أحمد بن حنبل على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به أن القرآن مخلوق». حتى أنكر على من يقول: «لفظي بالقرآن غير مخلوق». صحح ذلك عنه الحافظ ابن رجب الحنبلي في «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٣/ ٣٠٩)؛ وابن أبي بكر السعدي الحنبلي في كتابه «الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل»: (ص٥٩)؛ وابن الجوزي في «مناقب أحمد»: (ص١٥٥)؛ ونقل ذلك أيضًا عنه البيهقي في «الأسماء والصفات»: (ص٢٦٥).

وقال الإمام محمد بن إبراهيم الحموي: «من قال: إن الله متكلم بحرف وصوت فقد قال قولًا يلزم منه أن الله جسم، ومن قال: إنه جسم فقد قال بحدوثه، ومن قال بحدوثه فقد كفر، والكافر لا تصح ولايته، ولا تقبل شهادته». انظر: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»، =

.....

.....

= لتقي الدين السبكي: (ص٤٦).

وقال سعد الدين التفتازاني عن الكلام الإلهي في «شرح العقائد النسفية»: (١/ ١٢١) ما نصه: «ليس من جنس الحروف والأصوات ضرورة؛ لأنها أعراض حادثة، مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض؛ لأن امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الأول بديهي. وفي هذا رد على الحنابلة والكرامية القائلين بأن كلام الله عرض من جنس الأصوات والحروف ومع ذلك هو قديم».

فائدة: قال سعد الدين التفتازاني في «شرح العقائد النسفية»: (١/ ١٢٤) ما نصه: «والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وعقب القرآن بكلام الله تعالى، لما ذكر المشايخ من أنه يقال: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ولا يقال: القرآن غير مخلوق؛ لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلَّف من الأصوات والحروف قديم- كما ذهب إليه الحنابلة جهلًا أو عنادًا، وأقام غير مخلوق مقام غير حادث تنبيهًا على اتحادهما، وقصدًا إلى جري الكلام على وفق الحديث، حيث قال: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق، فهو كافر بالله العظيم؛ وتنصيصًا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين الفرقتين، وهو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، ولهذا تترجم المسألة بمسألة خلق القرآن، وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه، وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف، وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي. ودليلنا: ما مر أنه ثبت بالإجماع وتواتر النقل من الأنبياء -صلوات الله عليهم- أنه تعالى متكلم، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام، ويمتنع قيام اللفظي الحادث بذاته تعالى، فتعين النفسي القديم، وأما استدلالهم بأن القرآن متصف بها هو من صفات المخلوقين وسمات الحدوث من التأليف والتنظيم والإنزال والتنزيل وكونه عربيًا مسموعًا فصيحًا معجزًا إلى غير ذلك، فإنما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا؛ لأنا قائلون بحدوث النظم، وإنما الكلام في المعنى القديم».

تنبيه: ذكر الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤٨) وقال فخر الإسلام: قد صحّ عن أبي يوسف أنه قال: ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن فاتفق رأيي ورأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر، وصحّ هذا القول أيضًا عن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. لكن قال القاري =

.....

والكلام القديم الذي هو صفة لله تعالى، لا يجوز أن يُسمع عندنا، وجوَّزه الأشعري[1]، والإلزام له أن السمع قوة مودَعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ، مدرِك بها الأصواتَ بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ، ولما كان كلامه القديم الذي هو صفة الذات خالٍ عن الحرف والصوت - والمُدرَك بالسمع ما هو إلا الأصوات -، فبضرورة تنزيه كلامه جَلَّ جَلَالُهُ عن الحرف والصوت، وجب لنا القول بامتناع سماع الكلام القديم الذي هو صفة له تعالى خاصة، وإليه يشير قوله

---

= (ص٥٢): «واعلم أن ما جاء في كلام الإمام الأعظم وغيره من علماء الأنام من تكفير القائل بخلق القرآن، فمحمول على كفران النعمة؛ لا كفر الخروج من الملّة، بخلاف المعتزلة في هذه المسألة، بل التحقيق أن لا نزاع في هذه القضية؛ إذ لا خلاف لأهل السّنّة في حدوث الكلام اللفظي، ولا نزاع للمعتزلة في قدم الكلام النفسي، لو ثبت عندهم بالدليل القطعي».

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٤٧) ما نصه: «ثم اعلم أن مذهب الأشعري أنه يجوز أن يسمع الكلام النفسي، أي بطريق خرق العادة، كما نبّه عليه الباقلاني، ومنعه الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني، وهو اختيار الشيخ أبي منصور الماتريدي، فمعنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] يسمع ما يدل عليه، فموسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سمع صوتا دالّا على كلامه سبحانه، لكن لما كان بلا واسطة الكتابة والملك بل على طريق خرق العادة خصّ باسم الكليم، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]. وقد قال الإمام الأعظم في كتابه «الوصية»: نقرّ بأن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره، بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور غير حالّ فيها، والحروف والحركات والكاغد والكتابة كلها مخلوقة؛ لأنها أفعال العباد وكلام الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير مخلوق؛ لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليها. وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء، فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق، فهو كافر بالله العظيم والله تعالى معبود ولا يزال عما كان وكلامه مقروء ومكتوب ومحفوظ من غير مزايلة عنه» انتهى.

.....

تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[1]؛ لأنه لو كان كلامه القديم جَلَّ جَلَالُهُ مركَّبًا عن الحرف والصوت، لنزل به على السمع لا على القلب.

فمعنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[2]، يسمع ما يدل عليه؛ لأن النظم والمعنى يدلان على الكلام النفسي القديم، وكذلك سمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يدل على كلام الله تعالى، لكن لما كان بلا واسطة الكتاب والملك، خص باسم التكليم، فانتفى قول الأشعري انتفاءً كليًّا.

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

## [كلام الله تعالى مع الأنبياء وغيرهم]

**وما ذكره الله في القرآن عن موسى وغيره من الأنبياء، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارا عنهم، وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق،.....**

(وما ذكره الله تعالى في القرآن عن موسى وغيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إخبارًا عنهم، أو حكاية منهم (وعن فرعون وإبليس) ونحوهما من الأشقياء (فإن ذلك كله) أي: جميع ذلك الأخبار والحكايات (كلام الله تعالى) أي: كلامه القديم (إخبارًا عنهم) على وفق علمه القديم، لا بكلام حادث عند سمعه من موسى وغيره من الأنبياء وفرعون وغيره من الأشقياء؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] يدل على أنه تعالى كان عالمًا في الأزل بجميع الأشياء؛ لأن قوله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ «وسع» فعل ماض، فيتناول كل ماض.

وإذا ثبت أنه جَلَّ جَلَالُهُ كان في الأزل عالمًا بجميع المعلومات، وثبت أن تغيُّر معلومات الله محال، لزم أنه ثبتت الأمور في الأزل، وجفت الأقلام إلى الأبد، فما أخبره الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهم، كان في الأزل من معلومات الله تعالى بعلمه القديم، والسعيد من سعد في علم الله تعالى، والشقي من شقي في علمه تعالى وتقدس.

(وكلام الله تعالى) أي: ما يُنسب إليه جَلَّ جَلَالُهُ (غير مخلوق) أي: غير حادث؛ لأن الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ قديم واجب بجميع صفاته (وكلام موسى وغيره من المخلوقين) كسائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، ولو كان مع ربهم (مخلوق) حادث؛ لأن المخلوق بجميع صفاته حادث، والكلام الصادر من المخلوق من جملة أوصافه الدالة عليه، فيثبت حدوثه ضرورة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

والقرآن كلام الله تعالى قديم، لا كلامهم.

وقد كان الله تعالى متكلمًا، ولم يكن كلم موسى، وقد كان الله تعالى خالق الخلق في الأزل ولم يخلق الخلق الموجود، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ .....

(والقرآن كلام الله تعالى قديم) كذاته جَلَّجَلَالُهُ (لا كلامهم)؛ لأن كلامهم مخلوق حادث كذواتهم المخلوقة الحادثة؛ إذ النعت يتبع المنعوت ضرورة.

(وقد كان الله تعالى متكلمًا) في الأزل (ولم يكن كلم موسى) هذه جملة حالية، يعني أن الله تعالى كان متكلمًا في الأزل الذي لا بداية له، والحال أنه لم يكن كلَّم موسى، بل لم يخلقه.

(وقد كان الله تعالى خالقَ الخلقِ في الأزل، ولم يخلق الخلق الموجود) هذه أيضًا جملة حالية، يعني أن التخليق والكلام صفتان أزليتان لله تعالى جَلَّجَلَالُهُ، وكان الله تعالى موصوفًا بصفة الكلام في الأزل الذي لا بداية له، والحال أنه لم يكلِّمه إلا وقت وجوده الذي سبق في علمه القديم الأزلي بحسب إرادته وتقديره، وكان الله تعالى - جل شأنه - موصوفًا بصفة التخليق من الأزل الذي لا بداية له، والحال أنه لم يخلق هذا الخلق، ولم يُحدِث هذا العالَم الموجود إلا وقت حدوثه الذي سبق في علمه القديم الأزلي بحسب إرادته وتقديره[1].

(﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾) يعني ليس مثلَه شيء[2]، وقيل: المثل زيادة، وتقديره:

---

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٥٤) ما يلي: «والحاصل أنه سبحانه كما قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، فله معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيى استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ذلك، بأنه على كل شيء قدير، وإليه كل شيء فقير، وكل أمر عليه يسير». انتهى.

(٢) هذا رد على المشبهة. قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٥٤): «وقد قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: «من شبّه الله بخلقه أي: ذاتا وصفة، فقد كفر، ومن جحد ما =

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

**فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو صفة له في الأزل.**

«ليس كهو شيء»، وقيل: المراد: ليس كذاته شيء، (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾) بجميع المسموعات بلا أذن، (﴿ٱلْبَصِيرُ﴾) بجميع المرئيات بلا حدقة، وكأنه ذكرهما لئلا يُتوهم أنه لا صفات له، كما لا مثل له.

(فلما كلم موسى) أي: أراد تكليمه (كلمه بكلامه الذي هو صفة له في الأزل) أي: كلمه بمضمون كلامه الأزلي القدسي الذي هو منزَّه مقدس عن الحرف والصوت، وسمع موسى كلامًا يدل على كلام الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ، قال الفراء: «والعرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلامًا بأيِّ طريق وصل»[1].

وذكر الإمام النووي[2] في شرح مسلم[3]: «أنهم اختلفوا في أن نبينا ﷺ هل كلمه ربه عَزَّوَجَلَّ ليلة الإسراء بلا واسطة، كتكليم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أم لا؟ فحُكي عن

---

= وصف الله به نفسه أي: من صفاته الذاتية والفعلية فقد كفر». وقال الطحاوي: «ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلّ ولم يصب التنزيه».

(١) انظر: «تفسير الخازن»: (٢/ ١٩٦).

(٢) هو الإمام العالم العامل الشيخ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي الشافعي، فقيه، محدث، حافظ لغوي، مشارك فى كثير من العلوم، ولد بنوى من أعمال حوران سنة ٦٣١هـ وقرأ القرآن بها، وقدم دمشق، فسكن المدرسة الرواحية، لازم كمال الدين إسحاق المغربى، وسمع الكثير من الرضى بن برهان وعبد العزيز الحموى وغيرهما، وولي مَشْيَخة دار الحديث. توفي بنوى فى ١٤ رجب سنة ٦٧٧ هـ، ودفن بها. من تصانيفه: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، و«الأربعون النووية»، و«روضة الطالبين وعمدة المفتين»، و«رياض الصالحين»، و«التبيان فى آداب حملة القرآن»، و«تهذيب الأسماء واللغات». انظر: «معجم المؤلفين»: (١٣/ ٢٠٢)؛ و«طبقات الحفاظ»: (٥١٠).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي: (١/ ٢١٩).

.....

الأشعري وقوم من المتكلمين، أنه كلمه، وعزا هذا القولَ بعضُهم إلى جعفر بن محمد[١]، وابن مسعود، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

أقول: وهو المستفاد من حديث ليلة الإسراء على ما في الصحيحين، قال: «فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، ويحط عني خمسًا خمسا، حتى قال: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة»، الحديث[٢].

---

(١) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بـ «جعفر الصادق» المتوفى سنة ١٤٨هـ في المدينة المنورة، إمام من أئمة المسلمين وعالم جليل وعابد فاضل، وله مكانة جليلة عظيمة لدى الأمة المسلمة. إلا أن الشيعة الإمامية جعلوه إمامًا من أئمتهم المزعومين، وفي الحقيقة هو بريء منهم براءة الذئب من دم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. راجع: «تاريخ الرسل والملوك»، للطبري: (٧/ ١٦٠-١٦٧)؛ و«وفيات الأعيان»، لابن خلكان: (١/ ٣٢٧)؛ و«الكامل في التاريخ»، لابن الأثير: (٥/ ٥٨٨)؛ و«البداية والنهاية»، لابن كثير: (١٠/ ١١٢).

(٢) أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (٧٥١٧)؛ ومسلم في «صحيحه» (١٦٢)، وأحمد في «مسنده» (١٢٥٢٧)، والترمذي في «جامعه» (٢١٥)، واللفظ له، عن أنس بن مالك، قال: «إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: أُتيتُ بالبُراق، وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافرَه عند منتهَى طرفه، فركبتُه، حتى أتيتُ بيتَ المقدس، فربطتُه بالحلْقة التي تَربِطُ بها الأنبياءُ، ثم دخلتُ المسجدَ، فصليتُ فيه ركعتين، ثم خرجتُ، فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ، وإناءٍ من لبنٍ، فاخترتُ اللبن، فقال جبريلُ: اخترت الفطرة. ثم عُرِجَ بنا إلى السماء، فاستفتح جبريلُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه .... فأوحى اللهُ إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ. فنزلتُ إلى موسى، فقال: ما فرض ربُّك على أُمَّتِك؟ قلتُ: خمسين صلاةً، قال: ارْجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ؛ فإنَّ أُمَّتَك لا تُطيقُ ذلك؛ فإني قد بلَوْتُ بني إسرائيلَ وخبَرْتُهم، فرجعتُ إلى ربي، فقلتُ: يا ربِّ خَفِّفْ عن أُمَّتي، فحطَّ عني خمسًا. فرجعتُ إلى موسى، فقلتُ: حطَّ عني خمسًا، قال: إنَّ أُمَّتَك لا يُطيقون ذلك، فارجِعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيف. فلم أزلْ أرجعُ بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمدُ إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ لكلِّ صلاةٍ =

## [صفات الله تعالى ليست كصفات المخلوقين]

وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين، يعلم .....

(وصفاته كلها) واقعة في الأزل، أي: نعوته جَلَّجَلَالُهُ كلها أزلية بلا بداية، وأبدية بلا نهاية (بخلاف صفات المخلوقين) فإنها مخلوقة متغيرة كذواتهم الحادثة المفتقرة.

ثم بيَّن ذلك بقوله: (يعلم) بعلمه القديم الأزلي الأبدي ما لا عِلْمَ لنا، ولا نعلم إلا ما علَّمَنا به، فعلمه جَلَّجَلَالُهُ محيط بالأشياء كلها، بحيث لا يَخرج عن علمه شيء، فهو يعلم ما خلق من الأشياء كلها: حقائقها وظواهرها وبواطنها، وما لم يخلقه، لكن سبق في علمه القديم الأزلي أنه سيخلقه، ويعلم ما في البر والبحر، وما في ملكوت السماء والأرض، وما يسقط من ورقة ولا حبة في ظلمات الأرض إلا هو يعلمها[1]، فهو بكل شيء عليم، وهو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2].

---

= عشرٌ، فذلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كُتِبَتْ له حسنةً، فإن عملَها كُتِبَتْ له عشرًا من همَ بسيئةٍ فلم يعملْها لم تكتبْ شيئًا، فإن عملها كُتِبَتْ سيئةً واحدةً. فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى، فأخبرتُه، فقال: ارجعْ إلى ربِّك فسَلْه التَّخفيفَ، فقلتُ: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحْيَيْتُ منه. اهـ

(١) هذا مستفاد من قول الله جَلَّوَعَلَا، حيث قال: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال ابن كثير في «تفسيره» تحت تفسير هذه الآية ما يلي: «أي: ويعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]».
وما أحسن قول ابن كثير في مقدمة كتابه «البداية والنهاية» (ص٥): «يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وعدد الرمال».

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٥.

لا كعلمنا، .....

(لا كعلمنا)؛ لأن علومنا مخلوقة قاصرة محدودة على تصور الأذهان كذواتنا المُحدَثة الناقصة المفتقرة، فلا نعلم بما لم يخبرنا به الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولم يدخل في حدود تصور الأذهان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1]، يعني: لا يحيطون بشيء من علمه الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[2]، وإليه يشير ما في حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قام موسى رسول الله ذكر الناس يوما، حتى فاضت العيون و[رقت][3] القلوب، [فولى][4] فأدركه رجل، فقال: أي رسول الله، هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعاتب الله عليه، إذ لم يرُدَّ العلم إلى الله تعالى»، الحديث[5].

قال الإمام محيي السُّنَّة[6]: «إنه لما وجد موسى الخضرَ قال له: هل أتبعُك على أن تُعلِّمني مما عُلِّمت رشدا؟» فقال له الخضر: «كفى بالتوراة علما .....

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٣) كان في المخطوطة: «دقت».

(٤) لم يكن في المخطوط هذا اللفظ.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٤٧٢٦)، والحديث طويل، لكن الشارح العلام رَحِمَهُ اللَّهُ اكتفى بقدر ما يكفيه، مع تغيير يسير في الألفاظ.

(٦) هو الإمام الحافظ الفقيه المجتهد أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي الأشعري المتوفي سنة ٥١٦هـ الشهير بين العلماء بـ«محيي السنة». وكان من العلماء الذين خدموا القرآن والسنة تدريسًا وتأليفًا. من أشهر تصانيفه: «مصابيح السنة»، و«شرح السنة»، و«مدارك التنزيل» المسمى بـ«تفسير البغوي». و«الفراء»: نسبة إلى عمل الفراء وبيعها. و«البغوي»: نسبة إلى بلدة يقال لها: بَغْشور، وهي بلدة بخراسان بين مرو الروذ وهرات. انظر للترجمة: «سير أعلام النبلاء»: (١٩/ ٤٣٩)، للذهبي؛ و«البغوي ومنهجه في التفسير»، لعفاف عبد الغفور (ص٣٥)! ومقدمة كتابَي «شرح السنة» و«مدارك التنزيل».

يقدر .....

[ببني][1] إسرائيل شغلا»، فقال موسى: «إن الله تعالى أمرني بهذا»، فحينئذ قال له الخضر: «إنك لن تستطيع معي صبرا»[2].

وذكر الإمام النسفي[3] في تفسير الآية: «إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عرَّف الخضرَ نفسَه، قال له الخضرُ: يا موسى، أنا على علمٍ علَّمني الله تعالى، لا تعلم أنت، وأنت على علمٍ علَّمك الله، لا أعلمه أنا»[4].

و(يَقْدِرُ) بقدرة تامة كاملة أزلية أبدية على جميع المقدورات، وقد دل على قدرته بكونه خالقًا للسماوات والأرض في ستة أيام، وأن لا يَحدُث في العالم العلوي ولا في السفلي أمر من الأمور، ولا حدث من الأحداث إلا بقدرته وتقديره.

فهذا دليل على نهاية القدرة والإحاطة والتدبير، وهو الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ، مُبدِع جميع الممكنات، وإليه تنتهي الحاجات، لا يجري في مُلكه قليل ولا كثير، ولا جليل ولا حقير، خير أو شر، نفع أو ضر، إلا بقدرته وتقديره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو المُبدِئ المُعيد، فعَّال لما يريد، وهو القادر على إذهاب هذا العالَم، وإتيان العالم الجديد متى شاء، وإليه يشير قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[5].

وبالجملة، فإن قدرته جَلَّ جَلَالُهُ لا يُدرَك بالأفهام، ولا يُتصور في الأذهان، وكيف يَصِل الفهم الحادث الناقص والذِّهن المخلوق القاصر إلى كُنْهِ صفة من صفات

---

(١) كان في المخطوط: «علماء وبني».

(٢) راجع: «تفسير البغوي»: (٣/ ٢٠٥).

(٣) أراد به الإمام أبا البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ، وقد سبقت ترجمته.

(٤) لم أجده في تفسير النسفي، لعل ذلك من قصور اطلاعي، والله أعلم.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١٩.

لا كقدرتنا، يرى لا كرؤيتنا، .....

الواجب الوجود الذي لا حَدَّ لقدرته، ولا نهاية لصفته، وقد أحسن الشاعر، حيث قال بالفارسية:

توان در بلاغت بسحبان رسيد نه در كنه بے چونِ سُبحان رسيد[1]

(لا كقدرتنا)؛ لأن قدرتنا مخلوقة ناقصة، كذواتنا الحادثة المخلوقة، ولا نَقدر على أمر من الأمور؛ بل على دفع الشرور من أنفسنا إلا بقدرته وتقديره، فقدرته جَلَّجَلَالُهُ قدرة تامة كاملة أزلية أبدية، وقدرتنا قدرة حادثة قاصرة مفتقِرة إليه بكل حال، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2].

(ويرى) الله تعالى بصفة البصر الذي هو قديم أزلي أبدي له بلا كيفية، ما لم نبصره، ولم نره، فرؤيته جَلَّجَلَالُهُ محيطة بالأشياء والكائنات كلها، ولا يخفى عن رؤيته مقدارُ ذرةٍ مما في السماء ولا في الأرض، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[3].

(لا كرؤيتنا)؛ لأن صفة البصر لنا مخلوقة محدودة إلى حد البصر، فلا نبصِر ما يتجاوزه حدُّ البصر، كما لا نبصر ما وراءَ الجدار؛ بل لا نبصُر ما هو داخل في بطوننا، ووراءَ ظهورنا.

وبصرنا عبارة عن قوة مودَعة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تتفرقان فتتأديان إلى العينين، تُدرَك بها الأضواء والألوان والأشكال والحركات وغيرُ ذلك، مما يخلق الله إدراكَها في النفس .....

---

(١) هذا بيت فارسي للشاعر الصوفي أبي عبد الله مشرف الدين بن مصلح الدين الشيرازي، الشهير بـ«الشيخ سعدي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى سنة ٦٩٤هـ.
ومعنى البيت: إنه يمكن لك أن تبلغ إلى إدراك بلاغة وفصاحة سحبان بن وائل الذي هو شاعر عربي شهير، لكن لا يمكن لك أن تبلغ إلى إدراك حقيقة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٣) سورة العلق، الآية: ١٤.

يتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا. ونحن نتكلم بالآلات والحروف، .....

عند استعمال العبد تلك القوة[١].

و(يتكلم) بكلام هو صفة أزلية أبدية له، ليس من جنس الحروف والأصوات (لا ككلامنا)؛ لأن كلامنا مخلوق حادث كذواتنا المخلوقة الحادثة.

(ويسمع) الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ بصفة السمع الذي هو قديم أزلي أبدي له بلا كيفية، ما لم نسمعه، فسَمْعه جَلَّ جَلَالُهُ محيط بجميع المسموعات كلها[٢]؛ بحيث لا يخفى عن سمعه هواجث الضمير وخفايا الوهم والتفكير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾[٣].

(لا كسمعنا)؛ لأن صفة السمع لنا مخلوقة محدودة إلى حد السمع، فلا نسمع ما يجاوزه حدُّ السمع، كما لا نسمع كلامَ من يكلم مِن وراءِ الجدار؛ بل لا نسمع كلامَ من يخفض صوتَه في الدعاء وغيره، ولو كان أقربَ الناس إلينا.

وسَمْعنا عبارة عن قوة مودَعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ، تُدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيِّف بكيفية الصوت إلى الصماخ، بمعنى أن الله يخلق الإدراك في النفس عند ذلك[٤].

ثم بيَّنه بقوله: (ونحن نتكلم بالآلات والحروف) فالآلات عبارة عن الحلق

---

(١) هذا مأخوذ من «شرح العقائد النسفية»، للتفتازاني، انظر: (ص١٦).

(٢) كذا في المخطوط باستعمال لفظي التوكيد المعنوي في جملة، على خلاف القاعدة؛ إذ لا ضرورة لكلمة «كل» بعد استعمال كلمة «جميع»؛ فإن حق التوكيد قد تأدى بكلمة «جميع»، على أن هناك فرقًا بين كلمة «كل» و«جميع»، فكلمة «كُلّ» تدل على الاستغراق والشمول، أمّا «جميع» فلا تفيد ذلك، فمثلًا عند قولنا: «حضر جميع المعلمين»، يعني أنّ غالبيتهم حضروا، مع احتمال أن يكون هناك غائبٌ أو أكثر، لكن عندما نقول: «حضر كل المعلمين»، فمعنى ذلك أنهم حضروا جميعًا من دون أيّ غياب، فعلى هذا استعمال كلمة «كل» ههنا لائق بالمقام.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٠.

(٤) وهذا أيضًا مأخوذ من «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني، انظر: (ص١٦).

**والله تعالى يتكلم بلا آلة حرف. والحروف مخلوقة، وكلام الله تعالى غير مخلوق، .....**

واللسان والشفة والأسنان. والحروف عبارة عن المخارج، كـ«ا ب ج د» بالأصوات. (والله تعالى يتكلم بلا آلة وحرف)؛ لأن الآلات والحروف مخلوقة محدثَة، ولا يحتاج إلى المحدثات إلا المخلوقاتُ. فكلامه جَلَّجَلَالُهُ كلام قديم أزلي أبدي منزَّه عن صفات الحدوث، مقدس عن الحروف والآلات.

(والحروف مخلوقة)؛ لأنها عبارة عن المخارج اللازم أداؤها بالأصوات.

(وكلام الله تعالى) الذي هو قديم منزَّه عن الحروف، مقدس عن الآلات والأصوات (غير مخلوق) إذ الصفة لازم للموصوف، ولما كان الموصوفُ؛ أي: المتكلم هو الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ، واجبًا قديمًا أزليًّا أبديا، لزم للصفة أي: لكلامه أيضًا أن يكون قديمًا أزليًّا أبديًّا منزَّهًا مقدسا عن صفات الحدوث والإمكان[1].

---

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٥٨) ناقلاً عن شارح «العقيدة الطحاوية» ما يلي: «وقال شارحه: قد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:
أحدها: أن كلام الله تعالى هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعّال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.
وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلًا عنه، وهذا قول المعتزلة.
وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبّر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبّر عنه بالعبرية كان توراة، وهذا قول ابن كُلَّاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.
ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام والحديث.
وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلّما، وهذا قول الكرامية وغيرهم.
وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب «المعتبر»، ويميل إليه الرازي في «المطالب العالية». =

.....

والله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ متكلم بكلامه القديم الأزلي الأبدي، آمر وناه ومخبر، والأمر في الأزل لإيجاب تحصيل المأمور به في وقت وجوده، فيكفي وجوده في علم الآمر.

والأخبار بالنسبة إلى الأزل لا تتصف بشيء من الأزمنة؛ إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله تعالى، لتنزهه عن الزمان، كتنزهه عن المكان.

---

= وسابعها: أن كلامه يتضمن معنىً قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه .

قلت: والأظهر أن المعنى الأول حقيقة والثاني مجاز.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلّما إذا شاء ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يُسمع، وإن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديما.

قلت: وهذا يؤيده ما قدّمناه وهو المأثور عن أئمة الحديث والسّنّة. ولعل تكرار هذه المسألة في تأليف الإمام لكمال الاهتمام في مقام المرام» انتهى.

وقال النسفي في «بحر الكلام» (ص١٣٥) ما نصه: «القرآن كلام الله تعالى وصفته، والله تعالى بجميع صفاته واحد قديم غير محدث ولا مخلوق، بلا حرف ولا صوت ولا مقاطع ولا مبادئ له، لا هو ولا غيره، فأسمعه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصوت والحروف، فخلق صوتًا فسمعه بذلك الصوت والحروف فحفظه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووعاه، ونقل إلى النبي إنزال الوحي والرسالة لا إنزال الشخص والصورة، وتلاه على النبي ﷺ، فحفظه النبي ﷺ ووعاه، وتلاه على أصحابه فحفظوه، وتلوه على التابعين والتابعون على الصالحين، هكذا حتى وصل إلينا». اهـ.

وقال سعد الدين التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» (١/ ١٢١) ما نصه: «ليس من جنس الحروف والأصوات ضرورة، لأنها أعراض حادثة، مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض، لأن امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الأول بديهي، وفي هذا رد على الحنابلة والكرامية القائلين بأن كلام الله عرض من جنس الأصوات والحروف ومع ذلك هو قديم».

## [جواز إطلاق لفظ «الشيء» على الله]

فهو شيء .....

(فهو شيء) والشيء في أصله مصدر، قد يُستعمل بمعنى المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وهذا المعنى لا يجوز إطلاقه على الله تعالى، وقد يُستعمل بمعنى الفاعل، كقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[2]، وحينئذ يجوز إطلاقه عليه جَلَّ جَلَالُهُ؛ لأن الشيء اسم للموجود، ولا يُطلق على المعدوم، والله تعالي موجود، فيكون شيئًا بصفة الفاعلية، واجب الوجود في ذاته وصفاته، وأزلي بلا بداية، وأبدي بلا نهاية، فاعل المفعولات، وخالق المخلوقات كلها.

وما قلنا: إن إطلاق لفظ «الشيء» يجوز على الله تعالى بصفة الفاعلية، فهو قول عامة العلماء[3]، .....

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٣) جاء في «الحاوي في تفسير القرآن الكريم»، للشيخ عبد الرحمن القماش، تحت تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»، (ص٨٣) ما يفي حق هذا البحث: «أطبق الأكثرون على أنه يجوز تسمية الله تعالى باسم الشيء، ونقل عن جهم بن صفوان أن ذلك غير جائز، أما حجة الجمهور فوجوه:
الحجة الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وهذا يدل على أنه يجوز تسمية الله باسم الشيء، فإن قيل: لو كان الكلام مقصورًا على قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ لكان دليلكم حسنًا، لكن ليس الأمر كذلك بل المذكور هو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] وهذا كلام مستقل بنفسه، ولا تعلق له بما قبله، وحينئذٍ لا يلزم أن يكون الله تعالى مسمى باسم الشيء، قلنا: لما قال: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وجب أن تكون هذه الجملة جارية مجرى الجواب عن قوله: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ وحينئذٍ يلزم المقصود. =

.....

.....

= الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، والمراد بوجهه ذاته، ولو لم تكن ذاته شيئًا لما جاز استثناؤه عن قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ وذلك يدل على أن الله تعالى مسمى بالشيء.

الحجة الثالثة: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في خبر عِمران بن الحصين: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، وهذا يدل على أن اسم الشيء يقع على الله تعالى.

الحجة الرابعة: روى عبد الله الأنصاري في الكتاب الذي سماه بـ«الفاروق» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من شيء أغير من الله عَزَّوَجَلَّ».

الحجة الخامسة: أن الشيء عبارة عما يصح أن يعلم ويخبر عنه، وذات الله تعالى كذلك، فيكون شيئًا.

واحتج جهم بن صفوان بوجوه:

الحجة الأولى: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وكذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧] فهذا يقتضي أن يكون كل شيء مخلوقًا ومقدورًا، والله تعالى ليس بمخلوق ولا مقدور، ينتج أن الله سبحانه وتعالى ليس بشيء. فإن قالوا: إن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] عام دخله التخصيص.

قلنا: الجواب عنه من وجهين:

الأول: أن التخصيص خلاف الأصل، والدلائل اللفظية يكفي في تقريرها هذا القدر.

الثاني: أن الأصل في جواز التخصيص هو أن أهل العرف يقيمون الأكثر مقام الكل، فلهذا السبب جوزوا دخول التخصيص في العموميات، إلا أن إجراء الأكثر مجرى الكل إنما يجوز في الصورة التي يكون الخارج عن الحكم حقيرًا قليل القدر، فيجعل وجوده كعدمه، ويحكم على الباقي بحكم الكل، فثبت أن التخصيص إنما يجوز في الصورة التي تكون حقيرة ساقطة الدرجة، إذا عرفت هذا فنقول: إن بتقدير أن يكون الله تعالى مسمى بالشيء كان أعظم الأشياء وأجلها هو الله تعالى، فامتنع أن يحصل فيه جواز التخصيص، فوجب القول بأن ادعاء هذا التخصيص محال.

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] حكم الله تعالى بأن مثل مثله ليس بشيء، ولا شك أن كل شيء مثل لمثل نفسه، وثبت بهذه =

.....

.....

= الآية أن مثل مثله ليس بشيء ينتج أنه تعالى غير مسمى بالشيء، فإن قالوا: إن الكاف زائدة، قلنا: هذا الكلام معناه أن هذا الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث وباطل، ومعلوم أن هذا الكلام هو الباطل، ومتى قلنا: إن هذا الحرف ليس بباطل صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال.

الحجة الثالثة: لفظ الشيء لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء، وأسماء الله تعالى يجب كونها كذلك ينتج أن لفظ الشيء ليس اسمًا لله تعالى، أما قولنا: إن اسم الشيء لا يفيد المدح والجلال فظاهر، وذلك لأن المفهوم من لفظ الشيء قدر مشترك بين الذرة الحقيرة وبين أشرف الأشياء، وإذا كان كذلك كان المفهوم من لفظ الشيء حاصلًا في أخس الأشياء، وذلك يدل على أن اسم الشيء لا يفيد صفة المدح والجلال، وأما قولنا: إن أسماء الله يجب أن تكون دالة على صفة المدح والجلال، فالدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والاستدلال بالآية أن كون الأسماء حسنة لا معنى له إلا كونها دالة على الصفات الحسنة الرفيعة الجليلة، فإذا لم يدل الاسم على هذا المعنى لم يكن الاسم حسنًا، ثم إنه تعالى أمرنا بأن ندعوه بهذه الأسماء ثم قال بعد ذلك: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهذا كالتنبيه على أن من دعاه بغير تلك الأسماء الحسنة فقد ألحد في أسماء الله، فتصير هذه الآية دالة دلالة قوية على أنه ليس للعبد أن يدعو الله إلا بالأسماء الحسنى الدالة على صفات الجلال والمدح، وإذا ثبت هاتان المقدمتان فقد حصل المطلوب.

الحجة الرابعة: أنه لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة أنه خاطب الله تعالى بقوله يا شيء، وكيف يقال ذلك وهذا اللفظ في غاية الحقارة، فكيف يجوز للعبد خطاب الله بهذا الاسم، بل نقل عنهم أنهم كانوا يقولون: يا منشئ الأشياء، يا منشئ الأرض والسماء.

واعلم أن من الناس من يظن أن هذا البحث واقع في المعنى، وهذا في غاية البعد؛ فإنه لا نزاع في أن الله تعالى موجود وذات وحقيقة، إنما النزاع في أنه هل يجوز إطلاق هذا اللفظ عليه، فهذا نزاع في مجرد اللفظ لا في المعنى، ولا يجري بسببه تكفير ولا تفسيق، فليكن الإنسان عالمًا بهذه الدقيقة حتى لا يقع في الغلط». انتهى.

.....

ونقل عن ابن صفوان[1] أن ذلك غير جائز، وحجة الجمهور ما ذكرنا، وأيضًا قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2]؛ لأن المراد بوجهه ذاته جَلَّ جَلَالُهُ،.....

(١) هو الجهم بن صفوان الترمذي، رئيس الجهمية، ولد ونشأ في الكوفة، كان حاد الذكاء، قوي الحجة، ذا دأب وفطنة وفكر وجدال ومراء. وهو تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤هـ على الزندقة والإلحاد. والجعد هذا أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل الله عن صفاته. قدِم الجهم إلى الكوفة على الجعد وتأثر بتعاليمه، وبعد مقتل الجعد عام ١٠٥هـ حمل لواء المعطلة من بعده إلى أن نُفي إلى ترمذ.

كان الجهم بارعًا في علم الكلام، فأخذ بنشر مذهبه في ترمذ، إلى أن ظهر فيها وصار له أتباع، ووصل مذهبه إلى بلخ، وانتشر فيها. وهناك كان يكثر من المناظرات والجدال، فكان يناظر قومًا يقال لهم: السمنية من فلاسفة الهند، وكان يذهب إلى مسجد مقاتل بن سليمان ليناظره، حيث كان مقاتل يميل إلى التشبيه.

وكان الجهم بن صفوان يوافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء. كان يرى أنه لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفى كونه حيًّا عالما، وأثبت كونه قادرًا فاعلًا خالقا؛ لأنه لا يُوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل، والخلق. وكان يصف الله تعالى بأنه قادر وموجد، وفاعل، وخالق، ومحيي، ومميت؛ لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده. وقال: لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تُنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز كما يقال: زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به. لأجل هذه العقيدة الفاسدة كان يخرج بأصحابه فيقفهم على المجذومين ويقول: انظروا، أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ إنكارا لرحمته كما أنكر حكمته.

وكان جهم بن صفوان مع ضلالته التي ذُكرت يحمل السلاح ويقاتل السلطان، ويخرج مع سريج بن الحارث على نصر بن سيار، وقتله سلم بن أحوز المازني في آخر زمان بني مروان. انظر: «الفرق بين الفرق»، لعبد القاهر البغدادي (ص١٢٨)؛ و«الملل والنحل»، للشهرستاني (ص٨٧)؛ و«البداية والنهاية» في أحداث سنة ثمان وعشرون ومائة، لابن كثير الدمشقي.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

لا كالأشياء، .....

فلو لم [يكن][1] ذاته شيئا، لما جاز استثناؤه عن قوله: «كل شيء هالك»، وذلك يدل على أن الله تعالى مسمّىً بالشيء؛ لكن بصفة الفاعلية.

ومن ظن أن هذا الخلاف واقع في المعنى فقد غلط؛ لأنه لا نزاع في أن الله تعالى موجود قديم واجب حقيقةً، وإنما النزاع في أنه هل يجوز إطلاق هذا اللفظ عليه جَلَّجَلَالُهُ أم لا؟

فهذا نزاع في مجرد اللفظ، لا في المعنى، ولا يجري بسببه تكفير وتضليل، فليكن الإنسان عالمًا بهذه الدقيقة حتى لا يقع في الغلط[2].

(لا كالأشياء) التي هي ممكنة الوجود في ذواتها، موصوفة بصفة المفعولية والمخلوقية هالكة بالأثر، فهو ليس كمثله شيء، ولا هو مثل شيء، وأنه لا يحُده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات.

وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله[3]، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزَّهًا عن المساسة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش؛ بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء، فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء، كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثراء، وهو مع ذلك قريب من كل الموجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل.....

---

(١) كان في المخطوط: «تكن» على صيغة المؤنث.

(٢) كأن الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ نبه على قاعدة كلية، وهي أنه لا ينبغي التشدد والغلو في مسائل العقيدة الفرعية، حتي لا يكفَّر ولا يضلَّل أحدٌ ممن يخالف رأي الخصم. وقد سرى هذا المرض، حتى أصبح الداء العضال في بعض الناس لهذا الزمان! أعاذنا الله من ذلك.

(٣) سيأتي الكلام على هذا البحث فيما يقدم.

.....

الوريد[١]، وهو على كل شيء شهيد[٢].

وهو لا يحُلُّ في شيء، ولا يحُلُّ فيه شيء، تعالى أن يحويه مكان، وتقدس أن يحده زمان، لم يزل ولا يزال في نعوت جلاله، منزَّهًا مقدَّسًا عن النقصان والزوال، وفي صفات كماله مستكملًا مستغنيًا عن الزيادة والاستكمال، حي قادر جبار لا يعتريه عجز ولا قصور، ولا تأخذه سِنة ولا نوم، له المُلك والملكوت، وله العزة والعظمة والهيبة والقدرة والكبرياء والجبروت، ولا إله إلا هو، ولا معبود إلا إياه.

(١) أشار به إلى قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، [ق: ١٦].

(٢) أشار به إلى الآية القرآنية: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩].

## [إيضاح معنى كون الله تعالى شيئًا]

**ومعنى الشيء إثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض، ولا حد له،.....**

ثم صرح الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (ومعنى الشيء)؛ أي: معنى كونه جَلَّ جَلَالُهُ شيئًا موصوفًا بصفة الفاعلية، لا كالأشياء الموصوفة بصفة المفعولية (إثباته) أي: إثبات وجود ذاته جَلَّ جَلَالُهُ (بلا جسم)؛ لأن الجسم يكون مركبًا من جزأين أو ثلاثة، لتتحقق الأبعاد الثلاثة، أعني: الطول والعرض والعمق (ولا جوهر)؛ لأن الجوهر اسم للعين الذي لا يقبل الانقسام، لا فعلًا ولا وهمًا ولا فرضا، (ولا عرض) لأن العرض ما لا يقوم بذاته، بل بغيره[1].

فثبت أنه جَلَّ جَلَالُهُ منزَّه الذات عن الاختصاص بالجهات، موجود قائم بنفسه، ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، وأن العالَم كله جواهر وأعراض وأجسام، فهو لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء؛ بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، والأجسام والأعراض والجواهر كلها من خلقه وصنعه، فاستحال القضاء أن يشبه المخلوقُ خالقَه، والمقدورُ مُقدِّرَه، والمصوَّرُ مصوِّرَه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

(ولا حد له) أي: الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ ليس له حد ولا نهاية .....

---

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٦٥): «لأن الجسم متركب ومتحيّز، وذلك أمارة الحدوث، والجوهر متحيّز، وجزء لا يتجزأ من الجسم والعرض كل موجود يحدث في الجواهر والأجسام، وهو قائم بغيره لا بذاته، كالألوان والأكوان من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وكالطعوم والروائح، والله تعالى منزّه عن ذلك».
ثم قال القاري: «وحاصله أن العالم أعيان وأعراض، فالأعيان ما له قيام بذاته، وهو إما مركب، وهو الجسم، أو غير مركب كالجوهر، وهو الذي لا يتجزّأ والله سبحانه منزّه عن ذلك كله. وما أحسن قول الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المجسِّم ما عبد الله قطّ لأنه يعبد ما تصوّره في وهمه من الصورة والله تعالى منزّه عن ذلك». ونقل أن أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام، فقال: «لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا».

ولا ضد له، ولا ند له، ولا مثل له.

(ولا ضد له) أي: ليس له منازع ولا ممانع أبدا (ولا ند له) أي: لا شريك له ولا سهيم له (ولا مثل له) أي: لا شبيه له، لا من حيث الذاتُ، ولا من حيث الصفاتُ، ولا من حيث المجانسة[1].

فهو واحد لا شريك له، فَرْدٌ لا مثل له، صمدٌ لا ضد له، منفرد لا ندَّ له، وإنه أحد قديم، لا أول له أزلي، لا بداية له مستمر الوجود، ولا آخِر له أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له.

لم يزل ولا يزال منعوتًا بنعوت العزة والجلال، موصوفًا بصفات القدرة والكمال؛ بحيث لو كان جميع ما في الأرض من شجرة أقلاما، والبحر يمده سبعة أبحر، ما نفِدت نعوت جلاله، وصفات كماله، لا يُقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال؛ بل هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو الواجب الأزلي، لا يشبه الممكنَ، فليس بمحدود ولا معدود، ولا مصوَّر ولا متبعِّض، ولا متجزِّئ ولا متركِّب ولا متناه، لا يوصف بالكيفيات من الألوان والطعوم، والروائح والحرارات، والبرودات واليبوسات، وغير ذلك.

منزَّه أن يحُدَّه زمان، مقدس أن يُحيط به مكان، قادر جبار قاهر، لا يعتريه عجز ولا قصور، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم، وآجالهم، لا يُحصى مقدوراته، ولا تناهى معلوماته، عالِم بجميع المعلومات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا

---

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٦٥): «واقتتلت طائفتان في باب الصفات، فطائفة غلت في النفي، وطائفة غلت في الإثبات، ونحن صرنا إلى الطريق المتوسط بين الغلو والتقصير، فأثبتنا صفات الكمال ونفينا المماثلة من جميع الأحوال بقي أنه يتوهم من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أن هذه الصفة لا تكون إلا مخصوصة بحضرته تعالى؛ لأن الاختصاص ينتقض بالعدم؛ إذ العدم من حيث هو عدم ليس كمثله شيء، فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، دفع لهذا الوهم والخيال والإشكال؛ فإن من المحال أن يكون العدم سميعًا بصيرا، ويسمى مثل ذلك في الكلام احتراسا».

.....

في السماوات، فهو العالم بهواجث الضمائر وخفَّيات السرائر، مريد للكائنات، مدبِّر للمحدثات، فهو المبدِع المُعيد، فعَّال لما يريد، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه.

ولو اجتمعت العلويات والسفليات، أعني: الملائكة والإنس والجن وجميع ما في السماوات على أن يحرِّكوا في العالَم ذرة ويُسكنوها دون إرادته وقضائه وقدره، لعجزوا عن ذلك، فهم كلهم مخلوقون بخلقه، موجودون بقدرته وإيجاده، مقهورون بقهره، فهو الواحد القهار، وهو العزيز الغفار.

## [بحث في الصفات المتشابهة والاستواء]

**وله يد ووجه ونفس، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له بلا كيف، .....**

(وله) أي: لله تعالى جَلَّجَلَالُهُ (يد) لقوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[١] (ووجه) لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٣] (ونفس) لقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[٤]، وكذا العين، لقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[٥].

(فما ذكر الله تعالى في القرآن بذكر الوجه واليد والنفس) وكذا العين (فهو) أي: جميع ما ذكر (له) صفات متشابهات (بلا كيف) بحيث لا نعلم كيفياتها، ونؤمن بظاهر الآية، وننزهه جَلَّجَلَالُهُ من أن يكون له اليد كأيدينا، والوجه كوجهنا، والنفس كنفوسنا، والعين كأعيننا؛ لأن هذه الصفات لنا آلات محدثَة مخلوقة، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ منزَّه مقدس عن ذلك، فنفوض علم ذلك إلى الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ، فهو أعلم بصفاته القديمة التي ذكرها، ونؤمن بالآية بما أراد الله تعالى في علمه القديم[٦].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٥) سورة طه، الآية: ٣٩.

(٦) إيضاح مذهب الماتريدية في مسألة الصفات المتشابهة:
جملة القول في هذه المسألة: إننا نُقر بما ذُكر في القرآن من اليد والوجه والنفس وغيرها بكونها صفات لله تعالى سمعا، أي: نؤمن بها كما وردت؛ من دون التعرض لها بإثبات المعنى والبيان والتفصيل، وننفي ما يوهم ظاهرُه التشبيهَ والتمثيلَ ولوازمهما؛ فإن هذا محال في =

.....

.....

= حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وبذلك نحن معشر الماتريدية والأشاعرة وسط بين السلفية والمعتزلة؛ إذ الأولى بالغت في إثبات الصفات؛ حيث أثبتت المعاني ومالت إلى التجسيم، والثانية بالغت في نفي الصفات؛ حيث إنكرتها وذهبت إلى التأويل. انظر: «البدر الأنور في شرح الفقه الأكبر»، لنضال آله رشي: (ص١٩١).

قال العلامة علاء الدين البخاري: «الله تعالى يوصَف بصفة الوجه واليد مع تنزيهه جَلَّ جَلَالُهُ عن الصورة والجارحة، إلا أن إثبات الصورة والجارحة مستحيل، وكذا إثبات الكيفية». انظر: «كشف الأسرار»، لعبد العزيز البخاري: (١/ ٦٠).

وقال الإمام فخر الإسلام البزدوي في «أصوله» (ص١٠): «وكذلك إثبات اليد حق عندنا معلوم بأصله، متشابه بوصفه، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن إدراك الوصف، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه؛ فإنهم ردوا الأصول بجهلهم بالصفات فصاروا معطلة».

وقد قال العلامة أبو اليسر البزدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول الدين» (ص٣٦-٣٩) ما ملخصه: «وكذلك يوصف بأيْدٍ وأعينٍ، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وهذا من أمارات الأجسام».

ثم أجاب عن هذا قائلًا: «وأما اليد، فنقول به كما قال الله تعالى، ولكن نقول: صفة خاصَّة وليست جارحة، كسائر الصّفات، وهو العلم والقدرة والمشيئة على ما نبيّن في مسألة الصّفات ولكن ليست بأعراض، كذا هذا. وكذا الوجه صفة أيضًا فهو صفة خاصة. وأما العين فبعض أهل السنة والجماعة أثبتوا العين، وبه قال الأشعري، وبعضهم لم يثبتوا، وكتاب الله تعالى يدلُّ على الثّبوت، ولكن عينه ليست بجارحة، بل هي صفة خاصة».

وقال العلامة البياضي زاده في «إشارات المرام» (ص١٥٦) ما ملخصه: «وفيه إشارات: الأولى: بيان التأويل الإجمالي؛ فإنه لما لم يمكن حمل تلك النصوص على معانيها الحقيقية من الجوارح الجسمانية والتحيز والانفعالات النفسانية؛ لمنع البراهين القطعية، ولم يجز إبطال الأصل لعدم درك حقيقة الوصف بلا كيفية، تحمل على المجاز من الصفات بلا كيفية، ويعتقد ما وردته الآيات والأحاديث المشهورة مع التنزيه عمَّا يوهم ظواهرها من الكيفيات والتحيز والانفعالات النفسانية، وإن لم يعرف تفاصيلها. =

.....

.....

= فتفويض علمها إلى الله تعالى مع تنزيهه تعالى عمّا يوهم ظواهرها تأويل أيضًا لكنه إجمالي، كما في المرصد الثاني في التنزيه من المواقف، وشرح المشكاة للعلامة الهيتمي، وإليه أشار بالذكر في القرآن وينفي الكيفية والتشبيه والحاجة، وهو مذهب السلف في جميع الصفات المتشابهات. واختاره مالك والشافعي وأحمد بن حنبل والقطان والقلانسي وكثيرٌ من الخلف.

وقالوا: إن اليد وكذا الإصبع والاستواء وغيره صفةٌ له تعالى، لا بمعنى الجارحة والاستقرار، بل على وجه يليق به، وهو سبحانه أعلم به، كما في الأبكار وغيره، وهو رواية عن الأشعري في الوجه واليد والعين والاستواء، كما في المواقف».

تنبيه: دفع توهمات السلفية حول عبارات الإمام:

وقد تشبثت السلفية المعاصرة بعبارات الإمام أبي حنيفة هذه في استدلالهم على ما ذهبوا إليه من إيهام التجسيم قائلين بأن الإمام أبا حنيفة أثبت صفات اليد والوجه والنفس وغيرها لله تعالى بلا تأويل، وبذلك أرادوا الرد علينا معشر الماتريدية، حيث ذهبنا إلى جواز التأويل فيها.

قلنا: نعم، أثبت الإمام هذه الصفات كما جاءت، ونحن نثبت أيضًا تلك الصفات كما وردت سمعا، من دون إثبات معنى الجارحة؛ فإن هذا المعنى يؤدي إلى التجسيم، فأين وجدتم أنه أثبت المعنى العضوي الذي تقولون به؟

وفي هذا الكتاب نفسه «الفقه الأكبر» (ص٧) قال الإمام أبو حنيفة أيضا: «وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى -عز اسمه- فجائز القول به، سوى اليد بالفارسية. ويجوز أن يقول: بروي خداي عَزَّوَجَلَّ بلا تشبيه ولا كيفية».

وهل لمنع الإمام من ترجمة اليد بالفارسية سبب سوى أنها لم يكن لها في لسان الفرس من المعاني ما لها من السعة في لسان العرب، حتى تبعد عنها مظنة الجسمية وإرادة الشكل والعضوية؟ إذا كان هذا، فكيف يقال: إن الإمام الأعظم أراد بتلك الصفات إثبات المعنى العضوي الذي تثبته السلفية تحت ستار إثبات المعنى وتفويض الكيف!

وقال أيضًا في نفس الكتاب: «وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان، والمطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي، وكذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه =

.....

وقد أحسن المولوي المعنوي[١]، حيث قال بالفارسية:

دست و پا در حقِ ما اِستايش است
در حـقِ پـاكِـىّ حـق آلايـش اسـت
لَـم يَـلِـد لَـم يـولَـد او را لايـق است
والِـد و مـولـود را او خالق اسـت[٢]

وكذا في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣]، نفوض الاستواء إلى المعنى الذي أراد الله، وهو الذي لا ينافي وصفَ الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث

---

= بلا كيفية».
فهذا يبين أنه لم يرد ما تشرد إليه توهمات السلفية المائلة إلى التجسيم و تصبو إليه قلوبهم المفتونة من حتمية الحدود في حق من تقدس عن سمات الأجسام والحدوث!

(١) هو الشيخ محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرُّومي، المعروف بجلال الدين الرومي المتوفى ٦٧٢هـ عالم بفقه الحنفية وأنواع العلوم، متصوف مشهور، صاحب كتاب المثنوي، وهو وصاحب الطريقة المولوية، ولد في بلخ بـ خراسان القديمة، تقع في أفغانستان الآن، وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية، حيث نزل أبوه. وأخيرًا استقر في قونية سنة ٦٢٣هـ تولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٨هـ ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا، واشتغل بالتصوف.
ويلاحظ هنا أن في «قونية» متصوف آخر، يقال له: «الرومي» أيضًا، ووفاته سنة ٦٧٢هـ كوفاة جلال الدين، يُدعى محمد بن إسحاق الرومي، الشهير بصدر الدين القونوي، من تلاميذ ابن عربي، كان شافعيًا. انظر: «الأعلام»، للزركلي (٧/ ٣٠).

(٢) وجاء معنى هذه الأشعار بالعربية في المثنوي المترجَم للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا (٢/ ١٥٦) ما يلي: واليد والقدم تكون مدحًا في حقنا، وفي حق تنزيه الحق دنس وتلويث. واللائق به «لم يلد ولم يولد»، وهو الخالق للوالد والمولود.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

.....

والفناء. وكذا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[1]، نفوض كيفية الاستواء إلى علم الله تعالى وإرادته[2].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٢) وقال إمام الهدى أبو منصور الماتريدي في «كتاب التوحيد» (ص٧٤): «وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى عن نفسه شبه خلقه، وقد بينا أنه في فعله وصفته متعال عن الأشباه، فيجب القول بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] على ما جاء به التنزيل وثبت ذلك في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا، واحتماله أيضًا ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق، ونؤمن بما أراد الله به، وكذلك في كل أمر ثبت التنزيل فيه نحو الرؤية وغير ذلك، يجب نفي الشبه عنه، والإيمان بما أراده من غير تحقيق شيء دون شيء».

وهذا دليل على أن الإمام الماتريدي مفوض في مسألة الاستواء والصفات، إلا أنه يرى جواز التأويل فيها بما تقتضيه اللغة العربية، وبما هو متعارف لدى العرب، لكن بشرط أن لا تقطع بالمعنى المتأول؛ فإنه كان من المحتملات، لا من الضروريات، ومن ثم ألّف كتابه «تأويلات أهل السنة». فبالجملة أن الماتريدية تقول بالتفويض في الاستواء، كما تقول بالتأويل فيه.

قال العلامة أبو اليسر البزدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أصول الدين» (ص٣٦-٣٩) ما يلي: «وكذا الاستواء ليس من صفات الأجسام، فإنّ الاستواء هو: الاستيلاء على الشّيء والقهر عليه، يقال: استوى على الشّيء، أي: استولى عليه، هذا هو الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، معناه والله أعلم أي: لمّا قوِيَ بتمام حال البُنْيَة.

ويقال: فلان استوى: أي تناهى وتمّ، ومنه المستوي على الكرسي وهو: القاعد عليه، وهو عبارة عن الاستيلاء؛ فإنّه لا يقال: استوى على الكرسي، ما لم يجلس مستقرًّا عليه، والمستقرّ على الكرسي مستولٍ عليه، فكان معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، والله أعلم أي: استولى عليه بعد خلقه. والله تعالى مستولٍ على جميع العالم، إلا أنّه خصّ العرش بالذّكر؛ لأنّه أعظم الأشياء وأشرفها وأعلاها، واستولى عليه بعد خلقه باستيلاءٍ قديمٍ قائمٍ بذاته، كما خلق الله تعالى العالم وأوجده بإيجادٍ قديمٍ قائمٍ بذاته في كلّ زمان».

ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛.....

قال الإمام النسفي[١]: والمذهب قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الاستواء غير مجهول، والتكييف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٢].

ثم رد الإمام قول أهل التأويل بقوله: (ولا يقال) في مقام التأويل: (إن يده قدرته) بناءً على أن القدرة غالبًا ثبتت باليد (أو نعمته) بناءً على أن إفاضة النعمة تكون غالبًا باليد[٣].

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» المعروف بـ«تفسير النسفي»: (٣/ ٥٠)، تحت تفسير قول الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

(٢) عن جعفر بن عبد الله، قال: «كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت في يده، حتى علاه الرخصاء، ثم رفع رأسه ورمى العود، وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به، فأخرج».
رواه الدارمي في «الرد على الجهمية»: (ص٥٥-٥٦)؛ واللالكائي في «شرح السنة»: (٣/ ٣٩٨)، ورقمه (٦٦٤)؛ والصابوني في «عقيدة السلف» (٢٤-٢٦)؛ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٨)؛ وكذا في «الاعتقاد» (١١٦)؛ وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٨-١٥١)؛ وأبو نعيم في «الحلية»: (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)؛ وابن حيان الأنصاري في «طبقات المحدثين بأصبهان»: (٢/ ٢١٤).
وأثر مالك هذا صححه جمع من الأئمة، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧): «إسناده جيد». وصححه الذهبي في «العلو» (ص١٠٣).
على أنه جاء معنى هذا الأثر عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وربيعة الرأي رَحِمَهُ اللَّهُ.
راجع: «شرح السنة» (٣/ ٣٩٨)، للالكائي؛ و«الإبانة» (٣/ ١٦٤)، لابن بطة؛ و«فتح القدير» (٢/ ٣٠٧)، للشوكاني.

(٣) أسلوب الشارح العلام رَحِمَهُ اللَّهُ يدل على أن التأويل ممنوع عند الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ مطلقا، وقد استدل بعبارة الإمام هذه السلفيةُ المعاصرة أيضًا على ما ذهبوا إليه من عدم التأويل =

لأن فيه إبطال الصفة، .....

(لأن فيه) أي: بالتأويل (إبطال الصفة) التي وصف الله تعالى بها ذاته الواجب، بناءً على أنه تعالى جَلَّجَلَالُهُ حيث أطلق اليد ولم يذكر القدرة أو النعمة، فالظاهر أنه -جل شأنه- أراد بها غيره، ولذلك وجب لنا أن نسكت عن التأويل، ونفوض مراده إلى الله تعالى، بمعنى أراده في علمه القديم الأزلي الأبدي، وكذا لا نؤول أن وجهه ذاته، وعينه بصره، واستواءه على العرش استيلاءه؛ بل نفوض المراد بها إلى علم الله تعالى بمعنى أراده، ونؤمن بظاهر الآية بمعنى أراده الله تعالى كلها[1].

---

= في الصفات، ولكن نقول: ليس المراد بنفي التأويل من عبارة الإمام كما تزعمون؛ بل مراد الإمام هو أن لا يُقطع بالمعنى المتأوَّل على سبيل الحصر؛ بأن يقال: إنما معنى «يد الله» هو قدرته لا غير، أو إنما معنى «يده» نعمته لا غير، وأنها ليست هي صفة لله تعالى، وعلل المنع بقوله: «لأن فيه إبطال الصفة»؛ فإذا قيل: يده تعالى هي قدرته أو نعمته، كان هذا قصرًا لهذين المعنيين على اليد لا غير، ونفيًا لأيِّ معنى غيره مما يؤدي لنفي أن تكون اليد صفة لله تعالى بلا كيف، كما يقوله السلف .انظر: «البدر الأنور في شرح الفقه الأكبر»، لنضال آله رشي: (ص١٩١-١٩٣).

(١) هذا بيان للمراد من كلام الإمام الأعظم؛ لأننا إذا علمنا مذهب المعتزلة علمنا لزومًا مراد الإمام، وعلمنا أيضًا أنه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يرد نفي مطلق التأويل ولا المنع منه، خلافًا لما يروجه السلفية المعاصرة استدلالًا بعبارته هذه، كيف وعبارته له مكتسية ثوب التأويل، وشاهدة عليه بالتعليل، نطق بذلك قوله: «بلا كيف»، لكنهم بهذا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون الإمام ما لم يقل، وقد خاب من افترى، والإمام ما هذا قصد ولا لمثله عمد؛ بل مفهوم تعليله مشير للجواز؛ إذ بانتفاء العلة ينتفي المعلول، وإنما منع من تأويل المعتزلة بتعيين المعنى وقصره على المؤول، لما فيه من نفي الصفات، فما لا يبطل الصفة ليس بممنوع، وهو يشمل التأويلين: الإجمالي والتفصيلي؛ لأن كلًّا منهما لا يبطلها.

أما الإجمالي: فإنه ينفي ظاهر النص، وهو الكيف الذي إثباته إثبات للجارحة والجسمية لزومًا عقليًّا دون صرفه معنى موافق لغة وشرعا، وهذا التأويل تكرر كثيرًا في كلام الإمام، وهو مجمع عليه عند أهل السنة.

وأما التفصيلي: فهو صرف ظاهر النص وتأويل اللفظ لمعنى يحتمله دون قطع بأنه عين =

وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف،.....

(وهو) أي: إبطال الصفة (قول أهل القدر والاعتزال) ومن وافقهم بالتأويل، وقد ذكرنا فيما تقدم أن صفات القديم الواجب لا تكون إلا قديمة وأن صفاته جَلَّجَلَالُهُ ليست عين ذاته ولا غير ذاته، فارتفع الإيراد بتعدد القدماء.

ثم أكد الإمام القضية ردًّا لقول القائلين بالتأويل بقوله: (ولكن يده صفة بلا كيف) أي: نحن عاجزون عن إدراك كيفيته، كعجزنا عن إدراك كيفيات بقية صفاته؛ فضلًا عن معرفة كنه ذاته، وكيف يصل الفهم الناقص الحادث إلى درك صفات الواجب الوجود الذي لا بداية ولا نهاية له! فاعترافنا بالعجز عن إدراكه وتفويضنا المراد به لعلمه القديم الأزلي الأبدي غاية إدراكنا في هذا الباب[1].

---

= المراد، وهو قول بعض السلف وجمهور الخلف، فكل من الفريقين لا يعين المراد في تأويله. انظر: «البدر الأنور في شرح الفقه الأكبر»، لنضال آله رشي: (ص١٩١-١٩٣).

(١) لما كان الإمام منع من تأويل المعتزلة بيَّن مذهب أهل السُّنة من السلف بأن «اليد» صفة لله تعالى؛ لأنه وصف بها نفسه لكن لا بمعنى الجارحة، فقال: «ولكن يده صفته بلا كيف». ما أدق كلامه وما أحسن اختصاره! حيث أجمل الصفة ولم يذكر لها معنىً مما يشير إلى التفويض وأنها مما لا يدرك معناها ولا يعلم وإلا لم يكن في الإجمال فائدة، وإنما أثبتها صفة لوصف الله تعالى بها نفسه، ولما كان الظاهر والحقيقة من «اليد» يوهم الجارحة وهو محال على الباري سبحانه نفاه بقوله: «بلا كيف»؛ لأن بين الكيف والجسم تلازمًا عقليًّا لا يمكن انفكاكه، فانتقل من حقيقة اليد وهي الجارحة إلى المجاز ولكن لم يعينه، وهذا النفي للكيف هو ما نسميه التأويل الإجمالي، وقد نص على ما بيناه بقوله: «ليست كأيدي خلقه، ليست بجارحة». اهـ.

ثم استمع لحسن قول الإمام حماد ابن الإمام الأعظم أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث قال: «لا نفر عن الصفة فرار جهم، ولا نصفه صفة مقاتل بن سليمان». اهـ. وذلك أن جهم بن صفوان كان معطلا، ومقاتلًا كان مشبها، فتبرأ منهما.

وقصر الإمام المبتدأ على الخبر بقوله: «ولكن يده صفته بلا كيف» فيه إثبات الصفة مع نفي الكيف، وسكوت الله عن التفصيل لا يعني عدم جوازه، قال العلامة العلاء البخاري: =

.....

وهذا -أي ترك التأويل في المتشابه والقول بأنه لا يهتدي إلى تأويله الحقُّ الذي يجب أن يُحمل عليه إلا اللهُ تعالى- مذهب الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو مذهب غالب الصحابة وأكثر التابعين والسلف الصالحين - رضي الله عنهم أجمعين -، والوقف عندهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وفسروا المتشابه بما استأثر الله لعلمه. ومن قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2] كلام مستأنف عندهم، وهو مذهب عائشة وأبي بن كعب وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومنهم من لا يقف عليه، وهو يقول: بأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه، [ويقولون][3] [ويقولون][4] آمنا به؛ أي: كلام مستأنف، وهو ضرب من المجاز، كل من [ويقولون][3] متشابهة

= ثم الخلف مع كون هذه الطريقة - أي: التفويض - أسلم وأعم نفعًا عدلوا عنها، واستغلوا بتأويل المتشابه - أي: تأويلا تفصيليا - لظهور أهل البدع والأهواء بعد انقراض زمان السلف وتمسكهم - أي: أهل البدع - بالمتشابهات في إثبات مذاهبهم الضالة، فاضطر الخلف إلى إبرامهم وإبطال دلائلهم، فاحتاجوا إلى التأويل. اهـ.
وقد قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه، فاعملوا به، وما جهلتم منه، فردوه إلى عالمه». رواه الإمام أحمد (٦٧٠٢)، وهو حديث صحيح؛ وفي رواية ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨١٢)؛ والطبراني في «الأوسط» (٥١٥) قال: «وما تشابه عليكم فآمنوا به». انظر: «البدر الأنور في شرح الفقه الأكبر»، لنضال آله رشي: (ص١٩١-١٩٣)؛ وانظر أيضًا: «الفقه الأبسط»، للإمام أبي حنيفة (ص١٥٩)؛ و«كشف الأسرار»، لعبد العزيز البخاري: (١/ ٥٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) كان في المخطوط: «يقولون» بصيغة الجمع المذكر، والسياق يقتضي أن يكون بصيغة الواحد المذكر، فأثبتّه.

(٤) كان في الأصل المخطوط: «والراسخون»، وهذا سهو مما بدا لي، والسياق يقتضي أن يكون «ويقولون»، ويدل على ذلك ما قال الإمام البغوي تحت تفسير هذه الآية ما يلي التعليق القادم.

.....

ومحكمه من عند ربنا، أي: من عند الله الحكيم الذي لا تناقض لكلامه. وهذا قول مجاهد والربيع، وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وروى الشيخان عن عائشه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخرها، وقال: فإذا رأيتِ الذين يتّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله تعالى، فاحذروهم»[2].

---

(١) قال البغوي تحت تفسير هذه الآية: «اختلف العلماء في نظم هذه الآية، فقال قوم: الواو في قوله: ﴿وَالرَّٰسِخُونَ﴾ واو العطف، يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم، وهم مع علمهم يقولون: آمنا به، وهذا قول مجاهد والربيع، وعلى هذا يكون قول: ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا معناه: والراسخون في العلم قائلين آمنا به. وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول في هذه الآية: «أنا من الراسخين في العلم»، وروي عن مجاهد: «أنا ممن يعلم تأويله».

وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله: ﴿وَالرَّٰسِخُونَ﴾ واو الاستئناف، وتم الكلام عند ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهو قول أبي بن كعب وعائشة وعروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ورواية طاووس عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبه قال الحسن وأكثر التابعين، واختاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا: «لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله»، ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يُطلع عليه أحدًا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ونحوها، والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به وفي المحكم بالإيمان به والعمل.

وقال عمر بن عبد العزيز: «في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وهذا قول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية». انتهى ما قال البغوي.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٥٤٧)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٦٦٥)؛ وأبو داود في «السنن» (٤٥٩٨)؛ والترمذي في «الجامع» (٢٩٩٤)؛ وابن ماجه في «السنن» (٤٧)؛ وأحمد في «المسند» (٢٤٢١٠).

وغضبه ورضاه صفتان بلا كيف.

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا من ثلاث خصال، وذكر منها: أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وليس ﴿يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾»[1].

(وغضبه ورضاه صفتان) من صفاته القديمة، بلا تفصيل أنهما من نعوت ذاته، أو من صفات أفعاله (بلا كيف) فلا يؤولان بأن المراد بغضبه: إرادة الانتقام، وبرضاه: مشيئة الإنعام؛ لأن الغضب يحصل لنا بغليان القلوب، وهيجان القوة الغضبية، كما في قوله ﷺ: «إن الغضب ليُفسد الإيمان كما يُفسد الصبر العسل»[2].

والرضا يحصل لنا بالميل والشهوات، والله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ مقدس عن هذه الصفات كلها، منزَّه عن الأغراض والفوائد، فلزم لنا القول: بأن غضبه ورضاه صفتان من صفاته القديمة بلا كيف؛ بحيث لا تصل أفهامنا القاصرة إلى إدراك كيفيته، قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾[3]، أي: عن إيمانكم وأنتم تحتاجون إليه؛

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٤٢)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٥٣٤)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه، ولم يسمع من أبيه».

(٢) رواه تمام في «الفوائد» (١٠١/ ٢) عن هشام بن عمار: حدثنا أبو بكر مخيس بن تميم الأشجعي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة مرفوعا؛ ومن هذا الوجه أخرجه أبو القاسم الهمداني في «الفوائد» (١/ ٢٠٧/ ٢)؛ وعنه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٣١/ ٢)؛ وأخرجه العراقي في «تخريج الإحياء»: (٣/ ٢٠٤)؛ والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (٣٥٠)؛ والحديث عزاه في «المشكاة» (٥١١٨) للبيهقي في «شعب الإيمان». قال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٤١٤) برقم (٣٨١٩): «وفيه مخيس بن تميم؛ قال الذهبي في الضعفاء: مجهول؛ وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه؛ عن بهز بن حكيم؛ وفيه لين». اهـ

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

.....

لضرركم بالكفر، وانتفاعكم بالإيمان، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[١]؛ لأن الكفر ليس برضاء الله تعالى، وإن كان بإرادته، ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٢]، أي: الشكر لكم؛ لأن به سبب فوزكم، فيثيبكم عليه الجنة.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

## [عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر]

**خلق الله الأشياء لا من شيء. وكان الله عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها، .....**

(خلق الله الأشياء) أي: الموجودات كلها من العلويات والسفليات، والسماء والأرض، وما بينهما (لا من شيء) أي: لا من مادة سابقة، فهو المبدِع والمخترِع للسماوات والأرض، ومن فيهما من غير مثال ما سبق، لقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، أي: مبدئها ومبتدعها، لا على مثال ما سبق، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كنتُ أدري معنى ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى اختصم إليَّ أعرابيانِ في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتُها، أي: ابتدأتها»[2].

(وكان الله عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها) أي: قبل تكوينها وإيجادها من العدم إلى الوجود؛ لأن هذه الأشياء لما كانت مُحدَثة، فقد وُجدت بتخليقه وتكوينه وإبداعه، ومن كان فاعلًا لهذه الأفعال المحكَمة المتقَنة العجيبة الغريبة المشتملة على الحِكم المتكاثرة والمنافع العظيمة، لا بدَّ أن يكون عالمًا بها في الأزل، ومن

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»: (١٦٨٢) من طريق يحيى بن سعيد عن سفيان به؛ وكذا أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه: «غريب الحديث في أحاديث التابعين في أحاديث أبي وائل» (٢/ ٣٨٨) من طريق يحيى بن سعيد القطان عن سفيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس. ولهذه الرواية طرق أخرى. قال الإمام ابن حجر في «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف»: ٦١ رقم (٣) «إسناده حسن، ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر». وهو أبو إسحاق إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي النخعي الكوفي. وقال ابن حجر في «التقريب» (١/ ٦٨): «صدوق لين الحفظ من الخامسة». ووثقه ابن سعد، وقال الثوري وابن شاهين: «لا بأس به».

**وهو الذي قدر الأشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا والآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه، .....**

المحال صدور الفعل المحكَم المتقَن عن الجاهل به، فكأن الله تعالى احتج بقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1]، على كونه عالمًا بها، محيطًا بجميع أجزائها وجزئياتها في الأزل قبل تكوينها، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[2]، أي: لا يعلم قبل الإنشاء من خلق الأشياء.

(وهو الذي قدَّر الأشياء وقضاها) أي: والحال أنه قدر الأشياء على وفق إرادته وقضى بتكوينها؛ لأن من جملة ما في السماوات والأرض حقائقَ الأشياء وماهياتِها، فهي لا بدَّ أن تكون تحت قدرة الله تعالى وقضائه، وإنما تكون الحقائق والماهيات تحت قدرته وقضائه لو كان قادرًا على تخصيص تلك الحقائق وتكوين تلك الماهيات، فإذا كان كذلك كانت قدرة الله تعالى وقضاؤه مكوِّنة للذوات ومحقِّقة للحقائق، فثبت أن العالَم بجميع أجزائه حادث، والمُحدِث للعالم هو الله تعالى[3]، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[4].

(ولا يكون في الدنيا والآخرة شيء) أي: لا يحدث فيهما أمر من الأمور (إلا بمشيئته) المقرون بإرادته (وعلمه) القديم الأزلي الأبدي (وقضائه) أي: حكمه الذي حكم به في الأزل (وقدره) أي: بتقديره الذي قدره في الأزل (وكتبه) في اللوح المحفوظ قبل وقوعه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) وقد جعله إمام الهدى أبو منصور الماتريدي الأصل الوحيد لمعرفة الله، فلا يُعرف الله إلا من طريق دلالة العالم عليه، إذ يقول: «والأصل أن الله تعالى إذ لا سبيل إلى العلم به إلا من طريق دلالة العالم عليه، بانقطاع وجوه الوصول إلى معرفته من طريق الحواس عليه، أو شهادة السمع». انظر: «التوحيد»، للماتريدي (١٢٩، ٢٣١-٢٣٣).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢.

لكن كتبه بالوصف لا بالحكم.

والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف، .....

(لكن كتبه بالوصف لا بالحكم)؛ لأن كتابتنا تكون لدفع النسيان بواسطة الآلات، أعني القلم والمداد وغير ذلك، وكتبه جَلَّ جَلَالُهُ في اللوح المحفوظ ليس كذلك؛ لأن قلمه نور، وكل شيء فيه مستور، كما هو المذكور في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

فيكون كتبه في اللوح المحفوظ بالوصف، لا بالحكم؛ لأن أفهمانا القاصرة لا تصل إلى درك ذلك، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[2]، يعني جميع ذلك مثبت في اللوح المحفوظ، وهو الذي يُسمى بـ«أم الكتاب».

(والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأزل بلا كيف) والمراد بالقضاء: الحكمُ

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٣١٩) عن عبادة بن الصامت، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، وفيه عن ابن عباس»؛ وأبو داود في «السنن» (٤٧٠٠)؛ وجاء في «كشف الخفا» (١/ ٣٠٧): «أول ما خلق الله القلم». رواه أحمد والترمذي، وصححه عن عبادة بن الصامت مرفوعًا بزيادة، فقال له: اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء. وقال الإمام ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص١١٥): «قد ورد؛ أي: هذا الحديث بل صح من طرق، وفي رواية: «إن الله خلق العرش، فاستوى عليه، ثم خلق القلم، فأمره أن يجري بإذنه، فقال: يا رب بم أجري؟ قال: بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر أو نبات أو نفس أو أثر أو رزق أو أجل، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». ورجاله ثقات إلا الضحاك بن مزاحم، فوثقه ابن حبان، وقال: لم يسمع من ابن عباس؛ وضعفه جماعة، وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا عليه: «إن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره أن يكتب كل شيء»، ورجاله ثقات. وفي رواية لابن عساكر مرفوعة: «إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة، ثم قال له: اكتب ما يكون أو ما هو كائن». وروى ابن جرير أنه ﷺ قال: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] قال: لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة». انتهى.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١.

.....

الإجماليُّ، وبالقدر: التفصيليُّ، وبالمشيئة: الإرادة المتعلقه بهما.

فهذه الثلاثة المذكورة صفات الله جَلَّجَلَالُهُ في الأزل بلا كيف؛ بحيث لا تصل أفهامنا القاصرة إلى درك كنه [تلك][1] الصفات؛ لأن منبع العزة والجلال هو الذات، وأن ذاته جَلَّجَلَالُهُ كملت بالصفات، بل ذاته جَلَّجَلَالُهُ لكمالها استلزمت صفاتِ الكمال، فلا يمكن الوصول إلى كنه حقيقة الذات الواجب الدائم المستلزمة بالصفات؛ لإدراكنا القاصر الحادث.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، في جنب علم الله تعالى، قال صاحب «المدارك»[3]: «الخطاب عام، فقد رُوي أن رسول الله ﷺ قال ذلك لليهود، فقالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؟ فقال: بل نحن وأنتم، لم نُؤتَ من العلم إلا قليلا، ولما قالت اليهود: أوتينا التوراةَ وفيها الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرا، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى». اهـ.

فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية، فالحكمة التي أوتيها العبد، خير كثير في نفسها؛ لأنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى، فهي قليلة؛ بل ليست بشيء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[4].

وسُئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر، فقال: لا أدري، فقيل له: أتصعد هذا المنبر

---

(١) كان في المخطوط: «ذلك»؛ والقاعدة تقتضي أن تكون صيغة الإشارة «تلك» بدل «ذلك».

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» المسمى بـ تفسير النسفي، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٢/ ٢٩٨)؛ وانظر أيضا: «تفسير الكشاف»، للزمخشري: (٣/ ٥٤٩).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما، ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، .....

وتقول لا أدري؟ فقال: «إني صعدتُ بقدر علمي بالأشياء، ولو طلعتُ بمقدار جهلي لبلغتُ السماء»[1]. وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، أي: أحدث كل شيء وحده، فقدره تقديرا، فهيّأه لما يصلح له بلا خلل فيه، كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي نراه، فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة في الدين والدنيا.

(يعلم الله تعالى المعدوم) أي: الذي لا وجود له (في حال عدمه معدومًا) أي: بوصف المعدومية، (ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده)؛ لأن صفة المعدوم لنا لا وجود له، لا في الذهن، ولا في الخارج؛ لكن لما نُسبت تلك الصفةُ إلى الله تعالى يقال: «إن الله تعالى يعلم المعدوم في حال عدمه معدوما، مع علمه جَلَّجَلَالُهُ أنه كيف يكون إذا أوجده».

لأن جميع موجودات الآن وما سبق كان معدومًا أولا، ثم أوجدها الله تعالى بحسب علمه القديم وإرادته الأزلي في وقت وجوده من العدم إلى الوجود، وكذلك ما هو المعدوم حالا، وما سبق في علمه وإرادته القديم جَلَّجَلَالُهُ أن يظهره في وقت من الأوقات من المستقبل، فالله تعالى جَلَّجَلَالُهُ سيظهره في وقت وجوده الذي سبق في علمه القديم.

فالله تعالى عالِم بالمعدوم في حال عدمه معدوما، وكيفية وجوده إذا سبق في

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٧٢)؛ و«شرح الفقه الأكبر»: (ص٧٦)، للملا علي القاري الحنفي. وقال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٧٦): «وقد وقع لأبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ مثل هذا السؤال وأجاب بذلك المقال، فقيل له: إنك تأخذ كذا وكذا من بيت المال وتعجز عن تحقيق هذا الحال، قال: «نعم أنا آخذ المال على قدر علمي، ولو أخذت على قدر جهلي لاستوعبت جميع الأموال».

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

.....

علمه وإرادته القديم إيجادُه في وقت من الأوقات، ماضيًا كان ذلك الوقت أو حالا، أو مستقبلًا لنا؛ لأن صفة الأزمنة بالثلاثة التي ذكرنا مختصةٌ لنا، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ منزَّه عن تلك الصفة، مقدس عن تقلب الأزمنة عليه، فجميع ما كان وما هو كائن وما سيكون من الأزل إلى الأبد معلوم له جَلَّجَلَالُهُ بعلمه القديم، وهو أعلم بكيفيات [خلقه] و[فنائه][1] بحسب إرادته القديم، وما لم يكن له وجود من الأزل إلى الأبد، فهو معدوم بعلمه القديم الأزلي، وهو أعلم به، ولذا قيل: «إن المعدوم ليس بشيء»[2]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾[3]، أي: ما تقدم إيجادًا وإفناءً وما تأخر.

---

(١) كان في المخطوط: «خلقها» و«فنائها» بإثبات ضمير التأنيث، وهو سهو مما يبدو.

(٢) قال التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» (ص١٣): «والشيء عندنا الموجود». أي: عند الأشاعرة، وبه قال الأثرية. وقد جاء في «شرح العلامة الصاوي على جوهرة التوحيد» (ص٣١٣): «عند أهل الحقّ من الأشاعرة أنّ الشيء اسم للموجود، فكلّ شيء موجود، وكلّ موجود شيء». وقال ابن أبي العز الحنفي الأثري في «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص١١٨): «وإنما تنازعوا في المعدوم الممكن: هل هو شيء أم لا؟ والتحقيق: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه».
ولكن قال جمهور المعتزلة والرافضة وابن عربي الصوفي الشهير: إن المعدوم شيء، وأول من قال به منهم: أبو عثمان الشحام المعتزلي، شيخ أبي هاشم الجبائي، وإن لم يكن هؤلاء موافقين لابن عربي تمام الموافقة. انظر: «التوحيد»: (ص٨٦)، لأبي منصور الماتريدي؛ و«الفصل في الملل والأهواء والنحل»: (٥/ ٢٧)، لابن حزم الأندلسي؛ و«نهاية الإقدام»: (ص١٥١)، للشهرستاني؛ و«التبصير في الدين»: (ص٦٣)، للإسفراييني؛ و«الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار»: (١/ ١٢٠)، للعمراني؛ و«أصول الدين»: (ص٢٢١)، للبزدوي؛ و«الإرشاد»: (ص٣١)، للجويني؛ و«غاية المرام»: (ص٢٦٨، ٢٧٤)، للآمدي؛ و«تلبيس إبليس»: (ص١٠٢-١٠٣)، لابن الجوزي.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٤.

ويعلم الله الموجود موجودا، ويعلم أنه كيف يكون فناؤه.

(ويعلم الله الوجود) أي: الذي أوجده الله تعالى من العدم إلى الوجود على سبق إرادته (موجودًا) أي: قائمًا بصنعه، قال الله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[1].

(ويعلم أنه كيف يكون فناؤه) أي: الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ أعلم بكيفية فناء الموجودات؛ لأن الممكنات الموجودات كلها فانية هالكة، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3]، والله تعالى أعلم بكيفية فناء الموجودات، فيكون فناء ذوي الأرواح بالموت، والموت بالأجل، والأجل واحد، لا كما ادعى الكعبي[4] أن للمقتول أجلين[5].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٤) هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي المعروف بـ«الكَعْبي» المتوفى سنة ٣١٩هـ يُعد من المعتزلة البغداديين، ومن نظراء أبي علي الجُبَّائي، كان رأس طائفة منهم تسمى «الكعبية»، وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها. صنّف في الكلام كتبًا كثيرة، وقد تتلمَذَ الكعبي على يد أبي الحسين الخَيَّاط المتكلم المعتزلي وخالفه في بعض المسائل، أقام ببغداد مدّة طويلة وناظر بها، وانتشرت بها كتبه، ثمّ عاد إلى بلخ، فأقام بها إلى حين وفاته. قال ابن حجر في لسان الميزان: «أثنى عليه أبو حيان التوحيد». وقال الخطيب البغدادي: «صنف في «الكلام» كتبًا كثيرة وانتشرت كتبه ببغداد». وقال السمعاني: «من مقالته: إن الله تعالى ليس له إرادة، وأن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها». انظر: «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٨٤)؛ و«وفيات الأعيان»: (١/ ٢٥٢)؛ و«لسان الميزان»: (٣/ ٢٥٥)؛ و«هدية العارفين»: (١/ ٤٤٤)؛ و«طبقات المعتزلة»: (ص٨٨).

(٥) مسألة أن المقتول ميت بأجله:

جاء في «روح المعاني» للآلوسي تحت تفسير سورة آل عمران – الآية ١٤٥ ما يلي: «وظاهر الآية يؤيد مذهب أهل السنة القائلين أن المقتول ميت بأجله أي: بوقته المقدر له، وأنه لو لم يُقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت، وأن لا يموت من غير قطع بامتداد العمر ولا بالموت بدل =

.....



.....

= القتل؛ إذ على تقدير عدم القتل لا قطع بوجود الأجل وعدمه، فلا قطع بالموت ولا بالحياة، وخالف في ذلك المعتزلة، فذهب الكعبي منهم إلى أن المقتول ليس بميت؛ لأن القتل فعل العبد والموت فعل الله سبحانه، أي: مفعوله وأثر صفته، وأن للمقتول أجلين؛ أحدهما: القتل، والآخر: الموت، وأنه لو لم يُقتل لعاش إلى أجله الذي هو الموت، وذهب أبو الهذيل إلى أن المقتول لو لم يُقتل لمات ألبتة في ذلك الوقت.

وذهب الجمهور منهم إلى أن القاتل قد قطع على المقتول أجله، وأنه لو لم يُقتل لعاش إلى أمد هو أجله الذي علم الله تعالى موته فيه لولا القتل، وليس النزاع بين الأصحاب والجمهور لفظيًا كما رآه الأستاذ وكثير من المحققين؛ حيث قالوا: إنه إذا كان الأجل زمان بطلان الحياة في علم الله تعالى لكان المقتول ميتًا بأجله بلا خلاف من المعتزلة في ذلك؛ إذ هم لا ينكرون كون المقتول ميتًا بالأجل الذي علمه الله تعالى، وهو الأجل بسبب القتل، وإن قيد بطلان الحياة بأن لا يترتب على فعل من العبد لم يكن كذلك بلا خلاف من الأصحاب فيه؛ إذ هم يقولون بعدم كون المقتول ميتًا بالأجل غير المرتب على فعل العبد؛ لأنا نقول: حاصل النزاع أن المراد بأجل المقتول المضاف إليه زمان بطلان حياته بحيث لا محيص عنه ولا تقدم ولا تأخر على ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

ويرجع الخلاف إلى أنه هل تحقق ذلك في حق المقتول أم المعلوم في حقه أنه إن قتل مات وإن لم يقتل يعش؟ - كذا في شرح المقاصد، ولعله جواب باختيار الشق الأول، وهو أن المراد زمان بطلان الحياة في علم الله تعالى، لكنه لا مطلقًا بل على ما علمه تعالى وقدره بطريق القطع وحينئذٍ يصلح محلًا للخلاف؛ لأنه لا يلزم من عدم تحقق ذلك في المقتول كما يقوله المعتزلة تخلف العلم عن المعلوم؛ لجواز أن يعلم تقدم موته بالقتل مع تأخر الأجل الذي لا يمكن تخلفه عنه، وقد يقال: إنه يمكن أن يكون جوابًا باختيار شق ثالث وهو المقدر بطريق القطع؛ إذ لا تعرض في تقرير الجواب للعلم والمقدر أخص من الأجل المعلوم مطلقًا، والفرق بينه وبين كونه جوابًا باختيار الأول، لكن لا مطلقًا اعتبار قيد العلم في الأجل الذي هو محل النزاع على تقدير اختيار الأول وعدم اعتباره فيه على اختيار الثالث، وإن كان معلومًا =

.....

.....

= في الواقع أيضًا فافهم، ثم إن أبا الحسين ومن تابعه يدعون الضرورة في هذه المسألة وكذا الجمهور في رأي البعض، وعند البعض الآخر هي عندهم استدلالية.

واحتجوا على مذهبهم بالأحاديث الواردة في أن بعض الطاعات تزيد في العمر وبأنه لو كان المقتول ميتًا بأجله لم يستحق القاتل ذمًا ولا عقابًا ولم يتوجه عليه قصاص ولا غرم دية ولا قيمة في ذبح شاة الغير؛ لأنه لم يقطع أجلًا ولم يحدث بفعله موتًا، وبأنه ربما يقتل في الملحمة والحرب ألوف تقضي العادة بامتناع اتفاق موتهم في ذلك الوقت بآجالهم، وتمسك أبو الهذيل بأنه لو لم يمت المقتول لكان القاتل قاطعًا لأجل قدره الله تعالى ومغيرًا لأمر علمه وهو محال، والكعبي يستدل بقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حيث جعل القتل قسيمًا للموت بناءً على أن المراد بالقتل المقتولية وأنها نفس بطلان الحياة وأن الموت خاص بما لا يكون على وجه القتل ومتى كان الموت غير القتل كان للمقتول أجلان، أحدهما: القتل، والآخر: الموت.

وأجيب عن متمسك الأولين: الأول: بأن تلك الأحاديث أخبار آحاد، فلا تعارض الآيات القطعية كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، أو بأن المراد من أن الطاعة تزيد في العمر أنها تزيد فيما هو المقصود الأهم منه، وهو اكتساب الكمالات والخيرات والبركات التي بها تستكمل النفوس الإنسانية وتفوز بالسعادة الأبدية، أو بأن العمر غير الأجل؛ لأنه لغة الوقت، وأجل الشيء يقال لجميع مدته ولآخرها كما يقال: أجل الدين شهران أو آخر شهر كذا، ثم شاع استعماله في آخر مدة الحياة، ومن هنا يفسر بالوقت الذي علم الله تعالى بطلان حياة الحيوان عنده على ما قررناه.

والعمر لغة مدة الحياة كعمر زيد كذا ومدة البقاء كعمر الدنيا، وكثيرًا ما يتجوز به عن مدة بقاء ذكر الناس الشخص للخير بعد موته، ومنه قولهم: ذكر الفتى عمره الثاني؛ ومن هنا يقال لمن مات وأعقب ذكرًا حسنًا وأثرًا جميلًا: ما مات، فلعله أراد ﷺ أن تلك الطاعات تزيد في هذا العمر لما أنها تكون سببًا للذكر الجميل، وأكثر ما ورد ذلك في الصدقة وصلة الرحم وكونهما مما يترتب عليهما ثناء الناس مما لا شبهة فيه، قيل: ولهذا لم يقل ﷺ في ذلك أنه يزيد في الأجل، أو بأن الله تعالى كان يعلم أن هذا المطيع لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره أربعين مثلًا لكنه علم أنه يفعلها ويكون عمره سبعين سنة فنسبة هذه الزيادة إلى تلك الطاعة بناءً =

.....

.....

= على علم الله تعالى أنه لولاها لما كانت هذه الزيادة.
ومحصل هذا أنه سبحانه قدر عمره سبعين؛ بحيث لا يتصور التقدم والتأخر عنه؛ لعلمه بأن طاعته تصير سببًا لثلاثين فتصير مع أربعين من غير الطاعة سبعين، وليس محصل ذلك أنه تعالى قدره سبعين على تقدير وأربعين على تقدير حتى يلزم تعدد الأجل والأصحاب لا يقولون به.
والثاني: بأن استحقاق الذم والعقاب وتوجه القصاص أو غرم الدية مثلًا على القاتل ليس بما يثبت في المحل من الموت، بل هو بما اكتسبه وارتكبه من الإقدام على الفعل المنهي عنه الذي يخلق الله تعالى به الموت كما في سائر الأسباب والمسببات؛ لاسيما عند ظهور أمارات البقاء وعدم ما يظن معه حضور الأجل حتى لو علم موت شاة بإخبار صادق معصوم، أو ظهرت الأمارات المفيدة لليقين لم يضمن عند بعض الفقهاء، والثالث: بأن العادة منقوضة أيضًا بحصول موت ألوف في وقت واحد من غير قتال ولا محاربة، كما في أيام الوباء مثلًا على أن التمسك بمثل هذا الدليل في مثل هذا المطلب في غاية السقوط.
وأجيب عن متمسك أبي الهذيل بأن عدم القتل إنما يتصور على تقدير علم الله تعالى بأنه لا يقتل، وحينئذٍ لا نسلم لزوم المحال، وبأنه لا استحالة في قطع الأجل المقدر الثابت لولا القتل؛ لأنه تقرير للمعلوم لا تغيير له، وعن متمسك الكعبي المخالف للمعتزلة والأشاعرة في إثبات الأجلين بأن القتل قائم بالقاتل وحال له لا للمقتول، وإنما حاله الموت وانزهاق الروح الذي هو بإيجاد الله تعالى وإذنه ومشيئته وإرادة المقتولية المتولدة عن قتل القاتل بالقتل وهي حال المقتول؛ إذ هي بطلان الحياة والتخصيص بما لا يكون على وجه القتل على ما يشعر به ﴿أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] خلاف مذهبه من إنكار القضاء والقدر في أفعال العباد؛ إذ بطلان الحياة المتولد من قتل القاتل أجل قدره الله تعالى وعينه وحدده، ومعنى الآية كما أشرنا إليه: أفئن مات حتف أنفه بلا سبب، أو مات بسبب القتل، فتدل على أن مجرد بطلان الحياة موت ومن هنا قيل: إن في المقتول معنيين قتلًا هو من فعل الفاعل وموتًا هو من الله تعالى وحده.
وذهبت الفلاسفة إلى مثل ما ذهب إليه الكعبي من تعدد الأجل، فقالوا: إن للحيوان أجلًا طبيعيًّا بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين وآجالًا اخترامية تتعدد بتعدد أسباب لا =

.....

وفناء الأفلاك والجبال وغيرها من الأجرام العظام تكون بكيفية أخرى، على حسب ما سبق بعلمه وإرادته القديم الأزلي، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[1]، أي: مر السحاب، والمعنى: أنك تحسب الجبال واقفة ممسكة عن الحركة، فإذا رأيتها وقت النفخة وظننتها أنها ثابتة في مكان واحد لعظمتها، وهي تسير سيرًا سريعًا كالسحاب، إذا ضربتْها الريح، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد تكون فانية كالسحاب المنتشرة، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[2]، أي: تصدعت وتشققت، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾[3]، أي: سمعت وأجابت لربها إلى الانشقاق،

---

= تحصى من الأمراض والآفات، وبيانه: أن الجواهر التي غلبت عليها الأجزاء الرطبة ركبت مع الحرارة الغريزية، فصارت لها بمنزلة الدهن للفتيلة المشعلة، وكلما انتقصت تلك الرطوبات تبعتها الحرارة الغريزية في ذلك حتى إذا انتهت في الانتقاص وتزايد الجفاف انطفأت الحرارة كانطفاء السراج عند نفاد دهنه، فحصل الموت الطبيعي، وهو مختلف بحسب اختلاف الأمزجة، وهو في الإنسان في الأغلب تمام مائة وعشرين سنة.

وقد يعرض من الآفات مثل البرد المجمد والحر المذوب وأنواع السموم وأنواع تفرق الاتصال وسوء المزاج ما يفسد البدن ويخرجه عن صلاحه لقبول الحياة؛ إذ شرطها اعتدال المزاج فيهلك بسببه، وهذا هو الأجل الاحترامي، ويرد ذلك أنه مبنيٌّ على قواعدهم من تأثير الطبيعة والمزاج، وهو باطل عندنا؛ إذ لا تأثير إلا له سبحانه، وتلك الأمور عندنا أسباب عادية لا عقلية كما زعموا.

وادعى بعض المحققين أن النزاع بيننا وبين الفلاسفة كالنزاع بيننا وبين المعتزلة على رأي الأستاذ لفظي؛ إذ هم لا ينكرون القضاء والقدر، فالوقت الذي علم الله تعالى بطلان الحياة فيه بأي سبب كان واحد عندهم أيضا، وما ذكروه من الأجل الطبيعي نحن لا ننكره أيضا، لكنهم يجعلون اعتدال المزاج واستقامة الحرارة والرطوبة ونحو ذلك شروطًا حقيقية عقلية لبقاء الحياة، ونحن نجعلها أسبابًا عادية». انتهى.

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ١.

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٥.

ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائما، وإذا قعد علمه قاعدا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه، أو يحدث له علم، ولكن التغير واختلاف الأحوال يحدث في المخلوقين.

و﴿حَقَّتْ﴾[1]، وحقَّ لها أن تسمع وتطيع لأمر الله تعالى؛ إذ هي مصنوعة بربوبية الله تعالى.

(ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه، فإذا قعد علِمه قاعدا في حال قعوده، من غير أن يتغير علمه، أو يحدُث له علم)؛ لأن علم الله الذي هو صفة له أزلية منزَّه عن صفات الحدوث، مقدس عن صفات التغير[2]، فلا يتغير ولا يحدُث له علم، بسبب تبدُّل الحركات والسكَنات من المخلوقين، فعِلمه جَلَّجَلَالُهُ باق من الأزل إلى الأبد على صفة القدم، بلا حدث ولا تغير، وهو أعلم بحركات المخلوقين وسكناتهم، من غير أن يتغير علم أصلا، أو يحدُث له علم آخر، ولا يكون من حركة ولا سكون، إلا بعلمه وإرادته وقضائه، وهو عالم، مريد به من الأزل إلى الأبد.

وله جَلَّجَلَالُهُ في كل حركة وسكون حكمة دالة على وحدانيته، فهو العالِم بجميع المعلومات، لا تتناهى معلوماته، ولاتُحصى مقدوراته، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

ثم نَبَّه الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن التغير والحدوث من صفات المخلوقين، فقال: (ولكن التغير واختلاف الأحوال) من الحركات والسكنات، والقيام والقعود (يحدث في المخلوقين) لأنها من صفات الإمكان، والمخلوقات بأجمعهم محدثات ممكنات، فثبتت تغير أحوالهم ضرورةَ أن الذات تدل على الصفات.

(١) المرجع السابق.

(٢) كان في المخطوط هناك وفيما بعده: «تغيير»، والسياق يقتضي أن يكون «تغير»، كما أثبته.

## [فطرة الله التي فطر الناس عليها]

**خلق الخلق سليما من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده بخذلان الله تعالى إياه، .....**

(خلق الله الخلق سليمًا من الكفر والإيمان) أي: خلق مخلوقاته من ذوي العقول صالحين لقبول الهداية والعرفان، وقابلين لظهور الكفر والعصيان؛ لما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق اللهُ آدمَ مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نَسَمة هو خالقها من ذُرِّيته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وَبِيصًا من نور»، الحديث[1].

والوبيص بمعنى البريق، أي: جعله بين عيني كل إنسان لمعانًا من نور، وفي ذكره إشارة إلى الفطرة السليمة، وهو الذي قال الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خلق الله الخلق سليمًا من الكفر والإيمان».

(ثم خاطبهم) في وقت التكليف بالإيمان والعبادة على لسان أرباب الرسالة، (وأمرهم) بالإيمان (ونهاهم) عن الكفر والعصيان (فكَفر من كفَر بفعله) الاختياري (وإنكاره) عن قبول الإيمان (وجحوده) عن امتثال الأوامر بالطاعات (بخذلان الله تعالى) أي: بترك نصرته سبحانه (إياه) بمقتضى عدله الذي سبق في علمه وإرادته القديم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٠٧٦)؛ والبزار في «مسنده» (٨٨٩٢)؛ وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٢٣)؛ واللفظ للترمذي، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ».

تنبيه: فات الشارحَ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يأتي هنا بالآية القرآنية التي تتعلق بهذا الموضع، وهي قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٤.

وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له. أخرج ذرية .....

فتركُ الإيمان وقبول الكفر والعصيان يكون من كسب العباد، وبذلك يستحقون العذاب.

(وآمن من آمن بفعله) الاختياري (وإقراره) بلسانه (وتصديقه) بجنانه (بتوفيق الله تعالى) أي: بتأييده سبحانه (إياه ونصرته له)، بمقتضى فضله الذي سبقه في علمه وإرادته القديم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1].

والله تعالى خالق أفعال العباد، من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وهي كلها وإن كانت بإرادته وقضائه وتقديره، لكن كسبُها يكون من العباد، فثبت القول: بأن الله تعالى خالق، والعبد كاسب، فصرفُ العبدِ قدرتَه وإرادتَه إلى الفعل كسب، وإيجاد الله تعالى الفعلَ خلق، فثبت الاستطاعة مع الفعل، وهي حقيقة القدرة التي تَمكَّن بها العبد على كسب الأفعال يخلقها الله تعالى عند اكتساب الفعل.

فإن قَصَدَ فعل الخير خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قَصَدَ فعل الشر خلق الله تعالى قدرة فعل الشر، فكان العبد هو الكاسب للخير والشر، فإن كَسَبَ الخير يستحق الإنعام، وإن كسب الشر يُجزَى بالانتقام، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[2]، أي: ينفعها ما كسبت بالخير، ويضرها ما اكتسبت بالشر، ولا يكلف الله العبد بما ليس في وسعه، لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].

ثم ذكر الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحوال الميثاق، فقال: (أخرج) الله تعالى (ذرية

(١) سورة غافر، الآية: ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من صلبه أولا، فجعلهم عقلا، فخاطبهم وأمرهم ونهاهم، فأقروا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيمانا، فهم يولدون على تلك الفطرة، .....

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ) طبقة بعد طبقة على ترتيب ظهورهم في الدنيا إلى آخر الدهر (من صلبه أولا) ثم من أصلاب أبنائه على صور الذر، (فجعلهم عقلاء) أي: ركب العقل في تلك الذرات المنفصلة، (فخاطبهم) بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]؟

(وأمرهم) بالإيمان والإحسان (ونهاهم) عن الكفر والعصيان (فأقروا له بالربوبية) ولأنفسهم بالعبدية بقولهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[2] (فكان ذلك الشهادة منهم) أي: من ذرية آدم (إيمانًا) حقيقه أو حكمًا.

(فهم يُولَدون على تلك الفطرة) الإسلامية، كما أخبر بها الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ بقوله: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[3]، وأخبر بها النبي ﷺ بقوله: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام، فأبواه يهودانه وينصِّرانه ويمجسانه»[4].

والحاصل: أن عهد الميثاق ثابت بالكتاب والسُّنة، أما الكتاب فقوله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٤) أخرج البخاري في «صحيحه» (١٣٨٥)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه». وأخرج النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٢٩)؛ وأحمد في «المسند» (١٥٣٦٧) عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمدٍ ﷺ، وملّة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا». وقال محقق «المسند» الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيحٌ على شرط الشَّيخين». وصححه النَّووي، والعراقي. وقال الحافظُ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢/ ٤٠٢): «رجاله مُحتجٌّ بهم في الصَّحيح، إلا عبد الله بن عبد الرحمن، وهو حسن الحديث».

.....

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[١]، بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلًا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر، ونصب لهم دلائل على ربوبيته، وركب فيهم عقلا، وأشهدهم أي: تلك الذرات على أنفسهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ قالوا: «بلى أنت ربنا، وخالقنا، وشهدنا بذلك على أنفسنا».

أما السُّنة فحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق اللهُ آدمَ مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نَسَمة هو خالقها من ذُرِّيته إلى يوم القيامة»، الحديث[٢].

وكذا حديث مسلم بن يسار قال: سئل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته»، الحديث[٣].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٠٧٦)؛ وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ». وقد رُوي هذا الحديث من طرق شتى، وسيأتي بعض تخريجه في التعليق القادم.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٠٧٥)؛ وأبو داود في «السنن» (٤٧٠٣)؛ والبزار في «مسنده» (٨٨٩٢)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٥٤)؛ والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٠)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٦)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٧٧)، وغيرهم من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي الباب عن ابن عباس، وابن عمر، وعمر، وأنس، وعبد الرحمن بن قتادة، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وعمران بن حصين، وعلي، وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
قال الترمذي عقب روايته: «هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا». وصححه الحاكم في ثلاثة مواضع من «المستدرك» (١/ ٢٧) و(٢/ ٣٢٤ - ٣٢٥ و٥٤٤)؛ ووافقه الذهبي في الموضعين الثاني والثالث، وخالفه في الموضع الأول. =

.....

وكذا حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: فجمعهم، فجعلهم أرواحا، أي: ذكورًا وإناثا، ثم صورهم بصورهم التي يكونون عليها بعد، فاستنطقهم، أي: خلق فيهم العقل وطلب منهم النطق، فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا الحديث[1].

فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، وقال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[2]، وقال بعض أهل التفسير[3]: إن أهل السعادة أقروا طوعا، وقالوا: بلى،

---

= ولكن معنى هذا الحديث قد صحَّ عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرُها، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في «التمهيد» (٦/ ٣-٦): «هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد؛ لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة، وهو أيضًا مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة، وجملة القول في هذا الحديث، أنه حديث ليس إسناده بالقائم؛ لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعًا غير معروفين بحمل العلم. ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها، من حديث عمر بن الخطاب وغيره، جماعة يطول ذكرهم». انتهى.

قلت: وسيتكلم الشارح العلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث قبولًا ورَدًّا فيما يقدم.

(١) هذا الحديث مخرج في «زوائد المسند» (٢١٢٣٢) من طريق محمد بن يعقوب الربالي، روى عنه عبد الله بن أحمد؛ وأخرجه الضياء في «المختارة» (١١٥٨) من طريق عبد الله بن أحمد بهذا الإسناد؛ وكذا رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢٢٨). ولم يُؤثَر توثيق محمد بن يعقوب الربالي عن أحد، وقال الهيثمي عنه في «المجمع» (٧/ ٢٥): «مستور».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠٢.

(٣) قاله البغوي في تفسيره.

.....

وأهل الشقاوة قالوا تقية وكرها، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا﴾ [آل عمران، الآية: ٨٣].

وهذا قول الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجميع أئمة الدين، وبه [أخذ][1] جمهور المفسرين من أهل الحق اليقين، وتفرد الزمخشري[2] ومن وافقه، في أن هذا الإشهاد كان من باب التمثيل، ومعنى ذلك: أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم، وقال لهم: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾؟ قالوا: «بلى، أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا، وأقررنا بوحدانيتك»[3].

---

(١) وكان في المخطوط: «أخذت»، بصيغة التأنيث.

(٢) هو الإمام جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزَّمَخْشَرِي (ت٥٣٨هـ)، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة، فجاور بها زمنا، فلقب بـ«جار الله». وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. من أشهر كتبه: «الكشاف في تفسير القرآن»؛ و«أساس البلاغة»، و«المفصل»، و«ربيع الأبرار»؛ وغيرها. انظر للترجمة: «وفيات الأعيان» (٢/ ٨١)؛ و«إرشاد الأريب» (٧/ ١٤٧)؛ و«لسان الميزان» (٦/ ٤).

(٣) قال الزمخشري في «الكشاف» تحت تفسير هذه الآية: «هي من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه تعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركَّبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه سبحانه ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقررهم وقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾، وكأنهم ﴿قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا لوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وفي كلام العرب، ونظيره قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقول الشاعر: =

.....

والحجة له ولمن وافقه، أنه قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ ولم يقل من ظهر آدم، ولأنا لا نتذكر ذلك، فأنّى يصير حجة علينا! والجواب عن الأول: أن ظهور بني آدم ليست إلا من ظهر آدم؛ لأنه الأب لبنيه وأبنائهم إلى آخر الدهر.

ولما كان هذا الأخذ على ترتيب النسل والظهور، فذِكر لفظ: «الأبناء» مقام «الآباء» كان أولى وأحرى؛ لأن وجود الأبناء موقوف على وجود الآباء، فالمخرج من ظهور أبناء آدم مخرج من ظهره؛ لأنه هو الأب الأول لأبنائه وبنيهم إلى انقراض الدنيا، ولا يُضاف الأبناء إلى الآباء.

وعن الثاني: إنا كنَّا أولًا أرواحًا مجردة في عالم الأرواح، ثم لما صوَّرَنا الله تعالى في أرحام أمهاتنا، ونفخ الروح فينا، صرنا روحا وجسما متغذيا بفضلات دم الرحم، وهي الحالة الثانية، ثم لما انفصلنا عن أرواح أمهاتنا، نطَّقَنا الله تعالى بالبكاء، فصرنا روحًا وجسما ناطقا، وهي الحالة الثالثة، ثم لما بلغنا أولَ حد الشعور، أعطانا شطرًا من العقل، كالشعاع من الشمس، فصرنا روحًا وجسمًا ناطقًا مميزا، وهي الحالة الرابعة، ثم لما بلغنا حد التكليف، أعطانا عقلًا مميزًا بين الحق والباطل، فصرنا روحا وجسما ناطقا عاقلا مكلفا، وهي الحالة الخامسة.

فنحن لا نتذكر الحالة الثانية أصلا، كما لا نتذكر الحالة الأولى، وكذا الحالة الثالثة، ولا نتذكر الآن الحالة الخامسة، التي هي أكمل الحالات، إلا الحالة الرابعة؛ لا غير.

---

= إذا قالت الأنساع للبطن إلْحَقِي تقول له ريح الصبًا قرقار». اهـ ولكن هذا مما تفرد به الزمخشري؛ بل قال هذا القول غيره من أهل السنة والجماعة، قال العلامة أبو اليسر البزدوي (ت٤٩٣هـ) في «أصول الدين» (ص٢١٨): و«قالت القدرية .... إن أخذ الميثاق لم يكن، وبه قال بعض أهل السنة والجماعة، فيهم الشيخ أبو منصور الماتريدي، فهؤلاء قالوا: إنه لا فائدة في أخذ الميثاق على الذرية؛ لأنه لو كان كذلك كان حكم الكفار حكم المرتدين، وليس كذلك بإجماع الأمة .....». اهـ

.....

وسبب تكليفنا في الحالة الخامسة ما كان إلا العقل، وما نتذكر الحالة إلا بسبب شركة جزء من أجزاء العقل فيه، وقد مر في تفسير الآية أن الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ جعل أولائك الذرات عقلاء، ثم أشهدهم على أنفسهم، فعُلم أن العقل هو الذي كان سبب الإشهاد في الحالة الأولى، وهو الذي صار سببًا للتكليف، وإتمام الميثاق في الحالة الخامسة التي هي أكمل الحالات.

أما عدم تذكرنا للحالة الأولى فمساوٍ؛ لعدم تذكرنا للحالة الثانية التي هي حالة الوجود في الأرحام، مع أنا كنا في تلك الحالة، أي: في الأرحام روحًا وجسمًا متغذيًا بفضلات دم الرحم.

ولا شك أن وجود العلقة في أرحام النساء لا تكون إلا من نطفة الرجال، ثم بعد إتمام الخلقة والتكميل تفصل الأولاد من أرحام النساء، فنحن لا نشك أن لنا أبًا من حيث النطفه الصلبية، وأما من حيث الرحم.

وما علمنا الأب والأم في الحالة الرابعة التي هي حالة الشعور إلا بتذكرهما، وشهادتهما أنهما أبوانا؛ مع أنا لا نتذكر تلك الحالة التي انفصلنا عنها أصلا، وحصل لنا بتذكرهما وشهادتهما علم اليقين على أنهما أبوانا، فأي تذكر أدلّ وآكد من ذكر الله تعالى؟ وأيُّ شهادة أقوى وأجلّ من شهادة صاحب الرسالة ﷺ؛ حيث ذكرنا الله تعالى أنه أخذ ميثاقنا في ذلك العالم مع تركيب العقول فينا، وشهد بذلك رسوله ﷺ أنه أخذ ميثاقنا؟

فيكتفي لنا بذكر الله وشهادة رسوله مع بداية العقل الذي ركب فينا في هذا العالم، وفي ذلك العالم أن إلهنا إله واحد، لا إله الا هو، وأنه آخذ ميثاقنا بواسطة هذا العقل المشترك بيننا، فانتفى قول الزمخشري انتفاءً كليًا.

والحديث الذي رواه مسلم بن يسار وإن كان في معرض التكلم عند المحدثين؛ لأنهم قالوا: إن مسلمًا لم يسمع من عمر، لكن بعضهم ذكر في الإسناد بين مسلم وعمر رجلا، ورواه ثلاثة من أئمة الحديث، أعني مالكًا وأبا داود والترمذي، وحسَّن

.....

الترمذي هذا الحديث، وهو إمام هذا الفن، على أنه قد ورد في هذا الباب ثلاثة أحاديث متعددة الطرق.

فحديث مسلم وإن كان بمعرض التكلم عند المحدثين، فحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث صحيح مشهور بلا خلاف بين المحدثين، وقد رواه الترمذي في «جامعه الصحيح»، وكذا حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»، ولا خلاف في صحته، فهذا غاية التحقيق في هذا الباب، ولا نظن أن أحدًا سبقني في مثل هذا.

والعجب من قاضي البيضاء[1]، أنه مع علمه الموفور وفضله المشهور، فسر الآية على طريق التمثيل، ومال إلى مذهب الزمخشري، وهذا سهو بَيِّنٌ منه[2]!

---

(١) أراد به الإمام القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٦٨٥هـ)، صاحب «تفسير البيضاوي» المسمى بـ«أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

(٢) مسألة أخذ الميثاق من ذرية آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
إن أهل السُّنة والجماعة جمهورهم يؤمنون بالميثاق من ذرية آدم، كما قال الطحاوي في عقيدته: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق». ولكنهم اختلفوا في كونه تفسيرًا للآية، وجمهورهم يفسرون الآية بذلك؛ للأحاديث والآثار المروية فيه، وبعضهم ينكر ذلك ويفرق بين الميثاق المشار إليه في الآية وبين الميثاق الثابت في الأحاديث والآثار، ويضعف ما جاء منها مصرحًا بالإشهاد عليهم في عالم الذر، ويفسر الإشهاد في الآية بالفطرة على التوحيد، ويقصر دلالة الأحاديث على إثبات القدر السابق واستخراج صور بني آدم وتميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.
وهذا ما قرره الإمام ابن قيم الجوزية في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٤٥) حيث قصر دلالة الأحاديث الصحيحة على ذلك، ثم قال: «وأما الآثار التي فيها أنه استنطقهم وأشهدهم وخاطبهم فهي بين موقوفة ومرفوعة لا يصح إسنادها...وبالجملة فالآثار في إخراج الذرية من ظهر آدم وحصولهم في القبضتين كثيرة لا سبيل إلى ردها وإنكارها، ويكفي وصولها =

## ومن كفر بعد ذلك فقد بدّل وغيَّر، ومن آمن .....

(ومن كفر بعد ذلك) أي: بعد أخذ الميثاق في عالَم الأرواح، (فقد بدَّل) الإيمان الفطري بالكفر الكسبي (وغيَّر) الميثاق الذي أُخذ منه في ذلك العالم (ومن آمن) أي:

---

= إلى التابعين فكيف بالصحابة! ومثلها لا يقال بالرأي والتخمين، ولكن الذي دل عليه الصحيح من هذه الآثار إثبات القدر، وأن الله علم ما سيكون قبل أن يكون، وعلم الشقي والسعيد من ذرية آدم، وسواء كان ما استخرجه فرآه آدم هو أمثالهم أو أعيانهم، فأما نطقهم فليس في شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليه القرآن». اهـ.

وقال ابن قيم الجوزية في كتابه «الروح» (ص٢١٤): قال الجرجاني: «ليس بين قول النبي ﷺ: «إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته» وبين الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه عَزَّوَجَلَّ إذا أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته؛ لأن ذرية آدم لذريته بعضهم من بعض، وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: عن الميثاق المأخوذ عليهم، فإذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودًا عليهم بأخذ الميثاق».

وقال أيضًا في «الروح»: «وزعم بعض أهل العلم أن الميثاق إنما أخذ على الأرواح دون الأجساد، إن الأرواح هي التي تعقل وتفهم ولها الثواب وعليها العقاب، والأجساد أموات لا تعقل ولا تفهم». قال: «وكان إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا المعنى، وذكر أنه قول أبي هريرة»، قال إسحاق: «وأجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد، استنطقهم وأشهدهم». اهـ.

وكلام الإمام ابن راهويه نقله أيضًا الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ٨٩)، ثم قال بعد بحث المسألة: «ومعنى الآية والحديث أنه أخرج ذرية آدم من ظهره كيف شاء ذلك، وألهمهم أنه ربهم فقالوا: بلى، لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. ثم تابعهم بحجة العقل عند التمييز، وبالرسل بعد ذلك؛ استظهارًا بما في عقولهم من المنازعة إلى خالق مدبر حكيم يدبرهم بما لا يتهيأ لهم ولا يمكنهم جحده، وهذا إجماع أهل السُّنة والحمد لله». اهـ.

وقال أيضًا في «التمهيد»: «وأما أهل البدع فمنكرون لكل ما قاله العلماء في تأويل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الأعراف: ١٧٢] قالوا: ما أخذ الله من آدم ولا من ذريته ميثاقًا قط قبل خلقه إياهم، وما خلقهم قط إلا في بطون أمهاتهم، وما استخرج قط من ظهر آدم من ذرية تخاطب». اهـ.

وصدق، فقد ثبت عليه وداوم.

أظهر إيمانه في هذا العالم الجسماني (وصدَّق)، أي: قارن إيمانه اللساني بتصديقه القلبي؛ بأن يكون إقراره اللساني مطابقًا لتصديقه الجناني.

(فقد ثبت عليه) أي: على إيفاء الميثاق (وداوم) على الإسلام بواسطة الهداية من الله تعالى، وإرشاد العقل.

والعقل جوهر مضيء، خلقه الله تعالى عَزَّوَجَلَّ، يدرك به المعلومات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة، وبه يقدر الإنسان على استخراج المجهولات إلى المعلومات، وهو يزيد وينقص، ويذهب ويعود، وكما يدرك بالبصر شواهد القبور، كذلك يدرك بالعقل المحجوب المستور، وأول ظهوره في الإنسان يكون ببدء الشعور، ثم يزيد بتداول الأيام إلى حد البلوغ، فإذا بلغ الإنسان مبلغ الرجال كمل عقله، وصار مكلَّفًا بالتكليفات الشرعية، وارتفع عنه من الأمور المعاشية، وهو ينقسم على قسمين: وهبي وكسبي.

فالوهبي: هو الذي يُسمى بالعقل الغريزي المشترك بين العقلاء، وهو لا يزيد بعد البلوغ.

والكسبي: هو الذي يُسمى بالعقل التجريبي، ويحصل زيادته بكثرة الممارسة في العلوم، والتجارب بالأمور بالغًا ما يبلغ، فممارسة العلوم والتجربة في الأمور يصفي العقل، كما يصفي الصقل الحديد، ومحله الدماغ، ويصل نوره في القلب، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[1].

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

## [عدم إجبار الله الخلقَ على الكفر]

**لم يجبر أحدا من خلقه على الكفر وعلى الإيمان. ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا، ولكن خلقهم أشخاصا، والإيمان والكفر فعل العباد، .....**

(لم يجبر) أي: لم يقهر الله (أحدًا من خلقه) الذي أعطاهم العقول (على الكفر وعلى الإيمان) بل يخلقها في القلوب مقرونا باختيار العباد وكسبهم[1].

(ولا خلقهم مؤمنًا ولا كافرًا) أي: ما خلقهم موصوفًا بصفة الإيمان والكفر (لكن خلقهم أشخاصًا) محضًا قابلًا لقبول الإيمان، واختيار الكفر والعصيان.

(والإيمان والكفر فعل العباد) أي: هما من عمل العباد على طريق الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[2]، أي: خلقكم خلقًا بديعًا

---

(١) قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٨٨): «والمعنى أن الله تعالى لا يخلق الطاعة والمعصية في قلب العبد بطريق الجبر والغلبة، بل بخلقهما في قلبه مقرونًا باختيار العبد وكسبه؛ فإن المكره على عمل هو الذي عمل ذلك العمل يكرهه في الأصل، وكان المختار عنده أن لا يعمله؛ فإنه عنده كالذليل كالمؤمن إذا أكره على إجراء كلمة الكفر فأجراها بظاهر البيان وقلبه مطمئن بالإيمان، وكالمنافق حيث يجري الإيمان على اللسان وقلبه مشحون بالكفر، فليس الكافر في كفره معذورًا ولا المؤمن في إيمانه مجبورا، بل الإيمان محبوب للمؤمنين، كما أن الكفر مطلوب للكافرين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] غاية الأمر أن الله تعالى بفضله حبّب إلينا الإيمان وزيّن في قلوبنا الإحسان وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبعدله ترك هداية أهل الكفر والكفران وحبّب إليهم العصيان وكرّه لديهم الإيمان فسبحانه سبحانه يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضلّ، وهذا من أسرار القضاء والقدر بحكم الأزل لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون». اهـ.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٢.

.....

ماديًا لجميع مبادي الكلمات العلمية والعملية، فمنكم كافر، أي: فبعض منكم يختار الكفر، كاسب له، على خلاف ما يستدعيه خلقه.

ولما كان الله تعالى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم، الذي هو: الخلق والإيجاد عن العدم، كان واجبًا عليكم أن تكونوا بأجمعكم شاكرين، فما بالكم تفرقتم أمما؟ ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[1]، وتقديم الكفر باعتبار الأغلب والأكثر.

وجملة القول فيه: أن الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلًا له وكسبا، وخلق المؤمن وإيمانه فعلًا له وكسبا، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله تعالى و[مشيئته][2]، فالمؤمن بعد خلقِ الله تعالى إياه يختار الإيمان؛ بأن الله تعالى أراد ذلك منه، وقدَّره عليه، وعلِمه منه. والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر؛ لأن الله تعالى قدَّر ذلك، وعلِمه منه.

وهذا طريق أهل السُّنَّة والجماعة، من سلكه أصاب الحق، وسلم من الجبر والقدر[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) كان في المخطوط: «مشيته».

(٣) قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٨٩): «لا كما زعمت المعتزلة أن العبد خلق لأفعاله الاختيارية من الضرب والشتم وغير ذلك، ولا كما زعمت الجبرية القائلون بنفي الكسب والاختيار بالكلية؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] رد على الطائفتين في هذه القضية.

والحاصل: أن الفرق بين الكسب والخلق هو أن الكسب أمر لا يستقل به الكاسب والخلق أمر يستقل به الخالق، وقيل: ما وقع بآلة فهو كسب، وما وقع لا بآلة فهو خلق، ثم ما أوجده سبحانه من غير اقتران قدرة الله تعالى بقدرة العبد وإرادته يكون صفة له، ولا يكون فعلًا له، كحركة المرتعش، وما أوجده مقارنًا لإيجاد قدرته واختياره فيوصف بكونه صفة وفعلا وكسبا للعبد، كالحركات الاختيارية، ثم المتولدات، كالألم في المضروب والانكسار في الزجاج =

**يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال إيمانه، من غير أن يتغير علمه وصفته.**

(يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا، فإذا آمن بعد ذلك) أي: بعد ارتكاب الكفر (علِمه مؤمنًا في حال إيمانه) أي: حال إتيانه الإيمان (من غير أن يتغير علمه) بتغير كفر عبد وإيمانه (وصفته) عطف على العلم، أي: لا يتغير علمه تعالى، ولا صفته بتغير أوصاف [العبد][1] من الكفر والإيمان؛ بل علمه وصفته جَلَّجَلَالُهُ باق من الأزل إلى الأبد بلا تغير وتبدل.

و[التغير والتبدل][2] إنما يكون في صفات العبد من الكفر والإيمان، فإبليس كان أولًا مؤمنا، ثم لما أبى السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، صار كافرًا بإبائه واستكباره ورَدِّه الأمر، والتغير الذي حصل له من الإيمان إلى الكفر، مختص بأوصافه المخلوقية؛ لأن التغير والانتقال من صفات المخلوقين.

ولا يتغير علمه وصفته جَلَّجَلَالُهُ بتغير صفات المخلوقات الممكنات، فإبليس كان من الكافرين في سابق علم الله تعالى، أي: كان في الأزل عالمًا به سيكفر، والتغير يكون على السعادة والشقاوة من دون الإسعاد والإشقاء، وهما من صفات الله تعالى، ولا تغير على الله، ولا على صفاته.

والحاصل: كما أنه جَلَّجَلَالُهُ واجب الوجود في ذاته، واجب الوجود في جميع صفاته، فهو منقطع الحاجات، ومنتهى الرغبات، ومن عنده نيل الطلبات، لا تتغير معلوماته، ولا تتبدل مقدوراته، فهو المبدئ المعيد، فعال لما يريد.

---

= بخلق الله، وعند المعتزلة بخلق العبد». اهـ.

(١) كان في المخطوط هنا وفيما بعده: «العبيد» على وزن فعيل؛ والسياق يقتضي أن يكون اللفظ «عبدا»، كما أثبته.

(٢) كان في المخطوط هنا وفيما بعده: «التغيير» و«التبديل»، والسياق يقتضي أن يكونا من التفعل؛ لا من التفعيل.

وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها، وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره.

(وجميع أفعال العباد) أي: جميع أفعاله التي تصدر من العباد (من الحركة والسكون) وغير ذلك (كسبهم) الاختياري (على الحقيقة) فلا إكراه لهم في ذلك؛ بل اختيارهم في فعلهم، بحسب اختلاف أهوائهم وميل أنفسهم، فلها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

(والله تعالى خالقها) أي: موجد أفعال العباد وفقَ ما أراد، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

قال الإمام النسفي[2] في «تفسيره»: «هو دليلنا في خلق الأفعال، أي: الله تعالى خالقكم، وخالق أعمالكم» (وعلمه) الواو هنا بمعنى مع، أي: مع تعلق علمه (ومشيئته) أي: تعلق مشيئته (وقضائه) أي: تعلق حكمه (وتقديره) أي: تعلق تقديره الذي قدَّره في الأزل.

والحاصل: أن انفراده جَلَّ جَلَالُهُ باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب، بل الله تعالى خالق القدرة والمقدور جميعا، وخلق الاختيار والمختار جميعا.

فأما القدرة فوصف للعبد، وخلق للرب سبحانه، وليس بكسب له، وأما الحركة فخلق الرب تعالى ووصف للعبد وكسب له.

وكيف يكون جبرًا محضًا، وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية؟ وكيف يكون خلقًا للعبد، وهو لا يحيط علمًا بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها؟ فإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد،

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٢) هو الإمام أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ وقد سبقت ترجمته بالإيجاز.

.....

وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق، يعبر عنها بالاكتساب[1].

---

(١) تحقيق علي القاري في مسألة الجبر والكسب:
قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٨٩) قولًا حسنًا ما أنقله برمته: «وفي حديث رواه الحاكم وصححه البيهقي من حديث حذيفة مرفوعا: «إن الله صانع كل صانع وصنعته» [أخرجه الحاكم (١/ ٣١-٣٢) وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي]، ولذا وبّخهم سبحانه بقوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصّافّات: ٩٥]، أي: ما تعملون من الأصنام، وبقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]؛ ولأن العبد لو كان خالقًا لأفعاله لكان عالما بتفاصيلها، كما يشير إليه سبحانه بقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]، وقول علي كرّم الله تعالى وجهه: «عرفت الله بفسخ العزائم».
ولقد أغرب المعتزلة؛ حيث صرفوا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إلى صفة الله حتى قالوا: إن كلامه مخلوق، ولم يصرفوه إلى صفات الخلق حتى قالوا: إن أفعال العباد غير مخلوقة له، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، فمعناه: ما رميت خلقًا إذ رميت كسبا، ولكن الله رمى بخلق كسب الرمي في المصطفى ﷺ.
قال الإمام الأعظم في كتابه «الوصية»: «نقرّ بأن العبد مع جميع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة. انتهى». وبيانه على وجه يظهر برهانه هو أن علة افتقار الأشياء في وجودها إلى الخالق هي إمكانه، وكل ما يدخل في الوجود جوهرًا كان أو عرضا، فهو ممكن في عالم الشهود، فإذا كان العبد القائم بذاته لإمكانه يستفيد الوجود في شأنه من الخالق عزّ شأنه، فأفعاله القائمة به أولى أن تستفيد الوجود من خالق، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ أي: بذاته وصفاته عن جميع مصنوعاته وأنتم الفقراء، أي: المحتاجون بذواتكم وصفاتكم وأعمالكم وأحوالكم إلى الله، أي: إلى إيجاده في الابتداء، وإمداده في الأثناء قبل الانتهاء.
ثم اعلم أن إرادة العبد التي تقارن فعله وقدرته عليه حال صنعه مخلوقتان مع الفعل لا قبله ولا بعده، قال الإمام الأعظم في كتابه «الوصية»: «نقرّ بأن الاستطاعة مع الفعل لا فعل ولا بعد الفعل؛ لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيًا عن الله سبحانه وقت الفعل، وهذا خلاف النص، أي: خلاف حكم النص كما في نسخة لقوله تعالى: =

.....

.....

= ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، ولو كان بعد الفعل لكان من المحال حصول الفعل بلا استطاعة ولا طاقة».

والمعنى: أن حصول الفعل بلا استطاعة من قبل الله تعالى ولا طاقة لمخلوق فيما لم يقارن الاستطاعة الإلهية بفعله بناءً على مقتضى ضعف البشرية وقوة الربوبية، وهذا معنى قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لا حول ولا قوة إلا بالله». أي: لا حول عن معصيته إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بإعانته، وقال الإمام الأعظم في كتابه «الوصية»: «ثم نقرّ بأن الله تعالى خالق الخلق ورازقهم ولم يكن لهم طاقة؛ لأنهم ضعفاء عاجزون محدثون، والله تعالى خالقهم ورازقهم؛ لقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، والكسب من الحلال حلال وجمع المال من الحرام حرام، والخلق على ثلاثة أصناف: المؤمن المخلص في إيمانه، والكافر الجاحد في كفره، والمنافق المداهن في نفاقه، والله تعالى فرض على المؤمن العمل وعلى الكافر الإيمان، وعلى المنافق الإخلاص بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ومعناه: يا أيها المؤمنون أطيعوا الله، ويا أيها الكافرون آمنوا بالله، ويا أيها المنافقون أخلصوا لله».

وإذا تحقق أن الله خالق الخلق علم أنه لا يجب لهم شيء على الحق؛ فإنه سبحانه لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، وكان القياس أن يقال: القائل بكون العبد خالقًا لأفعاله يكون من المشركين دون الموحدين، كما يشير إليه حديث: «القدرية مجوس هذه الأمة» [أخرجه أبو داود (٤٦٩١)]، حيث ذهبوا إلى أن للعالم فاعلين؛ أحدهما: الله سبحانه وتعالى وهو فاعل الخير، والثاني: الشيطان، وهو فاعل الشر، قال: ولذا بالغ مشايخ ما وراء النهر مبالغة كبيرة في تضليل المعتزلة حتى قالوا: إنهم أقبح من المجوس؛ حيث لم يثبتوا إلا شريكًا واحدا، والمعتزلة أثبتوا شركاء لا تحصى، ولكن المحققين على أن المعتزلة من طوائف الإسلام، وحملوا ما ذكر على الزجر للأنام؛ لأنهم لم يجعلوا العبد خالقًا بالاستقلال، بل يقولون: بأنه سبحانه خالق بالذات والعبد خالق بواسطة الأسباب والآلات التي خلقها الله تعالى في العبد، ولم يثبتوا الإشراك بالحقيقة وهو إثبات الشريك في الألوهية كالمجوس، ولا بمعنى استحقاق العبادة كعبدة الأصنام.

أما قول المعتزلة: «لو كان الله خالقًا لأفعال العباد لكان هو القائم والقاعد والآكل والشارب =

.....

.....

= والزاني والسارق»، وهذا جهل عظيم مدفوع بأن المتّصف بالشيء من قام به ذلك الشيء، لا من أوجده؛ إذ لا يرون أن الله تعالى هو الخالق للسواد والبياض وسائر الصفات في الأجسام، فالإيجاد هو فعل الله والموجود وهو الحركة فعل العبد، وهو موصوف به حتى يشتق له منه اسم المتحرك ولا يتّصف الله بذلك، وأما قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، بصيغة الجمع، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، بإضافة الخلق إلى عيسى، فجوابه أن الخلق هاهنا بمعنى: التقدير والتصوير، فإن العبد بقدر طاق البشرية له بعض التدبير إن وافق التقدير.

ثم اعلم أن تحقيق المرام ما ذكره ابن الهمام في هذا المقام حيث قال: «فإن قيل: لا شك أنه تعالى خلق للعبد قدرة على الأفعال، ولذا ندرك تفرقة بين الحركة المقدورة وهي الاختيارية، وبين الرعدة الضرورية والقدرة ليست خاصيتها إلا التأثير؛ أي: إيجاد المقدور؛ فإن القدرة صفة تؤثّر على وفق الإرادة ويستحيل اجتماع مؤثرين مستقلين على أثر واحد فوجب تخصيص عمومات النصوص السابقة بما سوى أفعال العباد الاختيارية، فيكونون مستقلين بإيجاد أفعالهم الاختيارية بقدرتهم الحادثة بخلق الله تعالى كما هو رأي المعتزلة، وإلا كان جبرًا محضا، فيبطل الأمر والنهي، فالجواب: أن الحركة مثلًا كما أنها وصف للعباد ومخلوق للرب لها نسبة إلى قدرة العبد فسميت تلك الحركة باعتبار تلك النسبة كسبًا بمعنى أنها مكسوبة للعبد، ولم يلزم الجبر المحض إذ كانت متعلق قدرة العبد داخلة في اختياره، وهذا التعلّق هو المسمى عندنا بالكسب». اهـ.

وأما ما سبق من استحالة اجتماع مؤثّرين على أثر واحد، فالجواب عنه أن دخول مقدور تحت قدرتين؛ إحداهما: قدرة الاختراع، والأخرى: قدرة الاكتساب جائز، وإنما المحال اجتماع مؤثّرين مستقلين على أثر واحد، وفي «شرح العقائد» تعريف القدرة الخادثة في العبد بأنها صفة يخلقها الله تعالى في العبد عند قصده اكتساب الفعل مع سلامة الأسباب والآلات، وبهذا يظهر أن مناط التكليف بعد خلق الاختيار للعبد هو قصده الفعل قصدًا مصمّمًا طاعة كان أو معصية، وإن لم تؤثر قدرته في وجود الفعل المانع هو تعلّق قدرة الله التي لا يقاومها شيء في إيجاد ذلك، ومن هنا قال ابن الهمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لزوم الجبر يندفع بتخصيص النصوص بإخراج فعل واحد قلبي وهو العزم المصمم، لكن فيه أن ذلك العزم المصمّم داخل تحت =

**والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته، لا لمحبته ولا برضاه ولا بأمره.**

(والمعاصي كلها) سواء كانت من الصغائر أو الكبائر، إن كانت (بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته) لكن ظهورها (لا لمحبته ولا برضاه ولا بأمره) يعني أن ظهور المعاصي وإن كانت بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته، لكن المحبة والرضا والأمر لا يتعلق بالمعاصي؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[3].

= الحكم المعمّم، والله سبحانه أعلم ثم ما اختاره، هو قول الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة أهل السّنّة أن قدرة الله تعالى تتعلق بأصل الفعل، وقدرة العبد تتعلق بوصفه من كونه طاعة أو معصية، فمتعلق تأثير القدرتين مختلف كما في لطم اليتيم تأديبًا وإيذاء، فإنّ ذات اللطم واقعة بقدرة الله تعالى وتأثيره وكونه طاعة على الأول ومعصية على الثاني بقدرة العبد وتأثيره لتعلّق ذلك بعزمه المصمم».

ولقد أنصف الإمام الرازي في «تفسيره الكبير» حيث قال: «الإنسان مجبور في صورة مختار، وهو أنهى ما يمكن أن ينتهي إليه فهم البشر»، قلت: «وذلك لوقوع فعل العبد على وفق اختياره من غير تأثير لقدرته المقارنة له، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، ولذا قال بعض العارفين: «لا تختر فإن كنت لا بدّ أن تختار اختر أن لا تختار». انتهى ما قال القاري.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

## [أفعال العباد بعلم الله تعالى وقضائه]

**وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها ما كانت واجبة بأمر الله تعالى، وبمحبته وبرضائه.**

(وهي) أي: أفعال العباد (كلها) من خيرها وشرها جميعا (بمشيئته) أي: بإرادته (وعلمه) أي: بتعلق علمه (وقضائه) (وقدره) أي: على وفق حكمه، وتقديره الذي قدره في الأزل. (والطاعات كلها) أي: بجميع أفرادها (ما كانت واجبة) على العباد (بأمر الله تعالى) أي: يتعلق أمره به، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1] (وبمحبته) لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] (وبرضائه) لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3].

والحاصل: أن كل حادث في العالم، فهو فعله وخلقه واختراعه جَلَّ جَلَالُهُ، لا خالق سواه، ولا محدث إلا إياه، خلق الخلق وصنعهم، وأوجد قدرتهم وحركتهم، فجميع أفعال عباده مخلوقة له، ومتعلقة بقدرته تصديقًا له في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]، لكن الحسن من أفعال العباد - وهو ما لا يكون متعلقًا للذنب والعقاب - برضاء الله تعالى من غير إعراض، والقبح منها - وهو ما يكون متعلقًا للذنب في العاجل والعقاب في الآجل - ليس برضائه[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٥) مسألة الحسن والقبيح من أفعال العباد:
قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٩٥) ما يلي: «والمسألة مبسوطة في «الوصية»، حيث قال: نقرّ بأن الأعمال ثلاثة: فريضة؛ أي: اعتقادًا وعملا؛ أي: أو عملًا لا اعتقادا ليشمل الواجب، وفضيلة؛ أي: سنّة أو مستحبة، أو نافلة، ومعصية؛ أي: حرام، أو مكروه، فالفريضة =

.....

.....

= بأمر الله تعالى ومشيئته ومحبته ورضاه وقضائه وتقديره، وإرادته وتوفيقه، وتخليقه أي: خلق فعله وفق حكمه فهو تفسير لما قبله.

وأما قوله: وحكمه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ، فظاهر العبارة هو التفرقة بين المشيئة والإرادة، فالمشيئة أزلية في المرتبة الشهودية والإرادة تعلقها بالفعل في الحال الوجودية، هذا ما سنح لي في هذا المقام، والله تعالى أعلم بمرام الإمام.

وكذا الحكم يظهر أنه مستدرك؛ لأنه إمّا أن يراد به الحكم الأزلي، فهو بمعنى القضاء الأزلي، أو يراد به الأمر الكوني في عالم الظهور الخلقي، فقد تقدّم ذكر الأمر بهذا المعنى، اللهمّ إلّا أن يقال: إنهما كالتأكيد والتأييد في المبنى، ثم قوله: والفضيلة ليست بأمر الله تعالى، أي بالأمر الموجب قطعًا أو ظنًا، وإلا فهي داخلة في ذلك الأمر المقتضي استحسانا، وكذا مندرج في قوله: ولكن بمشيئته ومحبته ورضائه وقضائه وتقديره وتوفيقه وتخليقه وإرادته وحكمه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ، فنؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه، والمعصية ليست بأمر الله، ولكن بمشيئته لا بمحبته وبقضائه، لا برضائه وبتقديره وتخليقه، لا بتوفيقه وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ. اهـ.

وأما ما ذكره ابن الهمام في «المسايرة» من أنه نقل عن أبي حنيفة ما يدل على جعل الإرادة من جنس الرضى والمحبة لا المشيئة، لما رُوي عنه: من قال لامرأته: «شئت طلاقك»، ونواه طلّقت، ولو قال: «أردته» أو «أحببته»، أو «رضيته»، ونواه لا يقع على تفرقة هذه الصفات في العباد، فليس كما قال؛ إنه مخالف لما عليه أكثر أهل السّنّة، وقد ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما أجمع عليه السلف من قوله: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»، وقد خالفت المعتزلة في هذين الأصلين، فأنكروا إرادة الله للشر مستدلّين على زعمهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، وإن الله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، و﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وهذا منهم بناء على تلازم الإرادة والمحبة والرضا والأمر عندهم، وقالوا: «إنه سبحانه أراد من الكافر الإيمان لا الكفر، ومن العاصي الطاعة لا المعصية»، زعمًا منهم أن إرادة القبيح قبيحة، فعندهم يكون أكثر ما يقع من أفعال العباد على خلاف إرادة الله سبحانه، وقد دلّت الآيات الواضحات على خلاف قولهم كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ =

.....

فالإرادة والمشيئة والتقدير يتعلق بالكل[١]، والرضا والمحبة والأمر لا يتعلق إلا بالحسن دون القبح، وما هو الأصلح للعبد، فليس ذلك بواجب على الله تعالى[٢].

---

= صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وروى البيهقي بسنده أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس». ثم قول المعتزلة: «إرادة القبيح قبيحة هو بالنسبة إلينا، أما بالنسبة إلى الله سبحانه فليست كذلك؛ فإنها قد تكون مقرونة بحكمة، تقتضي هنالك مع أنه مالك الأمور على الإطلاق، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وحُكي أن القاضي الجبار الهمداني أحد شيوخ المعتزلة دخل على الصاحب بن عباد، وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني أحد أئمة أهل السّنّة، فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزّه عن الفحشاء، فقال الأستاذ فورا: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربّنا قهرا؟ فقال القاضي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالرديء أحسن إليّ أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له، فهو يختص برحمته من يشاء فبهت القاضي.

ومجمل الكلام في تحصيل المرام: أن الحسن من أفعال العباد، وهو ما يكون متعلق المدحة في الدنيا والمثوبة في العقبى برضاء الله تعالى وإرادته وقضائه، والقبيح منها وهو ما يكون متعلق المذمّة في العاجل والعقوبة في الآجل ليس برضائه، بل بإرادته وقضائه لقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]. فالإرادة والمشيئة والتقدير تتعلق بالكل والرضاء والمحبة والأمر لا تتعلق إلا بالحسن دون القبيح من الفعل، حيث أمرهم بالإيمان مع تقرّر علمه بأنهم يموتون على الكفر. اهـ

(١) أي: بالحسن والقبح.

(٢) مسألة ما هو الأصلح: قال السفاريني في «لوامع الأنوار» (١/ ٣٣٠): «ولمذهب المعتزلة لوازم فاسدة تدل على فساده. فمنها: أن النوافل صلاح، فلو كان الصلاح واجبًا لوجبت =

## [عقيدة أهل السنة في عصمة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ]

**والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح،**

(والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلهم) أي: جميعهم الشامل للرسل والمشاهير وغيرهم، أولهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآخرهم سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ (منزهون) أي: معصومون (عن الصغائر) من المعاصي، إلا ما كانت من قبيل الزلات عن بعضهم (والكبائر) منها (والكفر) وتخصيص الكفر باعتبار أنه أكبر الكبائر.

(والقبائح) تعني: المخصصات من الكبائر، نحو القتل والزنى وأكل الربا وغيرها، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾[1]؛ لأن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومون مأمورون بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام، فهم معصومون عن الكفر والكبائر حال النبوة وقبلها[2].

---

= وجوب الفرائض. ومنها: أن عدم خلق إبليس وجنوده أصلح للخلق وأنفع. ومنها: ما ألزمه الإمام أبو الحسن الأشعري للجبائي، وقد سأله عن ثلاثة إخوة أمات الله أحدهم صغيرًا، وأحيى الآخرين، فاختار أحدهما الإيمان واختار الآخر الكفر، فرفع الله درجة المؤمن البالغ على أخيه الصغير في الجنة بعمله، فقال أخوه الصغير: «يا رب لم لا بلغتني منزلة أخي»؟ فقال: «إنه عاش وعمل عملًا استحق به هذه المنزلة»، فقال: «يارب، فهلا أحييتني حتى أعمل مثل عمله فأبلغ منزلته»؟ فقال: «كان الأصلح أن توفيتك صغيرًا؛ لأني علمت أنك إن بلغت اخترت الكفر؛ فإن الأصلح في حقك أن أميتك صغيرًا»، قال الأشعري: «فإن قال الثاني: يارب لِمَ لَمْ تمتني صغيرًا لئلا أعصي فلا أدخل النار، فماذا يقول الرب»؟ فبهت الجبائي، وكان الأشعري على مذهب الجبائي معتزليًا، ثم تاب من القول بخلق القرآن والعدل». انتهى.

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) قال الإمام القاضي عياض المالكي في كتابه العجاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ص٣٧١-٣٧٤) حول عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر: «وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام، والاعتماد=

أما الصغائر فلا دليل على امتناع صدوره قبل النبوة[1]؛ لأن المختار عندنا أنه

---

= بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به، فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات. ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه، وهو مذهب القاضي أبي بكر، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق. وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ؛ لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة، مع الإجماع على ذلك من الكافة. والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم إلا حُسينًا النجار؛ فإنه قال: لا قدرة لهم على المعاصي أصلا». اهـ.

(١) عدم عصمة الأنبياء من الصغائر قبل البعثة، هذا قول أكثر أهل السنة والجماعة، وهو رأي أكثر المعتزلة. انظر: «المواقف» (ص٣٥٩) للإيجي؛ و«شرح المقاصد»: (٥/ ٥٠)، للتفتازاني.
وأما عدم العصمة من الصغائر غير المنفِّرة قبل البعثة، فنسب الفخر الرازي هذا الرأي إلى أكثر المعتزلة، كما يُنسب ذات هذا الرأي إلى الزيدية، والذين يتبعون المعتزلة في العقائد أيضًا. انظر: «عصمة الأنبياء»: (ص٢٦) للرازي؛ و«الذخيرة».
أما عدم العصمة من الصغائر بعد البعثة، فهذا الرأي منقولٌ عن بعض المعتزلة. واكتفى التفتازاني بذكر اسم أبي هاشم المعتزلي الجُبّائي؛ ومن بين الأشاعرة أشار إلى إمام الحرمين الجويني. انظر: «شرح المقاصد»: (٥/ ٥٠-٧٠)، للتفتازاني؛ وارتضى هذا الرأي بنفسه.
وقد ذهب الجرجاني إلى اختيار هذا القول أيضًا. انظر: «شرح المواقف»: (٨/ ٢٦٥)، للجرجاني؛ وقد نسبه الإيجي إلى الجمهور، ومراده من ذلك أكثر الأشاعرة وأصحاب الحديث. انظر: «المواقف»: (ص٥٣٩) للإيجي. ونُقل هذا الرأي عن ابن فورك الأشعري أيضًا. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل» (٤/ ٥) لابن حزم الظاهري.
وقال القاضي عياض المالكي في «الشفا» (ص٣٧١-٣٧٤): «وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين. وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف، وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين. وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، قالوا: لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك، وقول ابن عباس وغيره: إن كل ما عُصي الله به فهو كبيرة، وإنه =

.....

لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة ألبتة؛ لأنه لو صدر الذنب عنهم، لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة، وذلك غير جائز، لأن درجة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانت في غاية الجلال والشرف، وكل من كان كذلك، كان صدور الذنب عنه أفحش، ولأنه لو صدرت المعصية من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكانوا مستحقين للعذاب، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[1]، ولاستحق اللعنة، لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

واجتمعت الأمة على أن أحدًا من الأنبياء لم يكن مستحقًّا للَّعن ولا للعذاب، فثبت أنه ما صدرت المعصية منهم؛ لأنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى، فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[4]، فما لا يليق لواحد من وعاظ الأمة، كيف يجوز أن يُنسب إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ! وإليه يشير قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5]، للعموم، فيتناول الكل، ويدخل فيه فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي.

فثبت أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا فاعلين لكل ما ينبغي فعله، وتاركين لكل ما ينبغي

---

= إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه.

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة؛ فمنعها قوم، وجوزها آخرون. والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع». اهـ.

(١) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٢) سورة هود، الآية: ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

.....

تركه، وذلك ينافي صدورَ الذنب عنهم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾(٣) الآية.

فكل هذه الآيات تدل على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرية، وذلك ينافي صدورَ الذنب عنهم، وكذا قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٤)، أوجب أن لا تثبُت الإمامة للظالمين، وإذا لم تثبت الإمامة للظالمين، وجب أن لا تثبت النبوة للظالمين؛ لأن كل نبي لا بدَّ أن يكون إمامًا يُهتم به ويُقتدى به، والآية على جميع التقديرات تدل على أن النبي لا يكون مذنِبا.

وعدد الأنبياء وإن وردت في بعض الأحاديث بمائة ألف وأربعة وعشرين، كما رواه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»(٥)، لكن ينبغي أن لا يُقتصر عليه؛ لئلا يدخل

---

(١) سورة ص، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٥) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٥٨٦)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)؛ والبيهقي في «السنن» (١٨١٦٦) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدد الأنبياء»؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا».
قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٢/ ٤٧٠): «قد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي في كتابه: «الأنواع والتقاسيم»، وقد وَسَمَه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث». اهـ.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/ ١٦٠): «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط =

فيه من ليس منهم، أو يخرج منهم من هو فيهم، بل يُؤمَن بجميع الأنبياء إيمانًا إجماليًّا، تبعًا لقوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾[1]، وكذلك يُؤمَن بالملائكة والكتب إيمانًا إجماليًّا، من غير تفصيل، تبعًا لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾[2].

وأفضل الكتب: القرآن[3]، ثم التوراة[4]، والإنجيل، والزبور، ثم بقية الصحف.

والرسل من الأنبياء ثلاث مائة وثلاثة عشر، وكلهم كانوا مخبِرين مبلِّغين عن الله تعالى، صادقين في أقوالهم، ناصحين للخلق في إرشادهم.

---

= بنحوه، وعند النسائي طرف منه، وفيه المسعودي، وهو ثقة، لكنه اختلط». اهـ.
وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق «صحيح ابن حبان»: (٢/ ٧٩): «إسناده ضعيف جدًّا»، ثم ذكر كلام العلماء في إبراهيم بن هشام.
ولكن صححه أحمد شاكر في «عمدة التفسير»: (١/ ٣٠٩)، كما أشار إلى ذلك في المقدمة، وصححه أيضًا: الألباني في «تخريج مشكاة المصابيح» (٥٦٦٩).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرج الدارمي في «سننه» (٣٤٠٠) عن شهر بن حوشب، قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه»؛ وأخرج عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية»: (٢٨٧، ٣٤٠)؛ واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (٥٥٧) عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ قال: «فضل كلام اللّه على سائر الكلام كفضل اللّه على سائر خلقه». والحديث حسن الإسناد، إلا أن الطريق الأول مرسل.

(٤) قال الإمام القرطبي في «تفسيره» (٤/ ٥) تحت الآية: (٣) من سورة آل عمران ما يلي: «والتوراة معناها الضياء والنور، وقيل: التوراة مأخوذة من التورية، وهي التعريض بالشيء والكتمان لغيره، فكأن أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح، والجمهور على القول الأول؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] يعني: التوراة».

وأولو العزم من الرسل خمسة: محمد ﷺ، وهو أفضلهم، وأفضل الخلق كلهم أجمعين، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم نوح - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، وهم أصحاب الشرائع، كما رُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

قال الإمام محيي السُّنة[2]: وقد ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[3].

وعن عائشه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة، إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها، والصبر عن محبوبها، لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وإني والله ما بُدٌّ لي من طاعته،

---

(١) ذكر البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٠٧) تحت تفسير الآية: ٣٥ من سورة الأحقاف: «وقال ابن عباس وقتادة: هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة». وقال أيضا: «اختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيًّا إلا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز. وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر؛ لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]

وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين. وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى؛ أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة». اهـ.

فائدة: قال القرطبي في تفسيره: (٣/ ٢٤٩) «والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما مُنح من الفضائل، وأُعطي من الوسائل». اهـ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٧) تحت تفسير الآية: ٣٥ لسورة الأحقاف.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

وقد كانت منهم زلات وخطيات، .....

وإني والله ما بُدٌّ لي من طاعته، والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن، ولا قوة إلا بالله»[١].

قال الإمام النسفي في «تفسيره المدارك»[٢]: «ويونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس منهم، أي: من أولي العزم؛ لقوله: ﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾[٣]، وكذا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لقوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[٤].

(وقد كانت منهم) أي: من بعضهم (زلات) أي: تقصيرات (وخطيات)[٥] أي: عثرات، كما وقع لآدم وداود وسليمان.

أما زلة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأكل من الشجرة المنهيَّة وفي الحنطة، فكان صدوره منه عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنسيان لا بالعزم، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[٦]، أو بالخطأ بالتأويل، أو يُحمل النهي على التنزيه دون التحريم، كما أفاده صاحب «المدارك»[٧].

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة»، باب القناعة بالقليل من الدنيا، (٣٩٦٢)؛ قال العلامة المحقق شعيب الأرناؤوط في «تخريج شرح السنة» (٤٠٤٦): «إسناده ضعيف».

(٢) انظر: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»: (٢/ ٣٨٦) تحت تفسير الآية: ١١٥ لسورة طه.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٥) الخطيات جمع خطيئة، والخطايا أيضًا جمع خطيئة، وفي هذا الموضوع قال الشيخ محمد صالح المنجد - فك الله أسره - في موقعه الإلكتروني قولًا حسنا: «استعمال كلمة «خطايا» خطأ كبير؛ لأن الخطايا جمع خطيئة، وهذا مُحال على الرسل، والأصح أن تقول: أخطاء جمع خطأ؛ لأن الخطأ قد يكون عفويًا، وليس كذلك الخطيئة. وأما الخطيئة، فإن الرسل - ومنهم محمد ﷺ - فلم يرتكبوا شيئًا منها بقصد معصية الله تعالى بعد الرسالة، وهذا بإجماع المسلمين، فهم معصومون عن كبائر الذنوب دون الصغائر».

(٦) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٧) انظر: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٢/ ٣٨٦) تحت تفسير الآية: ١١٥ لسورة طه.

.....

وزلة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا كانت من هذا القبيل؛ لأنه رُوي أن أهل زمان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل عن امرأته، فيتزوجها إذا أعجبته، وكان لهم عادة في المواساة بذلك، كما أن الأنصار يواسون المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمثل ذلك، فاتفق أن عين داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وقعت على امرأة أوريا، فأحبها، فسأله النزول عنها، فاستحيى أن يرده، ففعل، فتزوجها، وهي أم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل: «إنك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلًا ليس له إلا امرأة واحدة النزولَ، بل كان الواجب عليك مغالبة هواك، وقهر نفسك، والصبر على ما امتُحِنتَ به»[1].

---

(١) قاله الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٢٥٣).

فائدة: قصة نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قائده أوريا:

قال الشيخ حسام الحفناوي في مقدمة تحقيقه على رسالة «القول المحمود في تنزيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ» للإمام تقي الدين السبكي كلاما محقَّقا، وقد نقلته بتغيير يسير، قال: «مِن أشنع ما نُسب إلى نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ من وقوعه في عشق امرأةِ قائدِه أُوريا؛ وقد نقل نفرٌ من المفسرين والمؤرخين أنه طلب منه أن يتنازل عنها، فاستحيى، ففعل، فتزوجها! ونفرٌ ادَّعوا أن أُوريا لم يكن متزوجًا بها، وإنما كان قد خطبها فقط، فخطب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ على خِطبته. ونفرٌ زعموا أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسل زوجها أُوريا في مقدمة الجيوش في معارك متعددة، مُعَرِّضًا إيّاه للقتل، رَجاءَ أن يُقتل، فيظفر هو بها، فلما قُتل، تزوجها! وهذه الدعاوى كلها مبنيَّةٌ على الإسرائيليات والموضوعات، كما سنبين.

وأحسن حالًا منهم مَنِ انتقى من تلك الإسرائيليات، وقال: إنه لم يقصد قتله؛ ولكنه قُتل في إحدى المعارك مع مَنْ قُتِل من القادة الآخرين، ولم يحزن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كما حزن على غيره، ثم تزوج امرأته. ومنهم مَنْ قال: إن الخصمين المذكورين في الآية التي فُسرت بتلك الإسرائيليات الشنيعة في حق نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كانا من أعدائه، وأرادا قتله، فكان ذنبه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه همَّ بقتلِهما لمَّا علم بذلك، ثم استغفر الله تعالى من ذلك. ومنهم مَنْ قال: كان ذنب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه تعجل في الحكم بينهما بعد سماع كلام أحدهما، دون الآخر.

وقد نبَّه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في «التحرير والتنوير»: (٢٣/ ٢٣٧، ٢٣٨) إلى =

.....

.....

= أن القصة على ما فيها من خلاف موجودة في السفر الثاني من كتاب صمويل، من كتب اليهود. وذكر البرهان البقاعي في «نَظْم الدُّرر»: (ص١٦) أن بعض مَنْ أسلم من اليهود أخبره، أن اليهود يتعمدون ذلك الكذب في حق داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذريته، ليتوصلوا بذلك إلى الطعن في المسيح»!

وقد حاول بعض من نال تفسير القرآن الكريم ممن يضعف في العقيدة والتفكير بدعوى التوفيق بين ما ورد في التوراة من أن داود كان مَلِكًا، وليس نَبِيًّا، وبين ما جاء به القرآن! وقد ردَّ عليه العلاَّمة جمال الدين القاسمي في «محاسن التأويل»: (١٤/ ٥٠٩٢) ردًا متينًا.

ومن العجب العجاب أن نفرًا من المفسرين الكبار والصغار قد سودوا كتبهم بالأخبار المتعلقة بهذه القصة - التي فيها الطامة الكبرى - دون أن يقطعوا بكذبها، واستحالة وقوعها من نبيٍّ من أنبياء الله تعالى، وقد علموا أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومون عن الكبائر، وعن الصغائر مما يعني الخسة والرذالة. وما نقلوا في حقه إما كبيرة أو صغيرة ذات خسة ورذالة!

وإن القلب ليمتلئ حزنًا وكَمَدًا مما يُرى من أمثال الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩١ - ٩٧)، والزَّجَّاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٢٧، ٣٢٨)، والقُشَيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٥٠ - ٢٥٢)، والماوَرْدي في «النُّكت والعيون» (٥/ ٨٩، ٨٥)، وابن عَطِيَّة في «المُحَرَّر الوجيز» (٤/ ٤٩٨، ٤٩٩) يوردون تلك القصص التَّالفة، دون أن يتعرضوا لها بكبير نقد، أو أن يميلوا ميلةً واحدةً على من يُشيعها، فيستأصلون شَأْفَتَه، أو يُلقمونه الحَجَر، لكن المفسرين أجمعوا على نفي نسبة الفاحشة الكبرى إلى نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكروا أثرًا عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنه لم يصِح عن عليٍ كما ذكر ابن العربي المالكي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٣٩)، ونقل الأَلُوسِي في «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٥) عن الحافظ العِراقي تضعيفَه أيضًا، ورجَّح ابن العربي أن مَنْ نسب إلى نبي الله الزنى، فإنه يُقتل، وأن مَنْ نسب إليه ما دون ذلك من الملامسة أو النظر، مختلفٌ فيه، فإن صمَّم، فإنه يُعَزَّر.

وانظر: «محاسن التأويل» (١٤/ ٥٠٨٩)، و«أضواء البيان» (٤/ ٥٣٦ - ٥٣٨) ففيهما إشارات إلى كلام أهل العلم في عِصمة الأنبياء. وتفصيل ذلك في كتب العقائد، والملل والنحل. وقد صَنَّف قومٌ في عِصمة الأنبياء، منهم ابن اللبَّاد المالكي، كما في ترجمته من =

.....

.....

= «السِّير» (١٥/ ٣٦٠)، والشمس الكردري الحنفي، كما في «كشف الظنون» (١/ ٣٣٣)، والفخر الرازي المتكلم، وهو مطبوع. وللقاضي عياض في «الشِّفا» مبحثٌ طويل في هذه المسألة، فانظره (٢/ ٨٥ - ١٥٣)، وهو الباب الأول من القسم الثالث من الكتاب. وآخرون كأبي جعفر النَّحاس في «إعراب القرآن» كما في «تفسير القرطبي» (١٥/ ١١٥)، والزَّمَخْشَرِي في «الكَشَّاف» (٤/ ٨٠، ٨١)، وتبعه النَّسَفِي في «مَدارك التنزيل» (٣/ ١٠٠٧) ذهبوا إلى أنه طلب منه أن يتنازل عنها كما تقدم ذِكْرُه.

ورَجَّح هذا أيضًا الشوكاني في «فتح القدير» (٤/ ٥٩٩، ٦٠٠)، وكذا تلميذه صديق حسن خان في «فتح البيان» (١٢/ ٣٢)؛ إذ كان هذا من الجائز في شرعهم - على حدِّ قولهم - قال أبو جعفر النَّحاس: وليس هذا بكبيرٍ من المعاصي، ومَنْ تخَطَّى إلى غير هذا، فإنما يأتي بما لا يَصِحُّ عن عالمٍ، ويَلْحَقُه فيه إثمٌ عظيم، وقال في معاني القرآن - كما في المصدر السابق: قد جاءت أخبارٌ وقِصَصٌ في أمر داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأكثرها لا يصح، ولا يَتَّصِلُ إسْنادُه، ولا ينبغي أن يُجْتَرأ على مثلها إلا بعد المعرفة بصحتها، وأصحُّ ما رُوي في ذلك: ما رواه مسروق، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «ما زاد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنْ قال: أَكْفِلْنِيها، أي: انْزِل لي عنها»، ثم ذكر رواية المنهال، عن سعيد بن جبير نحوها، ثم قال: فهذا أَجَلُّ ما رُوي في هذا، وذَكر أن هذا كما يسأل الرجلُ الرجلَ أن يبيعه جاريته، واستَشهد غيرُ واحدٍ، منهم: ابن العربي في «أحكام القرآن»، و«الزمخشري» في «الكشاف» (٤/ ٨٠، ٨١) على عدم النَّكارة في هذا بقصة عبد الرحمن بن عوف مع سعيد بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حين أراد سعيدٌ أن يتنازل له عن إحدى زوجتيه؛ ليتزوجها عبد الرحمن - والقصة في صحيح البخاري، (ح ١٩٤٣، ١٩٤٤، ٤٧٨٥)، قال ابن العربي: «وما يجوز فِعْلُه ابتداء، يجوز طَلَبُه، لكنه استبعد ثبوت قصة طلب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ من أوريا التنازل عنها من حيث الإسناد».

وقد نبَّه القاسمي في «محاسن التأويل» (١٤/ ٥٠٨٩) أن الآثار الواردة في هذا الباب عن الصحابة والتابعين إنما تَلَقَّوها عن أهل الكتاب، وما نبَّه عليه واضحٌ جدًا؛ إذ لم يثبت عن النبي ﷺ في هذه القصة شيء، كما ذكره غير واحد من أهل العلم بالأسانيد، ومنهم: القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ١٤٤)، ونقله عن غير واحد، والحافظ ابن كثير في «تفسيره» =

.....

.....

= (٤/ ٣١)، كما مر معنا كلام الطَّاهر ابن عاشور أن القصة موجودةٌ في السِّفر الثاني من كتاب صَمْويل من كتب اليهود، كما أن ما ذهب إليه القاسمي، من تَلَقِّيهم تلك الآثار عن بني اسرائيل، مَبْني على ثبوت هذه الآثار عن الصحابة والتابعين، وفي هذا نَظَر أيضًا. وقد نقل القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ١٤٤، ١٤٥) عن أحمد بن نصر، وأبي تَمَّام، وغيرهما من المحققين نَفْيُ إضافة الأخبار الواردة في ذلك إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونقل عن الداودي أن قصة داود وأوريا ليس فيها خبرٌ يَثْبُت. وأما وَصْفُ النحاس لما ورد عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير، بأنه أصح ما ورد في ذلك، فلا يلزم منه صحة إسنادهما، كما لا يخفى على من له اطلاع على كلام أهل الحديث؛ إذ يُكثرون من قولهم: أصحُّ ما ورد في هذا كذا، أو أصحُّ ما في الباب كذا، أو هذه الرواية أصحُّ من تلك، فقد يكون هذا من قبيل المفاضلة بين صحيحين، أحدهما أصحُّ من الآخر، وقد يكون من باب ذِكر ما هو أصحُّهما وأقواهما، وإن كان كلاهما ضعيفين، وهناك صور أخرى لهذه العبارة، انظرها في «شرح لغة المحدِّث» لأبي معاذ طارق بن عِوض الله حفظه الله (ص١٢٥-١٣٢).

وقد حكى الزمخشري والنسفي وغيرهما أن أوريا لم يكن متزوجًا بها، بل كان قد خطبها فقط، فكان ذنب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه خطب على خِطبة أخيه، وهذا ما رجَّحه أبو بكر الجَصَّاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٩٩)، وقطع به، ونقل القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٦) عن إلْكِيَا الهرَّاس الطبري في «أحكام القرآن» له، أن هذا هو قول المحققين الذين يرون تنزيه الأنبياء عن الكبائر.

وقوم من المفسرين رأوا أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فزع من قوم دخلوا عليه، مع كون سور المحراب يَعْسُر ارتقاؤه، والحُرَّاس يُحيطون به، فظن داود أنهم جاؤوا لقتله، فلما برز منهم اثنان للخصومة، علم أن ظنه لم يكن صوابًا، فاستغفر الله من هذا الظن، حكاه الفخر الرازي في «تفسيره الكبير» (٢٦/ ١٩٣)، ومال إليه أبوحيَّان في «البحر المحيط» (٩/ ١٥١).

ومنهم من قال: بل دخلا عليه ليقتلاه، فوجدا عنده أقوامًا يمنعونه منهما، فاختلقا خصومة لا أصل لها، وعلم داود بما عزما عليه، فأراد أن يُوقِع بهما، ثم عفا عنهما، واستغفر. حكاه الفخر الرازي في «التفسير الكبير» (٢٦/ ١٩٣)، والنَّيْسَابُوري في «غرائب القرآن» بهامش الطبري (٢٣/ ٩٢، ٩٣)، وقوَّاه الأخير، غير أنه زاد أنه لما عفى عنهما، دخل قلبَه شيءٌ من العُجْب، =

.....

.....

= فاستغفر الله من تلك الحالة، وأقرَّ بأن إقدامه عليها كان بتوفيق الله تعالى له، ورأى النيسابوري أن هذا القول لا يدل على صدور ذنب عن نبي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وختم كلامه (٢٣/ ٩٦) بقوله: لا يخفى أن الأحوط السكوت عما لا يرجع إلى طائل، بل يحتمل أن يعود إلى قائله لومٌ عاجل، وعقابٌ آجل.

واحْتَمَل الفخر الرازي في الموضع السابق أن يكون داود عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما استغفر لمن دخل عليه يريد قتله، وقد تَعَقَّب هذا من حيث اللغة والسِّياق غيرُ واحد.

وحكى النحاس - كما في القرطبي (١٥/ ١١٥) -، والقُشَيري، والماوَرْدِي أن ذنب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان هو التَّعجُّل في إصدار الحكم، بمجرد سماع دعوى أحد الخصمين، وهذا ما رَجَّحه الفخر الرازي (٢٦/ ١٩٣، ١٩٤)، وذكر له أربعة وجوه تعضده. وقد استبعد (ابن العربي) المالكي هذا الرأي، ولم يَسْتَسِغْ أن يقع لنبي مثل هذا، ثم حكى ما ذكره بعضهم أن نبي الله لم يحكم لأحدهم حتى اعترف الآخر، وأقَرَّ. وحكاه الماوردي، والقشيري أيضا، وقال الأخير: وقد رُوي هذا، وإن لم تَثْبُت روايته، فإنه معلوم من قرائن الحال. قالوا: أو تقديره: لقد ظلمك إن كان كذلك، واحْتمل القشيري أن يكون من شرعهم التعويل على قول المُدَّعِي، عند سكوت المُدَّعَى عليه.

واسْتَظْهَر أبو عبد الله الحَليمي الفقيه الشافعي في كتاب «منهاج الدين» له كما حكاه القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١١٧) أنه رأى في المتكلم مَخايل الضعف والهَضيمة - أي: الظلم، والغصب، والقهر - فحمل أمره على أنه مظلوم كما يقول، ودعاه ذلك إلى عدم سؤال الخصم، وقد ضَعَّف هذا غير واحد، منهم: أبو حيان في البحر.

أما ابن حزم، فإنه ذهب في «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٥) إلى كون داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ظن أن يكون ما آتاه الله عَزَّوَجَلَّ من سعة الملك العظيم فتنة؛ فقد كان رسول الله ﷺ يدعو أن يُثَبِّت الله قلبه على دينه، فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة، وحكاه القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ١٤٤)، ولم يُسَمِّ من قال به، بل قال: قيل كذا، فذكره.

وقد آثر الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١)، وفي «البداية والنهاية» (٢/ ١٦) الإعراض =

.....

.....

= عن الأخبار الواردة في القصة جُملةً، ورأى أن الأولى الاقتصار على مجرد تلاوة القصة، وأن يُردَّ علمُها إلى الله تعالى.

أما الألُوسِي، فإنه رأى في «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٦) أن ترك الأخبار بالكلية في القصة مما لا يكاد يقبله المُنْصِف، نعم، لا يقبل منها ما فيه إخلالٌ بمَنْصِب النبوة، ولا يقبل تأويلًا يندفع معه ذلك، ولا بدَّ من القول بأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن منه إلا ترك ما هو الأولى بعَلِيِّ شأنه، والاستغفار منه، وهو لا يُخِلُّ بالعصمة.

وللعلامة ابن القيم في «الداء والدواء» (ص٣٠٣) قولٌ يظهر منه أنه يُقرُّ ببعض القصة؛ حيث قال وهو يتكلم عن تدواي العاشق بنكاح المعشوقة إن أمكن ذلك، كأن تكون بلا زوجٍ، فيتزوجها إن كان مُوسرًا، أو تكون جارية فيشتريها: فنكاح المعشوقة هو دواء العشق، الذي جعله الله دواء شرعًا، وقد تداوى به داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يرتكب نبي الله محرمًا، وإنما تزوج المرأة، وضمَّها إلى نسائه؛ لمحبته لها، وكانت توبته بحسب منزِلته عند الله، وعُلو مَرتبته، ولا يليق بنا المزيد على هذا. انتهى. قال العلامة «القاسمي في «محاسن التأويل» (١٤/ ٥٠٩٢): وهذا منه تسليمٌ ببعض القصة، لا بتمامها، وهو من الأقوال فيها.

وقول ابن القيم: جعله الله دواءً شرعًا، يشير إلى الحديث الذي أخرجه ابن ماجه (ح١٨٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧، ٥٠)، واللفظ لهما، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: «لم يُرَ للمُتحابَّين مثل النكاح». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه؛ لأن سفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد أوقفاه، عن إبراهيم بن ميسرة، عن ابن عباس، وأقرَّ الذهبيُّ الحاكم على تصحيحه، وصحَّح البُوصيري في «زوائد ابن ماجه» إسناد الحديث عنده، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (ح٧٣٦١) لابن ماجه والحاكم، ورَمَز لضعفه، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (ح٥٢٠٠).

وليس لي حول هذا الحديث بحث مطول، والله أعلم.

هذا ما استُلخِص من كلام المفسرين في المسألة. وإذا أردت المزيد من الاطلاع على أقوال الأئمة في الذَّبِّ عن نبي الله داود، وإنكار قصة أوريا من أساسها، وإلصاق التهمة باليهود في افترائها، والتشنيع على من يرددها، فانظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، =

.....

.....

= لأبي محمد ابن حزم (٤/ ١٤، ١٥)، و«أحكام القرآن» للقاضي أبي بكر ابن العربي المالكي (٤/ ١٦٣٠ - ١٦٣٩)، و«الشفا»، للقاضي عياض (٢/ ١٤٤، ١٤٥)، و«مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (٢٦/ ١٨٩ - ١٩٩)، و«الانتصاف من الكشاف»، لابن المنير السَّكَندري بحاشية «الكشاف» (٤/ ٨٨، ٨٩)، و«تفسير الخازن» (٤/ ٣٤-٣٧)، و«البحر المحيط»، لأبي حيان الأندلسي (٩/ ١٤٦-١٥١)، فهؤلاء بعض من سبقوا المصنف.

وممن لَحقوه: الحافظُ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١)، و«البداية والنهاية» (٢/ ١٦)، والبُرهان البِقاعي في «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (١٦/ ٣٥٥ - ٣٦٥)، والشنقيطي في «أضواء البيان» (٧/ ٢٤). انتهى ما قال الحفناوي.

قول الشيخ محمد أبو شهبة حول هذا البحث:

ولن يستوفى هذا البحث إلا بما قال الشيخ محمد أبو شهبة في كتابه الشهير: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، فإنه رد فيه المزاعم السيئة في حق نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، لذلك أنقل ما قال برمته. قال: «الإسرائيليات في قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ومن الإسرائيليات التي تخل بمقام الأنبياء، وتنافي عصمتهم، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود عَلَيْهِ السَّلَامُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢١-٢٥].

فقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم والبغوي والسيوطي في: «الدر المنثور» من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، ولا يوافق عقلًا ولا نقلا، عن ابن عباس ومجاهد ووهب بن منبه وكعب الأحبار والسدي وغيرهم ما محصلها: أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ حدث نفسه: إن ابتلي أن يعتصم، فقيل له: إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه، فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق بابه، وأقعد خادمه على الباب، وقال: =

.....

.....

= لا تأذن لأحد اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور؛ إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، وكان زوجها غازيًا في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعله في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقتل.

وفي بعض هذه الروايات الباطلة أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها، خطبها داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتسور عليه الملكان، وكان ما كان، مما حكاه الله تعالى. ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة والتابعين، ومسلمة أهل الكتاب؛ بل جاء بعضها مرفوعًا إلى النبي ﷺ!

قال صاحب «الدر»: وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ حين نظر إلى المرأة، قطع على بنى إسرائيل وأوصى صاحب الجيش، فقال: إذا حضر العدو فقرب فلانًا بين يدي التابوت»، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم معه الجيش، فقتل، وتزوج المرأة، ونزل الملكان على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، فأكلت الأرض جبينه، وهو يقول في سجوده: «رب زلَّ داود زلةً أبعد مما بين المشرق والمغرب، رب إن لم ترحم ضعف داود، وتغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثًا في المخلوق من بعده، فجاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعد أربعين ليلة، فقال: يا داود إن الله قد غفر لك، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا رب دمي الذي عند داود، قال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، فعرج جبريل، وسجد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمكث ما شاء الله، ثم نزل، فقال: قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلني فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هب لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت، وما اشتهيت عوضا»، وقد رواها البغوي أيضًا عن طريق الثعلبي، والرواية منكرة =

.....

.....

= مختلقة على الرسول. وفي سند هذه الرواية المختلقة على رسول الله ﷺ: ابن لهيعة، وهو مضعف في الحديث، وفي سندها أيضا: يزيد بن أبان الرقاشي، كان ضعيفا في الحديث.
وقال فيه النسائي، والحاكم أبو أحمد: إنه متروك، وقال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل، غفل عن حفظ الحديث شغلًا بالعبادة، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي ﷺ فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب.
وقال العلامة ابن كثير في «تفسيره»: «وقد ذكر المفسرون ههنا قصة، أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة».
ومن ثم يتبين لنا: كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى رسول الله ﷺ، ولا نكاد نصدق ورود هذا عن المعصوم، وإنما هي اختلاقات، وأكاذيب من إسرائيليات أهل الكتاب، وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحالة صدور هذا عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يكون على لسان من كان حريصًا على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم، وهو: نبينا محمد ﷺ ومثل هذا التدبير السيء، والاسترسال فيه على ما رووا لو صدر من رجل من سوقة الناس وعامتهم، لاعتبر هذا أمرًا مستهجنًا مستقبحا، فكيف يصدر من رسول جاء لهداية الناس، زكت نفسه، وطهرت سريرته، وعصمه الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم؟!
ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، ولنفرت منه الناس، ولكان لهم العذر في عدم الإيمان، فلا يحصل المقصد الذي من أجله أرسل الرسل، وكيف يكون على هذه الحال من قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥]، قال ابن كثير في تفسيرها: وإن له يوم القيامة لقربة الله عَزَّوَجَلَّ بها وحسن مرجع وهو: الدرجات العالية في الجنة لنبوته وعدله التام في ملكه، كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يقسطون في حكمهم وما ولوا»، وقال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إليَّ يوم القيامة وأقربهم مني مجلسًا إمام عادل، وإن أبغض الناس إلي يوم =

.....

.....

= القيامة، وأشدهم عذابًا إمام جائر»، رواه أحمد، والترمذي.

ولكي يستقيم هذا الباطل قالوا إن المراد بالنعجة هي: المرأة، وأن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة، ورووا أن الملكين لما سمعا حكم داود، وقضاءه بظلم صاحب التسع والتسعين نعجة لصاحب النعجة، قالا له: وما جزاء من فعل ذلك؟ قال: يقطع هذا، وأشار إلى عنقه، وفي رواية: «يضرب من ههنا، وههنا وههنا»، وأشار إلى جبهته وأنفه وما تحته، فضحكا، وقالا: «أنت أحق بذلك منه، ثم صعدا».

وذكر البغوي في «تفسيره» وغيره، عن وهب بن منبه: أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمعه ليلًا ولا نهارا، وكان أصاب الخطيئة، وهو ابن سبع وسبعين سنة، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسيح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، ويبكي معه الشجر، والرمال، والطير، والوحش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، وتبكي معه الجبال، والحجارة، والدواب والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي، وتبكي معه الحيتان، ودواب البحر وطير الماء والسباع ...

والحق: أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا، وليس هذا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وهي التي عليها المعول، وليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته إلى مجازه، ولا ما يصرف القصة عن ظاهرها إلى الرمز والإشارة.

وما أحسن ما قال الإمام القاضي عياض: «لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه في قصة داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤]، وليس في قصة داود، وأوريا خبر ثابت».

والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي، قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم، وقد روي عن سيدنا علي أنه قال: «من حدث بحديث =

.....

.....

= داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة، وذلك حد الفرية على الأنبياء»، وهو كلام مقبول من حيث المعنى، إلا أنه لم يصح عن الإمام ذلك كما قال العراقي.

إذن ما هو التفسير الصحيح للآيات؟

وإذا كان ما روي من الإسرائيليات الباطلة التي لا يجوز أن تفسر بها الآيات، فما التفسير الصحيح لها إذا؟ والجواب: أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد وزع مهام أعماله، ومسؤولياته نحو نفسه، ونحو الرعية على الأيام، وخص كل يوم بعمل، فجعل يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء وفصل الخصومات، ويومًا للاشتغال بشؤون نفسه وأهله، ويومًا لوعظ بني إسرائيل. ففي يوم العبادة: بينما كان مشتغلًا بعبادة ربه في محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، ولم يدخلا من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، وفزع فزعًا لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلًا عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل، الواثقين بحفظه، ورعايته ومثل الأنبياء في علوِّ شأنهم، وقوة ثقتهم بالله والتوكل عليه ألا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنبًا في العادة، إلا أنه بالنسبة وظن بهما سوءا، وأنهما جاءا ليقتلاه، أو يبغيا به شرا، ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه، فلما قضى بينهما، وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما، استغفر ربه، وخر ساجدا لله تعالى؛ تحقيقًا لصدق توبته والإخلاص له، وأناب إلى الله غاية الإنابة.

فهذا بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى، والأليق بهم، وقديمًا قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، فالرجلان خصمان حقيقة، وليسا ملكين كما زعموا، والنعاج على حقيقتها، وليس ثمة رموز ولا إشارات، وهذا التأويل هو الذي يوافق نظم القرآن ويتفق وعصمة الأنبياء، فالواجب الأخذ به، ونبذ الخرافات، والأباطيل، التي هي من صنع بني إسرائيل، وتلقفها القصاص وأمثالهم ممن لا علم عندهم، ولا تمييز بين الغث والسمين. وقيل: إن الذي صنعه داود: أنه خطب على خطبة أوريا، فآثره أهلها عليه، وقد كانت الخطبة على الخطبة حرام في شريعتهم، كما هي حرام في شريعتنا.

وقيل: إنه طلب من زوجها أوريا أن ينزل له عنها، وقد كان هذا في شريعتهم، ومستساغًا عندهم، وقيل: إنه أوخذ؛ لأنه حكم بمجرد سماعه لكلام أحد الخصمين، وكان عليه أن =

.....

وكذا زلة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت: ترك الاستثناء في القول، لا غير؛ لما روي عن النبي ﷺ، قال سليمان: «لأطوفن الليل على سبعين امرأة، كل واحدة منهن تأتي بفارس، يجاهد في سبيل الله تعالى»، ولم يقل: «إن شاء الله»، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، فجيء به على كرسيه، فوضع في حجره،

---

= يسمع كلام الخصم الآخر، وقد قيل: إذا جاءك أحد الخصمين، وقد فقئت عينه، فلا تحكم له؛ لجواز أن يكون خصمه قد فقئت عيناه، وهذه الأقوال الثلاثة ونحوها لست منها على ثلج، ولا اطمئنان؛ فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة لكنها تخدشها، ثم هي لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق، وهم الأنبياء؛ فالوجه الجدير بالقبول في تفسير الآيات هو الأول فعض عليه، واشدد به يديك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٧/ ٦٩): قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثًا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يُقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا».

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عَزَّوَجَلَّ في «أضواء البيان» (٦/ ٣٣٩): «واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، مما لا يليق بمنصب داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كله راجع إلى الإسرائيليات، فلا ثقة به، ولا معوّل عليه، وما جاء منه مرفوعًا إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء».

وقال السيوطي: «القصة التي يحكونها في شأن المرأة وأنها أعجبته، وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل، أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعا، وفي إسناده ابن لهيعة، وحاله معروف - عن ابن صخر، عن زيد الرقاشي، وهو ضعيف».

قال البقاعي: «وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود - وقد أخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذريته؛ ليجدوا سبيلًا إلى الطعن فيه». انتهى ما قال الشيخ محمد أبو شهبة.

.....

فوالذي نفس محمد بيده، لو قال: «إن شاء الله تعالى، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعين»[1].

قال صاحب «المدارك»: «وهذا؛ أي: إطلاق لفظ الزلة مصرَّحًا به في قضية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلة على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كما قاله مشايخ بخارى؛ فإنما اسم الفعل، يقع على خلاف الأمر بغير قصد إلى الخلاف، كزلة الماشي في الطين. وقال مشايخ سمرقند: لا يطلق اسم الزلة على أفعالهم، كما لا تطلق المعصية، وإنما يقال: فعلوا الفاضل، وتركوا الأفضل، فعوتبوا»[2].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٤٢٤)؛ ومسلم في «صحيحه» (١٦٥٤). وهذا الحديث مروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أن الحديث روي من طرق بألفاظ مختلفة في بيان عدد النساء. قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٣٠): «فمحصل الروايات ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، والجمع بينها أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين، فمن قال: تسعون ألغى الكسر، ومن قال: مائة جبره». وقال أيضًا في «الفتح»: «وقد حكى وهب بن منبه في «المبتدأ»: أنه كان لسليمان ألف امرأة، ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية». اهـ.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» للنسفي (١/ ٣٨).

## [عقيدتنا في محمد رسول الله ﷺ]

ومحمد رسول الله ﷺ نبيه وعبده ورسوله .....

(ومحمد رسول الله ﷺ نبيه وعبده ورسوله) وتقديم العبودية [لتَقدُّم][1] وجوبها على الرسالة؛ إذ ما من نبي ولا رسول إلا هو عبد خصه الله تعالى بالنبوة والرسالة، فتكون العبودية هي الفخر الأول للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم يتشرفون بواسطة تلك العبودية إلى حدِّ النبوة والرسالة التي هي غاية للافتخار لعباد الله تعالى.

والنبوة أعم من الرسالة؛ إذ كل رسول نبي، لا بالعكس؛ لأن الرسول واضع شرع، والنبي حافظه، والوحي والنبوة مشترك بينهما، فيكون كلُّ رسول نبيًّا، من حيث الوحي والنبوة، ولا يكون كل نبي رسولا؛ لفقدان الشرع[2]، فإيراد الرسالة على النبوة

---

(١) كان في المخطوط: «لتقدمها»، مع ضمير التأنيث، وذلك خطأ؛ فإن المضاف إليه اسم الظاهر، دون الضمير مما لا يخفى.

(٢) كلام الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ كله مبني على رأي أكثر العلماء، من أن بين النبي والرسول فرقا. قال الخطابي في «أعلام الحديث» (١/ ٢٩٨): «والفرق بين النبي والرسول: أن النبي هو المنبوء المُنبأ المخبر، فعيل بمعنى مفعل، والرسول هو المأمور بتبليغ ما نبئ وأخبر به، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا».
وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ١١٢): «قال القرطبي تبعًا لغيره: هذا حجة لمن لم يجز نقل الحديث بالمعنى، وهو الصحيح من مذهب مالك؛ فإن لفظ النبوة والرسالة مختلفان في أصل الوضع: فإن النبوة من النبأ وهو الخبر، فالنبي في العرف: هو المنبئ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفا، وإن أمر بتبليغه إلى غيره فهو رسول، وإلا فهو نبي غير رسول؛ وعلى هذا فكل رسول نبي، بلا عكس؛ فإن النبي والرسول اشتركا في أمر عام، وهو النبأ، وافترقا في الرسالة، فإذا قلت: فلان رسول، تضمن أنه نبي رسول. وإذا قلت: فلان نبي لم يستلزم أنه رسول».
وقال ابن الملقن في «المعين على تفهم الأربعين» (ص٣٩): «والرسل: جمع رسول، وهو: المأمور بتبليغ الوحي إلى العباد، وهو أخصُّ من النبي؛ فإنه: الذي أوحيَ إليه العمل والتبليغ، =

وصفيه، .....

تكون كرامة على كرامة من الله تعالى.

(وصفيه) أي: الذي اصطفاه من بين خليقته، وفضَّله على جميع الأنبياء والرسل، لقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[1].

قال الإمام النسفي في «تفسيره»[2]: «ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء، فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضلَ منهم بدرجات كثيرة، وهو محمد ﷺ؛ لأنه هو المفضَّل عليهم [بإرساله][3] إلى الكافة؛ فإنه أوتي ما لم يُؤتَ أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف أو أكثر[4]، وأكبرها القرآن[5]؛ لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر».

---

= بخلاف النبي، فإنه: أوحي إليه العمل فقط».
وقال بدر الدين العيني في «البناية شرح الهداية» (١/ ١١٦): «الفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول: من بعث لتبليغ الوحي، ومعه كتاب، والنبي: من بعث لتبليغ الوحي مطلقا، سواء كان بكتاب، أو بلا كتاب. كذا قال الشيخ قوام الدين الأترازي في شرحه. ثم قال: «والصحيح هنا: أن الرسول من نزل عليه الكتاب، أو أتى إليه ملك، والنبي من يُوْقِفُه الله تعالى على الأحكام، أو تبع رسولًا آخر».

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل»: (١/ ٢٠٩) للنسفي، تحت تفسير الآية ٢٥٣ لسورة التوبة.

(٣) كان في المخطوط: «بالرسالة»، والصحيح ما أثبته.

(٤) معجزات النبي ﷺ كثيرة متعددة، وقد جاوزت الألف، كما صرح بذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إغاثة اللهفان»: (٢/ ٦٩١)، حيث قال: «إن عدد معجزات رسول الله ﷺ قد زاد عن الألف معجزة».

(٥) أجمعت الأمة على أن القرآن أكبر معجزة للنبي ﷺ، وهو أعجوبة بإعجازه، والإعجاز مشتق من العجز، وهو الضعف أو عدم القدرة، وفي اصطلاح العلماء: هو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، ويقصد بإعجاز القرآن: إعجاز القرآنِ الناسَ أن يأتوا بمثله، أي: نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله. وقد تحدى الله المشركين =

.....

.....

= أن يأتوا بمثل القرآن أو أن يأتوا بعشر سور من مثله، فعجز عن ذلك بلغاء العرب، وأذعنوا البلاغته وبيانه وشهدوا له بالإعجاز، وما زال التحدي قائمًا لكل الإنس والجن، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فائدة: لماذا كان القرآن الكريم أكبر معجزة للرسول ﷺ؟

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تحت عنوان: «أبواب معجزاته ﷺ» لكتابه: «الوفا بفضائل المصطفى»: (١/ ١٩٢) ما يلي: «لما غلب السحر في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، جاءهم بجنسه في معجزاته، ففلق البحر وألقى العصا، ولما غلب الطب في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، جاءهم بجنسه، فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه، ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر والنظم والنثر في زمن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، جاءهم بالقرآن». اهـ.

أما أوجه إعجاز القرآن، فقد أوضحها العالم المصري وشيخ الأزهر الشريف الدكتور عبد الحليم محمود (ت ١٩٧٨ م.) في كتابه: «دلائل النبوة ومعجزات الرسول»: (ص١٤٩-١٧٥) قائلًا: إن القرآن معجز من عدة أوجه:

١ - ما يشتمل عليه من فصاحة وبلاغة في الإيجاز والإطالة.

٢ - مقارنته لأساليب الكلام وأوزان الأشعار، وهذان الوجهان وقف العرب متحيرين أمام معجزة الرسول الكبرى، وعجزوا عن الإتيان بمثلها، وأقروا بفضلها.

٣ - ما تضمنه القرآن من أخبار الأمم السابقة وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب، على الرغم أن الذي جاء بالقرآن أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولا علم له بتلك الأخبار.

٤ - إخبار القرآن عن العيوب المستقبلية التي تدل بقطعية على صدقه لوقوعها على ما أخبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله في أبي لهب وزوجته: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ...﴾ [المسد: ٣-٤] وهو دليل على أن كل واحد منهما يموت على الكفر، وهذا ما حدث بالفعل.

٥ - إن القرآن الكريم محفوظ من الاختلاف والتناقض، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ=

.....

وهو خاتم الأنبياء، وناسخ لما قبله من الشرائع الموسوية والعيسوية، وأيّده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، كانشقاق القمر بإشارته[1]، وتسبيح

---

= ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. اهـ.

وقد لفت الإمام ابن الجوزي النظرَ إلى أمرين آخرين، ذكرهما في كتابه: «الوفا بفضائل المصطفى»: (١/ ١٩٢)؛ وهما: أن معجزات الأنبياء ذهبت بوفاتهم، لكن ظلت معجزة القرآن قائمة للأبد؛ ليظهر صدقه بعد وفاته، وليس صدقه وحده؛ بل صدق الأنبياء جميعهم قبله أيضًا، فهو مصدق لهم ومخبر عن حالهم. والأمر الآخر: أن القرآن أخبر أهل الكتاب أن محمدًا مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وشهد لحاطب بالإيمان، ولعائشة بالبراءة، قال ابن الجوزي: «فلو علم حاطب وعائشة من أنفسهما خلاف ما شهد لهما به نفرا عن الإيمان».

ونقل الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه السالف الذكر ما ذكره الكاتب القرنسي «اتيين دينيه» الذي أسلم وحج إلى بيت الله الحرام، وله مؤلفات كثيرة في الإسلام، عن إعجاز القرآن الكريم، مؤكدًا نفس المعنى السابق من أن معجزة القرآن الكريم ليست وقتية؛ بل هي معجزة خالدة، حيث ذكر اتيين دينيه: «في هذه المعجزة نجد التعليل الشافي للانتشار الذي أحرزه الإسلام، ذلك الانتشار الذي لا يدرك سببه الأوروبيون؛ لأنهم يجهلون القرآن، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمات لا تنبض بالحياة فضلًا عن أنها غير دقيقة». اهـ.

(١) أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٦٣٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

وأخرج مسلم في «صحيحه» (٢٨٠٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٨٥): «وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجًا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر».

.....

الحصى[1]، وحنين الجذع على مفارقته[2]، وتسليم .....

(١) أخرج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٣٢٧)؛ والبزار في «المسند» (١٣٥١٣) وغيرهما بطرق مختلفة عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إني لشاهد عند النبي ﷺ في حلقة وفي يده حصيات فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى أبي بكر، فسبحن مع أبي بكر يسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي ﷺ إلى عمر فسبحن في يده يسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى عثمان فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٩): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن أبي حميد، وهو ضعيف». كما ذكره أيضًا من طريق سويد بن يزيد في «المجمع» (٨/ ٢٩٨)، وقال فيه: «رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف». قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٩٢): «وأما تسبيح الحصى، فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها». والحديث بمجموع طرقه يصح، أو يحسن.

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٥٨٥) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت».
وأخرج أحمد في «المسند» (١٣٣٦٣)؛ وابن ماجه في «السنن» (١٤١٥)؛ والدارمي في «السنن» (٣٩)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٨٧) (١٢٨٤١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ، كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر حَنَّ الجذع، فاحتضنه فسكن، فقال: «لو لم أحتضنه، لحن إلى يوم القيامة». قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج «المسند» (٥/ ١٤٤): «إسناده صحيح».
وفي «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٥٩٩): «وكان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث يبكي، ويقول: «يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه»؟!
ونقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي، قال: «ما أعطى الله نبيًّا ما أعطى محمدًا ﷺ، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى =

.....

الشجر والحجر عليه[١]، وكلام البهائم والشهادة برسالته[٢]، .....

= محمدًا ﷺ حنين الجذع حتى سُمِع صوته، فهذا أكبر من ذلك». انظر: «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (٢/ ٧) للسمهودي.

(١) أخرج الدارمي في «سننه» (١٦)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٨٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا مع رسول ﷺ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا قال له النبي ﷺ: أين تريد؟ قال: إلى أهلي، قال: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: مَنْ شاهد على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض خدًّا [تأتي بسرعة] حتى جاءت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: إن يتبعوني آتيك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك».
أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٢٩٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩٢): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى والبزار». وأورده ابن كثير في «البداية» (٦/ ١٢٥) وعزاه للحاكم. وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب» (١٥/ ٥٥٢ رقم ٣٨١٤)، وقال: صححه ابن حبان».
وأخرج الترمذي في «الجامع» (٣٦٢٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله». قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢١٦): «إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما». وحسنه الحافظ في «هداية الرواة» (٣/ ١٥).
وأخرج مسلم في «صحيحه» (٢٢٧٧) عن جابر بن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة، كان يسلم علي قبل أن أُبْعَث، إني لأعرفه الآن».

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (١١٧٩٢) عن أبي سعيد الخدري، قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه قال: «ألا تتقي الله، تنزع مني رزقًا ساقه الله إلي؟». فقال: «يا عجبي ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس»! فقال الذئب: «ألا أخبرك بأعجب من ذلك، محمد ﷺ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق». قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، =

.....

وتفجير الماء من بين أصابعه[1]، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى ولا تعد.

فمن جملة أنه جَلَّ جَلَالُهُ أنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعروجه إلى السماء، ورؤيته عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالى، كما هو المذكور في حديث الإسراء بطوله على رواية «الصحيحين»[2].

---

= فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم فأخبرهم. فقال رسول الله ﷺ: «صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده».
وقال الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٦٧): «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وقال البيهقي: «هذا إسناد صحيح». وقال ابن كثير في كتابه «معجزات النبي» (١٧٥): «وهذا إسناد على شرط الصحيح، وقد صححه البيهقي ولم يروه». وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٨/ ٢٩١)، وقال: «رواه أحمد، والبزار بنحوه باختصار، ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح». وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: «رجاله ثقات رجال الصحيح».

(١) أخرج النسائي (٧٨)؛ وابن خزيمة (١٤٤)؛ وابن حبان (٦٥٤٤) باختلاف يسير عن أنس بن مالك: طلب بعض أصحاب النبي ﷺ وضوءًا فلم يجدوا، فقال النبي ﷺ: هاهنا ماء؟ فأُتي بماء، فوضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ثم قال: توضؤوا بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ﷺ.

(٢) أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٦٧٤) عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر، مضطجعا، إذ أتاني آت، فقد قال: وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته - فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا، فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض - فقال له الجارود: هو =

.....

.....

= البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم - يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى إذا أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردًا، ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إلى إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي، حتى إذا أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى إذا أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه، قال: نعم، قال: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، =

.....

وروى الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ»[1]، فلو صح حديث الرؤية، لكان رؤيته ﷺ له جَلَّ جَلَالُهُ بالفؤاد، لا بالبصر[2].

---

= فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام، قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بمَ أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي».

(١) هذا اختصار من حديث طويل أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٩٥٦)؛ وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٨٠)، إلا أن اللفظ جاء هكذا: «رأيت ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: «صحيح موقوفا، وهذا إسناد رجاله رجال الصحيح».

(٢) شرح حديث «رأيت ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَى»: قال السندي في حاشيته على «مسند الإمام أحمد بن حنبل» ما يلي: «والمتبادر منه رؤية البصر يقظة، ولذلك استدل به أحمد، ورد به قول

.....

.....

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين قيل له: «إنهم يقولون: إن عائشة قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه، فقد أعظم الفرية على الله، فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ: «رأيت ربي»، وقول النبي ﷺ أكبر من قولها.

قلت: ولعل من ينكر الرؤية يحمل هذا الحديث على الرؤية بالفؤاد، أو على الرؤية في المنام، ويؤيد الثاني ما رواه الترمذي عن ابن عباس: أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أحسن صورة، قال: أحسبه قال: في المنام، فقال: يا محمد! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟» الحديث بطوله، وسيذكره المصنف أيضا، فيحتمل أن يكون هذا الحديث اختصارًا منه، وكان تلك رؤية منام كما يفيده النظر في رواية الترمذي، بل قد جاء ذلك صريحا في حديث معاذ، ففيه أنه قال: «إني نعست، فاستثقلت نوما، فرأيت ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟» الحديث رواه الترمذي وغيره.

ثم القائلون بالرؤية كصاحب «التحرير» شارح مسلم والنووي قد فاتهم هذا الحديث المرفوع، وإنما استدلوا على ذلك بقول ابن عباس الموقوف الذي رواه الترمذي وغيره: أنه رأى محمد ربه، قالوا: والموقوف في مثله له حكم الرفع، وكذا عياض والحافظ ابن حجر، قد فاتهما هذا الحديث المرفوع ظاهرا، نعم في رفعه نظر بناءً على أنه من رواية عكرمة عن ابن عباس، والمشهور منه الموقوف، ومثل هذا يضعف الرفع عند قوم، والله تعالى أعلم.

قال الحافظ ابن حجر: قد جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد؟»، وما أخرج ابن إسحاق: أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس: هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه: أن نعم.

قلت: ومنها ما رواه الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين.

وكذا روى الترمذي عن أبي سلمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، أنه قال: «قد رآه ﷺ». =

.....

.....

= وما رواه الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس قال: نظر محمد ﷺ إلى ربه تبارك وتعالى، قال عكرمة: فقلت لابن عباس: نظر محمد؟ قال: نعم، جعل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمد ﷺ.

في «المجمع»: فيه حفص بن عمر، ضعفه النسائي وغيره، وقيل: ثقة.

قال الحافظ: ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١]. قال: «رأى ربه بفؤاده مرتين، وله من طريق عطاء عن ابن عباس، قال: رآه بقلبه».

قلت: وللترمذي عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١]، قال: «رآه بقلبه»، وقال: «حديث حسن».

قال الحافظ: وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضًا عن ابن عباس قال: «لم يره رسول الله ﷺ بعينيه، إنما رآه بقلبه».

وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب، ومال ابن خزيمة إلى ترجيح إثبات الرؤية بالبصر، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤية وقعت مرتين: مرة بعينه، ومرة بقلبه.

قلت: وهذا الذي قاله ابن خزيمة في الجمع بين ما ورد عن ابن عباس، وإن جاء عن ابن عباس أيضًا كما رواه الطبراني: أنه كان يقول: إن محمدًا ﷺ رأى ربه مرتين: مرة ببصره، ومرة بفؤاده.

في «المجمع»: رجاله رجال الصحيح، ما عدا واحدا وثقه ابن حبان، إلا أنه يرده ما تقدم عنه من رواية مسلم أنه: رأى ربه مرتين بفؤاده.

وبالجملة: فإثبات الرؤية بالعين بقول ابن عباس لا يخلو عن إشكال.

وأما قول أحمد، فقد أنكر صاحب «الهدي» على من قال: إنه قال بالرؤية بالعين، وقال: إنه مرة قال: إنه رأى محمد ﷺ ربه، وقال مرة: رآه بفؤاده، ثم إنه قد جاء عن أبي ذر مرفوعا: أنه قال ﷺ: «نور أنى أراه؟!» - بتشديد النون - على لفظ الإنكار، رواه مسلم، والترمذي، وعن عائشة: قلت: يا رسول الله! هل رأيت ربك؟ فقال: لا، إنما رأيت جبريل، رواه ابن مردويه، فالقول بالرؤية بالعين مشكل». =

.....

كما رُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: رآه بفؤاده مرتين[١]، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجًا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا مشفعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليَّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور»[٣].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»، رواهما الإمام الدارمي في «مسنده»[٤].

---

= ولذلك قال القرطبي: قول المحققين الوقف؛ إذ ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، وليست المسألة من العمليات.
قلت: والذي يتفق عليه غالب الآثار إثبات رؤية القلب، ونفي رؤية العين.
قال الحافظ ابن حجر: ليس المراد برؤية الفؤاد مجرد حصول العلم؛ لأنه ﷺ كان عالمًا بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بالقلب: أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا، وإن جرت العادة بخلقها في العين». انتهى قول السندي، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧٦).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) أخرجه الدارمي في «السنن»، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل (٤٩)، قد ضعف إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في «تخريج شرح السنة» (٣٦٢٤).

(٤) أخرجه الدارمي في «السنن»، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل (٥٠). قال الذهبي في «السير» (١٠/ ٢٢٣): «هذا حديث صالح الإسناد، وصالح هذا مصري، ما علمت به بأسا». وقال محقق سنن الدارمي حسين سليم أسد الداراني: «إسناده جيد».

.....

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن الله تعالى فضَّل محمدًا على الأنبياء وأهل السماء»[1]، كما رواه الدارمي في «مسنده».

وكان رسول الله ﷺ مبعوثًا إلى كافة الناس من الإنس والجن، كما يشير إليه قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[2]؛ لأن لفظ «الناس» مشترك بين الثقلين، أعني: الجن والإنس؛ لقوله تعالى: ﴿فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[3].

فعُلم أن كلا الطائفتين داخلون في الناس، فثبتت رسالته ﷺ على كلا الطائفتين، وهو المستفاد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، قال: فأرسله إلى الجن والإنس.

وأيضًا يستفاد رسالته ﷺ إلى كلا الطائفتين؛ لقوله تعالى حكاية عن الجان المنذَرين: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[4]، فلو لم تكن دعوته ﷺ عامّةً لكلا الطائفتين؛ لما كان الإيمان به سببًا للنجاة من العذاب الأليم.

وينبغي أن يُعلم هنا، أن المخلوقات من ذوي العقول، إما علوي أو سفلي، وكل منهما إما ذو عقل محض، أو ذو عقل وشهوة، فالذين ذوو عقل محض هم الملائكة،

---

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل (٤٧). وأورده ابن كثير تحت تفسير الآية ٢٨ لسورة سبأ، وحكم عليه بالصحة. وقال محقق سنن الدارمي حسين سليم أسد الداراني: «إسناده صحيح».

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الناس، الآية: ٥-٦.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

.....

وهم الطائفة العليا، سكان السماوات العلى، والذين ذوو عقل وشهوة هم الإنس والجن، سكان الأرض السفلى، وطائفة ثالثة من سكان الأرض، هم الحيوانات، ذوو شهوة محضة.

فالجان وإن كانوا ذوي شهوة وعقل، لكن قوة العقل غلبت فيهم طبعًا لقواهم الأصلية، وهي النار، على أنهم كانوا يسترقون السمع من السماء، فيزيد ذلك الاسترق في عقولهم، وهم الطائفة الوسطى، بخلاف الإنس؛ فإن قوة الشهوات غلبت فيهم طبعًا لقواهم الأصلية، وهي التراب، وهم الطائفة السفلى.

[فالذين][1] هم ذوو عقل محض، وهم الملائكة، لم يصدر منهم ذنب ألبتة، والذين هم ذوو عقل وشهوة، فهم محل الذنوب والعصيان، خصوصًا الذين غلبت شهواتهم على العقول، وهم الإنس، فالله تعالى اختار من الطائفة الأعلى والأدنى رسلا؛ لقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2]، ولم يرسل رسلاً من الطائفة الوسطى، وهم الجان، بل تركهم تبعًا لرسل الإنس؛ لأن قوة العقل غلبت فيهم، فجعلهم تبعًا لمن غلبت قوة الشهوات فيهم، عدلًا منه؛ بأنه لو غلبوا شهواتهم، لصاروا أولى من الذين غلبت عقولهم على شهواتهم.

فالإنسان خير من الملائكة، إن غلب عقله على شهواته، وشر من البهائم، إن غلبت شهواته على عقله. ولما كانت كلا الطائفتين سن سكان الأرض - وهي الجن والإنس - مأمورين بالعبادة بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3]، كان إرسال الرسل في إحدى الطائفتين كافيًا لإنذار الآخرين.

---

(١) كان في المخطوط المطبوع: «في الدين»، وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتته، وهو ما يقتضي المقام.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

.....

ولما كانت الجن تابعًا للإنس في هذه الدار التي هي دار التكليف، صاروا تبعًا لهم في تلك الدار أيضا، وهي دار الراحة والقرار، ولذا قيل: إن الجان المغفورين يكون سكناهم في حولان الجنة، لكن يرد هنا أن الجن أقدم خلقة من الإنس، فلو كان الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ اكتفى بإرسال الرسل من الإنس لكلا الطائفتين بعد خلقه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكيف كانت أحوالهم قبل خلقته عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ والحال أن التكاليف الشرعية كانت راجعة لهم من بدء خلقتهم، بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾[1]، قلنا: يمكن أن يكونوا قبل خلقة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعثته على الخلق تبعًا لرسل الملائكة، باعتبار أنه كان لهم نوع تشابه من جنس الملائكة في صعود السماء والاختلاط بهم.

ثم لما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبى إبليس عن السجود له عتوًّا واستكبارا، مُنعوا عن الصعود والاختلاط، وصاروا تبعًا لرسل الإنس، فكانوا يسترقون السمع، فلما بُعث سيدنا ونبينا محمد ﷺ، مُنعوا عن [الاستراق][2] بالكلية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[3]، لكن لما سكت الله تعالى ورسوله ﷺ عن بيان [أحوالهم التي كانت][4] قبل خلقة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يسعنا غير السكوت في ذلك.

أما قوله تعالى حكاية عن الجان المنذَرين: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[5]، فيحتمل أنهم لم يذكروا كتاب عيسى، ظنًّا منهم أن الإنجيل جزء من التوراة؛ لِما أن أحكام التوراة كانت باقية في الإنجيل غالبا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) كان في الأصل: «الاسراق»، وهو خطأ.

(٣) سورة الحجر، الآية: ١٨.

(٤) كان في الأصل: «أحوالهم الذي كان».

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٣٠.

ولم يشرك بالله طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط.

وما قيل: إنهم ما [علموا][1] بكتاب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو بعيد عن القياس؛ لأنهم مأمورون على اتباع رسل الإنس، فكيف يكونون جاهلين غافلين من بعثة رسول من رسل الله تعالى، وما أُنزل عليه من الكتاب؟

ولما كانت ولادته ﷺ في الأيام الجاهلية، وقريش في ذلك الزمان كانوا عاكفين على عبادة الأصنام، لكن الله جَلَّ جَلَالُهُ عصم رسوله ﷺ من بدء الأمر عن عبادة الأصنام والشرك والآثام، فجعله معصوم الخلقة، محمود العاقبة، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، فبيَّنه الإمام بقوله: (ولم يشرك بالله طرفة عين قط) لإجماع الأمة على أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومون عن الكفر والكبيرة، قبل النبوة وبعده (ولم يرتكب صغيرة) من الذنوب (ولا كبيرة قط) لا قبل النبوة، ولا بعده[2].

فالله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ عصمه عن جميع الذنوب بفضله الذي سبق في علمه وقدره، وكيف لا يكون ذلك، فالله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، والخُلق العظيم هو العمل بالقرآن على تفسير عائشة [4]رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فمن يكون موصوفًا بالخُلق العظيم، يكون معصومًا عن الذنوب ألبتة. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[5].

وما وقع في قوله تعالى: .....

---

(١) كان في الأصل المخطوط: «عملوا» بتقديم الميم على اللام، وهو خطأ.

(٢) وقد أسلفت الكلام على موضوع عصمة الأنبياء في التعليقات الماضية.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) أخرج الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٨١٣)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (٤٨٦٢)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٥): سُئلت عائشة عن خُلُق رسول الله ﷺ، فقالت: «كان خلقه القرآن». والحديث صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «تخريج المسند».

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥-٤٦.

.....

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]، فقد فسَّره الإمام النسفي بجميع ما فرط منك[2]، والإفراط من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يكون بالعمل الفاضل وترك الأفضل.

والأحسن ما فسره عطاء[3] بقوله: «ما تقدم من ذنبك، يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك»[4].

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل»: (٣/ ٣٣٤) تحت تفسير هذه الآية.

(٣) هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المتوفى ١٣٥هـ. تابعي، وفقيه، ومُفسر، ومجاهد، وأحد رواة الحديث النبوي. وُلِد في بلخ سنة ٦٠هـ، وكان من الموالي، حيث كان مولىً للمهلب بن أبي صفرة، أصبح قاضيًا وفقيهًا لخراسان، طلب العلم، فسافر إلى بلاد الشام، وسكن دمشق والقدس، واشتُهِر بالعبادة والفتوى والخروج في المعارك. له اهتمام بتفسير القرآن وعلومه، وله العديد من المرويات التي دُوّنت في كتب التفسير وعلوم القرآن، كان يُكثر الرواية في التفسير عن عبد الله بن عباس إرسالًا، وروى الحديث، وروى عنه عدد كبير من تابعي التابعين، وحديثه في صحيح مسلم والسنن الأربعة. انظر للترجمة: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي، الطبقة الرابعة، عطاء الخراساني: (٦/ ١٤٠-١٤٣)؛ و«طبقات الفقهاء»، للشيرازي: (١/ ٩٣)؛ و«البداية والنهاية»، لابن كثير: (٩/ ٢٩٤).

(٤) انظر: «التفسير البسيط»، للواحدي (٢٠/ ٢٨٣).

## [المفاضلة بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]

**وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، .....**

(وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق) وكان الأحسن أن يقال: بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأن درجة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -مع أنه أشرف الدرجات بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- لا يوازي درجة نبي من أنبياء الله تعالى، وإن كانت درجته أدنى درجات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكن الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اكتفى بقوله: «بعد رسول الله ﷺ» إشعارًا على أنه ﷺ خاتم النبيين، ولا نبي بعده، فلا يتبادر الذِّهن إلى فضيلة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أحد من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأنهم بأجمعهم قد مضوا قبل رسول الله ﷺ.

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن كان سينزل بعد خروج الدجال، لكن نبوته السابقة تبقى على حاله، غاية الأمر أنه بسبب نسخ شريعته من الشريعة المحمدية يتبع شريعة رسول الله ﷺ مع بقاء نبوته السابقة، كما أن يوشع[1].....

---

(١) هو يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الفتى الذي رافق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في رحلته إلى الخضر، والذي فصَّل القرآن الكريم قصتهما في سورة الكهف، فقد ثبت في «صحيح البخاري» (٣٤٠١)؛ وفي «صحيح مسلم» (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما... إلخ».
وكان ذلك الفتى أحد أنبياء بني إسرائيل فيما بعد، وأشهر قادتهم ورموزهم التاريخية؛ وهو الذي تولى مقام النبوة بعد موت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد جاء خبره في السنة النبوية في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الشمسَ لم تُحْبَس على بشر إلا ليُوشَع ليالي سار إلى بيت المَقْدِس». رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤/ ٦٥). وقال المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: «إسناده صحيح على شرط البخاري». وكذا قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: (١/ ٣٠١). وصححه ابن حجر في «فتح الباري»: (٦/ ٢٥٥). يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قام بأعباء النبوة بعد موسى وتدبير الأمر بعده =

.....

وذا الكفل[1] عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيرهما من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع نبوتهم المستقلة كانوا تابعين، أي: حافظين الشريعة الموسوية.

فنبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كانت سابقة من نبوة الرسول ﷺ، صار هو أيضًا مستثنىً من جملة الأنبياء السابقين على رسول الله ﷺ حقيقة، ولا يصدُق لفظ «خاتم الأنبياء»

---

= فتاه يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الذي دخل بهم بيت المقدس». انتهى نقلًا من «البداية والنهاية»: (١/ ٣٥٩).

(١) ذو الكفل هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، واسمه الأصلي «بشر»، وقد بعثه الله بعد النبي أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وسماه «ذا الكفل». أما سبب التسمية، فيرجع إلى أنه تكفل للنبي الذي كان في زمانه أن يخلفه في قومه إذا مات، وكان يصلي كل يوم مائة صلاة، ويقضي بين قومه بالعدل. وورد اسم «ذو الكفل» مرتين في كتاب الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى أيضا: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

وقد اختلف أهل العلم من المفسرين في ذي الكفل: هل هو نبي أم رجل صالح؟ على قولين، والراجح أنه نبي؛ لورود ذكره بين الأنبياء، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه، مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء: أنه نبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا هو المشهور. وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيا، وإنما كان رجلًا صالحًا وحكمًا مقسطًا عادلا. وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم». انتهى من «البداية والنهاية»: (١/ ٥١٦).

إلا أنه جاء في «تفسير القرطبي» (١١/ ٣١٨): «أنّ الجمهور على أنّ ذا الكفل ليس بنبيّ، وقال الحسن: هو نبي قبل إلياس، وقيل: هو زكريا، وسُمِّي بذلك لكَفالته مريم. وقيل: كان رجلًا عَفيفًا يتكفّل بشأن كل إنسان وقع في بلاء أو تهمة أو مطالبة فينجيه الله على يديه، وقيل: سُمِّيَ ذا الكفل؛ لأن الله تعالى تكفّل له في سَعيه وعمله بضِعف عمل غيره من الأنبياء الذين كانوا في زمانه. وذكر أبو عيسى الترمذي حديثًا عن النبي ﷺ بإسناد حسن، وكذلك أخرجه الترمذي الحكيم في كتابه «نوادر الأصول» أنه كان رجلًا عاصيًا، ثم تاب إلى الله وهو في عصيانه، فتاب الله عليه، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غَفر لذي الكفل». اهـ.

وقال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ اللَّهُ في «البحر المحيط» (٧/ ٤٦٠): «قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هُوَ نَبِيٌّ».

.....

عليه ﷺ، كما هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، ما لم تثبت بعثته ﷺ بعد جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وما قيل: إن الخضر وإلياس عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من الأنبياء أحياء[2]، فلا دليل على ذلك

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) الكلام حول الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ وحياته:
قال الإمام ابن كثير في كتابه «قصص الأنبياء» (٢/ ٢١٤): «وقد اختلف في الخضر، في اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن على أقوال، سأذكرها لك هاهنا إن شاء الله وبحوله وقوته.
قال الحافظ ابن عساكر: «يقال: إنه الخضر بن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لصلبه»، ثم روى من طريق الدارقطني عن ابن عباس، قال: «الخضر ابن آدم لصلبه، ونسئ له في أجله حتى يكذب الدجال». وهذا منقطع وغريب. وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني: سمعت مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا: «إن أطول بني آدم عمرا الخضر، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم».
وذكر ابن قتيبة في «المعارف» عن وهب بن منبه: أن اسم الخضر «بليا»، ويقال: بليا بن ملكان ابن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقال إسماعيل بن أبي أويس: «اسم الخضر - فيما بلغنا والله أعلم - المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد». وقال غيره: «هو خضرون ابن عمياييل بن اليفز بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل». ويقال: «هو أرميا بن حلقيا»، فالله أعلم. وقيل: «إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر». وهذا غريب جدا.
وقيل: «إنه كان على مقدمة ذي القرنين». وقيل: «كان ابن بعض من آمن بإبراهيم الخليل وهاجر معه». وقيل: «كان نبيًّا في زمن بشتاسب بن بهراسب». قال ابن جرير: «والصحيح أنه كان متقدمًا في زمن أفريدون بن اثفيان حتى أدركه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ». وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال: « الخضر أمه رومية وأبوه فارسي».
ومن المعلوم، أن الخضر ليس باسمه؛ إنما هو لقب غلب عليه. قال الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنما سمي الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء»! تفرد به البخاري، وكذلك رواه عبد الرزاق عن معمر به. ثم قال =

.....

من الكتاب والسُّنة، غاية الأمر: يمكن أن يعطي الله عَزَّوَجَلَّ لروحهما قوة خارقة للعادة،

---

= عبد الرزاق: «الفروة: الحشيش الأبيض وما أشبهه يعني الهشيم اليابس». وقال الخطابي: «وقال أبو عمر: الفروة الأرض البيضاء التي لا نبات فيها».

وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه: أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، الثاني: قول موسى له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦]، فلو كان وليًّا وليس بنبي، لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير نبي، لم يكن معصوما، ولم تكن لموسى - وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة، ولمّا عزم على الذهاب إليه والتفتيش عنه، ولو أنه يمضي حقبًا من الزمان، قيل: ثمانين سنة. ثم لمّا اجتمع به تواضع له وعظمه، واتبعه في صورة مستفيد منه فدل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم...إلخ». انتهى ملخصًا من «قصص الأنبياء» لابن كثير مع تغيير يسير.

ونقل ابن حجر في كتابه «الزهر النضر في حال الخضر» (ص٧٧) عن الفقيه المحدث الإمام يحيي بن شرف النووي قائلا: «وقال النووي في «تهذيبه»: قال الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه عند الصوفية، وأهل الصلاح، والمعرفة. وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر». وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في «فتاواه»: «هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة منهم . قال: «وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين». انتهى ما في «الزهر النضر» للحافظ.

وعند الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي أن الخضر حي في الأرض، فقد جمع في تفسيره «الدر المنثور» في سورة الكهف تحت تفسير الآية: (٨٢) عن ابن شاهين أن أربعة من الأنبياء =

.....

كما ذكره الإمام الرباني[1] رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض «مكتوباته».

وإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن كان حيًّا على السماء، لكن لا يرجع هو إلى الدنيا إلى آخر الدهر، لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[2].

---

= أحياء، إثنان في السماء: عيسى وإدريس، وإثنان في الأرض: الخصر وإلياس، فأما الخصر، فإنه في البحر، وأما إلياس، فإنه في البر. انظر: «الدر المنثور»: (٩/ ٥٧٦)، للسيوطي؛ و«تفسير روح البيان»: (٢/ ٣١٩)، إسماعيل حقي البروسوي.

(١) هو الإمام أحمد بن عبد الواحد السرهندي، المعروف بالإمام الرباني، ومجدد الألف الثاني، والذي تنتهي سلسلة نسبه إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق، ويُنسب إليه أحيانًا، فيقال: الإمام أحمد الفاروقي. وهو من أئمة القرن العاشر الهجري، ولد في مدينة «سرهند» بالهند سنة ٩٧١هـ وتوفي سنة ١٠٣٤هـ وكانت له جهود دؤوبة في نشر السُّنة وقمع البدعة، وفي توجيه الدولة إلى الإسلام من جديد.

حفظ القرآن الكريم في صغره، وحفظ عدة من المتون في أنواع العلوم، ثم رحل إلى سيالكوت، وقرأ هناك على كمال الدين الكشميري - وهو أستاذ عبد الحكيم السيالكوتي - بعض كتب المعقولات. وأخذ الحديث عن يعقوب الكشميري الصرفي، وأيضًا أخذ الحديث في الحرمين الشريفين عن شيخ الإسلام الإمام ابن حجر الهيتمي المكي وعبد الرحمن بن فهد المكي، وحصل على إجازة في كتب الحديث والتفسير وبعض كتب الأصول، ولم يبلغ من العمر سبع عشرة سنة إلا وقد فرغ من تحصيل علوم الدراسية وتحقيقها وتدقيقها.

كان إمامَ العارفين وقتئذ، ينتسب إلى الطريقة النقشبندية والقادرية، وكان شيخه في الطريقة الباقي بالله، له مؤلفات عديدة، جلها في التصوف، منها: «المكتوبات الربانية» في ثلاث مجلدات، وهي أشهر مؤلفاته.

قال صاحب «سبحة المرجان»: «لم يظهر في الهند مثل الفاروقيين: أحدهما في علم الحقائق، وهو الشيخ أحمد السرهندي، والثاني في علوم الحكمة والأدب، وهو ملا محمود». انظر: «الأعلام» للزركلي، (ص١٨٤)؛ و«هدية العارفين»: (٥/ ١٦٥)، لإسماعيل البغدادي.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٧.

.....

والحاصل: أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول الصحابة وأعلمهم وأتقاهم وأفضل البشر بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالتحقيق، وقد وقع الإجماع على ذلك، وإليه يشير حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله قد جمع أمركم على خيركم - صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار - فقوموا فبايِعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة»، الحديث. أخرجه الحافظ السيوطي في «تاريخه»[1].

وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»[2].

وعن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر الصديق خير الناس إلا أن يكون نبي»[3].

وعن سعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن روح القدس جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبرني أن خير أمتك بعدك أبو بكر»[4].

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء»، للسيوطي (١/ ٥٧).
وأخرجه ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٥/ ٢٢٨)، وقال: «إسناده حسن».

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٦٥٢)، وقد ضعف إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود (٤٦٥٢)؛ والحاكم في «المستدرك» (٤٥٠١)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(٣) أخرجه الحافظ السيوطي في «الروض الأنيق في فضل الصديق» (٩)، وقال: «أخرجه ابن عدي والطبراني في الكبير وغيرهما»؛ وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد»، باب مناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٤٣١٥)، وقال: «رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن زياد وهو ضعيف».

(٤) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد»، باب مناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٤٣١٦)، =

ثم عمر بن الخطاب .....

وقد اكتفيت بمدحه من قول حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا[1]

وبالجملة فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتقى الصحابة وأشجعهم وخليفة رسول الله ﷺ من بعده وثانيه في الغار، ويكفي لمناقبه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2]. وسيأتي نبذ من مناقبه في ترجمة مناقب الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن شاء الله تعالى.

(ثم) أي: أفضل البشر بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وبعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عمر بن الخطاب) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أحد السابقين الأولين، وأحد المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم، وهو أعدل الأصحاب، وزبدة الأحباب، الناطق بالحق والصواب.

وسماه النبي ﷺ بـ«الفاروق»؛ لأن يوم إسلامه ظهر الإسلام، وفرَّق بين الحق والباطل، وأخرج ابن [ماجه][3] والحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لما أسلم عمر، نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «يا محمد! لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر»[4].

---

= وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو غزية محمد بن موسى وهو ضعيف».

(١) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد»، باب مناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٤٣١٠)، وقال: «رواه الطبراني، وفيه الهيثم بن عدي، وهو متروك».

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) كان في المخطوط المطبوع: «صاحبته»، وهو تصحيف.

(٤) أخرجه ابن ماجه في «السنن»، باب فضل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (١٠٣)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٠٩)؛ والحاكم (٣/ ٨٤)؛ وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٢٥) من طريق =

.....

وكان إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتحا، وهجرته نصرا، وإمامته رحمة، ولما أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان الإسلام كالرجل المُقبِل، لا يزداد إلا قربا، فلما قُتل كان الإسلام كالرجل المُدبِر، لا يزداد إلا بُعدا[1].

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب»[2].

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[3].

---

= عبد الله بن خراش. وإسناده ضعيف، ومداره على عبد الله بن خراش، ضعفه الدارقطني وغيره، وقال أبو زرعة: «ليس بشيء»، وقال أبو حاتم: «ذاهب الحديث»، وقال البخاري: «منكر الحديث». واتهمه الساجي وابن عمار الموصلي بالكذب. انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤١٣)، وهو في «صحيح ابن حبان» (٦٨٨٣)، وذلك أن ابن حبان حسن الرأي في عبد الله بن خراش، فذكره في «ثقاته» (٨/ ٣٤٠ - ٣٤١)، وقال: «ربما أخطأ».

(١) هذا من قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: (٣/ ٢٨٥)؛ والحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٩٠)؛ والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠/ ٤٤٥)؛ وأبي بكر بن أبي شيبة في «مصنفه»: (٦/ ٣٥٩)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٤٤/ ٤٥٩-٤٦٠) من طريقين عن سفيان؛ وعبد الكريم الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين»: (٣/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٤٠٥)؛ والترمذي في «جامعه» (٣٦٨٦)؛ والحاكم في «المستدرك» (٤٤٩٥). والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي.
فائدة: كان أبو بكر الصديق أفضل من عمر، فلم قال النبي ﷺ هذا؟ قال المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٣٢٥): «قال ابن حجر: خص عمر بالذكر؛ لكثرة ما وقع له في زمن المصطفى ﷺ من الواقعات التي نزل القرآن بها، ووقع له بعده عدة إصابات».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٩٢١٣)، وأخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٦٨٢)؛ =

.....

وقال رسول الله ﷺ: «ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يَفْرَقُ من عمر»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحب عمر، فقد أحبني»، الحديث[٢].

ويكفي لفضله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بعد استخلافه أبو بكر، قيل لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمرَ علينا وقد ترى غلظته؟» فقال أبو بكر: «بالله تخوفني؟ أقول: اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك»، أخرجه السيوطي عن الواقدي[٣].

---

= وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩٥)؛ والطبراني في «الأوسط» (٣٣٣٠). والحديث صححه المحقق الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»، وحكم عليه الترمذي بالحسن الصحيح؛ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٩/ ٦٦): «رجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن صالح كاتب الليث، وقد وثق وفيه ضعف».

(١) أورده السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (١/ ٢٢٠) في خلافة عمر بن الخطاب، وعزاه إلى ابن عساكر، وفي إسناده موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، قال الذهبي: «ليس بثقة؛ فإن ابن حبان قال فيه: دجال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتابًا في التفسير». وقال ابن عدي: «منكر الحديث». وذكر ابن عدي هذا الحديث وغيره، وقال: «هذه الأحاديث بواطيل». انظر: «ميزان الاعتدال»: (٤/ ٣١١-٣١٢). فالحديث إما منكر أو موضوع، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٧٢٦) واللفظ له؛ وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ١٨٨)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢٢٨٨)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٧٢)، وقال: «فيه أبو سعد خادم الحسن البصري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

(٣) ذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: (٣/ ١٩٩-٢٠٠)؛ والطبري في «تاريخ الأمم والملوك»: (٣/ ٤٢٨-٤٢٩)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١١-٤١٣)؛ =

.....

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما وزيراي من أهل الأرض، فأبو بكر وعمر، لا يتآمر عليكما أحد بعدي»[1].

أقول: وهذا نص قاطع على خلافة الشيخين، وأنه لا يتآمر عليهما أحد، وقد وقع بإجماع المؤمنين، فلعن الله الرَّافضَةَ، ما أجهلهم، حيث إنكروا ذلك!

وقال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذَين من بعدي أبي بكر وعمر»، رواه الترمذي والحاكم وصححه عن حذيفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

---

= وابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص٥٥)؛ والذهبي في «تاريخ الإسلام» [عهد الخلفاء الراشدين] (١١٦-١١٧)؛ وابن المَبْرِد في «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب»: (١/ ٢١٠)، كلهم من طريق الواقدي.
تنبيه: هذه الرواية مروية من عدة طرق مختلفة متقاربة، وما ذُكر، فهو اختصار قول أبي بكر، وما أخرج ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٩٩-٢٠٠) فهو ما يلي: «وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر، وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكرٍ، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته؟! فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني!؟ خاب من تزود من أمركم بظلمٍ! أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت من وراءك... إلخ».

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٦٨٠)، أبواب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، وقال: «هذا حديث حسن غريب». وحكم عليه بالضعف الشيخ أحمد محمد شاكر في تحقيقه على «جامع الترمذي».

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٦٦٢)؛ وابن ماجه في «السنن» (٩٧)؛ وأحمد في «المسند» (٢٣٢٩٣)؛ والحاكم في «المستدرك» (٤٤٣٠). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: (٥/ ٣٨٥): «حديث حسن بطرقه وشواهده». وصححه الإمام الذهبي في =

ثم عثمان بن عفان.....

وأخرج ابن عساكر عن ابن أبي ليلى قال: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر، إلا جلدته حد المفتري»[١].

وأخرج أحمد وغيره عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «خير هذه الأمة بعد نبيه أبو بكر وعمر»[٢].

قال الذهبي: «وهذا متواتر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلعن الله الرافضة ما أجهلهم»[٣]!

(ثم) بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عثمان بن عفان) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن، واستحيت منه ملائكة الرحمن، وهو الذي يُدعى في الملأ الأعلى «ذو النورين»؛ لأنه كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه رقية وأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: «يُقتل فيها هذا مظلوما» لعثمان[٤].

---

= «تلخيص المستدرك»: (٣/ ٧٩).

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»: (٤٢)؛ وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٣١٢)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢١٩)؛ والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٣٥٨). قال الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٧٤): «رُوي بأسانيد جيدة».

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٩٢٢) واللفظ له؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٥٤٠)؛ والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤١٧). قال الشيخ أحمد شاكر في تخريج «المسند»: «إسناده صحيح». وصححه أيضًا الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند».

(٣) قاله الذهبي في «التاريخ» (٢/ ٦٨).

(٤) رواه الترمذي في «الجامع»: (٣٧٠٨)؛ وأحمد في «المسند»: (٥٩٥٣). قال الترمذي: =

.....

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اشترى عثمان الجنة من النبي ﷺ مرتين، حيث حفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة»[1].

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة، فقال: شهيد يقتله قومه، إنا نستحي منه»[2].

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تستحي من عثمان، كما تستحي من الله ورسوله»[3].

---

= «هذا حديث حسن غريب»، وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريج «المسند»: (٨/ ١٧١) «إسناده صحيح».

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٦٢٦)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٤٨٠٣، ٤٩٣٩)؛ كما أورده السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص٢٦٥)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١٤٥٠٦)، وقال: «رواه الطبراني، وفيه محمد بن إسماعيل الوساوسي، وكان يضع الحديث».

(٣) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٤٥٠٤)، وقال: «رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه إبراهيم بن عمر بن أبان، وهو ضعيف». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» في كلام الصحابة في مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٠/ ٣٣١): «هذا حديث غريب من هذا الوجه...وفي سنده ضعف».

تنبيه: هذه الأحاديث التي تدل على استحياء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن لم تخل عن المقال، لكن معناها ثابت، ولها شواهد في كتب الحديث، فقد أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٤٠١) حديث استحياء عثمان. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» في كلام الصحابة في مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٠/ ٣٣١): «وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن ثابت. قلت: وكذا عن أبي هريرة وغيره».

وقد روى الهيثمي في «المجمع» أحاديث حول استحياء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال بعد حديث (١٤٥٠٣): «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى باختصار كثير، وإسناده حسن».

ثم علي بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .....

وأخرج السيوطي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لو لم يطلب الناس بدم عثمان، لرُموا بالحجارة من السماء»[1].

ويكفي من مناقبه قول كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال:

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ... العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعد ... عن الناس إدبار الرياح الحوافل[2]

(ثم) بعد عثمان (علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعين) وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة[3]، وصهره على فاطمة

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات»: (٣/ ٨٠)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، ترجمة عثمان: (٤٥٩)؛ والطبراني في «الأوسط»: (٣٥٨٧)؛ وذكره السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص١٢٧). وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» في كلام الصحابة في مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٠/ ٣٣١): «وقد رُوي من غير هذا الوجه». وهذا يدل على أن الحديث ثابت عند ابن كثير، والله بذلك خبير.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٦٢١)؛ والطبري في «تاريخ الأمم والملوك»: (٢/ ٦٩٤)؛ وابن الأثير في «الكامل في التاريخ»: (٣/ ٧٦)؛ وابن كثير في «البداية والنهاية»: (١٠/ ٣٤٢).

(٣) الكلام حول مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه:
أخرج الحاكم في «المستدرك»: (٤٣٤٥) في كتاب الهجرة، مؤاخاة رسول الله بين أصحابه، عن جميع بن عمير، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما ورد رسول الله ﷺ المدينة آخى بين أصحابه، فجاء علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي، أنت أخي في الدنيا والآخرة». وقال الحاكم: «تابعه سالم بن أبي حفصة عن جميع بزيادة في السياق».
تنبيه: قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٣٦١): «إن أحاديث المؤاخاة =

.....

سيدة نساء العالمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين،

---

= لعلي كلها موضوعة، والنبي ﷺ لم يؤاخ أحدا، ولا آخى بين مهاجري ومهاجري، ولا بين أبي بكر وعمر، ولا بين أنصاري وأنصاري، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار في أول قدومه المدينة». اهـ.

قلت: لعل الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ انفرد في رد حديث المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووجهه أن في الحديث جميع بن عمير، وهو متهم، قال الذهبي عن ابن عدي: «إنه رافضي يضع الحديث»، وقال ابن نمير: «كان من أكذب الناس»، ثم ساق له هذا الحديث. وقد أقر ذلك الحافظ الذهبي في «مختصر منهاج السنة»: (ص٣١٧).

لكن الحافظ ابن حجر رد عليه ردًّا بليغا، حيث قال في «فتح الباري» (٧/ ١٩١-١٩٢) ما يلي: «وأنكر ابن تيمية في كتاب «الرد على ابن المطهر الرافضي» المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصًا مؤاخاة النبي ﷺ لعلي، قال: «لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم ولتأليف قلوب بعضهم، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري»، وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة؛ لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فآخى بين الأعلى والأدنى؛ ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي؛ لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة؛ لأن زيدًا مولاهم، فقد ثبتت أخوتهما وهما من المهاجرين، وسيأتي في عمرة القضاء قول زيد بن حارثة: إن بنت حمزة بنت أخي. وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عباس: آخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود، وهما من المهاجرين». اهـ.

وقال ابن حجر أيضا: «وأخرجه الضياء في «المختارة» من «المعجم الكبير» للطبراني وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك، وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر: «آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان - وذكر جماعة قال - فقال علي: يا رسول الله إنك آخيت بين أصحابك، فمن أخي؟ قال: أنا أخوك». وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به، وقد تقدم في «باب الكفالة» قبيل كتاب الوكالة الكلام على حديث =

.....

والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد مَن جمع القرآن، وعرضَه على رسول الله ﷺ، وهو أول خليفة من بني هاشم، وأبو السبطين، ولم يعبد.....

= لا حلف في الإسلام» بما يغني عن الإعادة، وقد سبق كلام السهيلي في حكمة ذلك الميراث، وسيأتي في الفرائد حديث ابن عباس: «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة». اهـ.

وقال ابن عبد البر: «كانت المؤاخاة مرتين: مرة بين المسلمين وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار، وهي التي كانت بالمدينة»، ثم قال: «وقعت المؤاخاة الأولى في مكة، وآخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وقال علي: يا رسول الله، من أخي؟ قال ﷺ: أنا أخوك».

وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح»: (٧/ ٣١٦) تحت رقم الحديث (٣٧٢٢) في باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه. كما ذكره ابن سيد الناس في «عيون الأثر»: (١/ ٢٣١).

وقال الإمام السهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الروض الأنف» (٢/ ٢٥٢): «آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] يعني في التواد وشمول الدعوة». اهـ.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» تحت الآية (٧٢) لسورة الأنفال (٤/ ٩٦): «ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين، خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاؤوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وإلى أنصار، وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولى ببعض، أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدَّمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث». اهـ.

.....

الأصنام قط[١]، كما رواه الحسن بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

وأخرج مسلم عن سعد بن وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، رواه الترمذي عن أبي هريرة[٤].

---

(١) لم أجد لهذه الرواية مصدرًا يُعتبر. نعم، رأيت الشيخ محمد بن علي الصبان المصري المتوفى ١٢٠٦هـ قال في كتابه: «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين» (ص١٤٨): «أخرج ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن قال: لم يعبد علي الأوثان قط، لصغره، أي ومن ثم يقال فيه: كرم الله وجهه».

(٢) هو الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، توفي ١٦٦هـ فهو حفيد الحسن الابن الأكبر لعلي وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. كان رجلًا تقيًا، لم يكن يتدخل في صراعات السلطة من أجل الخلافة، وعلى عكس العديد من العلويين، بايع العباسيين، وتزوج الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح من ابنته أُمَّ كلثوم بنت الحسن، حتى عيّنه أبو جعفر المنصور أميرًا على المدينة المنورة، لكنه عزله بعد خمس سنين غاضبًا عليه، واستَصْفَى كل شيء له فباعه، وحبسه، فلم يزل محبوسًا حتى مات أبو جعفر.
بعد وفاة المنصور، أعاد الخليفة الجديد المهدي إليه ممتلكاته، فأخرجه من السجن، وأقدمه عليه وردَّ عليه كل شيء ذهب له، ولم يزل معه حتى خرج المهدي يريد الحجّ سنة ١٦٨هـ ومعه الحسن بن زيد، فكان الماء في الطريق قليلًا، فخشي المهديّ على من معه العطش، فرجع من الطريق ولم يحج تلك السنة. لكن الحسن سار إلى مكة، فاشتكى أيامًا ثم مات بالحاجر، فدُفن هناك عام ١٦٨هـ. انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: (٧/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٢٤٠٤).

(٤) رواه الترمذي في «الجامع» (٣٧١٣)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»؛ وابن ماجه في «السنن» (١٢١)؛ وأحمد في «المسند» (١٨٥٠٢)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٠٩)، =

.....

وقال رسول الله ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»، رواه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص[1].

وأخرج مسلم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهِد النبي الأمي إلي: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «النظر إلى علي عبادة»، أخرجه الحاكم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «إسناده حسن»[3].

---

= وقال: «رجاله وُثقوا».

تنبيه: المراد بـ«المولى» في هذا الحديث: المحبة والمودة وترك المعاداة، وهذا الذي فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى قال عمر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هنيئًا يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة». رواه أحمد في «المسند» مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب (١٨٤٧٩).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٧٠٦)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٤٠٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٧٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٤٧٣٦، ٤٧٣٧)، كتاب معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، النظر إلى علي عبادة، عن عمران بن حصين وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٠٦). وقال الحاكم بعد إخراج حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذا حديث صحيح الإسناد، وشواهده عن عبد الله بن مسعود صحيحة».

وقد ذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»: (٢/ ١٢٦)، وقال: «لا يصح من جميع طرقه». وحكم عليه الإمام الذهبي أيضًا بالوضع والبطلان في عدة مواضع من كتبه، منها في «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٢٣٦). وذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»: (ص٣٥٩). وحكم عليه السيوطي والملا علي القاري بالوضع. انظر: «اللآلي المصنوعة» (١/ ٣١٤)؛ و«الأسرار المرفوعة» (١/ ٣٧١).

تنبيه: هذا الحديث موضوع على قول أئمة هذا الشان، لكن محدث المغرب العلامة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري المغربي مال إلى تحسين هذا الحديث وتصحيحه، =

.....

ويكفي لمناقبه ما قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما ورد لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، أخرجه الحاكم في صحيحه «المستدرك»[1].

وذكر الحافظ السيوطي في «تاريخه»: «أجمع أهل السُّنة أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أُحد، ثم باقي أهل البيعة، ثم باقي الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -»[2].

---

= حيث ألَّف في هذا الموضوع رسالة سماها «الإفادة أن بطرق حديث: النظر إلى علي عبادة»، فقد جمع فيها طرق الحديث وأتى بالمتابعات والشواهد، ورد على الإمام ابن الجوزي وغيره، فأطال الكلام فيها وأشبع، إن شئت فراجعها.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٤٦٢٨)؛ كتاب معرفة الصحابة، فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وابن أبي يعلى الحنبلي في «طبقات الحنابلة»: (٢/ ٣٥٨)؛ وابن الجوزي في «مناقب الأمام أحمد»: (ص٢١٢).

وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (٧/ ٧٢) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وأيضا في «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٣٩): «وقد روي عن أحمد بن حنبل أنه قال: لم يرد لأحد من الصحابة من الفضائل ما روي لعلي، وكذا قال النسائي وغير واحد». وقاله في «الإصابة» (٢/ ٥٠١): «ومناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي كرم الله وجهه». اهـ

وقال الحافظ أيضًا في «فتح الباري»: (٧/ ٨٨): قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر ما جاء في علي». اهـ.

وقد أخرجه الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»: (٣/ ٥١)؛ كما ذكره أيضًا ابن حجر الهيتمي المكي في كتابه «الصواعق المحرقة»: (١٦٨).

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء»: (١/ ٤٤).

ثابتين على الحق، نتولاهم.

(ثابتين) أي: باقين دائمين (على الحق) فيدور الحق معهم حيث داروا، (نتولاهم)[1] أي: نحبهم جميعا، لقوله ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»، الحديث[2].

(١) كان في المخطوط المطبوع: «نتولهم».

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»، باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ: (٣٨٦٢)، وقال: «هذا حديث غريب»؛ وأحمد في «المسند» باب حديث عبد الله بن مغفل المزني عن النبي ﷺ (١٦٥٥٤)؛ وابن حبان في «صحيحه» باب ذكر الزجر عن اتخاذ المرء أصحاب رسول الله ﷺ (٧٣٧٩)؛ وأبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» باب عبد الله العمري (١٢٥٩٦).
قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «صحيح ابن حبان» (٧٢٥٦): «إسناده ضعيف». وكذا ضعفه في تخريج «المسند»: (٢٠٥٤٩).

## [عقيدة أهل السنة في مشاجرة الصحابة]

**ولا نذكر الصحابة إلا بخير.**

(ولا نذكر الصحابة إلا بخير) أي: لا نذكر أسماءهم إلا بالترضي، لقوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]، وقوله ﷺ: «أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم»، الحديث[2]. ولذا ذهب عامة العلماء إلى أن الصحابة كلهم عدول، لقوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) أورده صدر الدين المناوي في «كشف المناهج والتناقيح»: (٥/ ٢٥٨)، وقال: «رواه النسائي في عشرة النساء بسند صحيح»؛ وأخرجه ابن حجر العسقلاني في «الأمالي المطلقة»: (٦٣)؛ وكذا في «هداية الرواة»: (٥/ ٣٨٨) وصححه.

(٣) أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨٩٥)؛ وابن حزم في «الإحكام»: (٦/ ٢٤٤)؛ وابن القيم في «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: (٢/ ٣٦١)؛ والخطيب في «الكفاية في علم الرواية»: (٤٨) والبيهقي في «المدخل»: (١٥٢)؛ والديلمي في «مسند الفردوس»: (٤/ ٧٥) من حديث جابر بن عبد الله.
وَرَدَ هذا الحديث عن ستة من الصحابة فيما وقفت عليه: عن عمر وابنه عبد الله وابن عباس وأبي هريرة وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وأقوى هذه الطرق طريق جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد كثر في هذا الحديث كلام لعلماء هذا الشان، واختلفوا في حكمه، فمنهم من رده، ومنهم من قبله، والحق مع من قبل، والله أعلم.
فممن رده: الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، نُقل عنه أنه قال: «لا يصح هذا الحديث». انظر: «المنتخب من علل الخلّال» لابن قدامة: (ص١٤٣)؛ و«المسودة في أصول الفقه»: (ص٣٢٦)؛ و«أصول الفقه» لابن مفلح: (٤/ ١٤٥٤).
وقال الحافظ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: «هذا الكلام لم يصح عن النبي ﷺ». =

.....

وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات، كحرب الجمل مع عائشة

= وقال ابن المُلَقِّن: «جميع طرقه ضعيفة». انظر: «البدر المنير»: (٩/ ٥٨٥-٥٨٧).
وقال ابن حزم: «باطل مكذوب من توليد أهل الفسق لوجوه ضرورية». انظر: «الإحكام في أصول الأحكام»: (٥/ ٦١).
وقال ابن القيم: «روي من طرق، ولا يثبت شيء منها». انظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: (٢/ ٣٦١).
وقال الشوكاني في «الفتح الرباني»: (٥/ ١٧٩): «صرح أئمة الجرح والتعديل بأنه لا يصح منها شيء، وأن هذا الحديث لم يثبت عن رسول الله».
وقال الحافظ البيهقي: «هذا حديثٌ متنه مشهورٌ، وأسانيده ضعيفةٌ، لم يثبت في هذا إسنادٌ». انظر: «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص١٦٣).
وقال ابن تيميَّة: «هذا الحديث ضعيفٌ، ضعَّفه أهل الحديث؛ قال البزَّار: هذا حديثٌ لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة». انظر: «منهاج السنة النبوية»: (٨/ ٣٦٤).
وقال العلائي: «لم يُخرَّج في الكتب السِّتَّة، ولا في المسانيد الكبار، وقد رُوي من طرقٍ في كلِّها مقال». وقال الزَّركشي: «رُوي من طرقٍ كثيرةٍ، ولا يصحُّ». انظر: «المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر»: (٨٣).
وممن يُنسب إليه قبول هذا الحديث: الإمامُ أحمد بن حنبل أيضا، فنقل القاضي أبو يعلى الفرَّاء كلام الإمام أحمد بن حنبل - الذي تقدَّم ذكره - في تضعيف الحديث، ثم قال: «قد احتجَّ به أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واعتمد عليه في فضائل الصحابة».
ونقل عن الخلَّال أنه سمع الإمام أحمد يحتجُّ بهذا الحديث في فضائل الصحابة والنَّهي عن سبِّهم، ثم قال أبو يعلى: «فقد احتجَّ بهذا اللفظ، فدلَّ على صحته عنده». انظر: «العدَّة في أصول الفقه»: (٤/ ١١٠٨).
وممن نُقِل عنه تقوية الحديث: الحافظ الإمام عثمان بن سعيد الدَّارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال العلائي: «في كلام عثمان بن سعيد الدارمي ما يقتضي تقويته، ولكنَّ الاعتمادَ على أسانيده وهي واهية كلها كما بيَّنا، مع نصِّ جماعةٍ من الأئمة على أنَّه لم يثبت منها شيءٌ». انظر: «إجمال الإصابة في أقوال الصحابة» (ص٦٠). =

وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلها محاملُ وتأويلات اجتهادية، والمُخطِئ في تلك الحرب كان مخطئًا في الاجتهاد يقينا، ولا ملامَ في الخطأ بالاجتهاد أصلا[1].

---

= وممَّن ذهب إلى تقويته أيضًا: الإمام بدر الدِّين الزَّركشي، فإنه قال: «قلت: لكن يتقوَّى طرقه بعضها ببعضٍ، لا سيَّما وقد احتجَّ به الإمام أحمد، واعتمد عليه في فضائل الصَّحابة...».
انظر: «المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر»: (ص٨٤).
قلت: ولهذا الحديث شاهد في «صحيح مسلم»: (٤/ ١٩٦١) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».
وأخرجه البيهقي في «الاعتقاد»: (١/ ٣١٨)، ثم قال: «ورُوي عنه في حديث موصول بإسناد آخر غير قوي، وفي حديث منقطع أنه قال: «إن مثل أصحابي كمثل النجوم في السماء؛ من أخذ بنجم منها اهتدى».
قال ابن حجر في «التلخيص»: (٤/ ٤٦٤) بعد نقله عن البيهقي: «قلت: صدق البيهقي، هو يؤدي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم خاصة، أما في الاقتداء فلا يظهر في حديث أبي موسى، نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم». اهـ.
وقال الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح»: (٩/ ٣٨٨٢): «الظاهر أن الاهتداء فرع الاقتداء» اهـ.

(١) قال العلامة محمد بن عبد العزيز الفرهاري في شرحه «النبراس» على «شرح العقائد النسفية» عند بحث مشاجرة الصحابة ما يلي: «وما وقع من المخالفات والمحاربات من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وطلحة والزبير ثم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن عن نزاع في خلافة؛ بل كان المحاربون يسلمون خلافته؛ بل عن خطأ في الاجتهاد من معاوية، وخص بالذكر؛ لأن حربه أشهر من حرب الباقين، والخطأ هو الاستعجال في طلب قصاص عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زعمًا أن التأخير يوجب جرأة العوام على الأكابر، وكثيرًا ما يفوت المطلوب.
ثم قال: استقل -أي سيدنا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بالملك بعد تسليم الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الخلافة إليه، فولي الشام أربعين سنة نيابة واستقلالا، ومات في رجب سنة ستين، وكان عنده رداء النبي ﷺ وشعره وظفره، فقال: كفنوني في ردائه واجعلوا شعره وظفره في مقلتي ومناخري. وفي رواية: وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». اهـ.

.....

أما حرب صفين، فالحق وإن كان فيه مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإن كان على الباطل، لكن يمكن أن يكون ذلك منه بالاجتهاد، والخطأ في الاجتهاد معفو، ولذلك قال الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تلك دماء طهر الله عنها سيوفنا، فلنطهر عنها ألسنتنا»(١).

وبالجملة فإنا لا نذكر الصحابة إلا بخير(٢)، ونعتقدهم عدولا؛ لأنهم خير الأمة بشهادة النبي ﷺ، ونحمل المنازعات والمحاربات بينهم على التأويلات الاجتهادية، فلا يرجع الملام إلى أحد منهم، وهذا هو طريق أهل الحق واليقين، ومضى عليه السلف [الصالحون](٣).

---

(١) هذا القول مشهور بقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ. أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: (٢/ ٩٣٤) (رقم ١٧٧٨)؛ وابن الجوزي في «سيرة عمر بن عبد العزيز»: (ص١٦٥)؛ وابن سعد في «الطبقات الكبرى»: (٥/ ٣٩٤) بسند لا بأس به. ولا أعلم أنه قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) يُستشهد على ذلك بحديث أخرجه الطبراني في «صريح السنة»، باب القول في صحابة رسول الله ﷺ (٦)؛ والآجري في «الشريعة»، باب ذكر فضل جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١١٣٥)؛ واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (ص٣١٦) (رقم ٢٣٣٤) عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جَلَّ وَعَلَا اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فهؤلاء خير أصحابي، وأصحابي كلهم خير، واختار أمتي على سائر الأمم».
وأخرج أيضًا اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: (رقم ٢٣٣٦) عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «لا تذكروا مساوئ أصحابي، فتختلف قلوبكم عليهم، واذكروا محاسن أصحابي حتى تأتلف قلوبكم عليهم». وهو مذكور في «كنز العمال» رقم: (٣٢٥٣٥)، وعزاه للديلمي وابن النجار، وسنده ضعيف.

(٣) كان في المخطوط المطبوع: «الصالحين».

.....

وأفضل التابعين أويس القرني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأعدلهم وأتقاهم عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعَدَّه سفيان الثوري في الدرجة الخامسة من الخلفاء الراشدين، كما أخرجه الحافظ السيوطي في «تاريخه»[1].

---

(١) فائدة: كلام الأئمة فيمن أساء بشأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قال الإمام أحمد بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: «ما أقول فيهم إلا الحسنى». انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص١٦٤).

وقال الميموني: «قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام».

وقال الفضل بن زياد: «سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له: رافضي؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحد أحدًا من الصحابة إلا وله داخلة سوء». انظر: «البداية والنهاية»: (٨/ ١٣٩).

وقال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة». انظر: «الكفاية في علم الرواية»: (ص٤٩).

وقال القرطبي: «لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به؛ إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عَزَّوَجَلَّ، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم». انظر: «تفسير القرطبي»: (١٦/ ٣٢١).

وقال ابن أبي زيد القيرواني - وهو بصدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ وما ينبغي أن يذكروا به -: «وأن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب». انظر: «عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الصحابة الكرام»: (٢/ ٧٣٤).

وقال الحافظ ابن حجر: «اتفق أهل السُّنَّة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة =

.....

.....

= بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفى الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يُؤجر أجرًا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين». انظر: «فتح الباري»: (١٣/ ٣٤).

وقال أبو عبد الله بن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: «ومن بعد ذلك نكفُّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم». انظر: «كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة»: (ص٢٦٨).

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء»، للسيوطي (ص١٧١).

## [مناقب أئمة المذاهب الأربعة]

.....

أما الأئمة الأربعة الذين وجب تقليدهم بالإجماع، فأولهم: الإمام أبو حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من التابعين ظنًّا[1]؛ لأنه أدرك زمان بعض الصحابة، كأنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن أتباعهم يقينا؛ لأن روايته ثبتت من التابعين.

قال الشعراني[2]: «وقد مَنَّ الله تعالى عليَّ بمطالعة مسانيد الإمام أبي حنيفة

---

(١) رُفع إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني هل كان أبو حنيفة من التابعين؟ فأثبته. وفي ذلك قال السيوطي: «ورُفع السؤال إلى الحافظ ابن حجر، فأجاب بما نصه: أدرك أبو حنيفة جماعةً من الصحابة؛ لأنه وُلد بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة، وبها يومئذٍ: عبد الله بن أبي أوفى، فإنه مات بعد ذلك بالاتفاق، وبالبصرة يومئذ أنس بن مالك، ومات سنة تسعين أو بعدها، وقد أورد ابن سعد بسند لا بأس به أن أبا حنيفة رأى أنسا، وكان غير هذين من الصحابة بعِدَّةٍ من البلاد أحياء، وقد جمعَ بعضُهم جزءًا فيما ورد من رواية أبي حنيفة من الصحابة، ولكن لا يخلو إسنادها من ضعف، والمعتمدُ على إدراكه ما تقدّم، وعلى رؤيته لبعض الصحابة ما أورده ابن سعد في «الطبقات» فهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له: كالأوزاعي بالشام، والحمادين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة، ومسلم بن خالد الزنجي بمكة، والليث بن سعد بمصر». انتهى ما نقل السيوطي في «تبييض الصحيفة»: (ص٣٤).
وذكر الشيرازي في «طبقات الفقهاء» أن أبا حنيفة في فقهاء التابعين بالكوفة، فقال: «كان في أيامه أربعة من الصحابة: أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى الأنصاري وأبو الطفيل عامر ين واثلة وسهل بن سعد الساعدي؛ وجماعة من التابعين كالشعبي والنخعي وعلي بن الحسين وغيرهم، وقد مضى تاريخ وفاتهم، ولم يأخذ أبو حنيفة عن أحد منهم». اهـ. انظر: «كتاب طبقات الفقهاء»، لأبي إسحاق الشيرازي، (ص٨٦).

(٢) هو الشيخ أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد بن علي الأنصاري المصري، المشهور بـ الشعراني، العالم الزاهد، الفقيه المحدث، الشافعي الشاذلي الصوفي. يسميه علماء =

.....

الثلاثة، فرأيته لا يروي حديثًا إلا من خيار التابعين العدول الثقات، كعلقمة وعطاء وعكرمة ومجاهد وأضرابهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[١].

ومناقبه مذكورة في كتب الحنفية، فمن جملتها: أنه هو أول من ألف الأصول، ودوَّن الفقه[٢]، فجميع العلماء في عهده ومن بعده صاروا عيالاً له في الفقه، كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الناس كلهم عيال لأبي حنيفة في الفقه»[٣].

ويكفي لمناقبه أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان يُحيِي الليل كله، كما رواه أحمد بن أبي سليمان [٤]رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

= التصوف بـ«القطب الرباني، ولد سنة ٨٩٨ هـ، نسبة إلى قرية أبي شعرة بمصر، روى عن: شيخه علي الخواص، والشمس الدواخلي، وغيرهما، له من المصنفات: «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية»، و«الأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة»، و«الميزان الكبرى»، و«الفتح المبين في جملة من أسرار الدين»، وغيرها، من أقواله: دوروا مع الشرع كيف كان لا مع الكشف؛ فإنه قد يخطئ. توفي سنة ٩٧٣هـ. انظر: «الكواكب السائرة»: (٣/ ١٥٧)؛ و«شذرات الذهب»: (١٠/ ٥٤٤)؛ و«معجم المطبوعات العربية»: (١/ ٢٦٥).

(١) انظر: «الميزان الكبرى»، للعلامة عبد الوهاب الشعراني (١/ ٦٦).

(٢) ذكر الموفق أحمد المكي الحنفي في «مناقب الإمام الأعظم» (١/ ١٣٦ - ١٣٧): «وأبو حنيفة أول من دون علم هذه الشريعة، لم يسبقه أحد ممن قبله؛ لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا في علم الشريعة أبوابًا مبوَّبة ولا كتبا مرتبة، إنما كانوا يعتمدون على قوة فهمهم، وجعلوا قلوبهم صناديق علمهم، فنشأ أبو حنيفة بعدهم، فرأى العلم منشرا، فخاف عليه الخلف السوء أن يضيعوه».

(٣) أورده الخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٥/ ٤٧٣)؛ وابن عبد البر في «الانتقاء»: (ص١٣٥- ١٣٦)؛ والصيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (ص١٢٨).

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٠٠)؛ و«البداية والنهاية»، لابن كثير (١٠/ ١٠٧)؛ و«تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (١٣/ ٣٥٥)؛ و«تاريخ ابن الوردي»: (١/ ١٨٨).

.....

ثم الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من أتباع التابعين يقينا؛ لأني ظفرت بمطالعة موطئه، فرأيته يروي الأحاديث من خيار التابعين، كنافع وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويكفي من مناقبه قوله ﷺ: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة»، قال الترمذي: «قال ابن عيينة: هو الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

ثم الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو إمام قرشي من خيار أتباع تبع التابعين، رَوى عن الإمام مالك بن أنس وغيره، ويكفي لمناقبه تقليد المتوكل خليفةِ الله مذهبَه لرؤيا رأى فيها رسول الله ﷺ داعيًا لمذهبه، كما أخرجه الحافظ السيوطي في «تاريخه»(٢).

وأظن أن المتوكل أول خليفة تقلد بواحد من الأئمة الأربعة، وقد كانت الخلفاء قبله يستفتون من الأئمة ويعملون به، كما أن الرشيد(٣) كان يستفتي من أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ، ويعمل في غالب الواقعات على مذهب أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو وإن لم يكن مقلِّدًا لأبي حنيفة تقليدًا تامًّا، لكنه كان عاملًا لمذهبه(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»، باب ما جاء في عالم المدينة (٢٦٨٠)، وقال: «هذا حديث حسن»؛ وابن حبان في «صحيحه» (٣٧٢٨)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٢٩١)؛ وأحمد في «مسنده» مسند أبي هريرة (٧٩٨٠)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٠١٧)؛ والحاكم في «المستدرك» باب يوشك الناس أن يضربوا... (٣١٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». قلت: ووافقه الذهبي.
وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: (٨/ ٥٦) بعد أن أورد هذا الحديث: «هذا الحديث نظيف الإسناد، غريب المتن».

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء»، للسيوطي (١/ ٣٠١).

(٣) هو أمير المؤمنين أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي الهاشمي القرشي، المتوفى سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩ م، خامس خلفاء بني العباس، وهو أشهر خلفائهم.

(٤) ككتاب الخراج، ألَّفه الإمام القاضي أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ للخليفة هارون الرشيد، وقد طلب =

.....

ثم الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أيضًا من أتباع التابعين، روى الأحاديث من خيار أتباع التابعين، وروى عنه فحول أئمة الحديث، كالإمام البخاري والإمام مسلم وأبي داود والترمذي وغيرهم من أئمة الحديث، فهو إمام المحدثين، وفخر المجتهدين.

ويكفي لمناقبه أنه أسلم يوم موته عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس، كما ذكره الفاضل محمد الأقليدي [1] رَحِمَهُ اللَّهُ.

والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب.

= منه أن يكتب له كتابًا في مالية الخلافة، فكتب هذا الكتاب على أصول الحنفية. انظر: مقدمة «كتاب الخراج»، لأبي يوسف، بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

(١) هو محمد بن أحمد بن الحسين الأقليدي الفارسي الشافعي، فاضل، من آثاره: «جواهر الأحاديث»، و«كتاب الوزراء». انظر: «هدية العارفين»، لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٨).

## [لا يُكفَّر مسلم بذنب ما لم يستحله]

**ولا نكفِّر مسلمًا بذنب من الذنوب، وإن كانت كبيرة،.....**

(ولا نكفر) أي: لا ننسب إلى الكفر (مسلمًا بذنب من الذنوب) أي: بارتكاب معصية من المعاصي (وإن كانت كبيرة).

والكبائر على ما صرحه التفتازاني[1] في شرحه على .....

(١) هو الإمام سعد الدين أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد التفتازاني السمرقندي الحنفي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ عالم وفقيه متكلم أشعري، وأصولي نحوي وبلاغي. ولد بقرية تفتازان من مدينة نسا بخراسان في صفر سنة ٧٢٢هـ في أسرة عريقة في العلم، حيث كان أبوه عالمًا وقاضيًا، وكذا كان جده ووالد جده من العلماء، لكنه أقام في سرخس، وأبعده تيمور لنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودُفن في سرخس.
كان التفتازاني إمامًا من أئمة التحقيق والتدقيق، فقد انتهت إليه رئاسة العلم في المشرق في زمنه، وفاق الأقران، وبرز في النحو والصرف والكلام والمنطق والبلاغة وغيرها، وكان يفتي بالمذهبين الشافعي والحنفي، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه.
وقد أخذ العلم عن كبار من مشايخ عصره، على رأسهم الإمام العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ قاضي قضاة المشرق وشيخ الشافعية ببلاد ما وراء النهر، لازمه التفتازاني ملازمة تامة، وعليه تخرج في علم الكلام والأصول والمنطق والبلاغة، وكان كثير الثناء عليه. ومن أساتذته أيضا: قطب الدين محمود بن محمد نظام الدين الرازي التحتاني، المتوفى سنة ٧٦٦هـ؛ وبهاء الدين السمرقندي الحنفي؛ وضياء الدين عبد الله بن سعد الله بن محمد عثمان القزويني الشافعي، المعروف بالقرمي وبابن قاضي القرم، المتوفى سنة ٧٨٠هـ.
من أشهر كتبه: «تهذيب المنطق»، و«المطول» في البلاغة، و«المختصر»، اختصر به شرح «تلخيص المفتاح»، و«مقاصد الطالبين» في الكلام، و«شرح مقاصد الطالبين»، و«النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ» للزمخشري، و«إرشاد الهادي» في النحو، و«شرح العقائد النسفية»، و«حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب» في الأصول، و«التلويح إلى كشف غوامض التنقيح»، و«شرح التصريف العزي» في الصرف، وهو أول ما صنف =

إذا لم يستحلها، .....

«العقائد النسفية»[1]: «قتل النفس بغير حق، وقذف المحصنة، والزنا، والفرار من الزحف، والسحر، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين المسلمين، والإلحاد في الحرم، وأكل الربا، والسرقة، وشرب الخمر».

والشرك بالله تعالى ليس من الكبائر، كما عده التفتازاني؛ بل هو كفر، وخروج عن حقيقة الإيمان، وهو الذي لا يغفره الله تعالى أبدًا إلا بالتوبة، لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[2].

وقيل: كل معصية أصر عليها العبد فهي كبيرة، وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة، والحق ما قال صاحب «الكفاية»: «إنهما اسمان إضافيان، لا يعرفان بذاتهما، فكل معصية أضيفت إلى ما فوقها فهي صغيرة، وإن أضيفت إلى ما دونها فهي كبيرة»[3].

(إذا لم يستحلها) والاستحلال كفر؛ لكونه علامة التكذيب؛ لأن من أحلَّ المعصية التي ثبتت حرمتها بالدليل القطعي فهو كافر، كالربا؛ فإن حرمته ثبتت بالدليل

---

= من الكتب، وكان عمره ست عشرة سنة، و«شرح الشمسية» في المنطق، و«حاشية الكشاف» لم تتم، و«شرح الأربعين النووية».
انظر للترجمة: «الدرر الكامنة»: (٤/ ٣٥٠)، و«إنباء الغمر»: (٢/ ٣٧٧ - ٣٧٩)، لابن حجر؛ و«عجائب المقدور»: (٤٦٧) لابن عرب شاه؛ و«الدليل الشافي على المنهل الصافي»: (٢/ ٧٣٤)، لابن تغري بردي؛ و«بغية الوعاة»: (٣٩١)، للسيوطي؛ و«مفتاح السعادة»: (١/ ١٩٠-١٩٢)، لطاش كبري زاده؛ و«شذرات الذهب»: (٦ / ٣١٩-٣٢٢)، لابن العماد الحنبلي؛ و«الفوائد البهية»: (١٢٨، ١٢٩) للكنوي؛ و«البدر الطالع»: (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٥)، للشوكاني؛ و«هدية العارفين»: (٢/ ٤٢٩، ٤٣٠)، لإسماعيل باشا البغدادي؛ و«معجم المؤلفين»: (١٢/ ٢٢٨)، لعمر رضا كحالة، و«الأعلام»: (٧/ ٢١٩)، للزركلي.

(١) انظر: «شرح العقائد النسفية»، (ص٣٣)، للتفتازاني.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) انظر: «شرح العقائد النسفية»، للتفتازاني، (ص٣٣).

ولا نزيل عنه اسم الإيمان.....

القطعي، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[1] فمن أكل الربا مستحلاً فهو كافر لا محالة، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، يعني من عاد إلى أكل الربا مستحلاً له ذلك، فأولئك المستحلون من أصحاب النار على الخلود والدوام.

(ولا نزيل عنه) أي: مرتكب الكبيرة (اسم الإيمان) لبقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان.

قال في «شرح العقائد»: «سب الصحابة والطعن فيهم إن كان مما يخالف الأدلة القطعية فكُفر، كقذف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[3]؛ لأن براءتها ثبتت بالدليل القطعي، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾[4] إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ﴾[5] الآية، فمن قذفها - والعياذ بالله - فقد أنكر الدليل، ومنكر الدليل القطعي كافر لا محالة.

وكذلك من أنكر إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لأن إمامة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبتت بالإجماع[6]، وإمامة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإن كانت باستخلاف من أبي بكر، لكن انعقد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: «شرح العقائد النسفية»، للتفتازاني، (ص٦٢).

(٤) سورة النور، الآية: ١١.

(٥) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٦) روى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»: (١٠/ ١٣٠) بإسناده إلى أبي محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الحافظ أنه قال: «أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، قالوا له: يا خليفة رسول الله، ولم يسم أحد بعده خليفة، وقيل: إنه قبض النبي ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم، كل قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، ورضوا به من بعده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ». اهـ
وقال إمام أهل السُّنة والجماعة أبو الحسن الأشعري في «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٦٦): «أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، ونطق القرآن =

.....

الإجماع على إمامته أيضا[1]، وإنكار ما ثبت بالإجماع كفر[2].

---

= بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم، ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسموه خليفة رسول الله ﷺ، وبايعوه، وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك». اهـ.

وقال الإمام عبد الملك الجويني في «كتاب الإرشاد» (ص٣٦١): «أما إمامة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ثبتت بإجماع الصحابة؛ فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والانقياد لحكمه». اهـ.

(١) وقد نقل إجماعَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم على خلافة عمر طائفة من أهل العلم الذين يعتمد عليهم في النقل. روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٩٩ - ٢٠٠)، والطبري في «تاريخ الأمم والملوك»: (٣/ ٤٢٨-٤٢٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٠/ ٤١١ - ٤١٣) أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر عثمان أن يخرج بالكتاب مختومًا ومعه عمر بن الخطاب وأسيد بن سعيد القرظي، فقال عثمان للناس: «أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم، وقال بعضهم: قد علمنا». قال ابن سعد: علي القائل: وهو عمر، فأقروا بذلك جميعا، ورضوا به وبايعوا.

(٢) مسألة تكفير من أنكر الإجماع:

تكفير من أنكر الإجماع مما اختلف فيه العلماء قديمًا وحديثا، والكلام فيه طويل لا يسعه المقام، والخلاصة: هناك طائفة من العلماء الأصوليين ذهبوا إلى أن الإجماع قطعي، وذهبت طائفة منهم إلى أن الإجماع ظني، فممن ذهب إلى أن الإجماع حجة قطعية: الصيرفي والدبوسي والجويني والغزالي والسرخسي أبو الخطاب وابن عقيل وابن برهان وابن مفلح وابن النجار وغير واحد، ونسبه السمرقندي والأصفهاني إلى الجمهور. فمن قال بقطعية الإجماع صرح بتكفيرمن أنكر الإجماع. انظر: «التمهيد»، لأبي الخطاب: (٣/ ٢٢٤)؛ و«الواضح»، لابن عقيل: (٥/ ١٠٤)؛ و«الميزان»، للسمرقندي: (٥٣٥)؛ و«المسودة»، لآل تيمية: (٣١٥)؛ و«شرح الكوكب المنير»، لابن النجار: (٢/ ٢١٤)؛ و«أصول ابن مفلح»: (٢/ ٣٧١)؛ و«التقرير والتحبير»، لابن أمير الحاج: (٣/ ١١١)؛ =

.....

على أن الحديث المشهور وهو قوله ﷺ: «اقتدوا بالَّلذين من بعدي أبي بكر وعمر»[1] دليل قاطع على الاقتداء بهما، فمن أنكر إمامتهما، فقد أنكر الإجماع والسُّنة المشهورة، وذا كفر لا محالة.

أما الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يثبت خروجه على الإمام الحق عند أهل السُّنة والجماعة، بل كان خروجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحق الشرع؛ لأن يزيد لم يكن من أئمة المسلمين؛ فإن بعض الصحابة كعبد الله بن الزبير وغيره لم يبايعوه[2]، ومن بايعه كان [مكرها][3] في ذلك، فلم تثبت إمامته بالإجماع؛ لأنه كان ظالمًا فاسقا شروبًا للخمر، منتهكًا لحرمات الله تعالى.

---

= و«البحر المحيط» للزركشي: (٤/ ٤٤٣)؛ و«إرشاد الفحول» للشوكاني: (١١٩).
وقد جعل بعض علماؤنا الحنفية الإجماعَ ثلاث مراتب:
المرتبة الأولى: إجماع الصحابة، وهو مثل الآية والخبر المتواتر، وهذا يعني القطعية.
المرتبة الثانية: إجماع من بعدهم فيما ليس فيه نقل عن الصحابة، وهو بمنزلة مشهور السُّنة من الأحاديث، وهذا ما اصطلح الحنفية على إفادته علم الطمأنينة، وهي مرتبة بين القطع والظن.
المرتبة الثالثة: إجماع من بعدهم فيما اختلف فيه الصحابة، وهو بمنزلة الصحيح من الآحاد، وهذا يفيد الظن عندهم. انظر: «كشف الأسرار»، للبخاري (٣/ ٤٧٩-٤٨٠)؛ و«شرح التلويح»، للتفتازاني: (٢/ ١٠٨)؛ و«البحر المحيط» للزركشي: (٤/ ٤٤٣).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٦٢)؛ وابن ماجه في «السنن» (٩٧)؛ وأحمد في «المسند» (٢٣٢٩٣)، والحديث حسن.

(٢) قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (١١/ ٤٧٧): «ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية، كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك، فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير، وخرجا من المدينة فارين إلى مكة فأقاما بها». اهـ.

(٣) كان في المخطوط المطبوع: «مكروها»، لعله سهو من الناسخ.

.....

أما اللعن عليه وعلى ابن زياد، فإن كانا راضيين بقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيجوز لعنهما، وإلا فلا[1]. أما قاتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلا خلاف في لعنته، فلعنة الله على قاتله وعلى

---

(١) مسألة جواز لعن يزيد وعدمه:

تعتبَر مسألةُ لعن يزيد بن معاوية وعدمه من المسائل المشهورة التي بُحِثت بين علماء أهل السنة والجماعة منذ أقدم الزمان. فمنهم من جوَّز لعنه، ومنهم من منع، ومنهم من توقف.

ومن أشهر من ذهب إلى جواز لعن يزيد بن معاوية: الإمام أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي؛ إذ صنّف رسالةً خاصة في هذه المسألة سمّاها: «الرّدّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد»، ردّ بها على أحد الحنابلة المانِعين من لعنه، وهو عبد المغيث الحربيُّ، ونقل فيها تجويزَ لعنه عن ابن عقيل وابن أبي يعلى، مع أنه سلّم في تلك الرسالة أن ترك اللعن أولى. انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح: (١/ ٢٨٦).

وممن أجاز لعن يزيدَ قوامُ الدين الصفاري الحنفي، لكن قال: «ينبغي أن لا يُفعَل»، وإلكيا الهراسي الشافعي، وسعد الدين التفتازاني الحنفي، وهو الذي اشتهر كلامه في المسألة اشتهارًا عظيمًا، وحافظ الدين الكردي الحنفي، وجلال الدين السيوطي الشافعي، والمؤرخ ابن تغري بردي، وابن محبّ الدين الحنفي، وعبد الرؤوف المناوي الشافعي، والسفاريني الحنبلي، وعزاه لأكثر المتأخرين من الحفاظ والمتكلمين، وشهاب الدين الألوسي صاحب «روح المعاني». انظر: «غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب»: (١/ ١٢٣)؛ و«مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة» (ص٦٩)؛ «روح المعاني» (١٣/ ٢٢٨).

ومنهم من أفرطوا في هذا الأمر، حتى حكموا عليه بالكفر! وذلك لخبر مكذوب استندوا إليه، وهذا الخبر أورده الهيتمي في «الصواعق المحرقة»: (٢/ ٦٣٠) فيما يرويه سبط ابن الجوزي تبعًا لجده ابن الجوزي، وهو إنشاد يزيد أبيات ابن الزِّبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا الكبش من أقرانهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وقال السفاريني: «ثمَّ وقفت على ترجمة يزيد -قَبَّحَهُ الملك المجيد- في كتاب «الوافي بالوفيات»، فرأيت فيه ما يشعر بكفر يزيد السفيه، فمن أعظم ما رأيت من قبائحه الفظيعة وفواضحه الشنيعة ما نقله في الكتاب المذكور عن ابن القفطي أن السبي لما ورد من العراق على يزيد، خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرية عليّ والحسين، والرؤوس على =

.....

من رضي بقتله ألف ألف لعنة.

---

= أسنة الرماح، وقد أشرفوا على ثنيّة العقاب، فلما رآهم أنشأ الخبيث يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني: أنَّه قتل بمن قتله رسول الله ﷺ يوم بدر مثل جدّه عتبة وخاله ولد عتبة ونحوهما، فجزمت حينئذ بكفر يزيد جزمًا ما عليه مزيد، وعلمتُ أن قائل هذا الكلام خارج عن ربقة الإسلام من غير شكّ ولا ريب، والله تعالى أعلم». اهـ. انظر: «البحور الزاخرة في أمور الآخرة»: (٢/ ٤٧٩)، و«غذاء الألباب» (١/ ١٢٤).

وقال الرحيباني بعد أن أورد هذه الحكاية: «فإن صحّ عنه هذا الكلام فلا ريب في خروجه من ربقة الإسلام». انظر: «مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى»: (٥/ ٦٥٩).

وهذه الحكاية كذب؛ قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «ومن قال أيضًا: إنه كان كافرًا، أو إن أباه معاوية كان كافرًا، وإنه قتل الحسين تشفِّيًا، وأخذًا بثأر أقاربه من الكفار، فهو أيضًا كاذِبٌ مفترٍ». ثم قال حول الشعر: «وهذا الشعر لعبد الله بن الزبعرى أنشده عام أحد لما قتل المشركون حمزة، وكان كافرًا، ثم أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، وقال أبياتًا يَذكُر فيها إسلامه وتوبته. فلا يجوز أن يُغلَى لا في يزيد ولا غيره، بل لا يجوز أن يُتَكَلَّمَ في أحدٍ إلا بعلم وعدل». انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٨١-٤٨٢).

وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه: «ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين، وإنما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب ثنايا الحسين، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا على أقتاب الجمال». انظر: «الصواعق المحرقة»: (٢/ ٦٣١)، و«الرد على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد»: (ص٦٣-٦٤).

والحق أن الذي فعل ذلك عبيد الله بن زياد، لا يزيد؛ وهو الذي ثبت من حديث أنس رضي الله عنه. قال الإمام ابن تيمية: «وكان يزيد لو يجتمع بالحسين من أحرص الناس على إكرامه وتعظيمه ورعاية حقِّه، ولم يكن في المسلمين عنده أجلُّ من الحسين، فلما قتله أولئك الظلمة حملوا رأسه إلى قُدَّام عبيد الله بن زياد، فنكت بالقضيب على ثناياه، وكان في المجلس أنس بن مالك، فقال: إنك تنكت بالقضيب حيث كان رسول الله ﷺ يُقَبِّل، هكذا ثبت في الصحيح». =

ونسميه مؤمنًا حقيقة، .....

(ونسميه) أي: مرتكب الكبيرة (مؤمنًا حقيقة) لا مجازا؛ لأن الإيمان هو التصديق

= انظر: «جامع المسائل» (٦/ ٢٦٠).
وقال الهيتمي: «وذكر - يعني ابن الجوزي - أشياء من قبيح ما اشتُهر عنه، ورده الرأس إلى المدينة وقد تغيَّرت ريحُه، ثم قال: وما كان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبغاة يُكفَّنُون ويُصَلَّى عليهم ويُدفَنُون؟! ولو لم يكن في قلبه أحقادٌ جاهلية وأضغانٌ بدرية لاحترم الرأسَ لما وصل إليه، وكَفَّنَه ودفَنَه وأحسن إلى آل رسول الله ﷺ». انظر: «الصواعق المحرقة»: (٢/ ٦٣١)؛ و«الرد على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد» (ص٦٤)؛ و«مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٨١).
قال الإمام ابن تيمية: «وأما حمل الرأس إلى الشام أو غيرِهَا والطواف به فهو كذب، والروايات التي تروى أنه حمل إلى قدام يزيد ونكت بالقضيب روايات ضعيفة لا يثبت شيء منها، بل الثابت أنه لما حمل عليّ بن الحسين وأهل بيته إلى يزيد وقع البكاء في بيت يزيد؛ لأجل القرابة التي كانت بينهم لأجل المصيبة. ورُوي أن يزيدًا قال: لعن الله ابن مرجانة - يعني ابن زياد - لو كان بينه وبين الحسين قرابة لما قتله. وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين. وأنه خَيَّر علي بن الحسين بين مقامه عنده وبين الرجوع إلى المدينة، فاختار الرجوع، فجهّزه أحسن جهاز». انظر: «جامع المسائل» (٦/ ٢٦٠-٢٦١).
وقد نُقل عن الإمام أحمد بن حنبل تكفير يزيد، نقل ابن حجر الهيتمي في «شرح الهمزية» القول بتكفير يزيد للإمام أحمد، فقال: «بل قال أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعًا وعلمًا يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك، ثبتت عنده، وإن لم تثبت عند غيره». انظر: «شرح الهمزية» (ص٥١٩).
وقال السفاريني: «وقد جزم بكفر يزيد جماعة من العلماء، منهم الإمام الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، ونُقِل عن الإمام أحمد مع شدة ورعه». انظر: «البحور الزاخرة في أمور الآخرة» (٢/ ٤٧٦-٤٧٧).
فهذا الذي يُنقل عن الإمام أحمد من تكفيره يزيد، لا يثبت عند محققي الحنابلة. رد ذلك ابن مفلح. نعم، نُقل عنه اللعن فقط، هذا مما لا اختلاف فيه. انظر: «الفروع» (١٠/ ١٩٠)، و«الإنصاف» (٢٧/ ١٠٩)، للمرداوي. =

.....

بالقلب والإقرار باللسان، أما العمل بالأركان، فهو من كمال الإيمان، وجمال

---

= من المعلوم، أن الإمام سعد الدين التفتازاني الحنفي ممن اشتهر كلامه في يزيد بن معاوية، وتداوله العلماء فيما بينهم، حيث قال في كتابه «شرح العقائد النسفية»: «وبعضهم أطلق اللعن عليه؛ لما أن كفر حين أمر بقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واتَّفقُوا على جواز اللعن على من قتله، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به. والحقُّ أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشارَهُ بذلك وإهانَةَ أهل بيت النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ مما تَواتَرَ معناه، وإن كانت تفاصيلُه آحادًا، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه، لعنةُ الله عليه وأنصاره وأعوانه». انظر: «شرح العقائد النسفية»: (٥٠٩).

فقول التفتازاني: «فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه» فَهِمَ منهُ كثيرٌ من الشارحين والمُحشّين على «شرح العقائد» تكفيرَ يزيد، قالوا: أي: لا يُتوقف في عدم إيمانه، بقرينة ما قبله وما بعده. بل فهم بعضهم من كلامه أن كفرَهُ ثابتٌ بالتواتر، وذهب بعضهم إلى أن المراد: أننا لا نتوقّف في شأنه من حيث اللعنة، بل نتوقف في إيمانه فلا نجزِمُ به، كما قاله شارحه ابن الغرس. انظر: «فيض القدير» للمناوي: (٣/ ٨٤)؛ و«فتح الإله الماجد» لزكريا الأنصاري: (ص٤٥٤)؛ وحاشية «جمع الفرائد» لصدر الورى القادري المصباحي (ص١٥٧)؛ و«حاشية ابن الغرس على شرح العقائد» (مخطوط).

أما ادعاء التفتازاني تواترَ ذلك، فتعقبه فيه الكمال ابن أبي الشريف في حاشيته على «شرح العقائد» بقوله: «ولعل هذا بالنسبة إلى اطلاع الشارح، وأما نحن فلم يخرج عندنا إلى عن حدِّ الشهرة إلى التواتر». انظر: «الفرائد في حل شرح العقائد» (ص٥٠٩-٥١٠).

وقال الملا علي القاري الحنفي مُعقِّبًا على ادعاء التفتازاني التواتر: «وَرُدَّ بأنه لم يثبت بطريق الآحاد، فكيف يُدَّعى التواتر في مقام المراد؟! مع أنه نقل في التمهيد عن بعضهم أن يزيدًا لم يأمر بقتل الحسين، وإنما أمرهم بطلب البيعة، أو بأخذه وحمله إليه، فهم قتلوه من غير حكمه». انظر: «ضوء المعالي لبدء الأمالي» (ص: ٦٤-٦٥).

وقال ابن الغرس: «والصحيح أنه لم يأمر بذلك، وإنما عبيد الله بن زياد الدّعيّ جهّز إليه السرية، وأمرهم أن يخيّروه بين النزول على حكم الدّعيّ أو القتال، فأبى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يموت إلا كريمًا». انظر: «حاشية ابن الغرس على شرح العقائد» (مخطوط).

وأما من منع لعن يزيد، فمنهم شيخ الإسلام الإمام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي، =

.....

الإحسان، ويُسمى المجموع إسلاما، فمتى كان حقيقة التصديق باقيًا في القلب

---

= حيث قال: «لا يجوز أن يُلعن شخص بخصوصه، إلا أن يُعلم موته على الكفر، كأبي جهل وأبي لهب، ولأن اللعن هو الطرد من رحمة الله، الملتزم لليأس منها، وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر.» انظر: «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة»، لابن حجر الهيتمي (٢/ ٦٣١).

ومنهم الإمام الحافظ ابن الصلاح الشهرزوري الشافعي، وقد سُئل عن يزيد، فقال: «لم يصح عندنا أنه أمر بقتله - أي قتل الحسين -، والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله - كرمه الله -، إنما هو عبيد الله بن زياد والي الكوفة آنذاك، وأما سب يزيد ولعنه، فليس من شأن المؤمنين، فإن صح أنه قتله أو أمر بقتله، وقد ورد في الحديث المحفوظ: «أن لعن المسلم كقتله»، وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم -، والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تحبه وتتولاّه، وفرقة أخرى تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاّه ولا تلعنه، وتسلك به سبيل سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وشبهه، وهذه الفرقة هي الصائبة، ومذهبها اللائق بمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة، جعلنا الله من خيار أهلها آمين». انظر: «قيد الشريد من أخبار يزيد» (ص٥٧-٥٩).

ومنهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الشافعي، وقد سُئل عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية، هل يحكم بفسقه أم لا؟ وهل كان راضيًا بقتل الحسين بن علي أم لا؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم لا؟ فلينعم بالجواب مثابًا. فأجاب: «لا يجوز لعن المسلم أصلًا، ومن لعن مسلمًا فهو الملعون، وقد قال رسول الله: المسلم ليس بلعان، وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم، وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص النبي، وقد صح إسلام يزيد بن معاوية وما صح قتله الحسين ولا أمر به ولا رضيه ولا كان حاضرًا حين قتل، ولا يصح ذلك منه ولا يجوز أن يُظن ذلك به؛ فإن إساءة الظن بالمسلم حرام، وقد قال الله: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ومن زعم أن يزيدًا أمر بقتل الحسين أو رضي به، فينبغي أن يعلم أن به غاية الحمق؛ فإن من كان من الأكابر والوزراء، والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله ومن الذي رضي به ومن =

.....

والإقرار جاريا باللسان، لا نسميه إلا مؤمنًا حقيقة.

---

= الذي كرهه لم يقدر على ذلك، وإن كان الذي قد قُتل في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف لو كان في بلد بعيد، وزمن قديم قد انقضى، فكيف نعلم ذلك فيما انقضى عليه قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد، وقد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب، فهذا الأمر لا تُعلم حقيقته أصلًا، وإذا لم يُعرف وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به. ومع هذا فلو ثبت على مسلم أنه قتل مسلمًا فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر، بل هو معصية، وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم تجز لعنته، فكيف بمؤمن تاب عن قتل.. ولم يُعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة، وقد قال الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، فإذن لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين بعينه لم يروه النص، ومن لعنه كان فاسقًا عاصيًا لله. ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيًا بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طولَ عمره مع جواز اللعن عليه لا يُقال له يوم القيامة: لِمَ لَمْ تلعن إبليس؟ ويقال للاعن: لم لعنت ومِنْ أين عرفت أنه مطرود ملعون، والملعون هو المُبعَد من الله وذلك علوم الغيب، وأما الترحم عليه فجائز، بل مستحب، بل هو داخل في قولنا: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه كان مؤمنًا، والله أعلم بالصواب». اهـ. انظر: «قيد الشريد من أخبار يزيد» (ص٥٧-٥٩).

وأما من اقتصد في هذا الأمر؛ فلم يقل بجواز لعن يزيد ولا بعدمه، ولعل الحق معهم، منهم شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية، وقد سُئل عن يزيد أيضًا فقال: «افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق طرفان ووسط، فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافرًا منافقًا، وإنه سعى في قتل سِبط رسول الله تشفيًا من رسول الله وانتقامًا منه وأخذًا بثأر جده عتبة وأخي جده شيبة وخاله الوليد بن عتبة وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها، وقالوا: تلك أحقاد بدرية وآثار جاهلية. وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان، فتكفير يزيد أسهل بكثير. والطرف الثاني يظنون أنه كان رجلًا صالحًا وإمامًا عدلًا وإنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي وحمله بيده وبرّك عليه وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر، وربما جعله بعضهم نبيًا.. وهذا قول غالية العدوية والأكراد ونحوهم من الضُلاّل. والقول الثالث: أنه كان ملكًا من ملوك المسلمين =

## ويجوز أن يكون مؤمنًا فاسقًا غير كافر.

(ويجوز أن يكون) العبد (مؤمنًا) بتصديقه وإقراره، (فاسقًا) بإتيانه الكبائر (غير كافر) لثباته بمقام التصديق والإقرار.

والحاصل: أن الفسق والبدعة لا يُزيلان الإيمان؛ لأنهما من أعمال الجوارح والأركان، ولا تأثير لأعمال الجوارح في إذعان القلب، ما لم يتغير القلب واللسان عن التصديق والإقرار، ولذا قال القُونَوي[1] في «شرح عمدة النسفي»: «ولا يُلعن صاحب

---

= له حسنات وسيئات ولم يولد إلا في خلافة عثمان ولم يكن كافرًا ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين وفُعل ما فعل بأهل الحرة، ولم يكن صحابيًا ولا من أولياء الله الصالحين وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة. ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته وفرقة أحبته وفرقة لا تسبه ولا تحبه وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين». اهـ. انظر: «قيد الشريد من أخبار يزيد» (ص٥٧-٥٩).

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي: «كان ناصبيًّا، فظًّا، غليظا، جلفا، يتناول المسكر ويفعل المنكر». وقال أيضا: «ويزيد ممّن لا نسبه ولا نحبه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك من ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه، وإنما عظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي ب٤٩ سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أولى منه ومن أبيه وجدّه». انظر: «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ٣٧).

ومنهم الحافظ عبد الغني المقدسي، وقد سُئل عن يزيد بن معاوية، فأجاب بقوله: «خلافته صحيحة، وقال بعض العلماء: بايعه ستون من أصحاب النبي -، منهم ابن عمر، وأما محبته: فمن أحبه فلا ينكر عليه، ومن لم يحبه فلا يلزمه ذلك؛ لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله -، فيلزم محبتهم إكرامًا لصحبتهم، وليس ثم أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين، كعبد الملك وبنيه، وإنما يمنع من التعرض للوقوع فيه، خوفًا من التسلق إلى أبيه، وسدًّا لباب الفتنة». انظر: «قيد الشريد من أخبار يزيد» (ص٥٧-٥٩).

(١) لم يصرح الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ باسم القونوي، فإنه هناك عالمان قونويان شَرَحَا عمدةَ النسفي. أحدهما: العلامة الشيخ أبو الثناء جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن =

.....

الكبيرة؛ لأن إيمانه معه، ولم ينقص بارتكابه الكبيرة، والمؤمن لا يجوز لعنه».

= القونوي الدمشقي الحنفي، المعروف بـ«ابن السراج»، المتوفى سنة ٧٧١هـ كان قاضي القضاة بدمشق، كما كان عالمًا فقيهًا أصوليًّا حنفيا. شرَحَ «عمدة العقائد» لأبي البركات حافظ الدين النسفي المسمى بـ«الزبدة في شرح العمدة». انظر للترجمة: «طبقات المفسرين» للداوودي: (٢/ ٣١٠).

والآخر: العلامة الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس الرومي القونوي الحنفي، المتوفى سنة ٧٨٨هـ وهو أيضا شرَحَ «عمدة العقائد» للنسفي المسمى بـ«شرح عمدة النسفي». انظر للترجمة: «الدرر الكامنة»، للعسقلاني: (٤/ ٢٩٢).

فلا أدري من أراده الشارح بالقونوي؛ فإن شرح كل واحد من القونويين لم أطلع عليه، لا مطبوعًا ولا مخطوطا، ولعل المراد هو الأول، والله أعلم.

## [مسائل فقهية تتعلق بعقيدة أهل السّنة]

### والمسح على الخفين سُنَّة، .....

(والمسح على الخفين سُنَّة) والأخبار فيه مستفيضة، حتى قيل: «إن من لم يره كان مبتدعًا». قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما قلت بالمسح حتى جاء في مثل ضوء النهار»[1].

وعنه: «أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين؛ لأن الآثار التي جاءت فيه في حيز التواتر»[2].

وقال أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خبر المسح يجوز نسخ الكتاب به لشهرته».

وروى ابن المنذر عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «حدثني سبعون رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مسح على الخفين».

قال الشيخ ابن الهمام: «وممن روى المسحَ عنه ﷺ: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وسعد، ومغيرة، وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وأبو أيوب، وأبو أمامة، وسهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد، وبلال، وغيرهم - رضوان الله عليهم أجمعين -»[3].

---

(١) انظر: «تبيين الحقائق»، للزيلعي (١/ ٤٥).

(٢) قال الإمام أبو حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فمن أنكره يُخشى عليه الكفر؛ لأنه قريب من الخبر المتواتر». انظر: «الجوهرة المنيفة في شرح وصية الإمام أبي حنيفة»، للملا حسين بن إسكندر الرومي الحنفي: (ص١١٨).

(٣) وقد نقل الشيخ محمد جعفر الكتاني حول هذا الموضوع كلامًا حسنًا في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»: (١/ ٦٢) ما ناسب أن يُذكَر برمته، قال الكتاني: في «فتح المغيث» للسخاوي: «جمَع بعض الحفاظ رواته من الصحابة، فجاوزوا الثمانين». قال: «وصرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر». وعبارة ابن عبد البر منهم: «روى المسح على الخفين عن النبي ﷺ نحو أربعين من الصحابة واستفاض وتواتر». وسبقه أحمد، فقال: «ليس =

.....

ويجوز للمقيم يومًا وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها؛ لما في «صحيح مسلم» عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويومًا وليلة للمقيم»(١).

ومسألة المسح على الخفين وإن كانت من الفروع الفقهية، لكن إيراده لرد إنكار الروافض؛ فإنهم بأجمعهم لا يرون المسح على الخفين، فصارت المسألة مسألة اعتقادية، فلزم إيراده هنا.

---

= في قلبي في المسح على الخفين شيء فيه أربعون حديثًا عن أصحاب رسول الله ﷺ ما رفعوا إلى النبي ﷺ وسلم وما وقفوا».

وفي «فتح الباري»: «صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم رواته، فجاوزوا الثمانين، منهم العشرة. وفي ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن البصري: حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخفين».

ومثله للزرقاني في «شرح الموطأ»، وفي «فيض القدير»: «وقد بلغت أحاديث المسح على الخفين التواتر، حتى قال الكمال بن الهمام: «قال أبو حنيفة: ما قلت به حتى جاءني فيه مثل ضوء النهار»، وعنه: «أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين؛ لأن الآثار التي جاءت فيه في حيز التواتر».

وفي «شرح العقائد النسفية»: قال الكرخي: «إني أخاف الكفر على من لا يرى المسح على الخفين؛ لأن الآثار التي جاءت فيه في حيز التواتر».

وفي «المعلم» للمازري: «أما جواز المسح، فالحجة له الأحاديث الواردة في المسح، وقد ذكر بعض التابعين من بلوغها في الكثرة ما دل على أنها ترتفع عن رتبة أخبار الآحاد وتلتحق بما هو متواتر في المعنى والمفهوم».

وقد نقله عياض في «الإكمال»: «والنصوص بتواتره كثيرة، ولكن تواتره كما نقلناه عن المازري وعياض معنوي لا لفظي. وقد صرح بذلك أيضًا السيوطي في شرحه لألفية العراقي، كما نقلناه عنه في الكلام على حديث: من كذب عليَّ... إلخ -فراجعه، وبهذه النصوص التي نقلناها يرد قول من قال: «إنه مشهور قريب من المتواتر أو شبيه به»، راجع: «التحرير»، لابن الهمام، و«شرحه» لابن أمير الحاج. انتهى كلام الكتاني.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٧٦).

والتراويح في شهر رمضان سنَّة. .....

(والتراويح في شهر رمضان سنَّة) لقوله ﷺ: «افترض الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه»(١).

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ صلى في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، فكثر الناس، ثم اجتمعوا في الثالثة، فلم يخرج عليهم، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن يُفترض عليكم»(٢).

وزاد البخاري في كتاب الصوم: «فتُوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك»(٣).

حتى جمع الناسَ عمرُ رضي الله عنه على إمام واحد؛ لما رُوي عن عبد الرحمن القارئ، قال: «خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر رضي الله عنه: «إني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل». ثم عزم، فجمعهم إلى أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر رضي الله عنه: «نعمة البدعة هذه»! رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذي(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٨٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧٥٣٣)؛ وعبد بن حميد في «مسنده» (١٥٩)؛ والنسائي في «السنن الصغرى» (٢٢٠٨)؛ وابن ماجه في «سننه» (١٣٢٨)؛ والبزار في «مسنده» (٩٦٠). وفيه النضر بن شيبان، قال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان ممن يخطئ، وضعف إسنادَ الحديث الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٩)؛ ومسلم في «صحيحه» كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (١٢٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان (٢٠٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان (٢٠١٠)؛ =

.....

ثم واظب بعد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»[1].

فالتراويح سنة من سنن رسول الله ﷺ، واجتماع الناس فيها على إمام واحد سنة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعمة البدعة هذه»، إنما هو بسبب جمعِهِ الناسَ فيها على إمام واحد[2].

ومسألة التراويح وإن كانت من الفروع الفقهية، لكن إيرادها هنا لرد الروافض؛ لأنهم بأجمعهم ينكرون ذلك، فصارت مسألة اعتقادية من وجه[3].

---

= عبد الرزاق في «المصنف»: (٤/ ٢٥٩)؛ ومالك في «الموطأ» (٣٠١).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧١٤٥)؛ وأبو داود في «السنن» (٤٦٠٧)؛ والترمذي في «الجامع» (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه في «السنن» (٤٤)؛ والدارمي في «مسنده» (٩٦)؛ والطبراني في «مسند الشاميين» (٤٣٨)؛ وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٢٣)؛ والطحاوي في «مشكل الآثار» (١١٨٦)؛ وفي «معاني الآثار» (٥٠٠). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال البزار، كما نقله عنه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١١٦٤): «هذا حديث ثابت صحيح». قال ابن عبد البر: «هو كما قاله البزار رَحِمَهُ اللَّهُ، حديث عرباض حديث ثابت». وقال البغوي: «هذا حديث حسن». وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢): «هذا الحديث صحيح».

(٢) قال ابن عبد البر: «وأما قول عمر: «نعمت البدعة»: في لسان العرب: اختراع ما لم يكن وابتداؤه، فما كان من ذلك في الدين خلافًا للسُّنة التي مضى عليها العمل، فتلك بدعة لا خير فيها وواجب ذمها، والنهي عنها، والأمر باجتنابها، وهجران مبتدعها، إذا تبين له سوء مذهبه. وما كان من بدعة لا تخالف أصل الشريعة والسُّنة فتلك نعمت البدعة – كما قال عمر –؛ لأن أصل ما فعله سنة». انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر: (٥/ ١٥٣).

(٣) صلاة التراويح وكذب الشيعة:

صلاة التراويح عند علماء الشيعة بدعة مُحرّمة! قال حبر من أحبارهم الشريف المرتضى في =

والصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر من المؤمنين جائزة. .....

(والصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر من المؤمنين جائزة) لقوله ﷺ: «صلوا خلف

= «الشافي في الإمامة» (٤/ ٢١٩): «رُوي عن النبي ﷺ حيث بيّن أن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، وكذلك الحال في صلاة الضحى وأنَّ البدعة ضلالة وهي في النار».

وقال حبرهم الأكبر المجلسي في «بحار الأنوار»: (٩٤/ ٣٨١): «رُوي عن أبي عبد اللَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: إنَّ قيام ليل شهر رمضان جماعة بدعة، وأنَّ النبي ﷺ لم يصلها وأنه نهى المسلمين من صلاتها جماعة، وقال له: إنها بدعة، وأنَّ هذه الصلاة لم يُصلها المسلمون أيام حكم أبي بكر ولا بداية أيام حكم عمر، بل ابتدعها بعد ذلك فاتبعه الناس».

ولا وجه لتبديع الشيعة صلاةَ التراويح إلا البغض والكذب. فلبغضهم للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وخاصة للخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنهم لما رأوا أن فضل إحياء سنة التراويح ينسب إليه، بادروا إلى إنكارها وتبديعها، واخترعوا أخبارًا نسبوها إلى النبي ﷺ وإلى علماء آل البيت، يزعمون فيها أنهم حكموا ببدعية صلاة التراويح، واتبعهم على ذلك جهالهم.

وقد رد شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ردًّا مفحمًا على الشيعة الدجاجلة كعادته، جزاه الله خيرا، حيث قال في «منهاج السنة» (٨/ ٣٠٤ - ٣٠٥): «قال الرافضي: الثالث عشر: أنه - يقصد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ابتدع التراويح مع أن ﷺ قال: «أيها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، فإن قليلًا في سنة خير من كثير في بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار».

قال ابن تيمية: «ما رئي في طوائف أهل البدع والضلال أجرأ من هذه الطائفة الرافضة على الكذب على رسول الله ﷺ، وقولها عليه ما لم يقله، والوقاحة المفرطة في الكذب، وإن كان فيهم من لا يعرف أنها كذب، فهو مفرط في الجهل، كما قال

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة، فيقال: ما الدليل على صحة هذا الحديث؟ وأين إسناده؟ وفي أي كتاب من كتب المسلمين رُوي هذا؟ ومن قال من أهل العلم بالحديث: إن هذا صحيح؟

الثاني: أن جميع أهل المعرفة بالحديث يعلمون علمًا ضروريًّا أن هذا من الكذب الموضوع على رسول الله ﷺ، وأدنى من له معرفة بالحديث يعلم أنه كذب، لم يروه أحد من المسلمين =

.....

كل بَرٍّ وفاجر»، أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وكذا يُصلَّي على كل بر وفاجر إذا مات على التصديق والإقرار، لقوله ﷺ: «صلوا على كل بر وفاجر»، رواه البيهقي[2].

---

= في شيء من كتبه: لا كتب الصحيح، ولا السنن، ولا المساند، ولا المعجمات، ولا الأجزاء، ولا يعرف له إسناد: لا صحيح ولا ضعيف، بل هو كذب بيّن.

الثالث: أنه قد ثبت أن الناس كانوا يصلون بالليل في رمضان على عهد النبي ﷺ، وثبت أنه صلى بالمسلمين جماعة ليلتين أو ثلاثا...». انتهى.

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، باب إمامة البر والفاجر (٥٢٢)؛ والدارقطني في «سننه» كتاب الصلاة: باب صفة من تجوز الصلاة معه والصلاة عليه (١٥٤٠)؛ والبيهقي في «السنن الكبير» كتاب الصلاة، باب: الصلاة خلف من لا يحمد فعله (٤٩٣٤).

أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (١/ ٤٢٢) من طريق الدارقطني، وأعله بمعاوية بن الصالح، وقال: «قال الرازي: لا يحتج به». قال الزيلعي في «نصب الراية»: (٢/ ٣٧) بعد أن ذكر كلام ابن الجوزي: «وتعقبه ابن الهادي، وقال: إنه من رجال الصحيح». ومثل هذا قال العيني في «البناية شرح الهداية»: (٢/ ٣٣٥). وقال ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٣/ ١٢١): «سكت عنه البيهقي». وقال البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٤/ ٢١٥) رقم (٥٩٢١): «إسناد صحيح، إلا أن فيه إرسالًا بين مكحول وأبي هريرة».

والحديث مروي من ثلاث طرق، لا يخلو كل واحد منها عن المقال، وأحسن الطرق طريق مكحول عن أبي هريرة، إلا أن بينهما انقطاعا، وقد استوفى البحث جمال الدين الزيلعي الحنفي في «نصب الراية»، إن شئت فراجعه. لكن معنى الحديث صحيح عند أهل السُّنة والجماعة، وعليه مبنى عقيدتهم.

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «نيل الأوطار»: باب ما جاء في إمامة الفاسق (٣/ ١٩٤) بعد أن تكلم عن إسناد الحديث: «ولكنه قد ثبت إجماع أهل العصر الأول من بقية الصحابة ومن معهم من التابعين، إجماعًا فعليًا ولا يبعد أن يكون قوليًا، على الصلاة خلف الجائرين؛ لأن الأمراء في تلك الأعصار كانوا أئمة الصلوات الخمس، فكان الناس لا يؤمهم إلا أمراؤهم في كل بلدة فيها أمير». اهـ.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبير» كتاب الصلاة، باب: الصلاة خلف من لا يُحمد فعله =

.....

وكذا يجوز الجهاد مع كل بر وفاجر[١].

وذكر الشيخ علي القاري في شرحه على «الفقه الأكبر»: «أن من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء»[٢].

وفي «المنتقى» للحاكم الشهيد[٣]: سُئل أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مذهب أهل السُّنة

---

= (٤٩٣٤)، ولفظه: «والصلاة واجبة على كل مسلم، برًّا كان أو فاجرا، وإن عمل الكبائر»؛ والدارقطني في «سننه» كتاب الصلاة: باب صفة من تجوز الصلاة معه والصلاة عليه (١٧٤٢)، ولفظه: «وصلوا على من قال: لا إله إلا الله...». وقد سبق الكلام عل هذا الحديث في التعليق السابق.

(١) هذا مستفاد من الحديث الذي أخرجه البيهقي في «السنن الكبير» كتاب الصلاة، باب: الصلاة خلف من لا يُحمد فعله (٤٩٣٤)، ولفظه: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برا كان أو فاجرا». انظر: التعليق السابق.

(٢) انظر: «شرح الفقه الأكبر»، للقاري: (ص١٢٣).

(٣) هو العلامة الفقيه المحدث الشيخ أبو الفضل محمد بن محمد بن أحمد المروزي السلمي البلخي، الشهير بالحاكم الشهيد، المتوفى سنة ٣٣٤هـ. ولي قضاء بخارى، ثم ولي وزارة خراسان. وكان لا ينهض بأعباء الوزارة، بل نهمته في العلم والطلبة الفقراء. وذكر السمعاني والقاري وغيرهما أن أبا عبد الله الحاكم الحافظ صاحب «المستدرك» قد تلمذ عليه وأخذ عنه. وكان يحفظ الفقهيات، ويتكلم على الحديث، ويصوم الخميس والاثنين ويقوم الليل ومناقبه جمة.

قال الذهبي: «كان بمرو، وهو شيخ الحنفية في زمانه». قال الحاكم أبي عبد الله: «ما رأيت في جملة من كتبت عنهم من أصحاب أبي حنيفة أحفظ للحديث، وأهدى إلى رسومه، وأفهم له منه». وقُتِل شهيدًا وهو في صلاة الصبح، في ربيع الأول، سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. من كتبه: «الكافي»، و«المنتقى»، كلاهما في فروع الحنفية .و«المختصر الكافي»، جمع فيه كتب محمد بن الحسن المبسوطة. انظر: «تاريخ الإسلام»، للذهبي: (٧/ ٦٨٥)؛ و«الجواهر المضية» للقرشي: (٢/ ١١٢-١١٣)؛ و«الوافي بالوفيات»، لابن خلكان: (١/ ١٣٠)؛ =

.....

والجماعة، فقال: «أن تُفَضِّل الشيخين، وتُحب الختنين، وترى المسح على الخفين، وتصلي خلف الإمامين»[1].

يعني: تُفضل أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتحب عثمان وعليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وترى المسح على الخفين جائزًا في السفر والحَضر، وتصلي خلف الإمام البر والفاجر؛ لأن علماء الأمة كانوا يصلون خلف الفسقة من غير نكير؛ لما نقل عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أنهم كانوا يصلون خلف الوليد، مع شربه الخمر، وإتيانه المنكرات[2].

وهذه المسألة أيضًا وإن كانت من الفروع الفقهية، لكن إيرادها هنا من جملة المسائل الاعتقادية؛ لتمييز أهل السُّنة عن غيرهم، مما خالفت فيه المعتزلة والشيعة من أهل البدع والأهواء.

---

= و«الأعلام» للزركلي: (٧/ ١٩)؛ و«الفوائد البهية»، للكنوي: (ص١٩٥)؛ و«مفتاح السعادة»، لطاش كبري زاده: (٢/ ٢١)؛ و«كشف الظنون» لحاجي خليفة: (١/ ٣٣٥).

(١) انظر: «شرح الفقه الأكبر» للقاري: (ص١٢٣). وهذا القول موجود أيضًا في «شرح العقائد النسفية»: (ص٢٥٥). وهو مروي عن الصحابي الجليل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «فتح القدير»، لابن الهمام: (١/ ٩٩).

(٢) انظر: «شرح الفقه الأكبر»، للقاري: (ص١٢٣).

## [تضرُّ مع الإيمان المعاصي والذنوب]

**ولا نقول إن المؤمن لا تضره الذنوب، وإنه لا يدخل النار، ولا إنه يخلد فيها وإن كان فاسقًا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا، .....**

(ولا نقول) بحسب الاعتقاد كالمرجئة: (إن المؤمن لا يضره الذنوب) بعد حصول الإيمان، لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1]؛ لأن الأمة متفقون على أن المؤمن مزجور بهذه الآية عن المعاصي.

(ولا نقول: إنه) أي: المؤمن المذنب (لا يدخل النار) (و) لا نقول: (إنه) أي: المؤمن المذنب (يُخلد فيها) أي: يكون مخلودًا في النار (وإن كان فاسقًا) بارتكاب الكبائر (بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنًا) أي: مصدقًا بالقلب، مُقرًّا باللسان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]، يفيد القطع بأنه يغفر كل ما سوى الشرك، وذلك يندرج فيه الصغيرة والكبيرة، إلا أن غفرانها يحتمل قسمين: لأنه يحتمل أن يغفر كلها لكل أحد، أو يغفر كلها للبعض دون البعض، فقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يدل على أنه تعالى يغفر كلها، ثم قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ يدل على أنه تعالى يغفر كلها، لا للكل؛ بل للبعض.

أما الشرك، فلا يغفر بدون التوبة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[4]، والله تعالى يقبل التوبة، ويعفو عن جميع السيئات؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[5].

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

.....

أما قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1]؛ فإن الخطيئة هاهنا ليست بمعنى الكبيرة؛ لأن المفسرين فسروها بأن يكون ظاهره وباطنه موصوفًا بالمعصية، وذلك إنما يتحقق في حق الكفار الذين يكونون عاصين لله تعالى بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، فالمسلم الذي يكون مطيعًا لله بقلبه ولسانه، ويكون عاصيًا لله ببعض أعضائه دون البعض، فهاهنا لا يتحقق الخطيئة به.

والحاصل: إنا نقطع بأنه سبحانه وتعالى يغفر عن العُصاة، وعن بعض المعاصي، لكن نتوقف في حق كل أحد على التعيين: أنه هل يعفو عنه أم لا؟ ونقطع أنه تعالى إذا عذَّب أحدًا منهم مدة؛ فإنه لا يعذبه أبدا، بل يقطع عذابه، وأنه يجوز أن يعفو عن الكبيرة، ويعذب بالصغيرة، وبالعكس إلى مدة ما أراده، وقدره بعلمه القديم الأزلي الأبدي.

ولا نشهد بالجنة والنار لأحد غير العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة؛ حيث قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[2].

وكذا نشهد بالجنة لعائشة وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، بقوله تعالى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨١.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٧٥)؛ والترمذي في «الجامع» (٣٧٤٧)؛ والنسائي في «السنن الكبرى»: (٥/ ٥٦). صحح إسناده أحمد شاكر في تخريج «المسند»: (٣/ ١٣٦)؛ وشعيب الأرناؤوط على شرط مسلم في تخريج «صحيح ابن حبان»: (٧٠٠٢).

ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة، وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة، ولكن نقول: من عمل حسنة بشرائطها خالية عن العيوب المفسدة والمعاني المبطلة، ولم يبطلها، حتى خرج من الدنيا، فإن الله تعالى لا يضيعها؛ بل يقبلها منه ويثيبه عليها. . . . . .

في آية البراءة: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]، وقوله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[2]، وقوله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[3].

(ولا نقول: إن حسناتنا مقبولة وسيآتنا مغفورة، كقول المرجئة) فإنهم يقولون: «إن العبد لا يضره الذنب بعد الإيمان»[4]، (ولكن نقول: من عمل حسنة بجميع شرائطها) كالصلاة مع الطهارة، والصدقة مع نيته القربة، (خالية عن العيوب المفسدة) أي: والحال أن تلك الحسنة تكون خالية عن العيوب المفسدة، كالتكلم في الصلاة، والأكل في الصوم، يكونان مفسدين لهما.

(والمعاني المبطلة) كالمَنِّ والأذى؛ فإنهما يبطلان الصدقة؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾[5] (ولم يبطلها) بأن تصدق على أحد، ثم آذاه بعد ذلك؛ فإن الأذى يبطل الصدقة، ولو كان بعد التصدق (حتى خرج من الدنيا) قبل إبطال تلك الحسنة (فإن الله تعالى لا يضيعها) أي: لا يضيع الله تلك الحسنة بمحض عدله (بل يقبلها) أي: تلك الحسنة (منه) بمحض فضله، (ويثيبه عليها)

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (١١٦٣٦)؛ والنسائي في «السنن الكبرى»: (٨٤٦١)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (١١٦٩). رجاله رجال الصحيح.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ١٣٩)؛ و«مقالات الإسلاميين»، للأشعري: (ص١٣٢).

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٦٥.

**وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها .....**

بمحض كرمه، لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ولقوله ﷺ: «قال ربكم: أنا أهل أن أُتقى، فمن اتقاني فأنا أهل أن أغفر له»[2].

والحاصل: أن الحسنات إذا وقعت بشروطها خالية عن العيوب المفسده والمعاني المبطلة، فإن الله تعالى يجيز عليها إتمامًا لوعده الكريم؛ فإن الكريم إذا وعد وفى، لكن لا ينجي أحدا عملُه، إلا أن يتغمده الله برحمته وفضل؛ لحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجي عملُه، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمد الله برحمته وفضل»، رواه الدارمي[3].

(وما كان من السيئات) أي: جميع المعاصي، سواء كانت من الصغائر ومن الكبائر (دون الشرك) بالله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ (والكفر) والكفر الأصلي ضد الإيمان، وهو أن يوجد الإنكار القلبي مع الإنكار اللساني، وهذا الكفر لا يغفر الله عنه بدون التوبة والإيمان، كما أن الشرك لا يغفر عنه بدون التوبة والإيمان، فإذا مات على الكفر الأصلي أو الشرك، مات كافرًا أو مشركا، فيخلد في النار، أما إذا مات وآمن بعد الكفر الأصلي أو الشرك ثم مات، عفا الله عنه، وأجاب دعاءه، وقبل توبته.

والكفر المجازي يُطلق على كفران النعمة، وذا خارج عن المبحث.

(ولم يتب عنها) أي: عن السيئات؛ صغيرها وكبيرها، دون ما استثناه من الشرك

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٣٣٢٨)؛ وابن ماجه في «سننه» (٤٢٩٧)؛ وأحمد في «المسند» (١٢٢٠٩)؛ والدارمي في «سننه» (٢٦٤٢). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند» (١٣٣٤٩): «إسناده ضعيف».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٤٦٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٨)، وغيرهما.

**حتى مات مؤمنًا فإنه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أبدا. .....**

والكفر الأصلي (حتى مات مؤمنًا) بتصديقه وإقراره غير تائب من عصيانه وكبائره (فإنه في مشيئة الله تعالى) أي: تحت إرادته القديم الأزلي الأبدي (إن شاء عذَّبه) بعدله على قدر استحقاقه العذاب (وإن شاء عفى عنه) بفضله وكرمه.

(لكن لا يعذبه بالنار أبدا) أي: لا يخلده في النار؛ بل يدخله الجنة بعد تعذيبه إلى مدة سبق بعلمه وإرادته القديم تعذيبه إلى ذلك المدة، ويدخله في الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1].

ونفس الإيمان عمل خير، لا يمكن أن يرى جزاءه قبل دخول الجنة بعد التعذيب، فتعين الخروج من النار بالإجماع.

والحاصل: أن الشرك والكفر الأصلي لا يُغفران بدون التوبة والإيمان، وإن تاب وآمن، فالله تعالى يعفو عنهما، لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[2]. والله تعالى يقبل التوبة ما لم يتغرغر، فاذا تغرغر، انقطع زمان التوبة، لقوله ﷺ: «إن الله يقبل التوبة ما لم يتغرغر»[3].

أما دون الشرك والكفر الأصلي من الكبائر، فالله تعالى يغفر لمن يشاء من غير توبة، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[4]، وقوله ﷺ: «من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئًا

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» أبواب الدعوات، حديث (٣٥٣٧)؛ وأحمد في «المسند» (٦١٦٠). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

**والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره،.....**

دخل الجنة، ولم يضره خطيئته»[١].

والفسق والبدعة لا يزيلان الإيمان، إلا إنكار علم الله الجزئيات، لقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾[٣].

(والرياء) وكذا السمعة (إذا وقع في عمل من الأعمال؛ فإنه يُبطل أجره) أي: يبطل الرياء والسمعة أجر ذلك العمل.

قال الشيخ[٤] في «اللمعات»[٥]: «أما الرياء، فخفي أمره غاية الخفاء».

وقال بعض المشايخ: «إدراك الرياء أصعب من دبيب النمل .....

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»: (٩٣)؛ وأحمد في «المسند»: (٦٥٨٦) واللفظ له، والبيهقي في «السنن الكبير» (١٢٤٤٦)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (٢٢٢٥)؛ والطبراني في «الأوسط» (٧٦٢٣)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢٤)؛ وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٢٢٢٤)؛ وعبد بن حميد في «مسنده» (١٠٦٤). وإسناد الحديث على شرط الشيخين.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٤) هو الشيخ العلامة عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي، المتوفى سنة ١٠٥٢هـ. وهو محدث وفقيه حنفي، من أهل دهلي، حج سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م، ومكث بعدها في مكة عدة سنوات، وأخذ عن علمائهما، ثم عاد بعدها إلى الهند، كما كان يجله ويحترمه ملوك ذاك الزمان جهانكير والشاه جهان. قيل: بلغت مصنفاته مائة مجلد، بالعربية والفارسية، منها: «مقدمة في مصطلح الحديث» بالعربية، و«ثبت» في مشايخه وأسانيده عنهم، و«لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح». يقع ضريحه في الحوض الشمسي الواقعة قرب قطب منار. انظر «الأعلام» للزركلي: (٣/ ٢٨٠).

(٥) انظر: «لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح» للشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي (٨/ ٥٣٦).

وكذا العجب.

في الليلة الظلماء على الصخر الأسود»[١].

والسُّمعة من السمع، وهو إزالة الخمول بنشر الذكر والأسماع، ومن شهر نفسه وقصد التشهير، شهر الله تعالى عيوبه يوم القيامة، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فقالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»، رواه الإمام أحمد[٣].

وزاد البيهقي في «شعب الإيمان»: يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[٤].

(وكذا العجب) يُبطل أجر العمل، لما رُوي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله

---

(١) ليس هذا من قول بعض المشايخ؛ بل هو من قول خير البرية ﷺ، الذي أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٤٩١٨)؛ وكذا أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٧)، والحديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٢٧٠)؛ والطبراني في «الكبير» باب: ما أسند شداد (٦٩٩٤)؛ والبزار في «مسنده» (٢٩٤٣). وإسناد الحديث حسن.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٦٣٠) من حديث محمود بن لبيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥). وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند».

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبير»: (٢/ ٢٩٠)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (٩٣٧)؛ والبغوي في «شرح السنة»: (٤١٣٥)؛ والطبراني في «الكبير»: (٤٣٠١)؛ وأحمد في «المسند»: (٢٣١١٩)؛ وابن حجر في «بلوغ المرام»: (١٤٨٤)، وحسنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (١/ ١٠٧): «رجاله رجال الصحيح».

.....

تعالى في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغناء والفقر؛ وأما المهلكات؛ فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن»، رواه البيهقي[1].

وكذا الكبر يحبط الأعمال، ويجعل صاحبه في خطر، لقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منها، أدخلته النار». وفي رواية: «قذفته في النار»، رواه مسلم[3].

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب»: (٧٠٠٣)؛ والطبراني في «الكبير»: (١١/ ٣٠١)؛ وفي «الأوسط»: (٥٩١٥)؛ والهيثمي في «المجمع»: (١/ ٤٩)؛ والبزار في «مسنده»: (٢٨٥٨)؛ وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٩٢). وطرق الحديث كلها ضعيفة، لذلك يحكم عليه عامة المحققين بالضعف. وعندي أن الحديث يرتقي إلى درجة الحسن بكثرة طرقه، ثم رأيت الشيخ الألباني أيضًا حسنه بشواهده في «تخريج المشكاة» (٥١٢٢)، والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٩١)؛ والترمذي في «الجامع»، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الكبر، (١٩٩٩)؛ وأبو داود في «السنن»، كتاب اللباس، باب: ما جاء في الكبر، (٤٠٩١)؛ وابن ماجه في «السنن»، باب: في الإيمان، (٥٩).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٦٢٠)؛ وأبو داود في «السنن» (٤٠٩٠)؛ وابن ماجه في «السنن» (٤١٧٤)؛ وأحمد في «المسند» (٧٣٨٢؛ والحاكم في «المستدرك» (٢٠٣).

## [آيات الأنبياء وكرامات الأولياء حق]

والآيات للأنبياء والكرامات للأولياء حق.....

(والآيات للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والكرامات للأولياء حق) ثابت بالكتاب والسُّنة، وقد نطق الكتاب بالآيات للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾[2]، كإحياء الموتى وغيرها من الآيات، وقوله عَزَّوَجَلَّ حكاية عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[4]، أي: انشق بنصفين.

وانشقاق القمر كان آية لنبينا ﷺ، لما رُوي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية»[5]. وقال مقاتل: «انشق القمر ثم التأم بعد ذلك»[6].

وأما السُّنة، فحديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجنا معه في بعض نواحيها، فمررنا بين الجبال والشجر، فلم نمر بشجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله»، رواه الدارمي[7].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٤) سورة القمر، الآية: ١.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٦٨).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان»: (٣/ ٢٩٦).

(٧) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢١)؛ والترمذي في «الجامع» (٣٥٨٨)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٣٦١٦)؛ وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٨٩)؛ والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤٨٤)؛ والمنذري في «الترغيب والترهيب»: (٢/ ٢١٦)؛ وابن حجر العسقلاني في «هداية الرواة»: =

.....

وكذلك نطق الكتاب بظهور كرامات الأولياء في حق مريم أم عيسى عَلَيْهَا السَّلَامُ، بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[1].

وكذلك وردت السُّنة بظهور الكرامات للأولياء: من جَرَيان النيل بإلقاء البطاقة[2]، ورؤية الجيش بنَهَاوَنْدَ من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو على منبر المدينة، كما

---

= (٥٨٦٢). حكم عليه الترمذي والبغوي بالغريب. وقال المنذري: «إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما». وقال ابن حجر العسقلاني: «إنه حسن».

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٧/ ١١٤-١١٥): «روينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بؤونة من أشهر العجم - فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنَّة لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله. قال: فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلًا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر: أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك». قال: فألقى البطاقة في النيل، فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلى اليوم». انتهى.
وهكذا رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص١٦٥)؛ واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة»: (٦/ ٤٦٣)؛ وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٤٤/ ٣٣٦)؛ وأبو الشيخ في «العظمة»: (٤/ ١٤٢٤) من طريق ابن لهيعة به.

.....

أخرجهما الحافظ السيوطي عن ابن عمر [١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكذلك ظهرت الكرامات عن كثير من أولياء الأمة، كما رُوي عن الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه لما ضربه المعتصم على القول بخلق القرآن، وحل إزاره، ستر عورته بيد [خرجت][٢] من الأرض، فتحير المعتصم، وكف عن ضربه[٣].

ونُقل عن الإمام عبد الله اليافعي[٤]: أن كرامات الشيخ عبد القادر

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٢١٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «وجَّه عمر جيشا، وولى عليهم رجلًا يُدعى سارية، فبينما عمر يخطب، جعل ينادي: يا سارية الجبل - ثلاثا -! ثم قدم رسول من الجيش، وسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هُزمنا، فبينما نحن كذلك، إذ سمعنا صوتًا ينادي: يا سارية الجبل - ثلاثا -، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل، فهزمهم الله. قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح هكذا وهكذا».
ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية»: (٧١٣١-١٣٢) وحسن إسناده. وقال العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٣١٧٢): «وإسناده كما قال الحافظ ابن حجر حسن».

(٢) كان في المخطوط: «خرج» بصيغة المذكر.

(٣) انظر: «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي، (ص١٤٨)؛ و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١١/ ٢٥٤)؛ و«تاريخ الإسلام» له: (١٨/ ٢٤١)؛ و«حلية الأولياء»: (٩/ ٢٠٦).
تنبيه: لقد أورد الذهبي حكايات حول هذه القصة في «السير» و«التاريخ»، وقال: «هذه حكاية منكرة، أخاف أن يكون داود وضعها». وقال أيضا: «هذه حكاية لا تصح، ولقد ساق فيها أبو نعيم الحافظ من الخرافات والكذب ما يستحيى من ذكره»! وقال: «هذه مكذوبة ذكرتها للمعرفة، ذكرها البيهقي وما جسر على تضعيفه».

(٤) هو عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، المتوفى سنة ٧٦٨هـ. مؤرخ وفقيه، باحث وصوفي، من شافعية اليمن. نسبته إلى يافع من حمير. ومولده ومنشؤه في عدن، ورجع إلى مكة سنة ٧١٨ هـ فأقام، وتوفي بها. من كتبه: «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» أربعة مجلدات؛ و«نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية»؛ و«الدر النظيم في خواص القرآن العظيم» رسالة؛ و«مرهم العلل المعضلة»؛ =

.....

الجيلي[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلغت حد التواتر[2].

ومعجزات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هي: ظهور أمر خارق للعادة على وفق التحدي، ويكون الأمر الخارق للعادة كرامة للأولياء لتقوية اليقين، إلا نحو ولد دون والد، وقلب الجماد بهيمة.

والحاصل: أن الأمور الخارقة للعادة متى نُسبت إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تكون معجزة لهم مع التحدي، ومتى نُسبت تلك الأمور خارقة للعادة إلى آحاد الأمة من الأولياء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تكون كرامة لهم بغير التحدي. وفي الحقيقة كرامات الأولياء لتصديق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأن كرامات التابعين كرامات للمتبوعين.

والولي هو: العارف بالله وصفاته ما يمكن له: المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي والسيئآت، المُعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، المحترز عن الغفلات واللهوات. ولن يكون وليًّا إلا أن يكون محقًّا في ديانته. وديانته: الإقرار

---

= و«روض الرياحين في مناقب الصالحين»؛ و«أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر». انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر: (٢/ ٢٤٧)؛ و«الأعلام» للزركلي: (٤/ ٧٢).

(١) هو الإمام الشيخ العارف بالله أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان - وراء طبرستان -، وانتقل إلى بغداد شابًّا سنة ٤٨٨هـ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ، وتوفي بها. له كتب، منها: «الغنية لطالب طريق الحق»، و«الفتح الرباني»؛ و«فتوح الغيب»؛ و«الفيوضات الربانية». انظر: «الأعلام»، للزركلي: (٣/ ٤٧).

(٢) قاله في كتابه: «أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر». ويقول العز بن عبد السلام: «إنه لم تتواتر كرامات أحدٍ من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر؛ فإن كراماته نقلت بالتواتر». انظر: «ذيل طبقات الحنابلة»، لابن رجب (١٣٤)؛ و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢٠/ ٤٤٣).

وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس.....

بالقلب واللسان برسالة رسوله، مع الطاعة له في أوامره ونواهيه.

ولن يَصِل ولي من أولياء الله تعالى - وإن كانت درجته أعلى درجات الولاية - إلى أدنى درجة نبي من أنبياء الله تعالى - وإن كانت درجته أدنى درجات النبوة ؛ لأن الأولياء لم يَصلوا إلى المعرفة إلا بتبعية الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فمعرفتهم في الحقيقة تبع لمعرفة النبوة، وظِل من ظلالها، وأنى يَصل التابع إلى المتبوع، وظِل إلى الأصل؟ قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

واختلفوا في هذه البشارة، ورُوي عن عبادة بن الصامت، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، قال: «هي الرؤيا الصالحة». رواه الإمام محيي السُّنة في «تفسيره»[2].

(وأما التي تكون لأعدائه) يعني الخوارق التي تكون لأعداء الله تعالى (مثل إبليس) في جَرَيانه مجرى الدم من بني آدم[3]، ووسوسته في الصدور[4]؛ لقوله تعالى:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢-٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٢٧٥)؛ وابن ماجه في «السنن» (٣٨٩٨)؛ وأحمد في «المسند» (٢٢٧٦٧) واللفظ له. وحكم عليه شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند» بأنه صحيح لغيره.

(٣) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣١٠١)، ومسلم في صحيحه (٢١٧٤) عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».

(٤) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٢٧٦)؛ ومسلم في «صحيحه» (١٣٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله وليته».
وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان»: (١/ ٣٢٦)؛ والخطيب التبريزي في «المشكاة» =

وفرعون والدجال .....

﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[1]، (وفرعون) في جريان النيل تحت قصوره بأمره؛ لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾[2]، (والدجال) في أمره السماءَ بالمطر، فتمطر فيما يرى الناس، كما ورد في الخبر الصحيح عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]

---

= (٢٢٨١)؛ والهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ١٤٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس، ولذا سمي الشيطان بـ«الخناس». وضعفه الهيثمي والمنذري والحافظ.

(١) سورة الناس، الآية: ٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٣) أخرج أحمد في «المسند» (١٤٩٥٤) واللفظ له؛ وابن خزيمة في «التوحيد»: (١/ ١٠٢)؛ والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»: (٥٦٩٤) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسَّنة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا، فيقول للناس: أنا ربكم، وهو أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر -ك ف ر مهجاة- يقرؤه كل مؤمن كاتب، وغير كاتب، يرِد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة، حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة بأبوابها، ومعه جبال من خبز، والناس في جهد إلا من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة، فهو النار، ومن أدخل الذي يسميه النار، فهو الجنة، قال: ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول: أيها الناس! هل يفعل مثل هذا إلا الرب، قال: فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم، فيحاصرهم، فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا، ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني، فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، قال: فحين يرى الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله، =

**مما روي في الأخبار أنه كان لهم، فلا نسميها آيات ولا كرامات؛ ولكن نسميها قضاء حاجات لهم؛ وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة، ويزدادون عصيانا أو كفرا، .....**

(مما رُوي في الأخبار) من الأحاديث والآثار.

(إنه) أي: بعض الخوارق (كان لهم) أي: لأعدائه الذين ذُكروا، إلا أن الدجال وإن كان سيأتي بعد؛ إلا أنه لما أخبر بخوارقه المخبر الصادق قبل خروجه، فصارت خوارقه أيضًا من جملة الخوارق الماضية (فلا نسميها) أي: تلك الخوارق التي صدرت من أعداء الله تعالى، وما ستصدر عن بعضهم (آيات) أي: معجزات؛ لأنها مختصة بالأنبياء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، (ولا كرامات)؛ لأنها مخصوصة لأولياء الله تعالى.

(ولكن نسميها قضاء حاجات لهم) أي: للأعداء، (وذلك) أي: إعطاء الخوارق للأعداء (لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجًا لهم) في الدنيا (وعقوبة) لهم في العقبى، لقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، أي: سنستدرجهم قليلًا قليلًا إلى ما يُهلكهم؛ وذلك أن يُواتر الله نعمه مع انهماكهم في الغي، فكلما جدد عليهم نعمته ازدادوا بطرا، وجدَّدوا معصية، فيندرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن متواتر النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هو خذلان منه وتبعيد، وهو استفعال من الدرجة، بمعنى الاستنزال درجة بعد درجة.

(فيتغيرون به) أي: بتلك الاستدراجات الحاصلة لهم (ويزدادون عصيانًا) إذا حصل ذلك للعصاة الفجار، (أو كفرا)، إذا حصل ذلك للكفار الأشرار؛ لأن الاستدراج كما يحصل لبعض الكفار، كذلك يحصل ذلك لبعض الفجار أيضًا؛ ولذلك استغفر كثير من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين إذا حصل لهم سرور

---

= هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله».

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند»: «إسناده على شرط مسلم».

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.

وذلك كله جائز وممكن.

على خلاف العادة؛ لظنهم من أن يكون ذلك استدراجًا لهم[١]!

(وذلك كله جائز) بالنقل، كما مر (وممكن) بالعقل، بدليل أن الله تعالى محسن لعباده، ومجيب لدعواتهم، فإحسان الآخرة وإجابة الدعاء لتلك الدار مختصة للمؤمنين، وإحسان الدنيا وإجابة الدعوة [فيها][٢] يحصل للكافرين؛ لحرمانهم عن ثواب الآخرة، والاستدراج في الدنيا من أعظم النعم لهم في هذه الدار.

والحاصل: أن الخوارق مع التحدي إذا نُسبت إلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تسمى آية، أي: معجزة، وإعطاء المعجزات للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تكون لثبوت دعوى النبوة منهم، وتلك الخوارق بغير التحدي إذا نُسبت إلى أولياء الله تعالى، تُسمى كرامات لهم، تكون لتقوية اليقين، وإذا حصلت الخوارق لبعض الكفار والفجار، تُسمى استدراجا، وإعطاء الاستدراج لبعض الكفار والفجار يكون إحسانًا لهم في الدنيا، وخذلانًا لهم في الآخرة، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٣].

(١) وعلى ذلك يدل ما أخرج البخاري في «صحيحه» (١٢٢٨) عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتي بطعام وكان صائما، فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفِّن في بردة، إن غُطِّي رأسه، بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه - وأراه قال: وقُتل حمزة وهو خير مني - ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط - أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجِّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

(٢) كان في المخطوط: «فيه».

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٠.

## [عقيدة خالقية الله ورازقيته]

**وكان الله خالقًا قبل أن يخلق، ورازقًا قبل أن يرزق.**

(وكان الله خالقًا) من الأزل الذي لا بداية له (قبل أن يخلق) هذا العالَم (ورازقًا) من الأزل (قبل أن يرزق) أي: يحدث أرزاقها؛ وهذا لأن صفة التخليق والترزيق له جَلَّجَلَالُهُ أزلي بلا بداية، وأبدي بلا نهاية، وهذا العالَم الذي نحن فيه حادث ممكن، فلو لم نُثبت صفة التخيلق والترزيق له جَلَّجَلَالُهُ من الأزل، لكان قولنا: «إنه قديم واجب بجميع صفاته» باطلا، فوجب القول: بأنه جَلَّجَلَالُهُ كان خالقًا ورازقًا من الأزل قبل أن يُحدث؛ أي: يُظهر هذا العالَم من العدم إلى الوجود بمقتضى إرادته وتقديره الذي سبق في علمه القديم بإيجاد ذلك.

والحاصل: أن الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ من حيث إنه قديم واجب بجميع صفاته الذاتية والفعلية، كان خالقًا ورازقًا من الأزل قبل أن يخلق هذا العالَم ويُحدث أرزاقها، ويكون باقيًا بصفة التخليق والترزيق بعد فناء هذا العالَم إلى الأبد، فهو الذي لم يزل ولا يزال خالقًا ورازقًا من الأزل إلى الأبد.

فكم من عوالمَ خلقها ورزقها ثم أفناها وأعدمها من الأزل الذي لا بداية له، وكم من عوالمَ موجود له الآن مثل هذا العالَم الذي نحن فيه، هو خالقها ورازقها ومفنيها عند انقضاء آجالها؛ لما رُوي عن وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا منها عالم واحد»[1].

---

(١) انظر: «أخبار الزمان»، لأبي الحسن المسعودي: (ص٤١)؛ و«خريدة العجائب وفريدة الغرائب»، لابن الوردي الحفيد: (٤٢١). وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» تحت الآية الثانية لسورة الفاتحة، وعزاه إلى البغوي، ولم يعقب هذا الخبر الغريب على خلاف عادته! وذكره البغوي في «تفسيره»؛ والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه إلى أبي الشيح في =

.....

هذا خبر منه ﷺ للعوالم الموجودة، وكم من عوالم يخلقها ويرزقها، ثم يفنيها بعدُ؛ إلى الأبد الذي لا نهاية له، لا يعلمها إلا هو، وإليه يشير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[2]، وهو القديم الواجب الذي لا تُحصى مخلوقاته، ولا تُعدُّ مرزوقاته، وأنى يصل الفهم الناقص الحادث إلى درك صفاتِ مَن لا بداية ولا نهاية لصفاته! فلو أراد خلقَ ألفِ ألفِ عالَم وأزيدَ - مما فيه العرش والكرسي والشمس والقمر والنجوم والسماوات والأرضون والجبال والبحار وغير ذلك - في أقل من طرفة عين، لقَدَرَ عليه؛ لأن هذه الماهيات ممكنة، والحق جَلَّجَلَالُهُ قادر على كل الممكنات، ولهذا قال المعري[3] في قصيدة طويلة له:

يا أيها الناس كم لله من فلك ... تجري النجوم به والشمس والقمر[4]

---

= «العظمة»؛ وأبي نعيم الأصبهاني في «الحلية». أظن أنه من الإسرائيليات، والله أعلم.
وهنا جدير بالذكر، أن هذا الخبر مقطوع على وهب بن منبه، غير مرفوع إلى النبي ﷺ.

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٤.

(٣) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد القضاعي التنوخي المعروف بـ«أبي العلاء المعري»، هو شاعرٌ ومُفكِّر ونحويّ وأديب وفيلسوف، من كبار أعلام الحضارة الإسلاميَّة عُمومًا، وأحد أعظم شُعراء العرب والعربيَّة خُصُوصًا. وُلد سنة ٣٦٣هـ في معرة النعمان، وهي من أعمال حلب شماليّ الشَّام، ونُسِب إليها فصار «المعرِّي»، وكان غزير الأدب والشعر، وافر العلم، غايةً في الفهم، عالمًا بِاللُّغة، حاذقًا بِالنحو. عاش أغلب حياته خلال العصر العبَّاسي الثاني الشهير بِـ«عصر نُفُوذ الأتراك». فقد بصره وهو ما زال في الرابعة من عمره نتيجة إصابته بمرض الجدري، ومات في معرة النعمان سنة ٤٤٩هـ. انظر: «الأعلام»، للزِّركلي: (١/ ١٥٧).

(٤) ذكره فخر الدين الرازي في «التفسير الكبير»: (١٥/ ٦٣) تحت تفسير الآية: (١٨٥).

.....

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله تعالى في جانب الغرب أرضًا، يقال لها: «البيضاء»، تقطعها الشمس بأربعين [يوما][1]، فيها خَلقٌ ما عصوا الله طرفة عين، فقال ابن عمر: يا رسول الله أين إبليس منهم؟ قال: ما علموا بإبليس خُلق أم لا، فقال: أهم من بني آدم؟ قال: ما علموا بآدم خُلق أم لا»[2].

فقوله ﷺ بـ«أربعين يوما»: إشارة إلى أن تلك الأرض تزيد على أيام هذه الكرة الأرضية التي نحن فيها بأربعين مرة، فعلى هذا تكون «الأرض البيضاء» بأربعين مرة.

ولقائل أن يقول: لو كان الله تعالى قادرًا على أن يخلق ألف ألف عالَم وأكثر مثل هذا العالم الذين نحن فيه في أقل من طرفة عين، فلِمَ خلق هذا العالم في ستة أيام كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[3]؟ قلت: لا شك في أن الله تعالى قادر على خلق هذا العالَم ومثلِها من العوالم إلى ما لا نهاية لها في أقل من طرفة عين، لكن خلقُه لهذا العالم في ستة أيام للدلالة على أن دوران هذا العالَم يكون في سبعة أيام، من حين خلقها إلى غاية فنائها وانقضاء آجالها، فستة أيام منها خلق فيها العالم من السماوات والأرض والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم وغيرها، وفي اليوم السابع خلق العرش والكرسي، فصارت حساب الأيام بالسبعة متداوَلة في هذا العالم من حين خلقِه إلى زمان فنائه وعدمه، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[4].

---

(١) كان في المخطوط المطبوع: «أيام».

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره»: (٨/ ١٨٤)، وحكم عليه بأنه مرسل ومنكر جدا. وحكم عليه بالوضع الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة»: (٥٧٣٩). وقد رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا حكم بالوضع على حديث يماثله في «بغية المرتاد» (٢٢١).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

.....

والله تعالى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر ساعة من يوم الجمعة، وهو أشرف مخلوقات هذا العالم، بدليل أن الملائكة سكان العالم العلوي أُمروا بالسجود له، ولا شك أن المسجود له يكون أفضلَ من الساجد، وبه يُستدل أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة[1].

وأما رسل الملائكة، فهم [أفضل][2] من سائر البشر، غيرِ الرسل منهم بالإجماع. وأفضل الملائكة جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما في حديث الطبراني[3]. والمطيعون من عامة البشر [أفضل] من عامة الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[4].

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصواعق المرسلة»: (٣/ ١٠٠٢) «إن الله سبحانه يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها، وهذا من كمال قدرته سبحانه، ولهذا كان محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح والرسل أفضل من الملائكة، ومذهب أهل السُّنة أن صالحي البشر أفضل من الملائكة، وإن كانت مادتهم نورا، ومادة البشر ترابا». اهـ.
وقال أيضًا في «طريق الهجرتين»: (ص٣٤٩-٣٥٠): «صالح البشر أفضل من الملائكة؛ لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق، وهي كالنفَس للحي. وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس، وقمع الشهوات ومخالفة دواعي الطبع، فكانت أكمل، ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم على الملائكة لهذا المعنى ولغيره». اهـ.

(٢) وكان في المخطوط المطبوع هناك وفي المواضع التالية: «أفضلون» على خلاف القاعدة النحوية.

(٣) أخرج الطبراني في «الكبير»: (١١/ ١٦٠) (رقم١١٣٦١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل الملائكة؟ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٨/ ١٩٨): «وفيه نافع بن هرمز، متروك». ثم ذكره في (٣/ ١٤٠) و (٢/ ١٦٥) وقال عنه في الموضعين: ضعيف.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٢.

.....

أما عامة الملائكة، فهم [أفضل] من عصاة البشر، لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1]، وكذا المطيعون من الجن [أفضل] من عصاة البشر، كما بينا[2].

ولما كان يوم الجمعة أشرفَ الأيام - بدليل أن أشرف المخلوقات آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلق فيه - جعل ذلك اليوم عيدًا لسيد الأنبياء محمد ﷺ وأمته، عُلم بهذا كله أن خَلْقَه هذا العالَمَ ودورانها بالأيام السبعة كلها كانت من بدء خلقه؛ تشريفًا لسيد الخلق محمد ﷺ، فأعطى له ولأمته ذلك اليوم الأشرف - وهو يوم الجمعة - وفضَّله على سائر الأيام الستة، كما أن الرسول ﷺ فضَّله على سائر الأنبياء والأولياء من أهل الأرض والسماء، وإليه يشير قوله ﷺ: «سيد الأيام الجمعةُ»[3]. فهذا غايه التحقيق في هذا الباب.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) فائدة: قال الرازي في «تفسيره»: (١١/ ١١٩): قوله: «ولا الملآئكة المقربون» يدل على أن طبقات الملائكة مختلفة في الدرجة والفضيلة، فالأكابر منهم مثل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش. اهـ.
فائدة أخرى: الملائكة المقربون هم المسمون بـ«الكروبيين». قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ١٦١): وفي حديث أبي العالية: «الكروبيين سادة الملائكة» هم المقربون. اهـ. انظر: «البداية والنهاية»، لابن كثير (١/ ٤٩)؛ و«معارج القبول»: (٢/ ٨٧).
قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر أقسام الملائكة: «ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]. انظر: «البداية والنهاية»: (١/ ٤٩).

(٣) أخرج ابن ماجه في «سننه» (١٠٨٠) عن أبي لبابة بن عبد المنذر، قال: قال النبي ﷺ: «إن يوم الجمعة سيد الأيام». وكذا أخرجه ابن جرير في «تفسيره»: (٢٤/ ٣٣٤)؛ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٤٩) من حديث سعيد بن المسيب مرسلا بسند صحيح؛ وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٧١٧) من حديث أنس؛ والحاكم (١٠٢٦) من حديث أبي هريرة؛ وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٦٣٨) من كلام عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح.

## [رؤية الله تعالى في الآخرة حق]

**والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم،**

(والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم)، لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، وقوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضَامُونَ في رؤيته»، الحديث؛ رواه الشيخان عن جرير بن عبد الله[2].

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، قال: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة، وتُنجنا من النار؟ قال: فيَكشِف الحجاب، فما أُعطُوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][3]. فالمثوبة الحسنة هي الجنة، والزيادة هي رؤية الرب جَلَّ جَلَالُهُ.

وينبغي أن يُعلم أن مذهب أهل السُّنة قاطبة أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا على وقوعها في الآخرة، وأن رؤيته جَلَّ جَلَالُهُ في الآخرة تكون مختصة بالمؤمنين، دون الكافرين، فما قالت المعتزلة والخوارج من أهل البدع باستحالة الرؤية مردود قطعا[4]، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٢-٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٤٣٦)؛ ومسلم في «صحيحه» (٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٨١).

(٤) قال التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» (١/ ٥١): «وقد استدل أهل الحق على إمكان الرؤية بوجهين: عقلي وسمعي.
تقرير الأول: إنا قاطعون برؤية الأعيان والأعراض، ضرورةَ إنا نفرق بالبصر بين جسم =

.....

فمن بعدهم من سلَفِ الأمة على إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين من الصحابة عن رسول الله ﷺ، ونصوص الكتاب فيه مشهورة[1].

---

= وجسم، وعرض وعرض. ولا بدَّ للحكم المشترك من علة مشتركة، وهي إما الوجود أو الحدوث أو الإمكان؛ إذ لا رابع يشترك بينهما. والحدوث: عبارة عن الوجود بعد العدم، والإمكان: عبارة عن عدم ضرورة الوجود والعدم. ولا مدخل للعدم في العلة، فتعين الوجود، وهو مشترك بين الصانع وغيره، فيصح أن يُرى من حيث تحقق علة الصحة، وهي: الوجود، ويتوقف امتناعها على ثبوت كون شيء من خواص الممكن شرطا، أو من خواص الواجب مانعا. وكذا يصح أن تُرى سائر الموجودات من الأصوات والطعوم والروائح، وغير ذلك. وإنما لا تُرى بناءً على أن الله تعالى لم يخلق في العبد رؤيتها بطريق جري العادة، لا بناءً على امتناع رؤيتها...

وتقرير الثاني: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد سأل الرؤية بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلو لم تكن الرؤية ممكنة، لكان طلبها جهلًا بما يجوز في ذات الله تعالى، وما لا يجوز، أو سفهًا وعبثًا وطلبًا للمحال. والأنبياء منزهون عن ذلك، وأن الله قد علق الرؤية باستقرار الجبل، وهو أمر ممكن في نفسه. والمعلق بالممكن ممكن؛ لأن معناه الإخبار بثبوت المعلق عند ثبوت المعلق به، والمحال لا يثبت على شيء من التقادير الممكنة». اهـ.

(١) منها قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ومن المعلوم، أن من لوازم اللقاء الرؤية والمعاينة، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: ٥]؛ وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. قال الإمام اللغوي أبو العباس أحمد بن يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بالأبصار». وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسب إلى الحي السليم من العمى والمانع، اقتضى المعاينة والرؤية».

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الكفار: ﴿كَلَآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. قال الحسين بن الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ: «كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته». وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما حجب الله أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه». وقال الإمام =

**بلا تشبيه ولا كيفية ولا جهة، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.**

أما رؤيته جَلَّجَلَالُهُ في الدنيا، فمذهب عامة السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع، ولعل ذلك مختصٌّ بالبصر؛ أما الرؤية بالفؤاد، فممكن الوقوع لبعض أخص الخواص، كما وقع للنبي ﷺ؛ لما رُوي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1]، قال: «رآه بفؤاده مرتين»، رواه مسلم[2]. وبه قال جمهور السلف والخلف - رضوان الله عليهم أجمعين-.

(بلا تشبيه)؛ لأنه لا يُشبه شيئا، ولا يشبهه شيء من الأشياء، فثبت بالضرورة تنزيهه جَلَّجَلَالُهُ عن التشبيه في مقام الرؤية، (ولا كيفية)؛ لأن الكيفية تجري في [المتكيفات][3]، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ منزَّه عن الكيفيات، فثبت بالضرورة تنزيهه عن الكيفية في مقام الرؤية.

(ولا كمية)؛ لأن الكميات تجري في الأشياء المُحدَثة، من حيث الصفات العارضة، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ منزَّه مقدس عن صفة الكمية، فثبت بالضرورة تنزيهه جَلَّجَلَالُهُ في مقام الرؤية عن الكمية.

(ولا يكون بينه) أي: بين الله تعالى (وبين خلقه مسافة)؛ لأن المسافة تطلق على القريب بصفة القرب، وعلى البعيد بصفة البعد، وكلاهما صفتان حادثتان ممكنتان، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ منزه مقدس عن صفات الحدوث والإمكان، فثبت بالضرورة تنزيهه جَلَّجَلَالُهُ في مقام الرؤية.

---

= الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلما حجبهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا». انظر: «حادي الأرواح» (٢٤٥)؛ و«الإبانة الكبرى»، لابن بطة (٧/ ٦٣)؛ و«التفسير الكبير»، للرازي (١٣/ ١٣١).

(١) سورة النجم، الآية: ١١.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٧٦).

(٣) كان في الأصل المخطوط: «المكتفيات».

.....

وكذا لا يرونه في مكان؛ لأنه جَلَّجَلَالُهُ مقدس منزه عن صفات التمكن في مكان، ولا على جهة مقابلة؛ لأن تقابل الجهات من صفات الأجسام، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ منزه عن صفة الجسمية.

ولا باتصال شُعاع؛ لأن الشعاع يكون لذوي الأجرام، كالشمس والقمر، والله تعالى جَلَّجَلَالُهُ مقدس عن صفات ذوي الأجرام، فثبت أنه يحصل النظر بالانكشاف التام، منزها عن صفات التشبيه والكيفية والكمية والجهة والهيئة والتمكن والمقابلة واتصال الشعاع، وثبوت المسافة بين الرائي وبين الله تعالى على درجة خارقة للعادة، وعليه إجماع السلف والخلف من أهل السُّنه والجماعة.

## [الإيمان هو التصديق والإقرار]

والإيمان هو الإقرار والتصديق.....

(والإيمان هو الإقرار) باللسان (والتصديق)[1] بالجنان، أي: تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما عُلم بالضرورة مجيئه من عند الله تعالى إجمالا، والإقرارُ باللسان.

---

(١) هكذا قال الإمام أبو حنيفة في «وصيته»: «الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان». فهذا يدل على أن الإيمان عنده عبارة عن شيئين: التصديق بالجنان والإقرار باللسان، ولكن هناك رواية أخرى عنه مشهورة أيضًا مما يدل على أن الإيمان عنده هو التصديق بالجنان فقط؛ لا غير. وهذه الرواية تناقلتها مصادر عديدة، ونسبها إليه كثير من أصحابنا المتكلمين والفقهاء والأصوليين.

منهم: الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٨هـ)، ذكر ذلك في حاشيته على «المسامرة شرح المسايرة»، عند قول المؤلف: «قول صاحب العمدة منهم: الإيمان هو التصديق؛ فمن صدق الرسول فيما جاء به فهو مؤمن، فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء الأحكام..»، قال ابن قطلوبغا: «هذا القول مروي عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نص عليه في كتاب «العالم والمتعلم»، وهو اختيار الشيخ أبي منصور، والحسين بن الفضل البلخي، والمحققين من أصحابنا» اهـ. انظر: «حاشية قاسم على المسامرة»: (ص١٧٨-١٧٩).

وقد نقل الشارح عن الإمام الملا علي القاري الحنفي (ت ١٠١٤هـ) من «شرح الفقه الأكبر» أنه نسب هذا القول إلى جمهور المحققين . انظر: (ص٢٦ و ١٤٣).

ومن فقهائنا الأحناف الذين نسبوا إليه هذه الرواية: الكمال ابن الهمام، قال: «قوله: بخلاف الإكراه على الإسلام، حيث يصير به مسلما؛ لأنه لما احتمل واحتمل رجحنا الإسلام في الحالين؛ لأنه يعلو ولا يعلى». قال صاحب النهاية: «وكأن هذا إشارة إلى ما قاله الإمام أبو منصور الماتريدي وهو المنقول عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الإيمان هو التصديق، والإقرار باللسان شرط إجراء الأحكام، وليس ذلك مذهب أهل أصول الفقه؛ فإنهم يجعلون الإقرار ركنا» اهـ انظر: «فتح القدير» (٩/ ٢٥١).

ومن الأصوليين الأحناف الذين نسبوا هذه الرواية إلى الإمام: ابن أمير الحاج في «التقرير والتحبير»: (٢/ ١١١)؛ وابن أمير بادشاه في «تيسير التحرير»: (٢/ ٢٦١).

.....

وللتصديق محل خاص، وهو القلب، واللسان ترجمانه[١].

قال العلامة التفتازاني في «شرح العقائد»[٢]: «إنه كاف في الخروج عن عهدة الإيمان، ولا تنحط درجته عن الإيمان التفصيلي».

وقال الشيخ القاري في شرحه على «الفقه الأكبر»[٣]: «وذهب جمهور المحققين إلى أن الايمان هو التصديق بالقلب، وإنما الإقرار باللسان شرط لإجراء الأحكام في الدنيا؛ لما أن تصديق القلب أمر باطني لا بدَّ له من علامة، وهو الإقرار، ولعل لهذا السبب قدَّم الإمام الإقرار على التصديق؛ لأن مدار أحكام الدنيا موقوف على الإقرار، ولا نعرف المؤمن من الكافر إلا بإقراره باللسان، والنبي ﷺ وأصحابه كانوا يقنعون من المؤمن بكلمة الشهادة، ويحكمون بإيمانه من غير استفسار عما في قلبه، والتصديق أمر باطني لا يعلمه إلا الله تعالى، فمن صدَّق بقلبه ولم يُقِرَّ بلسانه، فهو مؤمن عند الله تعالى؛ ولم يكن مؤمنًا في أحكام الدنيا، ومن أقر بلسانه ولم يصدِّق بقلبه كالمنافق، فهو بالعكس. وإنما المؤمن حقيقة وحكمًا: من صدَّق بالقلب وأقر باللسان».

ثم التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلا، والإقرار يحتمله، كما في حالة الإكراه، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٤]، قال الإمام النسفي في «تفسيره»: «رُوي أن ناسًا من أهل مكة فُتنوا وارتدوا، وكان فيهم من أُكرِه، فأجرى كلمة الكفر على لسانه، وهو معتقد للإيمان، منهم: عمار، وأما أبواه: ياسر وسمية فقد قُتلا، وهما أول قتيلين في الإسلام، فقيل لرسول الله ﷺ: إن عمارًا كفر!

---

(١) انظر: «شرح الفقه الأكبر»، للقاري، ص١٤٢.

(٢) انظر: (١/ ٧٨).

(٣) انظر: (ص٢٦ و ١٤٣).

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

.....

فقال: كلا! إن عمارًا مليئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمارٌ رسولَ الله ﷺ، وهو يبكي، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه، وقال: ما لَكَ؟ إن عادوا فعد لهم بما قلت، وما فعل أبو عمار كان أفضل؛ لأن في الصبر على القتل إعزازا للإسلام»[1].

(١) هذا الحديث ذكره كثير من المفسرين في كتبهم تحت تفسير هذه الآية المذكورة من غير سند، منهم: محيي الدين شيخ زاده في حاشيته على «تفسير القاضى البيضاوي»: (٥/ ٣٣٠)؛ والرازي في «التفسير الكبير» (٢٠/ ١٢١)؛ والزمخشري في «الكشاف» وغيرهم.
ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، إلا أني وجدت الإمام النسائي أخرج في «سننه» (٥٠٠٧) بسند صحيح عن عمرو بن شرحبيل، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مُلِئ عمار إيمانًا إلى مشاشه»؛ والإمام ابن ماجه أخرج في سننه (١٤٧) بسند حسن عن هانئ بن هانئ، قال: دخل عمار على علي، فقال: مرحبا بالطيب المطيب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه»؛ ووجدت الحاكم أخرج في «المستدرك» (٣٤١٣) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه قال: «أخذ المشركون عمار بن ياسر، فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك»؟ قال: «شر يا رسول الله، ما تُركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير»، قال: «كيف تجد قلبك»؟ قال: «مطمئن بالإيمان»، قال: «إن عادوا فعد . وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

## [الإيمان لا يزيد ولا ينقص]

**وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص.**

(وإيمان أهل السماء والأرض) من الملائكة والإنس والجن (لا يزيد ولا ينقص)[1]؛ لما أن الإيمان والتصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والإذعان، وهذا لا يُتصور فيه زيادة ولا نقصان، حتى أن من حصل له حقيقة التصديق، فسواء أتى

---

(١) هكذا قال الإمام أبو حنيفة في كتابه «الوصية»، فإنه قال هناك: «والإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه لا يُتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر، ولا يُتصور زيادته إلا بنقصان الكفر، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمنًا وكافرًا؟». انظر: «الجوهرة المنيفة شرح وصية الإمام أبي حنيفة» للملا حسين بن إسكندر الرومي الحنفي (ص٨٠-٨١).
وهذا القول هو المشهور عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأصحابه، وقرر هذا الإمامُ الطحاوي في كتابه «بيان اعتقاد أهل السُّنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه» المعروف بـ«العقيدة الطحاوية» حيث قال: «والإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى». انظر: «العقيدة الطحاوية»: (ص٤٣-٤٤).
رغم ذلك ذكر ابن عبد البر ما يشعر أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا، وهو عدم زيادة الإيمان ونقصانه، والله أعلم. انظر: «التمهيد»، لابن عبد البر: (٩/ ٢٤٧).
وهناك رواية أخرى عن أبي حنيفة غير مشهورة، وهي أنه قال: «الإيمان يزيد ولا ينقص». وهذه الرواية مروية أيضًا عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: «إتحاف السادة المتقين»: (٢/ ٢٥٦)؛ و«مقالات الإسلاميين»: (ص١٣٩)؛ و«الفرق بين الفرق»: (ص٢٠٣).
وللاستزادة انظر: «مقالات الإسلاميين»: (ص١٣٩)؛ و«شرح المقاصد»: (٥/ ٢١١)؛ و«شرح المواقف»: (٨/ ٣٩٧)؛ و«الفرق بين الفرق»: (ص١٢٣)؛ و«الملل والنحل»، للشهرستاني: (١/ ١٤١)؛ و«الملل والنحل»، للبغدادي: (ص١٤٠)؛ و«التبصير في الدين»: (ص٦٠)؛ و«التمهيد»، للنسفي: (ص١٠٢)؛ و«بحر الكلام»: (ص٤١)؛ و«المسامرة بشرح المسايرة» (ص٣١٧)؛ و«النبراس»، للفرهاروي: (ص٤٠٢)؛ و«شرح العقيدة الطحاوية»، للميداني: (ص٩٩).

.....

بالطاعات أو ارتكب المعاصي، فتصديقه باق على حاله، لا يتغير فيه أصلا، وهذا من حيث أصلُ التصديق، لا من جهة اليقين؛ فإن مراتب أهلها مختلفة في كمال الدين، ولذا ذهب متأخرو الحنفية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، من حيث أصلُ التصديق والإذعان، إلا أنه يَقوى ويضعف من جهة اليقين وغاية اليقين[1].

---

(١) قال الإمام الملا علي القاري الحنفي في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٤٤) فيما نصه: «(وإيمان أهل السماء) أي: من الملائكة وأهل الجنة (والأرض) أي: من الأنبياء والأولياء وسائر المؤمنين من الأبرار والفجّار (لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمَن به و(يزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق) نفسه؛ لأن التصديق إذا لم يكن على وجه التحقيق، يكون في مرتبة الظن والترديد، والظن غير مفيد في مقام الاعتقاد عند أرباب التأييد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]. فالتحقيق أن الإيمان كما قال الإمام الرازي: لا يقبل الزيادة والنقصان من حيثية أصل التصديق، لا من جهة اليقين؛ فإن مراتب أهلها مختلفة في كمال الدين، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فإن مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين، وكذا ورد: ليس الخبر كالمعاينة، وإن قال بعضهم: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا، يعني أصل اليقين لمطابقة علم اليقين في ذلك الحين، وهو لا ينافي زيادة اليقين عند الرؤية كما هو مشاهد لمن له علم بالكعبة في الغيبة، ثم حصل له المشاهدة في عالم الحضرة.

وعلى هذا فالمراد بالزيادة والنقصان: القوة والضعف؛ فإن التصديق بطلوع الشمس أقوى من التصديق بحدوث العالم، وإن كانا متساويين في أصل تصديق المؤمن به، ونحن نعلم قطعًا أن إيمان آحاد الأمة ليس كإيمان النبي ﷺ، ولا كإيمان أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باعتبار هذا التحقيق، وهذا معنى ما ورد: «لو وُزن إيمان أبي بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإيمان جميع المؤمنين لرجح إيمانه» [أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٥١٤٨)، وذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٤٩). وقال: «رواه إسحاق بن راهويه والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن عمر من قوله»؛ وكذا أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٣٥-١١٣٩). فالحديث بطرقه الأخرى صحيح]. يعني لرجحان إبقائه ووقار جنانه وثبات إتقانه وتحقيق عرفانه لا من جهة ثمرات الإيمان من زيادات الإحسان لتفاوت أفراد الإنسان من أهل =

.....

وقال الشافعي ومن تبعه من الأشاعرة: «إن الإيمان يزيد وينقص». والإلزام عليه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[1]، أي: أثبته فيها، والمُثبَت لا يزيد ولا ينقص، والآيات الدالة على زيادة الإيمان، كقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2]، فإنها محمولة على معنى اليقين؛ ليزداد يقين على يقينهم[3]، أو محمولة على ما ذكره أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم كانوا آمنوا في الجملة، ثم يأتي فرض بعد فرض، وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص[4].

---

= الإيمان في كثرة الطاعات، وقلة العصيان، وعكسه في مرتبة النقصان مع بقاء أصل وصف الإيمان في حق كلّ منهما بنعت الإيقان، فالخلاف لفظي بين أرباب العرفان.
ومن هنا قال الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما ذكره في «الخلاصة» عنه: «أكره أن يقول: إيماني كإيمان جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكن يقول: آمنت بما آمن به جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ». وذلك أن الأول يوهم أن إيمانه كإيمان جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من جميع الوجوه، وليس الأمر كذلك؛ لما هو الفرق البيّن بينهما هنالك.
قال الإمام الأعظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الوصية»: «ثم الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه لا يُتصوّر زيادة الإيمان إلا بنقصان الكفر ولا يتصوّر نقصان الإيمان إلا بزيادة الكفر، فكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد في حالة واحدة مؤمنًا وكافرًا والمؤمن مؤمن حقًا». انتهى ملخصا

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٣) قال أبو المعين النسفي في «بحر الكلام»: (ص١٨٥): «إن ذلك في حق الصحابة؛ لأن القرآن كان ينزل في كل وقت، فيؤمنون به، فيكون زيادة على الأول، وأما في حقنا فلا؛ لانقطاع الوحي». وانظر: «الجوهرة المنيفة شرح وصية الإمام أبي حنيفة»: (ص٨٢).

(٤) قال الملا حسين بن إسكندر الرومي الحنفي في «الجوهرة المنيفة شرح وصية الإمام أبي حنيفة»: (ص٨٢): «وعن أبي حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنهم كانوا آمنوا بالجملة، ثم يأتي فرض بعد فرض، فيؤمنون بكل فرض خاص، فزادهم إيمانا بتفصيل مع إيمانهم بالجملة؛ فيكون زيادة الإيمان باعتبار المؤمن به، لا في أصل التصديق».

.....

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1]، أي: يقينًا وثباتا، أو إيمانًا بالسورة؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا، كذا فسره الإمام النسفي في «تفسيره»[2]، وقد أطلت الكلام في هذا المبحث في كتابي المسمى بـ «الرد المعقول»[3]، فمن أراد زيادة التحقيق فليرجع إليه.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٢) انظر: (٢/ ١١٥).

(٣) اسمه الكامل: «الرد المعقول في النهج المقبول»، وهو في رد العلامة النواب صديق حسن خان القنوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ ما زال مخطوطا.

## [استواء المؤمنين في الإيمان]

والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد .....

(والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد) وهذا كالبيان لقوله: «وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص»؛ لأن الإيمان عبارة عن الإذعان، وهو الجزم، والمجزوم به إما أن يكون جزمًا مانعًا من النقيض أو لا، والثاني خارج عن المبحث؛ لأن النتيجة حاصلة منها تكون ظنًّا لا يقينا، والأول لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الجزم المانع من النقيض لا يقبل الزيادة والنقصان، فثبت القول بأن أصل الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإذا كان الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، صار المؤمنون بأجمعهم مستوين في الإيمان والتوحيد[1].

أما قوله تعالى: .....

---

(١) المراد باستواء المؤمنين في الإيمان كونهم مستوين في أصل الإيمان والتوحيد - كما قاله الإمام الملا علي القاري الحنفي في «شرح الفقه الأكبر»: (ص١٤٦). وقال أيضا: «وإنما قيّدنا بهما [الكفر والنوحيد]؛ فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم: الأخفش، والأعشى، ومن يرى الخط الثخين دون الرقيق إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة وآخر بضدّه...إلخ.
وقال أيضا: «وكذا لا يجوز أن يقول أحد: إيماني كإيمان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بل ولا ينبغي أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأمثالهما؛ فإن تفاوت نور كلمة التوحيد في قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله سبحانه، فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس، ومنهم كالقمر، ومنهم كالوكب الدرّيّ ومنهم كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج الضعيف لقوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان». اهـ. [أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤٩)؛ وأبو داود في «السنن» (١١٤٠)؛ والترمذي في «الجامع» (٢١٧٢)؛ وابن ماجه في «السنن» (١٢٧٥)]. وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المؤمن القوي أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف» [أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٦٦٤)، وابن ماجه في «السنن»(٧٩)].

.....

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1]، معناه أنهم كلما سمعوا آية جديدة، أتوا بإقرار وتصديق جديد؛ لأن التكاليف كانت متوالية متعاقبة في زمن الرسول ﷺ، فعند نزول كل آية، وحدوث كل تكليف جديد كانوا يصدقون ويقرون بها، وذا انقطع بعد انقطاع زمان الوحي، فصار الإيمان من عهد التابعين إلى الآن لا يقبل الزيادة والانقسام، لكن يَقوى ويضعف، كما هو مذهب المتأخرين من الأئمة الحنفية؛ لأن الإذعان هو الجزم وهو يقبل القوة والضعف، فيقال: فلان جزم جزما قويا، أو جزم جزما ضعيفا، بخلاف الزيادة والنقصان؛ فإن الجزم المانع من النقيض لا يقبل الزيادة والنقصان أصلا، وقد استوفيت البحث في كتابي المسمى بـ«الجوامع القادرية»[2]، فمن شاء فليرجع إليه.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) اسمه الكامل: «الفوائد القادرية في معتقدات أهل السنة والجماعة»، وهو في الرد على الوهابية، طبع من مطبع النظامي بـ كانبور - الهند سنة ١٢٩٨هـ سيُطبع - إن شاء الله - بتحقيق العالم الجليل المحقق البارع الشيخ عبد الله فهيم - حفظه الله -، ولد في بلدة سلهت - وهي البلدة التي أنتمي إليها، كما ينتمي إليها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقيم الآن في بريطانيا، تعلم بجامعة قاسم العلوم دَرغاه حضرة شاه جلال سلهت -بنغلاديش.

## [مبحث الاستثناء في الإيمان]

.....

وينبغي أن يقول: «أنا مؤمن حقًا»، اتباعًا لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1]، ولا يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله»، كما هو مذهب الشافعي ومن تبعه من الأشاعرة؛ لأن الاستثناء إن كان للشك فهو كفر، وإن كان للتأدب وإحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى، فالأولى تركه؛ لما أنه يوهم بالشك[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤.

(٢) قد وقع الاختلاف في مبحث الاستثناء في الإيمان بين السادة الماتريدية والأشاعرة، فذهبت الماتريدية إلى منع دخول الاستثناء في الإيمان، فالمؤمن عندهم يكون مؤمنًا حقًّا، وليس مؤمنًا بالمشيئة؛ وذلك لأن سادتنا الماتريدية يرون أن الاستثناء شك في إيمان المؤمن، وشرائطه التي لا تقبل الشك، وهو خلاف للأشاعرة؛ فإنهم يرون جواز الاستثناء في الإيمان.
قال إمامنا أبو منصور الماتريدي في كتابه «التوحيد» (ص٣٨٨): «الأصل عندنا قطع القول بالإيمان وبالتسمي به بالإطلاق وترك الاستثناء فيه؛ لأن كل معنى في اجتماع وجودهِ تمامُ الإيمانِ عندَه مما إذا استثني فيه لم يصحَ ذلك المعنى، فعلى ذلك أمره في الجملة، نحو أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله إن شاء الله، أو محمد رسول الله إن شاء الله، وكذلك الشهادة بالبعث والملائكة والرسل والكتب». اهـ.
وقال الإمام أبو المعين النسفي في كتابه «التمهيد» (ص١٠٢): «وإذا ثبت أن الإيمان هو التصديق، وهو لا يتزايد في نفسه، دل أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فلا زيادة له بانضمام الطاعات إليه ولا نقصان له بارتكاب المعاصي، إذ التصديق في الحالين على ما كان قبلهما».
وقد استوفى هذا البحث الإمام الملا علي القاري الحنفي في «شرح الفقه الأكبر» (ص٢٣٨-٢٣٩) فيما يلي: «أن العبد إذا وُجد منه التصديق والإقرار صحّ له أن يقول: «أنا مؤمن حقًا»؛ لتحقّق الإيمان، ولا ينبغي أن يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله»؛ لأنه إن كان للشك، فهو كفر لا محالة، وإن كان للتأدّب وإحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى أو للشك في العاقبة والمآل لا في الآن، والحال أو للتبرّك بذكر الله والتبرّي عن تزكية نفسه والإعجاب بحاله، فالأولى تركه؛ =

.....

.....

= لما أنه يوهم الشك على ما ذكره شارح «العقائد»، فإن صاحب «التمهيد» و«الكفاية» وغيرهما من العلماء الحنفية كفّروا القائل به، وحكموا ببطلان قولهم: «أنا مؤمن إن شاء الله تعالى»، وقالوا: ذلك لا يصحّ، كما لا يصحّ قول القائل: «أنا حيّ إن شاء الله تعالى»، و«أنا رجل إن شاء الله تعالى»، وقال صاحب «التعديل»(*): فإن لم يثبت الكفر، فلا أقل من أن يكون التلفّظ به حرامًا لأنه صريح في الشك في الحال، وهو لا يستعمل في المحقّق في الحال حيث لا يقال: «أنا شاب إن شاء الله تعالى»، وفيه أنه وجه الكفر والكذب؛ فإن بعضهم ذهبوا إلى الوجوب، وكثير من السلف حتى الصحابة والتابعين ذهبوا إلى الجواز، وهو المحكي عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه، وقالوا: «إن من شهد لنفسه بهذه الشهادة ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحالة»، وفيه أنه لا محظور في هذه المقالة، فقد منعه الأكثرون، وعليه أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأصحابه، مع أن هذا ليس من قبيل قول القائل: «أنا طويل إن شاء الله تعالى»، بل نظير قولك: أنا زاهد أنا متّق أنا تائب إن شاء الله تعالى، إما قاصدًا هضم النفس والتواضع، وهذا إنما يتصوّر في حق الأنبياء، أو قاصدًا جهله بحقيقة وجود شروطه، وهذه الأشياء في الحال، أو نظرا إلى مشيئة الله تعالى من احتمال تغيّر الحال في الاستقبال، والعياذ بالله من سوء المآل، ولذا لمّا سُئل أبو يزيد البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هل لحيتك أفضل، أم ذنب الكلب»؟ فقال: «إن متُّ على الإسلام فلحيتي خير، وإلا فذنبه أحسن»، فبهذا تبيّن أن من يقول: «أنا مؤمن حقًا» أو قيل له: «أنت من أهل الجنة حقًا» لم يقدر أن يقول: «نعم»؛ فإنه من الأمر المبهم، والله تعالى أعلم». اهـ

(*) هو صاحب «تعديل العلوم» العلامة عبيد الله بن مسعود المعروف بـ«صدر الشريعة» البخاري الحنفي المتوفى ٧٤٧هـ.

## [تفاضل المؤمنين في الأعمال]

متفاضلون في الأعمال. .....

(متفاضلون في الأعمال) باختلاف الأحوال؛ لأن الأعمال غير داخلة في الإيمان؛ لما مر أن حقيقة الإيمان هو التصديق، ويوجد كثيرًا من الأوقات أن يرتفع العمل من المؤمن، ولا يجوز أن يقال: «يرتفع عنه الإيمان كالحائض والنفساء»، وقد ورد في الكتاب والسُّنة عطف الأعمال على الإيمان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1]، ولا يخفى على من له أدنى ممارسة في النحو أن المعطوف يكون غير المعطوف عليه، كما في قوله: «جاء زيد وعمرو»؛ فإن العمرو هاهنا غير الزيد، فوجب القطع بأن العطف يقتضي المغايرة، وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه، فتكون الأعمال مغايرة للإيمان، وصَدَق القول بتفاضل الناس في الأعمال.

وذهب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن الأعمال الصالحة تزيد الإيمان، والإلزام عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[2]؛ لأن ههنا جُعل الإيمان شرعًا للأعمال الصالحة، ومقطوع بأن المشروط لا يدخل تحت الشرط؛ لامتناع اشتراط الشيء لنفسه، فثبت أن الأعمال مغايرة للإيمان، فلا يزيد الإيمان بسبب الأعمال الصالحة.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

## [العلاقة بين الإسلام والإيمان]

**والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى، ففي طريق اللغة فرق بين الإيمان والإسلام، .....**

(والإسلام هو التسليم والانقياد لأوامر الله تعالى)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا﴾[1]، فالطائعون هم الملائكة من أهل السماء، والمؤمنون من أهل الأرض، والمكرهون هم الكفرة، فالإيمان مختص بالانقياد الباطني، والإسلام مختص بالانقياد الظاهري، ولا يصل العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي، لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[2]، فقد أجمع المفسرون [على][3] أن المراد به الموت الموقن.

(ففي طريق اللغة فَرْقٌ بين الإيمان والإسلام)؛ لأن الإيمان عبارة عن التصديق، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[4]، أي: بمصدق، والإسلام عبارة عن التسليم، مع ترك التمرد والإباء والعناد، وللتصديق محل خاص، وهو القلب، واللسان ترجمانه.

أما التسليم، فإنه عام يُطلق على مطلق الانقياد، والأعمال التي تصدر من الجوارح [داخلة][5] في الانقياد الظاهري، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[6]؛ لأن الانقياد الظاهري والعمل بالجوارح يكون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٣) ليست في المخطوط المطبوع.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٥) كان في المخطوط: «داخل»، بصيغة المذكر.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

**ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام، ولا إسلام بلا إيمان، فهما كالظهر مع البطن.**

دليلًا للانقياد الباطني، وهو التصديق، فلهذه الغاية أُمروا بأن يقولوا: «أسلمنا»، وكذا حديث جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما سأل رسولَ الله ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله» الحديث[1]، فقال: «فما الإسلام»؟ فأجاب: بذكر الخصال الخمس، فعبر بالإسلام عن التسليم الظاهري بالقول والعمل.

(ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام) أي: لا يوجد الانقياد الباطني بدون الانقياد الظاهري (ولا إسلام بلا إيمان) ولا الانقياد الظاهري بدون الانقياد الباطني (كالظهر مع البطن) فإنه لا يتحقق وجود أحدهما بدون الآخر؛ لأن الإسلام أعم، والإيمان أخص، وكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام؛ لأن الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب، والإسلام عبارة عن التسليم بالقول والعمل جميعا، فلا يوجد الإيمان - وهو التصديق الباطني - بدون التسليم الظاهري، وكذا الإسلام - وهو التسليم الظاهري - بدون التصديق الباطني[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٧٧٧)؛ ومسلم في «صحيحه» (٩).

(٢) وقد قال العلامة المحدث الشيخ إدريس الكاندهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الموضوع قولاً حسنًا في «التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح»: (١/ ١٤) ما نصه: «اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره؟ وإن كان غيره، فهل هو منفصل عنه أو لازم له؟ والحق أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد، وورد على سبيل الاختلاف، وورد على سبيل التداخل. أما الترادف، ففي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد. وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وأما الاختلاف، فقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فأراد بالإيمان التصديق بالقلب، وبالإسلام الانقياد والاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح. وأما التداخل، فما رُوي أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ سئل، فقيل: «أي الأعمال أفضل»؟ فقال: «الإسلام»، فقال: «أي الإسلام أفضل»؟ فقال ﷺ: «الإيمان». والمراد بالاختلاف هو أن يُجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا، كما مر في قوله تعالى: =

.....

ولا يصح في الشرع أن يُحكم على أحد بأنه مؤمن وليس بمسلم، أو مسلم وليس بمؤمن، ولا يُغني أحدهما عن الآخر، فصَدَق القول بأنهما كالظهر والبطن؛ بحيث لا يوجد أحدهما بدون الآخر، لكن بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقا.

وللإيمان والإسلام حكمان: دنيوي: وهو إجراء أحكام الإسلام. وأخروي: وهو الإخراج من النار، ومنع التخليد؛ لقوله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان»(١).

ولما كانت الذرة من صغار المقادير المستقلة، نُسب إليها ضعف الإيمان، يعني من ضعف إيمانه مع استقلاله بنفسه إلى غاية الذرة التي هي أصغر المقادير المستقلة بنفسها، يخرجه الله تعالى بفضله من النار، كما وقع في قوله ﷺ: «أولئك أضعف الإيمان»(٢).

فلا يُستدل به أن الإيمان ينقص مع ذهاب بعض أجزائه إلى غاية الذرة، كما هو مذهب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل يضعف مع عدم النقصان في الاستقلال، حتى يصل إلى غاية الذرة التي هي أصغر المقادير المستقلة بنفسها.

---

= ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحجرات: ١٤] الآية، وأما التداخل، فهو أن يُجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والعمل بالاركان، ويُجعل الإيمان عبارة عن التسليم بالقلب، كما مر في قوله ﷺ في جواب السائل: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»، والله تعالى أعلم». اهـ.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٤)؛ ومسلم في «صحيحه» (١٩٣)؛ وأحمد في «المسند» (١٣٩٢٩)؛ والترمذي في «الجامع» (٢٥٩٨)؛ وعبد بن حميد في «المسند» (١١٧٠).

(٢) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما تتبعت، ولعل الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد به الحديث الذي أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

## [الدين اسم جامع للشرائع]

**والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها.**

(والدين) هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات (اسم واقع على الإيمان) أي: على مطلق التصديق (والإسلام) أي: على التصديق مع الانقياد الظاهري، والإسلام هو الدين المخصوص لمحمد ﷺ.

(والشرائع كلها) والشرع اسم للدين القويم، هو دين الرسول ﷺ. ولما كان للمشروعات أقسام، كالأمر والنهي والحلال والحرام وغير ذلك، أتى بلفظ الجمع، ليدخل فيها المشروعات بتمامها.

والحاصل: أن الدين اسم عام شامل للإيمان والإسلام والشرائع كلها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، وليس مراد الإمام أن الدين يُطلق على فرد من أفراد الإيمان والإسلام والشرائع بانفرادها؛ بل مراده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن لفظ الدين شامل لجميع أفرادها، فمتى يُطلق لفظ «الدين»، يدخل أفراده من الإيمان والإسلام والشرائع تحته.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

## [معرفتنا بالله تعالى]

**نعرف الله تعالى حق معرفته، كما وصف نفسه في كتابه.**

(نعرف الله تعالى حق معرفته، كما وصف نفسه في كتابه) بجميع صفاته، ولا بدَّ ههنا من قيد احترازي، وهو أن معرفة الله تعالى باعتبار كنه ذاته وإحاطة صفاته غير مقدور للبشر؛ لأن صفات القديم الواجب لا يدركها الممكنات، وكيف يصل الفهم الحادث إلى درك صفات الواجب الوجود الذي لا نهاية لصفاته، فضلًا عن أن يصل ذلك الفهم الحادث إلى كنه ذاته، ولكن نعرفه حق المعرفة بحسب مقدور البشر وطاقته، كما وصف هو جَلَّجَلَالُهُ نفسه في مواضع من كتابه العزيز بجميع صفاته الثبوتية والسلبية المذكورة في كتابه، كسورة الإخلاص، وسائر الآيات الدالة على تحقيق الذات ومراتب الصفات، فعِلمُنا لا يصل إلى كنه صفاته، فضلًا عن درك ذاته، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1].

ومِن ثَمَّ لما سُئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن التوحيد ما معناه، فقال: «أن تعلم ما خطر ببالك وتوهمته في خيالك أو تصورته في حال من أحوالك، فالله تعالى جَلَّجَلَالُهُ وراء ذلك»[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) ذكره الملا علي القاري في شرحه على «الفقه الأكبر». انظر: «منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر»: (ص٢٦٨).

## [العبد قاصر عن عبادة الله حق عبادته]

وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته، كما هو أهل له، لكنه يعبده بأمره كما أمر.

(ولا يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته)؛ لأنها خارجة عن القوة البشرية، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، (كما هو) أي: الله جَلَّ جَلَالُهُ، (أهل له) في استحقاق الطاعة من حيث إنه خلقَنا بعد أن كنا معدومين في حالة العدم، فهو الذي أوجدَنا من العدم إلى الوجود، ثم رزقَنا من خزائن رزقه ما يَكفينا من الأرزاق، وأعطانا العقل مميزًا بين الحق والباطل، وهدانا إلى طريق الحق الذي لا يضل سالكه ولا يقع في خطر، وحفظَنا من شرور أعداء الجن والإنس، وجعل لنا السحاب مسخَّرًا بين السماء والأرض، وسخَّر لنا الشمس والقمر دائبين، وسخَّر لنا الليل والنهار، وأعطانا كل ما سألناه، فليس لنا طاقة أن نعد كراماته علينا، فضلًا أن نقوم بحق عبادته، فعجزنا عن تعداد نعمه علينا، اعتراف لنا بأنَّا لا نستطيع أن نعبده حق عبادته، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2].

(ولكنه) أي: الله جَلَّ جَلَالُهُ (يعبده العبد بأمره كما أمر) بوصف العجز عن أداء حقه، ولذا قال رسول الله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[3]. وكان يستغفر كل يوم مائة مرة وأكثر بناءً على أنه مقصر في أداء حق الطاعة، وإليه يشير

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤٨٦)؛ وأبو داود في «السنن» (٨٧٩)؛ والترمذي في «الجامع» (٣٤٩٣)؛ والنسائي في «السنن الصغرى» (١١٣٠)؛ وابن ماجه في «السنن» (٣٨٤١) واللفظ له؛ وأحمد في «المسند» (٢٥٦٥٥).

.....

قوله ﷺ: «واعلموا أن أحدًا منكم لن ينجيه عمله»، قالوا: «يا رسول الله، ولا أنت»؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل»[1].

فعُلم أن عبادة الرب جَلَّجَلَالُهُ غير مقدور البشر، ولذا لا يُنجي أحدًا عملُه، إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٤٦٤)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٨١٨)؛ والدارمي في «السنن» (٢٧٧٥).

## [استواء المؤمنين في جملة من الأمور]

ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل .....

(ويستوي المؤمنون كلهم) في كونهم مكلفين (في المعرفة) أي: معرفة الرب جَلَّ جَلَالُهُ، (واليقين) في أمر الدين، (والتوكل) على الله تعالى، دون غيره، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وينبغي أن يعلم هنا، أن كل ما قضاه الله تعالى وقدَّره، فهو كائن لا محالة، لكن ما قدَّر الله وصوله بعد الطلب، فهو لا يصل إلا بعد الطلب، والطلب أيضًا من القدر، فمن رام أمرًا من الأمور، ليس الطريق في تحصيله أن يغلق بابه عليه، ويفوض أمره لربه، وينتظر حصول ذلك الأمر؛ بل الطريق أن يشرع في طلبه متوكلًا على الله تعالى، على الوجه الذي شرعه له فيه، وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين[2]، واتخذ خندقًا حول المدينة حين تحزب عليه الأحزاب، يحترس به من العدو، كما ثبت بالخبر المشهور[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٢٥٩٠) عن السائب بن يزيد، عن رجل قد سماه، «أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين درعين، أو لبس درعين». وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٦٠)؛ وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٥٨)؛ وأحمد في «مسنده» (١٥٧٢٢)؛ والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٦٦٩)؛ وابن ماجه في «السنن» (٢٨٠٦)؛ والترمذي في «الجامع» (١٠٤)؛ والبغوي في «شرح السنة» (٢٦٥٨). وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠٠٦٥) بسنده عن معاذ رجل من بني تيم، أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين درعين. وقال: «رواه أبو يعلى رجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٠٩٨) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ=

**والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله.**

(والمحبة) لله تعالى ورسوله ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[١]، وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٢].

(والرضاء) بالقدر والقضاء؛ لأن كل ما يجري في العالم، من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر، فكلٌّ بقضاء الله وقدره، وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه، ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه، ولا تطن بعوضة، ولا تسقط ورقة إلا بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته، كما لا يجري شيء من ذلك إلا وقد سبق علمه به، ولا يتصور أن لا يأكل إنسان رزقه، أو يأكل غيره رزقه.

(والخوف) من غضبه وعقوبته، لقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٣]، (والرجاء) لرضائه ومثوبته، لقوله تعالى: ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[٤]. (والإيمان) بنفس التصديق الذي هو الإذعان؛ لقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾[٥].

(ويتفاوتون) الواو هنا للحال، أي: والحال أن المؤمنين يتفاوتون (فيما دون الإيمان) في غير التصديق والإقرار (في ذلك كله) من المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء[٦].

---

= في الخندق، وهم يحفرون، ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فاغفر للمهاجرين والأنصار».

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٥)؛ ومسلم في «صحيحه» (٤٤)؛ والنسائي في «السنن الصغرى» (٥٠٢٩)؛ وابن ماجه في «السنن» (٦٧).

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٦) ذكر الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» المسمى بـ«منح الروض الأزهر»، (ص٢٧١) = = عن أبي علي الروذباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى

.....

فإن معرفة الكاملين من أفراد الأمة ويقينهم وتوكلهم ومحبتهم لله ورسوله، ورضاءهم بقضائه وتقديره، وخوفهم له ورجاءهم به جَلَّجَلَالُهُ تكون أزيَد وأقوى من معرفة المنافقين من عامة الأمة، ويقينهم وتوكلهم ومحبتهم ورضائهم وخوفهم ورجائهم، بخلاف التصديق الذي هو الإذعان؛ فإنه لا يزيد ولا ينقص، لكن يقوى بكمال المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء، ويضعف بنقصانها، قال الطحاوي: «الإيمان واحد وأهله في أصله سواء، والتفاوت في الخشية والتقى ومخالفة الهواء وملازمة الأولى»[1].

---

الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت». وهذا الذي ذكره الشيخ موافق لما رُوي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لو نودي في المحشر: إن واحدًا يدخل الجنة لأرجو أن أكون أنا، وإن قيل: إن واحدًا يدخل النار أخاف أن أكون أنا». وقال بعضهم: ينبغي أن يكون الرجاء غالبًا للحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» [أخرجه البخاري (١٥)]. وقال بعضهم: «الأولى أن يكون الخوف غالبًا عند الشباب والصحة، والرجاء حالَ الكبر والمرض، لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» [أخرجه مسلم (٢٨٧٧)]. اهـ.

(١) انظر: «العقيدة الطحاوية»: (ص٤٢).

## [تفضُّل اللهِ في الإثابة وعدالته في العقاب]

**والله تعالى متفضل على عباده، عادل، قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلًا منه، وقد يعاقب على الذنب عدلًا منه، .....**

(والله تعالى متفضل على عباده)؛ لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2] (وعادل) أي: آمر بالعدل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[3].

(قد يُعطي من الثواب أضعافَ ما يستوجبه العبد) أي: يستحقه (تفضلا منه) لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[4]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[5]، وقد يذهب الحسنات بالسيئات، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[6].

(وقد يُعاقب على الذنب) بقدر ما يستحقه العبد بلا زيادة (عدلًا منه)؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[7]، بزيادة عقابهم على مقدار ذنوبهم.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٦) (٦) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

وقد يعفو فضلًا منه.

والحاصل: إن الله تعالى يضاعف للعبد جزاء الحسنات، وهو الثواب، بفضله وإحسانه الشامل عليهم، ولا يجزي بالسيئات إلا بمثلها، بعدله الكامل لهم (وقد يعفو) عن السيئات (فضلا منه) ورحمة لعباده؛ لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[1].

فثبت أن إضعاف جزاء الحسنات متيقن، فلا يأتي العبد بحسنة إلا وأن الله تعالى يضاعف في جزائه، فضلًا منه، وما يأتي العبد من السيئات، فالله تعالى إما أن يعفو، إن كان ما دون الشرك، رحمة منه، وإما أن يعاقبه، على قدر تلك النسبة بلا زيادة فيه، عدلًا منه، والله ذو فضل عظيم.

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

## [شفاعة الأنبياء يوم القيامة حق]

**وشفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق، وشفاعة نبينا ﷺ للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين للعقاب حق ثابت.**

(وشفاعة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حق، وشفاعة نبينا ﷺ للمؤمنين المذنبين) من أهل الصغائر المستحقين للعذاب (ولأهل الكبائر منهم) أي: من المؤمنين (المستوجبين للعقاب حق ثابت) بالكتاب والسُّنة[1]، إلا أنها تكون بعد الإذن من رب العزة جَلَّ جَلَالُهُ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[2]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[3].

وكذلك بعثه ﷺ في المقام المحمود ثابت بالكتاب، لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4]، وكذلك شفاعة الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[5]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[6].

وكذلك شفاعة العلماء والصلحاء والشهداء من أمته ﷺ؛ لقوله ﷺ: «يدخل

---

(١) يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٣٥): «جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها حد التواتر، بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة، عليها».

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٦) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

.....

الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي أكثرُ من بني تميم»، رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه[١]، وقوله ﷺ: «إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخلوا الجنة»، رواه الترمذي[٢].

والفِئام - بالكسر -: الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه، والقبيلة: بنو أب واحد، والعُصبة - بالضم -؛ ما بين العشرة إلى الأربعين.

وشفاعته ﷺ تكون لأهل الكبائر خصوصا؛ لقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن .....

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٣٨) من حديث عبد الله بن شقيق؛ والدارمي في «السنن» (٢٨٥٠)؛ وابن ماجه في «السنن» (٤٣١٦)؛ والحاكم في «المستدرك» (٢١٩)؛ وأحمد في «مسنده» (١٥٨٥٧)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٧٦). قال الترمذي: «هذا «حديث حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح قد احتجا برواته»، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ وقال: «هذا حديث حسن».

فائدة: قال العلامة مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»: (١٤/ ٥١٥) ما يلي: «إن من أمتي من يشفع للفئام، ومنهم من يشفع للقبيلة... الحديث»؛ وللبزار من حديث أنس: «إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والقبيلة».

قلت: (القائل هو الزبيدي): حديث أبي سعيد رواه أيضًا: أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة وتمامه، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة، وأما حديث أنس، فرواه أيضًا: ابن خزيمة بلفظ: «يشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل». وروى الطبراني من حديث أبي أمامة: «ويدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد من مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله».

ومما يدل على إثبات الشفاعة لغير الأنبياء ما رواه ابن ماجه من حديث عثمان: «ويشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»، وروى أبو داود والطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته يوم القيامة». اهـ

.....

جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، ولأهل الحسنات عموما؛ لقوله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله الا الله خالصًا من قلبه أو نفسه»، وهذا شك الراوي فيه، بأنه ﷺ قال: «من قلبه أو من نفسه»، رواه البخاري[٢].

وقال الشيخ[٣] في «اللمعات»[٤] في شرح الحديث: «إن أسعد الناس أفوَزُهم؛ لكونهم أحوجَ الناس، أما الذين لهم أعمال حسنة زائدة، فهم أيضًا فائزون بشفاعته ﷺ، ومستسعدون لها، أما هؤلاء، فهم أحوج وأسعد».

وثبت بالخبر الصحيح: أن رسول ﷺ خُيِّر بين أن يدخل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة، فاختار الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله تعالى، ليدخل عامّة أمته تحت شفاعته، وهذا من غاية شفقته ﷺ على أمته[٥].

وكذلك ثبت بالخبر الصحيح: أن المؤمنين يُحبَسون يوم القيامة، فيأتون آدم

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٣٥)؛ وأبو داود في «السنن» (٤٧٣٩)؛ وابن ماجه في «السنن» (٤٣١٠)؛ وأحمد في «المسند» (١٣٢٢٢)؛ والحاكم في «المستدرك» (٢٣٦). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٩٩) و(٦٥٧٠).

(٣) هو الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي سبقت ترجمته.

(٤) انظر: «لمعات التنقيح»: (٩/ ٦٤)؛ رقم الحديث (٥٥٧٤).

(٥) أخرج الإمام ابن ماجه في «سننه» (٤٣١١) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خُيِّرتُ بين الشفاعة، وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين». وكذا أخرجه أحمد في «المسند» (٥٤٥٢، ١٩٦١٨، ٢٢٠٢٥)؛ وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٩١). وقد صححه البوصيري في «مصباح الزجاجة» ورقة (٢٧٣)؛ والحديث لا ينحط عن درجة الحسن على الأقل.

.....

ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يرجون الشفاعة إلى حضرة العزة جَلَّ جَلَالُهُ، فيأبون، حتى يأتون إلى سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، فيشفع لهم مرارًا بعد الإذن من رب العزة جَلَّ جَلَالُهُ، فيخرجهم من النار، حتى يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود[1].

---

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٣٤٠) واللفظ له؛ ومسلم في «صحيحه» (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُتي بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغهم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، اذهبوا إليه، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيأتون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟! فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح! إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عَزَّوَجَلَّ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي. نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - ثم قال: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس. اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها. نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا =

.....

.....

---

= إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلمته إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا لنفسه - ثم قال: نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتون محمدا، فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فأنطلق، فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي عَزَّوَجَلَّ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك. سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب! أمتي يا رب! أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة واليمن». اهـ

## [الميزان للأعمال يوم القيامة حق]

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق.

(ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق)؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[1]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[2]، والميزان: عبارة عما يُعرف به مقادير الأعمال، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته، وقد ورد في الحديث: أن كُتُبَ الأعمال هي التي توزن[3]. ووجهه أن الله تعالى يُحدِث في الأعمال وزنًا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) أخرج أحمد في «المسند» (٦٩٩٤)؛ والترمذي في «الجامع» (٢٦٣٩)، واللفظ له، عن أبي عبد الرحمن المعافري الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم»، قال: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»: قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٤) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: (١٣/ ٥٣٨): «قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السُّنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال، ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين». اهـ.

.....

فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد، حتى يظهر لهم العدل في العقاب، أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب، وهذا في ما دون سبعين ألفًا من أمته ﷺ؛ فإن سبعين ألفًا من أمته ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب؛ لما ورد في الخبر الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا، لا حساب عليهم، ولا عذاب»[1].

اللهم اجعلني في تلك السبعين ألفًا بجاه نبيك سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله وأصحابه الكرام[2].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢٧٠).

(٢) ونحن ندعو أيضا أن يجعلنا الله في أولئك السبعين ألفًا بوسيلة نبيه وحبيبه سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله وأصحابه الكرام، آمين.

## [القصاص بالحسنات يوم القيامة حق]

**والقصاص فيما بين الخصوم يوم القيامة، فإن لم يكن لهم الحسنات، طرح السيئات عليهم جائز وحق.**

(والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق) لما رواه الترمذي عن عائشه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم»؟ قا: «يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف، فقال رسول الله: «أما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية؟ فقال الرجل: «والله يا رسول الله! ما أجد لي ولهم شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار»[1].

(فإن لم يكن لهم) أي: للظلمة (الحسنات) بأن لم توجد أو فنيت؛ لكثرة السيئات (فطرح السيئات عليهم) أي: طرح سيئات المظلومين على رقبة الظالمين، (جائز وحق)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا دِرْهَمَ له ولا متاعَ، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وَقَذَفَ هذا، وأكل مال هذا، وسَفَكَ دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته،

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» واللفظ له (٣١٦٥)؛ وأحمد في «المسند» (٢٦٤٠١)؛ والبزار في «مسنده» (١٠٧) باختلاف يسير. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٣.

.....

وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه، ثم طرح في النار»[1].

وكذلك الأمم كلها، من الوحوش والطيور يُحشرون إلى ربهم؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[2]. قال الإمام النسفي في «تفسيره»[3]: «فيُنصف بعضها من بعض؛ لما رُوِيَ: أنه يُؤخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: «كوني ترابا»[4]، وإليه يشير

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٥٨١).

(٢) سورة الأنعام الآية: ٣٨.

(٣) انظر: (١/ ٥٠٢) تحت تفسير هذه الآية .

(٤) أخرج الترمذي في «جامعه» (٢٤٢٠) واللفظ له؛ وأحمد في «المسند» (٧٢٠٤)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٦٣) عن عبد الله بن عمرو، قال: «إذا كان يوم القيامة مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يحصل القصاص بين الدواب يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب قال لها: كوني ترابا، قال: فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا». وقال الترمذي: «حسن صحيح».
وأخرج أحمد في «المسند» بإسناد حسن (٢١٥١١)؛ والبزار في «مسنده» (٤٠٣٢) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان جالسا، وشاتان تعتلفان، فنطحت إحداهما الأخرى، فأجهضتها، قال: فضحك رسول الله ﷺ، فقيل له: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «عجبت لها، والذي نفسي بيده، ليقادن لها يوم القيامة».
وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»: (١٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «من ضرب ضربًا ظلما، اقتص منه يوم القيامة».
فائدة: قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: (١٦/ ١٣٧): «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه الدعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسُّنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في =

.....

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[1].

وكذلك فكاك كل مسلم من يهودي أو نصراتي؛ لقوله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيا، ويقول: هذا فكاكك من النار»، رواه مسلم[2].

---

= القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء، فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة، والجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها، والله أعلم».

ونقل عن النووي الإمامُ الملا علي القاري في «المرقاة»: (٤/ ٧٦١) أنه قا: «فإن قيل: الشاة غير مكلفة، فكيف يقتص منها؟ قلنا: «إن الله تعالى فعال لما يريد، ولا يُسأل عما يفعل، والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع، بل يقتص حق المظلوم من الظالم». اهـ.

(١) سورة التكوير، الآية: ٥.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤٨٧٧).

فائدة: في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر: (١١/ ٣٩٨): «قال البيهقي: ويحتمل أن يكون الفداء في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم، وحديث الشفاعة في قوم لم تكفر ذنوبهم. ويحتمل أن يكون هذا القول لهم في الفداء بعد خروجهم من النار بالشفاعة. وقال غيره: يحتمل أن يكون الفداء مجازًا عما يدل عليه حديث أبي هريرة الآتي في أواخر باب صفة الجنة والنار قريبا بلفظ: لا يدخل الجنة أحد إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، الحديث. وفيه في مقابله ليكون عليه حسرة، فيكون المراد بالفداء إنزال المؤمن في مقعد الكافر من الجنة الذي كان أعد له وإنزال الكافر في مقعد المؤمن الذي كان أعد له، وقد يُلاحظ في ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] وبذلك أجاب النووي تبعًا لغيره». اهـ.

وقال النووي في «شرح صحيح مسلم»: (١٧/ ٢٣٨): «ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة: لكل أحد منزل فى الجنة ومنزل فى النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر فى النار لاستحقاقه ذلك بكفره. ومعنى فكاكك من النار أنك كنت معرضًا لدخول النار، وهذا فكاكك؛ لأن الله تعالى قدر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا فى معنى الفكاك للمسلمين. وأما رواية: يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب، =

.....

وقال الشيخ في «اللمعات»[1] في شرح الحديث: «إن فكاك الرهن ما يُفك به ويُخلص، ولما كان لكل مكلف مقعد في الجنة ومقعد في النار، فلما دخل المؤمن الجنة، صار الكافر كالفكاك للمؤمن خلص به عن النار، ولم يرد به تعذيب الكتابي بما ارتكبه المسلم من الذنوب؛ لأنه لا يُعذَّب أحد بذنوب أحد. وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر؛ لاشتهارهم لمضارة المسلمين، ومعرفة الحكم في غيرهم بطريق الأولى».

= فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولا بدَّ من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، وقوله: «ويضعها» مجاز، والمراد: يضع عليهم مثلها بذنوبهم كما ذكرناه، لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين، لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان للكفار سبب فيها؛ بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة، كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها، والله أعلم». اهـ.

(١) انظر: «لمعات التنقيح»: (٩/ ٣٥) رقم الحديث (٥٥٥٢).

## [الصراط والحوض يوم القيامة حق]

والصِّراط حقّ .....

(والصراط حق) وهو كما في حديث مسلم: «جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحدُّ من السيف، يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار»[1]؛ لقوله

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٨٣) القدر الذي يلي: «أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف». والحديث بهذا اللفظ لم يروه مسلم، فقد ورد من كلام ابن مسعود. انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ١٦٩).
فائدة: أجمع علماء أهل السنَّة والجماعة على الإيمان بالصراط، ووصف هذا الصراط بأنه أدقُّ من الشعر، وأحَدُّ من السيف، وأحمى من الجمر، وأنه دحْض مزلَّة، وأن الناس يمشون على اختلافهم في صفة المشي؛ فمن الناس من يمشي واقفًا، ومن الناس من يمشي جاثيًا.
والأحاديث الواردة في هذا كثيرة، لا سيما الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بلغني أن الجسر أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف»؛ فهو العمدة عندهم، وأصح ما ورد في الصفة، لكنه ذهب المعتزلة والعقلانيون إلى إنكارِ الصراط، وما جاء في وصفه في الأحاديث الصحيحة، إلا أنهم ردوها زاعمين أنها تخالف العقل!
قال إمام أهل السُّنة أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أن الصراطَ جسرٌ ممدود على جهنم، يجوز عليه العبادُ بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك. انظر: «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري (ص٢٨٦)؛ و«فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام» للدكتور غالب العواجي: (١/ ١٩٣).
وقال الإمام عضد الدين الإيجي: «واعلم أن الصراطَ جسرٌ ممدود على ظهر جهنم، يعبُر عليه المؤمن وغير المؤمن، وأنكره أكثرُ المعتزلة...»؛ اهـ. انظر: «كتاب المواقف»: (٣/ ٥٢٣).
وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مذهب أهل الحق أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم؛ فالمؤمنون يَنجُون على حسب أعمالهم ومنازلهم، والآخرون يسقطون فيها - عافانا اللهُ الكريم-، والسلف يقولون: إنه أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف، وهكذا جاء في رواية أبي سعيد». انتهى نقلًا من «مرقاة المفاتيح»، لعلي القاري: (٦/ ١٣٣).
وقال الإمام بدر الدين العيني: «ثم يُضرب الصراط، والصراطُ جسر ممدود على متن =

.....

تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[١].

وهذا ممكن، فيجب التصديق به؛ فإن القادر على أن يُطيِّر الطير في الهواء، قادر على أن يُسيِّر الإنسانَ على الصراط[٢]، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[٣]، فقد رُوي عن الحسن وقتادة: «أن الورود المرور على الصراط؛ لأن الصراط ممدود عليها، فيَسلم أهل الجنة، ويتقاذف أهل النار»[٤].

---

= جهنم، أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف، عليه ملائكة يحبسون العباد...». انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»: (٩/ ٣٠٥).
وقال ابن عساكر: «والإيمان بأن الصراط حقٌّ، وهو جسرٌ ممدود على متن جهنم، أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر، تزِل عليه أقدامُ الكافرين بحُكم الله تعالى، فيهوي بهم إلى النار، ويثبت عليه أقدام المؤمنين، فيساقون إلى دار القرار...» اهـ. انظر: «تبيين كذب المفتري» (ص٣٠٥).

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٣.

(٢) وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرد على من تأول ما ورد في وصف الصراط: «القادر على إمساك الطير في الهواء، قادر على أن يمسك عليه المؤمن، فيجريه أو يمشيه، ولا يُعدَل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك؛ للآثار الواردة في ذلك، وثباتها بنقل الأئمة العدول ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾. انتهى من «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة»: (ص٧٥٨).

(٣) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٤) قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه: «التخويف من النار» (ص٢٥١) ما يلي: «وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في تفسير الورود، فقالت طائفة: الورود هو المرور على الصراط، وهذا قول ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والكلبي وغيرهم. وروى إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مُرَّة الهمداني، عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَريم: ٧١] فحدثني عن ابن مسعود أنه حدثهم، قال: قال رسول الله ﷺ: يرد الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر =

.....

.....

= الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كسير الرجل، ثم كمشيه»، أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن». انتهى.

وقال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٧): «قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مَريم: ٧١] ورود المسلمين: المرور على الجِسر بينَ ظَهرَيها، وورودُ المشرِكين أن يَدخُلوها».

وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٥٨): «الصحيح أنَّ المراد بالورودِ في الآية المرور على الصِّراط، وهو جِسر منصوب على جهنم، فيقع فيها أهلها ويَنجو الآخرون».

فائدة: وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (٣/ ١٤٧): «واختلف السلف في المراد بالورود في الآية، فقيل: هو الدخول، روى عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار: أخبرني من سمع من ابن عباس فذكره. وروى أحمد والنسائي والحاكم من حديث جابر مرفوعا: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلاما». وروى الترمذي وابن أبي حاتم من طريق السدي: سمعت مرة يحدث عن عبد الله بن مسعود قال: يردونها أو يلجونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم. قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لشعبة: إن إسرائيل يرفعه، قال: صدق وعمدا أدعه. ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل مرفوعا. وقيل: المراد بالورود الممر عليها، رواه الطبري وغيره من طريق بشر بن سعيد عن أبي هريرة، ومن طريق أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود، ومن طريق معمر وسعيد عن قتادة، ومن طريق كعب الأحبار، وزاد: يستوون كلهم على متنها، ثم ينادي مناد أمسكي أصحابك ودعي أصحابي، فيخرج المؤمنون ندية أبدانهم. وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ولا تنافي بينهما، لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه: أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم فأعلاهم درجة من يمر كلمع البرق، ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم من حديث أم مبشر: إن حفصة قالت للنبي ﷺ لما قال: لا يدخل أحد شهد الحديبية النار: أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فقال لها: أليس الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: ٧٢] الآية. وفي هذا بيان ضعف قول من قال: الورود مختص =

وحوض النبي ﷺ حقّ.

وقد شك بعض شارحي «الفقه الأكبر»[١]، أن لفظ «الصراط» ليس من المتن، وكأنه ملحق به، لكن لما كان الاعتقاد على ذلك من ضروريات الدين، أورده قبل الحوض لمناسبة البيان؛ فإن دخول الجنة والورود على الحوض لا يكون إلا بعد المرور على الصراط، فتقديمه على الحوض أولى وأنسب[٢].

(وحوض النبي ﷺ حقّ) لقوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا»، رواه الشيخان في «صحيحيهما»[٣].

= بالكفار، ومن قال: معنى الورود الدنو منها، ومن قال: معناه الإشراف عليها، ومن قال: معنى ورودها ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى ...». اهـ.

(١) هو الملا علي القاري الحنفي، صاحب «منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر»، فلتنظر التعليق اللاحق.

(٢) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٦٦): «ووقع في أصل شارح هنا زيادة «والصراط حق»، وليس في المتون، وكأنه ملحق، ولكن محله قبل ذكر الجنة والنار أليق، وهو ثابت بالكتاب والسّنّة، فقال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٥٧٩)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٢٩٢).

## [الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان]

والجنة والنار مخلوقتان اليوم .....

(الجنة والنار مخلوقتان اليوم)؛ لقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[1]، فقوله تعالى: «أُعِدَّتْ» دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل، وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[2]، استدل به جمهور المفسرين على أن نعيم الجنة تفضُّل محض، لا أنه مستحق بالعمل.

وكذلك حديث البخاري الذي رواه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ صلى لنا يومًا الصلاة، ثم رقي في المنبر، فأشار بيديه قِبَلَ قِبلةِ المسجد، ثم قال: «لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشر»[3] دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم.

وكذلك حديث أبي هريرة في خلق الجنة والنار دليل على أنهما مخلوقتان اليوم، كما رواه أصحاب السنن الثلاث: الترمذي وأبو داود والنسائي[4]، ولا يقال: لا فائدة

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الأذان، باب: رفع البصر إلى الإمام في الصلاة (٧٤٩)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٣٥٩).

(٤) أخرج الترمذي في «الجامع» (٢٥٦٠) واللفظ له؛ وأبو داود في «السنن» (٤٧٤٤)؛ والنسائي في «السنن الصغرى» (٣٧٦٣)؛ وأحمد في «المسند» (٨٦٤٨) عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر =

لا تفنيان أبدا.

في خلقهما قبل يوم الجزاء؛ لأن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل، على أن قصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة، والآيات الظاهرة في إعدادهما، مثل: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، و﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، دليل على أنهما مخلوقتان موجودتان اليوم.

(لا تفنيان أبدًا) ولا يفنى أهلهما؛ لقوله تعالى في حق الفريقين: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾[(٢)]، أما محلهما، فلا خلاف أن الجنة في السماء[(٣)]؛ لما في حديث عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة مائة

---

= إلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». اهـ.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٣) وقد نص أهل العلم على أن الجنة فوق السماء السابعة، والنار في الأرض السفلى. روى البخاري في «صحيحه» (٧٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن». وروى البيهقي في «البعث والنشور» (٤٥٥) بسند ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، قال البيهقي عقبه: «حديث البراء بن عازب وأبي هريرة في عذاب القبر، وما ذكرا عن النبي ﷺ في موضع روح المؤمن والكافر: يدل على هذا». وروى الحاكم في «المستدرك» (٨٦٩٨) عن عبد الله بن سلام، قال: «إن الجنة في السماء، وإن النار في الأرض». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه «التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار» (ص٦٢-٦٣) ما نصه: «روى عطية عن ابن عباس، قال: الجنة في السماء السابعة، وجهنم في الأرض =

.....

درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس»، رواه الترمذي[1].

أما النار، فقال الحافظ السيوطي: «ونقف عن النار، يعني محلها؛ حيث لا يعلمه إلا الله تعالى، فلم يثبت عندي حديث أعتمده في ذلك»[2].

---

= السابعة، أخرجه أبو نعيم. وخرج ابن مندة، من حديث أبي يحيى القتات عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس: أين الجنة ؟ قال: فوق سبع سموات، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبعة أبحر مطبقة .وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن قتادة، قال: كانوا يقولون: إن الجنة في السموات السبع، وإن جهنم لفي الأرضين السبع . وقد استدل بعضهم لهذا بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يعرضون على النار غدوًا وعشيًّا - يعني في مدة البرزخ - وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء، فدل أن النار في الأرض». انتهى.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٥٣١) واللفظ له، وأحمد في «المسند» (٢٢٧٣٨). وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند».

(٢) قاله السيوطي في كتابه: «إتمام الدراية لكتاب النقاية» (ص١٥).
فائدة: قال الإمام أبو المعين النسفي في «بحر الكلام»، (ص٢٠٠) ما نصه: «قالت الجهمية: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، استمتع أهل الجنة بقدر أعمالهم، وأهل النار أذاقهم الله العذاب بقدر أعمالهم وكفرهم، ثم إن الله تعالى يُفني الجنة والنار. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] على ما ذكرنا. وعن النبي ﷺ أنه قال: «سيأتي على جهنم يوم تصفّق الريح أبوابها وليس فيها أحد. [أخرجه البزار في «مسنده» (٦/ ٤٤٢) بسند ضعيف موقوفًا على عبد الله بن عمر].
وقال أهل السُّنة والجماعة: الجنة والنار دارا الخلد، وهما للثواب والعقاب، فلا يفنيان على ما ذكرنا، ولأنه لا يجوز منه الظلم والجور. قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]: اشترى أهل الجنةِ الجنةَ بإيمانهم، والدرجات بأعمالهم، والرؤية بنياتهم. والكفار اشتروا النار بنياتهم وكفرهم، ورأينا أن من اشترى دارًا وسلّم الثمن لا يحسن من البائع أن يستردها منه، فإن فعل ذلك يكون منه ظلمًا =

ولا تموت الحور العين أبدًا،.....

(ولا تموت الحور العين أبدًا) والحور العين من جنس النساء، خُلقن في الجنة لنعيم أهلها، كما قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾[1]، وقد وصفهن رسول الله ﷺ بقوله: «ما في الجنه أحد إلا له زوجتان، إنه ليرى مخ ساقهما من وراء سبعين حلة»[2].

ولما كان الخلود ثابتًا لجميع أهل الجنة بالنصوص القاطعة، وهن من أهل الجنة خلقا، ثبت خلودهن فيها بطريق الأولى، وإليه يشير قوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، قال: «نودوا: أن صحوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تبأسوا، وشبوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا»[3].

وكذلك [لا يموت][4] وِلدان الجنة، لقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾[5]، قال صاحب «المدارك»:.....

= وجورا، والله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم والجور. وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٢٣] قلنا: نعم، ولكن هو باقٍ لا بإبقاء أحد، والخلق باقٍ بإبقاء الله تعالى، فظهرت التفرقة بين الخالق والمخلوق. وأما معنى الخبر: قلنا: إذا خرج العصاة من النار وذهبوا إلى الجنة تبقى النار صحراء ليس فيها أحد، وهذا هو معنى الخبر. اهـ.
وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٦٨): «وذهب الجهمية – وهم الجبرية الخالصة – إلى أنهما تفنيان ويفنى أهلهما، وهو باطل بلا شبهة؛ لأنه مخالف للكتاب والسّنّة وإجماع الأمة». اهـ.

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٢.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٥٣٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٣٧)؛ والدارمي في «سننه» (٢٨٦٦)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٨٤)؛ وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٨٧)؛ والترمذي في «الجامع» (٣٢٤١)؛ والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٤٠).

(٤) كان في المخطوط: «لا يموتون».

(٥) سورة الإنسان، الآية: ١٩.

.....

«وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة»[1].

---

(١) قال البغوي في «مدارك التنزيل»: (٣/ ٥٨٠) عند تفسير هذه الآية ما يلي: «غلمان يُنشئهم الله لخدمة المؤمنين، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدمًا لأهل الجنة».
فائدة: حكم أطفال المسلمين والمشركين:
قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: (٥/ ٥٠-٥٥) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [ الإسراء: ١٥ ]. بقي هاهنا مسألة قد اختلف الأئمة ﷺ فيها قديمًا وحديثا، وهي: الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار، ماذا حكمهم؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف، ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة. وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه، ثم نذكر فصلًا ملخصًا من كلام الأئمة، والله المستعان ...ثم قال بعد أن أورد عشرة أحاديث في تقرير هذه المسألة: إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال:
القول الأول: إنهم في الجنة، واحتجوا بحديث سمرة أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاد المسلمين وأولاد المشركين؛ وبما تقدم في رواية أحمد عن خنساء عن عمها: أن رسول الله ﷺ قال: «والمولود في الجنة».
وهذا استدلال صحيح، ولكن أحاديث الامتحان أخص منه، فمن علم الله منه أنه يطيع، جعل روحه في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة، ومن علم منه أنه لا يجيب، فأمره إلى الله تعالى، ويوم القيامة يكون في النار، كما دلت عليه أحاديث الامتحان، ونقله الأشعري عن أهل السُّنة، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة، منهم من يجعلهم مستقلين فيها، ومنهم من يجعلهم خدما لهم، كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف، والله أعلم.
والقول الثاني: أنهم مع آبائهم في النار .واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي المغيرة: حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب، حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطيف أنه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت: قال رسول الله ﷺ: «هم تبع لآبائهم» فقلت: يا رسول الله بلا أعمال ؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».
والقول الثالث: التوقف فيهم .واعتمدوا على قوله ﷺ: «الله أعلم بما كانوا عاملين».
ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف .وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل =

**ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمدا.....**

(ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمدًا) والمراد بالعقاب: النار، وبالثواب: الجنة؛ لقوله تعالى في حق المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]، وفي حق الكفار: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

= الجنة، لأن الأعراف ليس دار قرار، ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف، والله أعلم.

وليُعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين، فأما ولدان المؤمنين، فلا خلاف بين العلماء، كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: «لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة». قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع من يُعتد به من علماء المسلمين، على أن من مات من أطفال المسلمين، فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلفا». انتهى من «شرح مسلم» (١٦/ ٢٠٧).

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

## [تفضُّلُ الله في الهداية وعدله في الإضلال]

**والله يهدي من يشاء فضلا منه، ويضل من يشاء عدلا منه، وإضلاله خذلانه، وتفسير الخذلان: أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه عنه، وهو عدل منه، وكذا عقوبة المخذول على المعصية.**

(والله يَهدي من يشاء فضلًا منه) أي: توفيق الهداية للعباد بمحض فضله، الذي سبق في علمه وإرادته القديم الأزلي إعطاؤها، وهي إنعام خاص اختص به لبعض عباده، بقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1]، فشرح صدور بعض العباد دون البعض حكمةً منه جَلَّجَلَالُهُ، وهو أعلم بحال عباده.

(ويضل من يشاء عدلًا منه) أي: يجعل قلبه ضيقا، حتى لا يدخله الإيمان، وهذا بمحض عدله، فإضلال البعض دون البعض حكمة منه جَلَّجَلَالُهُ، وهو أعلم بحال عباده، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[2]، يعني: يشق عليه الإيمان، كما يشق عليه صعود السماء.

(وإضلاله خذلانه) أي: عدم نصرته له في توفيق الإيمان. (وتفسير الخذلان أن لا يُوفِّق العبدَ على ما يرضاه عنه) أي: على ما يحبه من الإيمان والإحسان (وهو) أي: عدم نصرته لتوفيق ما يرضاه (عدل منه) إذ لا يجب عليه شيء، وما هو بظلام للعبيد، (وكذا عقوبته المخذول على المعصية) عدل منه؛ لأنه أعلم بها عباده.

والحاصل: أن الله تعالى خلق الهداية والضلالة، وهما أمران مختصان له تعالى بنصرته للعباد وعدم نصرته لهم، ومنسوبان إلى العباد؛ من حيث القدرة والاكتساب، فمن اكتسب الهداية وصرف قدرته إليها، نصره الله تعالى بمقتضى إرادته الذي سبق

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) المصدر السابق.

.....

في علمه القديم الأزلي توفيقُه بذلك، وهو فضل منه، وإليه يشير قوله ﷺ: «إذا دخل النور في القلب، انشرح وانفتح»[1]، ومن اكتسب الضلالة وصرف قدرته إليها، لم ينصره الله ولم يوفقه إلى سلوك طريق الهدايه بمقتضى إرادته الذي سبق في علمه القديم الأزلي عدمُ توفيقه لذلك، وهذا عدل منه، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[2].

(١) أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٠٣٧)؛ والحاكم في «المستدرك» (٧٩٣٣). وسكت عنه الحاكم. قال الزبيدي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (١/ ٢١٨): قال العراقي: «وسكت عليه الحاكم وهو ضعيف».

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

## [سلب الشيطان الإيمانَ من المؤمن]

**ولا نقول: إن الشيطان يسلب الإيمان من عبده المؤمن قهرا وجبرا، ولكن نقول: العبد يدع الإيمان، فإذا تركه فحينئذ يسلبه منه الشيطان.**

(ولا نقول) أي: لا يجوز أن نقول: (إن الشيطان يسلب الإيمان من عبده المؤمن قهرًا وجبرًا)؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[1]، وقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾[2]، ولكن (نقول: إن العبد يدع الإيمان) أي: يتركه باختياره بسبب وسوسة الشيطان (فإذا تركه فحينئذ يسلب منه الشيطان) أي: يجعله تابعًا له في الخذلان، بعد أن يترك العبد الإيمان باختياره اتباعًا لشهواته، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[3].

والحاصل: أن الشيطان وإن كان عدوًّا للإنسان، لكن تسلطه على الإنسان ليس من القوة القهرية والجبرية؛ بل الاختيار للإنسان في فعله وأمره، والعقل حارس له أن يقع في الشر والشهوات؛ لأنه يهديه إلى طريق الرشد والصواب.

والشيطان مُغوٍ له أن يقع في اللذات والشهوات؛ لأنه عدو له، والعدو لا يُصِرُّ إلا إلى الخذلان والخسران، فإن لم يعمل الإنسان على إغواء الشيطان واتبع إرشاد العقل الذي هو حارسه من الشر، نجا من الخطر وسلك طريقَ الصواب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[4]، وإن ترك إرشاد العقل واتبع الشيطان

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

.....

في إغوائه ومال إلى شهواته وترك الإيمان باختياره، فحينئذ يسلب منه الشيطان الإيمان، وهذا معنى قوله تعالى خطابًا لإبليس: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

## [سؤال منكر ونكير وعذاب القبر]

**وسؤال منكر ونكير في القبر حق، وإعادة الروح إلى العبد في قبره حق،**

(وسؤال منكر ونكير في القبر حق) لما رُوي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أُقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير»، إلى آخر الحديث[1].

قال في «المرقاة»[2]: «وإنما يبعثهم الله تعالى على هذه الصفة؛ لما في السواد وزرقة العين من الهول والوحشة، ويكون خوفهما على الكفار أشد، وأما المؤمنون، فلهم في ذلك ابتلاء، فثبَّتهم الله تعالى».

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «المسلم إذا سُئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»[3]، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[4].

(وإعادة الروح إلى العبد في قبره حق) لما في حديث البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ قال: «يأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان ل: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ قا: فيقو: هو رسول الله ﷺ... الحديث»، رواه أحمد وأبو داود[5].

---

(١) أخرج الترمذي في «الجامع» (١٠٧١) واللفظ له؛ وابن حبان في «صحيحه» (٣١١٧). وقال الترمذي: «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب».

(٢) انظر: (١/ ٢٠٩)، رقم الحديث (١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٣٦٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٧١).

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٧٥٣) واللفظ له، وسكت عنه؛ والنسائي في «السنن الصغرى» =

وضغطة القبر حق، .....

وقال الشيخ علي القاري في شرحه على «الفقه الأكبر»[١]: «إن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والأطفال والشهداء لا يُسألون في القبر»، قال: «وتوقف الإمام الأعظم في سؤال أطفال الكفرة ودخولهم الجنة»[٢].

(وضغطة القبر حق) لما رُوي عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ حين تُوفي، فلما صلى عليه رسول الله ﷺ ووُضع في قبره وسُوِّي عليه، سبح رسول الله ﷺ، فسبحنا طويلا، ثم كبر فكبرنا، فقيل: يا رسول الله، لِمَ سبحت ثم كبرت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى أفرجه الله عنه»[٣].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضمه ضمَّة، ثم فُرِّج عنه»، رواه النسائي[٤].

---

= (٢٠٠١)؛ وابن ماجه في «السنن» (١٥٤٩) مختصرًا، وأحمد في «المسند» (١٨٥٥٧) باختلاف يسير. قال البيهقي في «شعب الإيمان» بإثر الحديث (٣٩٠): «هذا حديث صحيح الإسناد». وقال ابن منده في «الإيمان»، بإثر الحديث (١٠٦٤): «هذا إسناد متصل مشهور».

(١) انظر: (ص١٧١).

(٢) قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٧١): «ففي الكفاية: أن لا سؤال للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وقال السيد أبو شجاع من علماء الحنفية: إن للصبيان سؤالا، وكذا للأنبياء عند البعض، وقال بعضهم: صبيان المسلمين مغفور لهم قطعا، والسؤال لحكمة لم يطّلع عليها، وتوقّف الإمام الأعظم رَحِمَهُ اللَّهُ في سؤال أطفال الكفرة ودخولهم الجنة، وغيره حكم بذلك، فيكونون خدم أهل الجنة». اهـ

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٤٨٧٣)؛ والطبراني في «الكبير» (٥٣٤٦)؛ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١١٣)؛ والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٢٢٤) مختصرًا؛ والبخاري في «التاريخ الكبير: (١/ ١٤٨) مختصرا. والحديث حسن الإسناد، كما أثبته شعيب الأرناؤوط في «تخريج المسند».

(٤) أخرجه النسائي، كتاب الجنائز، باب: ضمة القبر وضغطته (٢٠٥٥) واللفظ له، وابن حبان =

وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المسلمين.

فلو كان أحدٌ نجا من الضغطة، لكان سعد أولى بها؛ لما رُوي أن عرش الرحمن اهتز لموته، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة[١].

(وعذابه) أي: عذاب القبر (حق كائن للكفار كلهم أجمعين ولبعض عصاة المسلمين) لما أن الشرع ورد به، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٣]، وهو عذاب القبر.

وقال رسول الله ﷺ: «يُسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا، تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة، لو أن تنينًا منها نفخ بالأرض، ما أنبتت خضرا»[٤].

وكذا تنعيم أهل الطاعة في القبور ثابت بالآثار الصحيحة[٥]، ويجب التصديق

---

= في «صحيحه» (٧٠٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٥٣٣٣)؛ وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣١١١). قال النووي في «الخلاصة» (٢/ ١٠٤٢): «إسناده صحيح».

(١) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجيًا منها نجا منها سعد بن معاذ». رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٥٥، ٩٨)، قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٥/ ٢٥٩): «إسناده جيد». وقال الذهبي في «السير»: (١/ ٢٩١): «إسناده قوي».

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٧.

(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٨٥٧) واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري؛ وأحمد في «المسند» (١١٣٣٤)؛ وابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٣/ ١٧٥)؛ وعبد بن حميد في «المنتخب» (٩٢٩)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٣١٢١)؛ والآجري في «الشريعة» (ص٣٥٩)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٢٩)؛ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦١). هذا الحديث وإن لم يخل كل واحد من طرقه من الضعف، لكن يرتقي بمجموع طرقه إلى مرتبة الحسن، وقد رأيت الشيخ الألباني رحمه الله حسنه في «صحيح الموارد» (٦٥١)، و«صحيح الترغيب» رقم: (٣٥٥٢).

(٥) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٧٢): «وكذا تنعيم بعض المؤمنين =

على السؤال؛ لأنه ممكن في نفسه، ولا يدفع ذلك ما يُشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له؛ فإن النائم ساكن بظاهره، ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه، وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ويشاهده، ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1]، فإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية، لم يدركوه.

وكذا يجب التصديق على ضغطة القبر وعذابه، ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع، وحواصل الطيور، وانتشار الرماد في الهواء؛ لأن الروح باقية بعد موت البدن، منعَّمة أو معذَّبة، والمدرِك لألم العذاب في عالم البرزخ هو الروح، والروح متعلقة بالجسد في دار الدنيا، فلما مات فارقت الروح الجسد، فالجسد هو المتبوع في دار الدنيا، والروح تابعة له، ولذا يتعلق أحكامه على الجسد[2].

---

= حق، فقد ورد: «أن القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النيران». رواه الترمذي والطبراني رَحِمَهُمَا اللَّهُ. وفي الحديث: «أن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه». رواه الترمذي؛ والنسائي؛ والحاكم بسند صحيح عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٧٢-١٧٣) ما يلي: «واعلم أن أهل الحق اتفقوا على أن الله تعالى يخلق في الميت نوع حياة في القبر قَدْرَ ما يتألم، أو يتلذّذ، ولكن اختلفوا في أنه هل يُعاد الروح إليه؟ والمنقول عن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ التوقّف، إلا أن كلامه هنا يدل على إعادة الروح؛ إذ جواب الملكين فعل اختياري، فلا يُتصوّر بدون الروح، وقيل: قد يتصوّر، ألا ترى أن النائم يخرج روحه، ويكون روحه متصلًا بجسده، حتى يتألم في المنام ويتنعّم، وقد رُوي عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه سئل كيف يُوجَع اللحم في القبور، ولم يكن فيه الروح؟ فقال ﷺ: «كما يوجع سنّك وليس فيه الروح».
وأما ما قاله الشيخ أبو المعين في «أصوله» على ما نقله عنه القونوي من أن عذاب القبر حق، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا أو مطيعًا أو فاسقا، ولكن إذا كان كافرا، فعذابه يدوم في القبر إلى =

.....

أما عالم البرزخ، فأحكامه مختصة بالروح لا بالجسد؛ لأن الجسد يتشتر ويتفرق بعد الموت، ولا يبقى منه إلا عجب الذنب، أما أحكام الآخرة، فهي تتعلق بالروح والجسد جميعا، وحينئذ تكون الروح متبوعًا والجسد تابعا، وهي أكمل الحالات[1].

فإن قيل: لو سلمنا أن عذاب البرزخ يكون على الروح دون الجسد، فما جوابكم عن ضغطة القبر التي ثبتت بالسُّنة المشهورة؟ وكيف تكون الضغطة للروح الذي لا جسد له، وتفرقت أجزاؤه في بطون السباع، أو انتشرت في الهواء؟ ومن أين تأتي القبور إليهم، حتى تثبت الضغطة لهم؟

---

= يوم القيامة، ويرفع عنه العذاب يوم الجمعة وشهر رمضان بحرمة النبي ﷺ؛ لأنه ما دام في الأحياء، لا يعذّبهم الله تعالى بحرمته، فكذلك في القبر يرفع عنهم العذاب يوم الجمعة، وكل رمضان بحرمته، ففيه بحث؛ لأنه يحتاج إلى نقل صحيح، أو دليل صريح، فالصواب ما قاله القونوي: مِن أن المؤمن إن كان مطيعا، لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطة، فيجد هول ذلك وخوفه، لما أنه كان يتنعّم بنعم الله سبحانه، ولم يشكر الإنعام حقه». اهـ

(١) قال الملا علي القاري الحنفي في «شرح الفقه الأكبر» (ص٢١٩) ما نصه: «ثم اعلم أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلّق متغايرة الأحكام، الأول: تعلقها به في بطن الأم جنينا، والثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض، والثالث: تعلّقها به في حال النوم، فلها به تعلّق من وجه ومفارقة من وجه، والرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجرّدت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليًا، بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتّة، فإنه ورد ردّها إليه وقت سلام المسلم عليه، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة، والخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلّقها بالبدن؛ إذ لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا شيئًا من الفساد، وليس السؤال في البرزخ للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح، والأحاديث الصحيحة تردّ القولين. والحاصل: أن أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وأحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، وأحكام الحشر والنشر على الأرواح والأجساد جميعا». اهـ

.....

قلنا: يمكن أن يجمع الله تعالى تلك الأجزاء المتفرقة في بطون السباع أو المنتشرة في الهواء في محل مخصوص، وهو المحل الذي أكلته السباع فيه، أو أحرق فيه بالنار، ثم يجعل تلك الأرض قبرًا له[٢].

فثبتت الضغطة الموعودة بهذه الصورة، والدليل عليه أنه يُسمع في بعض الأحيان من مُحرَقة الهنود أنين غير معهود، والحال أن تلك الأجساد صارت رمادا، وانتشرت في الهواء.

(٢) قال السفَّاريني في كتابه «البحور الزاخرة في علوم الآخرة»: (١/ ٢٤٩) ما يلي: واعلم - رحمك الله - أن الملاحدة والزنادقة أنكروا عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، وأنكروا جلوس الميت في قبره. قالوا: فإنا نكشف القبر ولا نجد فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد، ولا نجد ثَمَّ حيات وثعابين، ونيران. قالوا: وكيف يفسح له مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله، ومساحته على حالها؟ وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له؟ ولمن يؤنسه أو يوحشه؟

وقال إخوانهم من أهل البدع والضلال: كل حديث يخالف مقتضى العقول، نقطع بتخطئة ناقله، قالوا: ونحن نرى المصلوب على الخشبة مدة طويلة، لا يُسأل ولا يجيب ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارا؛ ومن افترسته السباع، ونهشته الطير، وتفرقت أجزاؤه في حواصل الطيور، وأجواف السباع، وبطون الحيات، ومدارج الرياح، فكيف يُسأل وكيف يصير القبر على هذا روضة أو حفرة؟ وكيف يتسع قبره أو يضيق؟ هكذا زعم أعداء الله ورسله!

وأجاب عن ذلك الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الماتع «الروح» (ص١٢٢١) إحدى عشرة أجوبة، وأفحم الملاحدة وأعداء الإسلام، ولخصها العلامة السفاريني في كتابه «البحور الزاخرة في علوم الآخرة»: (١/ ٢٤٩) وأجاد، فمن شاء فليرجع إليهما.

## [ترجمة صفات الله تعالى بغير العربية]

**وكل ما ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عزت أسماؤه وتعالت صفاته فجائز القول به، سوى اليد بالفارسية، ويجوز أن يقال (بروى خدا) بلا تشبيه ولا كيفية.**

(وكل ما ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى) المتشابهات كالوجه والعين (عزت أسماؤه وتعالت صفاته، فجاز القول به سوى اليد) فإنه لا يجوز ترجمته (بالفارسية) أصلا، (ويجوز أن يقال) بالفارسية (بروى خداى)[1] أما ترجمته بالعربية وجه الله (بلا تشبيه) أي: بنفي التشبيه (ولا كيفية) ونفي الكيفية من الهيئة والكمية على حسب ما يقتضيه التنزيه.

والترجمة بالفارسية في ما سوى اليد من صفات المتشابهات له جَلَّجَلَالُهُ مذهب الإمام الأعظم وجمع من السلف - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -، وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز الترجمة بالفارسية في الصفات المتشابهات أصلا، لكن أجمعوا على عدم جواز ترجمة اليد بالفارسية.

أما بواقي الصفات المتشابهات، فليست كذلك؛ لأن السلف اختلفوا فيها، وهذا بخلاف التأويل في المتشابهات؛ لأن الإمام الأعظم لا يُجوِّز التأويل في المتشابهات أصلا، كما مر في صدر الكتاب[2]، وهنا غلَط بعضُ شارحي «الفقه الأكبر»؛ حيث لم يفرق بين الترجمة والتأويل، وشتان ما بينهما[3]!

---

(١) فلا يجوز أن يقال: «دست خداى»، انظر: «شرح الفقه الأكبر» للمغنيساوي (ص٢٩).

(٢) انظر التعليق هناك.

(٣) أراد به الملا علي القاري الحنفي، صاحب «شرح الفقه الأكبر»؛ فإنه قال فيه (ص١٧١): «ثم رأيت السلف أجمعوا على عدم تأويل اليد، وتبعهم الأشعري في ذلك، بخلاف سائر =

.....

وهاهنا نذكر مسألة أخرى، وهو أن الإمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإن كان قائلًا بجواز القراءة بالفارسية في الصلاة في أول الأمر، لكن صح رجوعه بعد ذلك إلى قول صاحبيه، كما رواه نوح بن مريم عنه، ولذا قال في «الدر المختار»[1]: «والأصح رجوعه إلى قولهما، وعليه الفتوى».

= الصفات؛ فإن فيها خلافًا عنهم بين التأويل والتفويض».

(١) انظر: «رد المحتار على الدر المختار» كتاب الصلاة، فصل في بيان تأليف الصلاة إلى انتهائها» (١/ ٤٨٤).

## [القول في معنى القرب والبعد]

**وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولكن على معنى الكرامة والهوان، ولكن المطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد عنه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي، وكذلك جواره في الجنة، والوقوف بين يديه بلا كيف.**

(وليس قرب الله تعالى) لأهل البر والتقوى (ولا بعده) لأهل المعصية والهوى (من طريق طول المسافة وقصرها) المعبَّر بالمسافة (ولا على معنى الكرامة) لأهل الإحسان (والهوان) لأهل الطغيان (ولكن المطيع) من حيث الإطاعةُ (قريب منه بلا كيف) وكذا صفته.

(والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال) والإعراض (يقع على المناجي) أي: العبد المتضرع إلى الله تعالى بلا كيف.

وهاهنا ذكر لفظ «البعد» إما زائد، أو لبيان ضد القرب؛ لأن صفتي القرب والإقبال يتحققان على المناجي دون البعد؛ لقوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد»[1].

(وكذلك جواره) أي: مجاورة العبد لله تعالى (في الجنة) وهي دار الثواب (والوقوف) في عرصات القيامة (بين يديه بلا كيف) والمعنى: أن قربه جَلَّجَلَالُهُ من خلقه وبعده عنهم وصف بلا كيف، ونعت بلا كشف، فالمحسنون بصفة الطاعة والإحسان قريبون من رحمته، والعاصون بصفة المعصية والطغيان بعيدون منه، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

.....

وهذا الذي ذكره الإمام من حيث الطاعة والعصيان، فأما من حيث العمومُ، فالله تعالى جَلَّجَلَالُهُ أقرب للإنسان من كل قريب، وإنه لطيف يصل علمه إلى خطرات النفس، و[لا][1] شيء أخفى منه؛ لأن اتصاف ماهيات الممكنات بوجوداتها إنما كان بإيجاد الصانع، فكان إيجاد الصانع كالمتوسط بين ماهيات الممكنات وبين وجوداتها، فكان الصانع جَلَّجَلَالُهُ أقرب إلى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية إليها، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2].

(١) كان في المخطوط: «وما لا شيء».

(٢) سورة ق، الآية: ١٦.

## [القول في تفاضل آيات القرآن]

والقرآن مُنزَّل على رسول الله، وهو في المصحف مكتوب، وآيات القرآن كلها في معنى الكلام مستوية في الفضيلة والعظمة. إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي؛ لأن المذكور فيها جلال الله وعظمته وصفته، فاجتمعت فيها فضيلتان: فضيلة الذكر، وفضيلة المذكور، .....

(والقرآن منزَّل) بالتشديد، أي: نزل نجمًا نجما، وآية آية على وفق مصالح العباد، في مدة ثلاثة وعشرين عاما (على رسول الله ﷺ وهو) أي: القرآن (في المصحف) واللام فيه للجنس، أي: في جنس المصاحف (مكتوب) وفيه إشاره إلى أن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى.

(وآيات القرآن كلها) أي: جميعها (في معنى الكلام) أي: من حيث إنها كلام الله تعالى (مستوية في الفضيلة) اللفظية (والعظمة) المعنوية (إلا أن لبعضها) أي: بعض الآيات (فضيلة الذكر) من حيث إن الذاكر هو الله تعالى (وفضيلة المذكور) من حيث إن المذكور صفاته جَلَّجَلَالُهُ (مثل آية الكرسي؛ لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفته) المخصوص بذاته جَلَّجَلَالُهُ.

(فاجتمعت فيها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور)؛ لأن فيها بيانًا لقيامه جَلَّجَلَالُهُ بتدبير الخلق، وكونه مهيمنًا عليه غير ساه، والثانية: لكونه مالكًا لما يدبِّره، والثالثة: لكبرياء شانه، والرابعة: لإحاطته بأحوال الخلق، والخامسة: لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها.

وفي فضلها ما رُوي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «من قرأ آية الكرسي دبرَ كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد»[1].

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٤٨)؛ والطبراني في «الكبير» (٧٥٣٢)؛ والروياني =

.....

وقال ﷺ: «سيد البشر آدم عليه السلام، وسيد البشر محمد ﷺ، ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الأيام الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي»[1].

لاشتمالها على توحيد الله تعالى، وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزة جل جلاله، فما كان ذِكرًا له أفضل من سائر الأذكار، وكذا سورة الإخلاص؛ لأنها تشتمل على توحيد الله تعالى، وذكر صفاته، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن»[2]؛ لأن هذه السورة

---

= في «مسنده» (١٢٦٨)؛ وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢٤). قال ابن كثير: «فهو إسناد على شرط البخاري». انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٦٧٧). وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٠٢): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحدها جيد».

(١) أورده المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٥٣٤٤). قال المناوي في «فيض القدير»: (٤/ ١٢٣): «فيه محمد بن عبد القدوس، قال الذهبي: مجهول». ولهذا الحديث شاهد، أورد المناوي في «فيض القدير» عن أنس (٢٦٩٥): «أنا سابق العرب؛ وصهيب سابق الروم؛ وسلمان سابق الفرس؛ وبلال سابق الحبش». قال المناوي: «ورواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي أمامة مرفوعا بلفظ: «أنا سابق العرب إلى الجنة؛ وبلال سابق الحبش إلى الجنة؛ وسلمان سابق فارس إلى الجنة» اهـ.
قال زين الدين العراقي في «المغرب»: «حديث حسن». وقال الهيثمي: «سنده حسن». وقال زين الدين العراقي: «وله شاهد من حديث أنس أيضًا مرفوعًا بلفظ: «السابق أربعة: أنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم»؛ حديث حسن، أخرجه البزار، هكذا في مسنده، وأخرجه غيره بمعناه، وقال: «رجاله كلهم ثقات».

(٢) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن أخرج البخاري في «صحيحه» (٦٦٤٣) عن أبي سعيد أن رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن»؛ وأخرج مسلم في «صحيحه» (٨١١) عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «أيعجز =

**وفي صفة الكفار فضيلة الذكر فحسب، وليس في المذكور وهم الكفار فضيلة. وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في الفضيلة والعظمة لا تفاوت بينهما.**

تجردت للتوحيد والصفات، فقد تضمنت ثلث القرآن. ورُوي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: «إني أحب هذه السورة قل هو الله أحد»، قال: «حبك إياها أدخلك الجنة»[1].

والحديث دليل على شرف علم التوحيد، وجلالة محله. اللهم احشرنا في زمرة الفائزين بك، والعاملين لك، والراجين لثوابك، والخائفين من عذابك، والمكرَّمين بلقائك.

(وفي صفة الكفار) كسورة المدثر وغيرها، المذكور فيها أحوال الكفار خاصة، ففيها (فضيلة الذكر) من حيث إن الذاكر هو الله تعالى (فحسب وليس للمذكور وهم الكفار فضيلة) فعُلِم أن جميع آيات القرآن عمومًا متساوية الفضيلة، من حيث الذكرُ، بناءً على أن الذاكر هو الله تعالى، لكن لبعضها فضيله خاصة، كسورة الإخلاص، وآية الكرسي، ونحوهما، المذكور فيها توحيده وتمجيده وجلاله وعظمته؛ لاجتماعها بالفضيلتين: فضيلة الذكر، وفضيلة المذكور.

(وكذلك الأسماء والصفات) المتعلقة بالذات كلها (مستوية في الفضيلة والعظمة لا تفاوت بينهما) من حيث إطلاقهما على ذاته، وصفات ذاته جَلَّ جَلَالُهُ.

---

= أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن».

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٤٣٢)؛ والدارمي في «سننه» (٣٤٣٥)؛ والترمذي في «الجامع» (٢٩٠١)؛ وأبو يعلى في «مسنده» (٣٣٣٦)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٧٩٢)؛ وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٠)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٢١٠)؛ والبخاري تعليقا بصيغة الجزم (٧٧٤)؛ وابن خزيمة في «صحيحه» (٥٣٧)؛ والطبراني في «الأوسط» (٩٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٨). قال الترمذي: «حسن صحيح غريب»؛ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

.....

وهذا لا ينافي أن يكون بعض الأسماء أعظمَ من بعضها، على ما ثبت في الأحاديث الواردة في فضل اسم الله الأعظم؛ لما رُوي عن أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران: ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]»، رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه[١].

وعن سعد، قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء إلا استجاب له»، رواه أحمد والترمذي[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٤٧٨)؛ وأبو داود في «السنن» (١٤٩٦)؛ وابن ماجه في «السنن» (٣٨٥٥). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
فائدة: جاء في «عون المعبود» للعظيم آبادي: (٢/ ٢٦٧) رقم الحديث (١٤٩٦): «قال ميرك: وهنا أقوال أخرى في تعيين الاسم الأعظم، منها: أنه رب، أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وأبي الدرداء أنهما قالا: اسم الله الأكبر رب رب؛ ومنها: الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، نقل هذا عن الإمام زين العابدين، ومنها أنه: الله؛ لأنه اسم لم يطلق على غيره تعالى، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى، وثم أضيفت إليه، ومنها: الرحمن الرحيم، وقد استوعب السيوطي الأقوال في رسالته، ذكره في المرقاة».

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٤٢٧)؛ والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢). وقال الحاكم: «صحيحُ الإسناد ولم يُخرجاه»؛ وقال عنه المنذري في «الترغيب والترهيب»: (٢/ ٣٩٥): «إسناده صحيحٌ، أو حسنٌ أو ما قاربهما»؛ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٨): «رجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، وهو ثقة»؛ وصححه جمعٌ من أهل العلم أيضًا: كالسيوطي في «الجامع الصغير» (٤٢٠٣)؛ والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «مسند أحمد» (٢/ ٢١٧)؛ وحسَّنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٤/ ٩٣).

## [عقيدتنا في والدي رسول الله ﷺ وعمه]

ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر، .....

(ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر) لما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها، فلم يأذن لي، واستأذنت في أن أزور قبرها، فأذن لي، ألا فزوروا القبور»[1]. والاستغفار للكفار حرام.

وقال أبو هريرة وبريدة رضي الله عنهما: «ولما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه آمنة، فوقف عليه، حتى حميت الشمس رجاءَ أن يُؤذن به، فيستغفر لها، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، رواهما الإمام محيي السُّنة في «تفسيره»[2].

وقال قتادة: قال النبي ﷺ: لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية[3].

وهذا رد على من قال: إن والدي رسول الله ﷺ ماتا على الإيمان، أو ماتا على الكفر، ثم أحياهما الله تعالى، فآمنا به ﷺ، ثم ماتا في مقام اليقين؛ لأنه ثبت بالخبر المشهور أنهما ماتا على الكفر، .....

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٧٦)؛ والنسائي في «السنن» (٢٠٣٤)؛ والحاكم في «المستدرك» (١٤٣٠).

(٢) أورده البغوي في «تفسيره» (١١/ ١٠١) تحت تفسير هذه الآية؛ والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٢) تحت تفسير هذه الآية؛ وذكره الرازي في «تفسيره» (١٦/ ١٦٥) عن ابن عباس.

(٣) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٤) تحت تفسير هذه الآية.

.....

ومنع الله تعالى جَلَّجَلَالُهُ رسول الله ﷺ عن الاستغفار لهما[1].

---

(١) الكلام حول والدي رسول الله ﷺ كفرًا وإيمانًا:

قد اتفق السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وجماهير العلماء على أن والدي رسول الله ﷺ ماتا على الكفر، لم يخالف في هذه المسألة إلا الشيعة الإمامية؛ حيث ذهبوا إلى أن أبوي النبي ﷺ حتى أبوي سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ماتوا على الإيمان! فجاء نص الإمام الأعظم أبي حنيفة في هذه المسألة ردًّا عليهم، كما قال العلامة الشيخ أبو المنتهى المغنيساوي في شرحه على «الفقه الأكبر» (ص٣٠)، وما ذهب إليه السلف دل عليه القرآن والسنة وإجماع الأمة، لكن خالف السلفَ بعضُ علماء الخلف؛ حيث ذهبوا إلى نجاة أبوي الرسول، وتشبثوا بأدلة لا تقوم حجة لدعواهم.

فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار (٢٠٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله! أين أبي؟ فقال: في النار، فلما قفّى؛ دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار».

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٧٩): «وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة؛ فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين». اهـ.

وأخرج الإمام أحمد في «المسند»، مسند المدنيين، حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر المنتفق (١٦١٨٩) عن أبي رزين عمه، قال: «قلت: يا رسول الله، أين أمي؟ قال: أمك في النار، قال: قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي؟». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١١٦): رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، ورجاله ثقات».

وأورد الطبري في «تفسيره» (١٧٣٣٠) عن سليمان بن بردة عن أبيه أن النبي ﷺ لما قدم مكة، أتى رسم قبر، فجلس إليه، فجعل يخاطب، ثم قام مستعبرًا، فقلنا: يا رسول الله! إنا رأينا ما صنعت. قال: «إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها، فلم يأذن لي»، فما رئي باكيًا أكثر من يومئذ.

والحديث الذي رُوي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها =

ورسول الله ﷺ مات على الإيمان، .....

(ورسـول الله ﷺ مات على الإيمان) شك بعض شارحي «الفقه الأكبر» أن

= فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت»، أخرجه النسائي في «سننه» (٢٠٣٢)، وعنوَن عليه: باب زيارة قبر المشرك؛ كذلك أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٥٧٢)، وعنون عليه: باب ما جاء في زيارة قبور المشركين.

وهذا شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري ﷺ قال في «تفسيره» (١/ ٥١٦): «...أهل الشرك من أهل الجحيم، وأن أبويه كانا منهم».

وقال الإمام البيهقي ﷺ في «دلائل النبوة» (١/ ١٩٢ - ١٩٣) بعد أن سرد جملة من الأحاديث تدل على أنهما في النار: «وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة، وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا».

ملاحظة: ومما يلاحَظ هنا أن هذه المسألة اشتدت بين علماء المتأخرين، فمنهم من يثبت إيمان والدي الرسول ﷺ، على رأسهم الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي الأشعري المتوفى سنة ٩١١هـ حتى اشتهر فيه، وألف ست رسائل مشهورة فيها، يدور موضوعها جميعًا حول نجاة والدي النبي ﷺ ودخولهما الجنة، الأولى: مسالك الحنفاء في والدي المصطفى ﷺ، الثانية: التعظيم والمنة في أن أبوي النبي ﷺ في الجنة، والثالثة: الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، والرابعة: نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، الخامسة: المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، السادسة: السبل الجلية في الأباء العلية.

ومنهم من يثبت كفر والدي الرسول ﷺ، على رأسهم الملا علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ، ألف في هذه المسألة كتابًا مستقلًّا سماه: «أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ﷺ»، كما تكلم عن هذه المسألة في شرحه للفقه الأكبر، ومرقاة المفاتيح، وغيرهما، أثبت فيها بالأدلة كفر أبوي النبي ﷺ، ورد على الحافظ السيوطي.

وقد أثبت القاري بكتابه المستقل تواتر الأدلة والأحاديث على عدم نجاة والدي الرسول ﷺ.

ونقل الإجماع على تلك القضية، فقال في كتابه هذا (ص٤٨): «وأما الإجماع، فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك، من غير إظهار خلاف لما هنالك. والخلاف من اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق، سواء يكون من جنس المخالف أو صنف الموافق».

لكن المتأمل في كتابات الملا علي القاري حول حكم الأبوين للنبي ﷺ يجد عنده تناقضًا =

.....

هذه الجملة إلحاقية، ليست من كلام الإمام؛ لعلوه ﷺ في هذا الشأن، ولعل مرام

---

= وترددًا في مصيرهما، فهو في كتابه «أدلة معتقد أبي حنيفة» يذكر لنا أنهما ماتا على الكفر ومصيرهما إلى النار، بينما نراه في كتابه «شرح الشفا للقاضي» يقول: «وأما إسلام أبويه ففيه أقوال: والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من الأئمة، كما بينه السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة». اهـ

وقال في الكتاب نفسه: «وأما ما ذكروه من إحيائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أبويه، فالأصح أنه وقع، على ما عليه الجمهور الثقات، كما قال السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة». اهـ. انظر: «شرح الشفا»، لعلي القاري (١/ ١٠٦)، (١/ ٦٤٨) طبعة استانبول، ١٣١٦هـ.

وفي كتابه «مرقاة المفاتيح» (٤/ ٢١٦) وكتابه «شرح الفقه الأكبر» (ص١٣٠) طبعة دلهي سنة ١٣٤٠هـ، يذكر لنا أنَّ مذهب الجمهور على أنَّ والديه ﷺ ماتا على الكفر. لذلك قال غير واحد من العلماء: إن القاري رجع عن موقفه الأول، واتفق مع رأي السيوطي؛ فإن شرح الشفا له من آخر تأليفاته في حياته.

وقد قال المحقق الشيخ وهبي سليمان غاوجي في مقدمة كتاب «منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر» للملا علي القاري (ص١٨) ما يلي: «كان علي القاري ﷺ تعالى رأى فترة أن والدي رسول الله ﷺ في النار، وكتب في هذا رسالة، لكنه رجع عن ذلك - والحمد لله كما نجده في شرحه للشفاء للقاضي عياض، الذي انتهى منه سنة ١٠١١هـ أي قبل وفاته بثلاث سنوات. فقد جاء فيه بعد كلام: «وأبو طالب لم يصح إسلامه»: «وأما إسلام أبويه ففيه أقوال، والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من الأمة، كما بينه السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة. اهـ (شرح الشفاء ١/ ٦٠١).

تنبيه: شبهة أثيرت حول نسخ «الفقه الأكبر»:

قال الإمام العلامة الفقيه المحدث المتكلم الناقد النظار زاهد الكوثري ﷺ في مقدمته لكتاب «العالم والمتعلم» (ص٧): «وفي مكتبة شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت بالمدينة المنورة نسختان من الفقه الأكبر رواية حماد قديمتان وصحيحتان، فيا ليت بعض الطابعين قام بإعادة طبع الفقه الأكبر من هاتين النسختين مع المقابلة بنسخ دار الكتب المصرية، ففي بعض تلك النسخ: (وأبوا النبي ﷺ ماتا على الفطرة)، و(الفطرة) سهلة التحريف إلى (الكفر) في الخط الكوفي، وفي أكثرها (ما ماتا على الكفر)، كأن الإمام الأعظم يريد به الرد على من يروي =

.....

الإمام على تقدير صدور هذا الكلام منه بيان اجتماع الأمة على أن نبينا ﷺ وجميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مأمونون عن خوف الخاتمة، وأنه يجب الاعتقاد به.

---

= حديث (أبي وأبوك في النار) ويرى كونهما من أهل النار؛ لأن إنزال المرء في النار لا يكون إلا بدليل يقيني، وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكتفى فيه بالدليل الظني».

ويقول الحافظ محمد المرتضى الزبيدي شارح الإحياء والقاموس في رسالته الانتصار لوالدي النبي المختار: «وكنت رأيتها بخطه عند شيخنا أحمد بن مصطفى العمري الحلبي مفتي العسكر العالم المعمر ما معناه: إن الناسخ لما رأى تكرر (ما) في (ما ماتا) ظن أن إحداهما زائدة فحذفها فذاعت نسخته الخاطئة، ومن الدليل على ذلك سياق الخبر؛ لأن أبا طالب والأبوين لو كانوا جميعًا على حالة واحدة لجمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجملتين مع عدم التخالف بينهم في الحكم».

وعلق الإمام الكوثري: «وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي، إلا أنه لم يكن رأى النسخة التي فيها (ما ماتا) وإنما حكى ذلك عمن رآها، وإني بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين، كما رأى بعض أصدقائي لفظي (ما ماتا) و(على الفطرة) في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة، وعلي القاري بنا شرحه على النسخة الخاطئة وأساء الأدب سامحه الله». اهـ

قلت (الأحقر القاسمي): فهذا القول: إن الملا علي القاري بنى شرحه للفقه الأكبر على النسخة الخاطئة، فأساء الأدب في حق أبوي النبي ﷺ مما يُعترض عليه؛ فإن نسخ الفقه الأكبر قد كثرت وانتشرت في بلاد الإسلام، ففي عشرات النسخ إثبات أن والدي رسول الله ﷺ ماتا على الكفر. على أن علي القاري ليس بمنفرد في هذه القضية؛ بل شرحَ الفقه الأكبر غيره من العلماء على إثبات المتن الذي أثبته القاري في شرحه على الفقه الأكبر حول كفر أبوي النبي ﷺ.

من هؤلاء العلماء: العلامة الشيخ أبو المنتهى المغنيساوي المتوفى سنة (١٠٩٠هـ) في كتابه «شرح الفقه الأكبر» (ص٣٠)؛ والعلامة الشيخ إبراهيم بن حسن الأسكداري الحنفي في كتابه «شرح الفقه الأكبر مع شرح الوصية» (ق ٥٥)؛ والعلامة محيي الدين بن محمد بن بهاء الدين زاده الحنفي المتوفى سنة ٩٥٦هـ في كتابه «القول الفصل شرح الفقه الأكبر» (ص٤٥٥)؛ =

وأبو طالب عمه وأبو علي مات كافرا. .....

(وأبو طالب عمه) الذي رباه (ﷺ مات كافرا) لما رُوي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرَتْ أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: «يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب»؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦][1].

= وغيرهم كثير.

فكلهم بنوا شروحهم على «الفقه الأكبر» برواية حماد بن أبي حنيفة على ما بنى عليه القاري.

فهل لهؤلاء كلهم وقعت نسخة خاطئة للفقه الأكبر؟ وهم أقدم من الملا علي القاري زمانا!

نعم، ذهب المغنيساوي إلى كفر الأبوين كالقاري، بينما ذهب محيي الدين بن محمد بن بهاء الدين زاده إلى كفرهما حكميا، لا حقيقيا؛ وذهب الأسكداري إلى نجاتهما.

ثم بقي أمر رجوع القاري عن موقفه الأول الشهير في آخر حياته، كما يستدل على ذلك بعض العلماء بما في شرح القاري على الشفا للقاضي، فهذا مما يُنظر فيه ويُبحث، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٣٢).

## [العقيدة في أبناء رسول الله وبناته ﷺ]

### وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، .....

(وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ) أما قاسم، فإنه أول وَلَدٍ وُلد له ﷺ قبل النبوة، وبه كان يُكنى، وعاش سبعة عشر شهرا، ثم مات. وإبراهيم، فولده ﷺ من جاريته القبطية[1]، وتُوفي بعد سبعين يومًا من ولادته، وقال ﷺ بعد موته: «القلب يحزن، والعين تدمع، .....

(١) مارية القبطية رضي الله عنها ما كانت زوجة لرسول الله ﷺ؛ بل كانت من إمائه، أسلمت هي وأختها على يد حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه، سفير رسول الله ﷺ إلى المقوقس، عندما عرض عليهما الإسلام ورغبهما فيه، وذلك قبل الوصول إلى المدينة، وقد ذكر عنها غير واحد من أصحاب السير والتاريخ.
قال ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٣٠٠)؛ وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢١٢): «بعث المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة مارية، وأختها سيرين، وألف مثقال ذهبا، وعشرين ثوبا لينا، وبغلته الدلدل، وحماره يعفور. وقال يعقوب: ومعهم خصي يقال له: مابور..، وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة، فعرض حاطب على مارية الإسلام، ورغبها فيه، فأسلمت، وأسلمت أختها، وأقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ معجبًا بأم إبراهيم، وكانت بيضاء جميلة، فأنزلها في العالية، في المال الذي يقال له اليوم: مشربة أم إبراهيم، وكان رسول الله ﷺ يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، وكان يطؤها بملك اليمين، فلما حملت ووضعت هناك، وقبلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فجاء أبو رافع زوج سلمى، فبشر رسول الله ﷺ بإبراهيم، فوهب له عبدا، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان، وتنافست الأنصار في إبراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية لرسول الله ﷺ لما يعلمون من هواه فيها.
وقال ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ٣١١): «كان أبو بكر يُنفق على مارية حتى مات، ثم عمر، حتى توفّيت في خلافته في المحرم سنة ستّ عشرة، فكان عمر يحشُر الناس لشهودها، وصلّى عليها، ودفنها بالبقيع. وقال ابن منده: ماتت مارية رضي الله عنها بعد النبيّ ﷺ بخمس سنين».

وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم كنَّ جميعًا بنات رسول الله ﷺ ورضي عنهن.

ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

(وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم كن جميعا بنات رسول الله ﷺ ورضي عنهن) كانت زينب أكبر بناته ﷺ[2]؛ لأنها وُلدت منه ثلاثين من مولده ﷺ، أما تقديم فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع أنها وُلدت منه إحدى وأربعين من مولده ﷺ؛ لقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»، رواه البخاري[3]. وفي رواية مسلم، قال لها: «أوَمَا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين»[4].

ولم يكن لرسول الله ﷺ عقب، إلا من ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين، أعني الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهما ريحانَتَي رسول الله ﷺ[5]،.....

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٣٠٣)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٣١٥).

(٢) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ١٠٠-١٠١): «إن زينب أكبر بناته، ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة، وقيل في كل واحدة منهن: إنها أسن من أختيها. وقد ذكر عن ابن عباس أن رقية أسن الثلاث، وأم كلثوم أصغرهن».
وقال السهيلي في «الروض الأنف»: واختلفوا في الصغرى من الكبرى من البنات، غير أن أم كلثوم لم تكن الكبرى من البنات ولا فاطمة، والأصح في فاطمة أنها أصغر من أم كلثوم. انظر: «حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٦/ ٨١).
وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٣٧): «وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة، إلا إبراهيم؛ فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده؛ منها: القاسم، وبه كان يُكنى، مات صغيرًا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث، فكان يقال له: الطاهر والطيب، ويقال: هما أخوان له، وماتت الذكور صغارًا باتفاق». اهـ.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٧١٤)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٤٤٩).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤٣٩٥).

(٥) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٧٥٣) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: =

.....

وسيدا شباب أهل الجنة[١]، كما شهد به نبي الله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢]؛ فإن الله تعالى جعل عيسى من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع أنه لم ينتسب إلى إبراهيم إلا بالأم.

وكذلك الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأبناؤهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من ذرية رسول الله ﷺ، وإن انتسبا إلى رسول الله ﷺ بالأم، وجب كونهما من ذريته. ويقال: إن أبا جعفر الباقر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استدل بهذه الآية عند الحَجَّاج[٣].

وإليه يشير حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، رواه البخاري[٤].

فقوله ﷺ: «ابني» دليل على أنه من ذريته ﷺ، وقد وقع كذلك؛ فإن سيدنا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ترك الخلافة، وسلَّمه إلى معاوية حين خرج إليه[٥]، رحمةً للمسلمين أُمَّةِ جده سيد المرسلين ﷺ وآله أجمعين.

---

= «هما ريحانتي من الدنيا».

(١) أخرج الترمذي في «الجامع» (٣٧٦٨) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٤-٨٥.

(٣) قاله الإمام الرازي في «التفسير الكبير» (١٣/ ٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٧٠٤).

(٥) وذلك في عام الجماعة، وهو العام الذي تنازل فيه الحسن بن علي عن الخلافة وسلَّمها إلى =

.....

وخديجة وعائشة وحفصة وسودة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة وجويرية وصفية وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ كن إحدى عشرة من الأزواج اللاتي دخل بهن النبي ﷺ، وهن أمهات المؤمنين والمحرمات على التأبيد؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[1]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾[2].

وعائشه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفضل نساء العالمين، كما ذكره الإمام الأعظم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتابه «الوصية»[3]، أما مريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فكانت أفضل نساء العالمين في زمانها المختصة بها.

أما في زمانه ﷺ، فخديجة الكبرى أفضل نساء العالمين؛ لأنه ثبت بالخبر الصحيح، أن الله تعالى جَلَّ جَلَالُهُ سلَّم عليها بلسان جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأن جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ سلَّم عليها، كما هو المذكور في حديث أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]، ثم

---

= معاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ- ٦٦١م، وسمي «عام الجماعة» بسبب اجتماع الناس على معاوية، حيث اجتمعت كلمة المسلمين، وزالت الفتنة بينهم، كما هدأت الحروب، وانتظم عقد المسلمين، وتفرّغوا مرة أخرى لفتح البلدان، ولأعمال الجهاد في سبيل الله، ولنشر الدعوة الإسلامية. انظر: «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (١/ ١٤٨)؛ و«تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (ص١٩٠).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٣) قال الإمام الأعظم في «الوصية»: «ونقر بأن عائشة بعد خديجة الكبرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفضل نساء العالمين، وهي أم المؤمنين، ومطهرة عن الزنا، وبريئة مما قال الروافض، فمن شهد عليها بالزنا، فهو ولد الزنا». انظر: «الجوهرة المنيفة شرح وصية الإمام أبي حنيفة»، للملا حسين بن إسكندر الرومي الحنفي، (ص١٤١).

(٤) أخرج البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٣٧٦٨) عن ابن شهاب، قال أبو سلمة: إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «يا عائش، =

.....

سيدة النساء فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم سائر أزواج النبي ﷺ، وبناته[1].

---

= هذا جبريل يقرئك السلام فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ».

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٢٠٨) ما يلي: «ومنها تفضيل النساء، فروى الترمذي وصحّحه: «وحسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، وآسية امرأة فرعون، رضي الله تعالى عنهنّ». [أخرجه الترمذي (٣٧٧٨)]، وفي الصحيحين من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد». [أخرجه البخاري (٣٤٣٢)]. وروى الترمذي موصولًا من حديث عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «خير نسائها مريم، وخير نسائها فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» [أخرجه الترمذي (٣٨٧٧)]. وروى الحارث بن أسامة في مسنده بسند صحيح لكنه مرسل: «مريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها» [أخرجه الحارث في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٩٨٢)]. وفي الصحيح: «فاطمة سيدة نساء هذه الأمة» [أخرجه مسلم (٤٣٩٥)]. وفي رواية النسائي: «سيدة نساء أهل الجنة» [مسند أحمد (١١٧٥٦)].

لكن أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيّدة نساء العالمين بعد مريم بنت عمران» [مسند فاطمة للسيوطي (١١٤)]. ويؤيده أنه قال بعضهم بنبوّتها.

لكن حكى الإمام والبيضاوي وغيرهما الإجماع على عدم نبوّتها، وكذا حديث ابن عساكر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون» [أخرجه أحمد في «الفضائل» (٢٥٠)]. فهذا في الترتيب صريح لو وجد له سند صحيح. وعن ابن العماد: «أن خديجة إنما فضلت على فاطمة باعتبار الأمومة لا السيادة العمومية»، وقد سُئل ابن داود: «أيّ أفضل، هي أم أمها؟» قال: «فاطمة بضعة النبي ﷺ، فلا نعدل بها أحدا»، يعني من هذه الحيثية، لا بالكليّة.

وسئل السبكي، فقال: «الذي نختاره وندين الله تعالى به أن فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل، ثم أمها خديجة، ثم عائشة»، وقد صحّح ابن العماد أيضًا أن خديجة أفضل من عائشة؛ لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت: «قد رزقك الله خيرًا منها»، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لها: «لا والله ما رزقني الله خيرا منها، آمنت بي حين كذّبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني =

.....

.....

= الناس» [أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٨٦٤)]. ويؤيده أن عائشة أقرأها النبي ﷺ من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ [أخرجه البخاري (٣٢١٧)]، وخديجة أقرأها السلام جبرائيل من ربها [أخرجه البخاري (٣٨٢٠)]، إلّا أن حديث: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية وخديجة، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام» [أخرجه البخاري (٣٤١١)] على ما ذكره السيوطي في «النقاية»، ولفظه في الجامع الصغير على ما رواه أحمد، والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران»، الحديث ظاهر في أن عائشة أفضل أفراد النساء على ما اختاره إمام الفقهاء، وأما حمله على العهد بأن المراد بهنّ الأزواج الطاهرات، ففي مقام البعد، ثم تقييدهنّ بما عدا خديجة في غاية من التكلّف والتعسّف، ولعلّ في وجه التشبيه إشعارًا بوجه الأفضلية المشعرة بالجامعية بين أوصاف الأكملية من الفضائل العلمية والشمائل العلمية، وقال السيوطي: وفي التفضيل بين خديجة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أقوال: ثالثها: الوقف؛ هذا، وقد ورد كما رواه الطبراني عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قلت: «يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟» قال: «نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة»، قلت: «يا رسول الله، وبم ذلك؟» قال: «لصلاتهنّ وصيامهنّ وعبادتهنّ لله تعالى». [أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٦٧)]. انتهى ما قال القاري.

## [قاعدة كلية لمن أشكل عليه العقيدة]

**وإذا أشكل على الإنسان شيء من حقائق علم التوحيد، فينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى، إلى أن يجد عالما فيسأله، ولا يسعه تأخير الطلب، ولا يعذر بالوقف فيه، ويكفر إن وقف.**

(وإذا أشكل) أي: التبس (على الإنسان) من أهل الإيمان (شيء من حقائق علم التوحيد) بأن لم يَهتد إلى حقائقها (فينبغي له) أي: يجب له (أن يعتقد في الحال) من غير تأخير وإمهال (ما هو الصواب عند الله تعالى) بطريق التفويض والإجمال (إلى أن يجد عالمًا) عارفًا بحقيقة الحال (فيسأله) حقيقة الإشكال؛ لحصول الإيمان التفصيلي على وجه الكمال.

(ولا يسعه تأخير الطلب) عند حصول التردد (ولا يعذر بالوقف فيه) أي: لا يكون معذورًا بالتوقف في معرفة الأحوال، وعدم تفحصه بالسؤال (ويكفر إن وقف) بناءً على أن التوقف موجب للشك، والسؤال عن المعتقدات مما يجب في الحال، فيصير كافرًا بالشك في فضل المعتقدات، التي هي أصل أصول الدين، واليقين بها واجب على جميع المؤمنين[1].

(١) قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٨٩): «والمراد بدقائق علم التوحيد: أشياء يكون الشك والشّبهة فيها منافيًا للإيمان ومناقضًا للإيقان بذات الله تعالى وصفته ومعرفة كيفية المؤمن به بأحوال آخرته، فلا ينافي أن الإمام توقف في بعض الأحكام؛ لأنها في شرائع الإسلام، فالاختلاف في علم الأحكام رحمة، والاختلاف في علم التوحيد والإسلام ضلالة وبدعة، والخطأ في علم الأحكام مغفور؛ بل صاحبه فيه مأجور، بخلاف الخطأ في علم الكلام؛ فإنه كفر وزور، وصاحبه مأزور». اهـ.

## [عقيدة أهل السنة والجماعة في المعراج]

وخبر المعراج حق، فمن رده فهو ضال مبتدع.

(وخبر المعراج) في اليقظة بجسده الشريف ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مما ثبت بالكتاب[1]، ومنها إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله تعالى من العُلى، كما ثبت بالخبر الصحيح (حق فمن رده) ولم يؤمن به (فهو ضال مبتدع)[2] لما رُوي أنه ﷺ قال: «بينما أنا في المسجد الحرام بين النائم واليقظان، إذ أتاني جبرائيل بالبراق»، فذكر حديث المعراج بطوله، كما هو المذكور في الصحيحين[3]،.....

---

(١) قال الله تبارك وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النَّجْم: ١٣-١٨].

(٢) قال القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص١٨٩): «وفي كتاب الخلاصة: من أنكر المعراج يُنظر، إن أنكر الإسراء من مكة إلى بيت المقدس فهو كافر، ولو أنكر المعراج من بيت المقدس لا يكفر؛ وذلك لأن الإسراء من الحرم إلى الحرم ثابت بالآية، وهي قطعية الدلالة، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء ثبت بالسّنّة، وهي ظنيّة الرواية والدراية، وقد أفردت هذه المسألة المصوّرة رسالة مختصرة وسمّيتها بـ«المنهاج العلوي في المعراج النبوي». اهـ.

(٣) أخرج البخاري في «صحيحه» (٧٥١٧) واللفظ له؛ ومسلم في «صحيحه» (١٦٤) عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك يقول: «ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة: إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، =

.....

.....

= حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب، محشوًّا إيمانًا وحكمة، فحشا به صدره ولغاديده، يعني عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابًا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبًا به وأهلا، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه، فسلم عليه ورد عليه آدم، وقال: مرحبًا وأهلًا بابني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى: من هذا؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحبًا به وأهلا، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا مثل ذلك، ثم عرج به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فأوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة، لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة، بتفضيل كلام الله، فقال موسى: رب لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه، خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إليَّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا.

فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد راودت =

.....

وتواترت الأخبار الصحيحة[1].

على أنه ﷺ أُسري بجسده الشريف في اليقظة، وهو قول الجمهور[2]، كما

---

= بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب إن أمتي ضعفاء، أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا، قال رسول الله ﷺ: يا موسى، قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه. قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام».

(١) من هذه الأخبار ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٨٨٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».
وقد ألف الحافظ ابن دحية الكلبي (ت: ٦٣٣هـ) كتابًا في هذا الموضوع، وسماه «الابتهاج في أحاديث المعراج».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٢٤٢) تحت شرح حديث المعراج (٣٦٧٤): «وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار: أن رسول الله ﷺ أسري به إلى فوق سبع سماوات، ثم إلى سدرة المنتهى، أسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسجد بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعا، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح، ومن قال: إن الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة فقد غلط، ومن قال: إنه منام، وأنه لم يسر بجسده فقد كفر. قال الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]. وروى قصة الإسراء عن النبي ﷺ: أبو ذر وأنس بن مالك ومالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله وشداد بن أوس وغيرهم. كلها =

.....

في «المدارك»، وكان خروجه ﷺ إلى السماء من بيت المقدس، وأخبر قريشًا عن

---

= صحاح مقبولة مرضية عند أهل النقل مخرجة في الصحاح».

وقد تكلم الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة عن هذا البحث وأجاد في كتابه «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة» (١/ ٤١٠-٤١٣) ما يلي:

[الإسراء والمعراج بالجسد والروح]: جمهور العلماء سلفًا وخلفًا على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وأنهما كانا في اليقظة بجسده وروحه ﷺ، وهذا هو الذي يدل عليه قوله تعالى في مفتتح سورة الإسراء «بعبده»؛ إذ ليس ذلك إلا الروح والجسد. وقد تواردت على ذلك الأخبارُ الصحيحة المتكاثرة، والنصوص على ظواهرها ما لم يقم دليل على صرفها عن ظاهرها، وأنى هو؟ وفي الأحاديث الصحيحة أنه شق صدره الشريف، وركب البراق، وعرج به إلى السماء، ولاقى الأنبياء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وأن الله كلمه، وأنه صار يرجع بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين ربه جَلَّ وَعَلَا، مما يؤكد أنهما كانا بجسده الشريف وروحه، وينفي ما عدا ذلك.

[القائلون بأنهما كانا بالروح]: وذهب بعض أهل العلم إلى أنهما كانا بروحه ﷺ، ونسب القول به إلى السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وسيدنا معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورووا في هذا عن السيدة عائشة أنها قالت: «ما فَقدتُ جسدَ رسول الله ﷺ، ولكن أسري بروحه»، وهو حديث غير ثابت، وهنه القاضي عياض في «الشفا» سندًا ومتنا، وحكم عليه الحافظ ابن دحية بالوضع، ومما يضعف هذا الأثر ويرده أن السيدة عائشة لم تكن حينئذ قد دخل بها النبي؛ فإن من المتفق عليه أن رسول الله ﷺ لم يبن بها إلا بعد الهجرة، وإن خطبها قبلها بسنة، وقيل: بسنتين، ويرد ذلك أيضًا أن الثابت عنها أنها كانت تنكر على من يقول: أن محمدًا رأى ربه ليلة المعراج، وتستدل بآيات من الكتاب الكريم على حسب اجتهادها وفهمها، فلو كانت ترى هذا الرأي الذي نسبوه إليها زورًا لكان أقرب شيء في ردها على من يقول بالرؤية أن تحتج عليهم بأن المعراج لم يكن بجسده، ولكن لم ينقل عنها أنها احتجت بذلك. وأيضًا فإن ما روي عن معاوية غير صحيح، وهو حين الإسراء والمعراج لم يكن أسلم بعد، ولو سلمنا ما نسب إليهما- جدلا- فظواهر القرآن والسُّنة الصحيحة ترده.

[القائلون بأنهما كانا مناما]: وأبعد من هذا القول قول من ذهب إلى أنهما كانا في المنام، ويستدلون لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ =

.....

أحوالها، وأخبر أيضًا ما رأى في السماء من العجائب، وأنه لقي الأنبياء، وبلغ البيت المعمور، وسدرة المنتهى. وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة[1].

---

= ﴿فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقالوا: إن الآية تشير إلى الإسراء والمعراج، والرؤيا إنما تطلق على المنامية لا البصرية. وليس أدل على رد استدلالهم بهذه الآية من قول ابن عباس في تفسيرها: «هي رؤيا عين أريها رسول ﷺ ليلة أسري به، والشجرة الملعونة شجرة الزقوم»، رواه البخاري في صحيحه، والترمذي، والنسائي في سننهما. ومراد ابن عباس- برؤيا العين- جميع ما عاينه ﷺ ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية. وابن عباس هو حبر الأمة، وترجمان القرآن، ومن أعلم الناس بالعربية، وكان إذا سُئل عن لفظ من القرآن ذكر له شاهدًا من كلام العرب، فكلامه حجة في هذا، والرؤيا كما تطلق على المنامية تطلق على البصرية أيضا. على أن بعض المفسرين يرى أن الآية نزلت عام الحديبية بسبب رؤيا رسول الله ﷺ أنه دخل المسجد الحرام، وعلى هذا فلا تكون الآية دليلًا لهم قط، ولكن الصحيح هو الأول. وأيضا لو كان الإسراء والمعراج في المنام لم يكن فيهما شيء يُستعظم، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيب الرسول والتعجب مما قال، ولما ارتد بعض ضعفاء الإيمان، إذ كثير من الناس يرون في منامهم مثل ذلك، فيرى الرائي أنه ذهب إلى أقصى المعمورة، أو صعد إلى السماء، فاستبعادهم لذلك ومسارعتهم إلى تكذيب النبي عقب إخباره لهم من أظهر الأدلة على أنهم فهموا من إخبار ﷺ أنهما كانا في اليقظة لا في المنام.

[الفرق بين كونهما بالروح، وكونهما مناما]: ومما ينبغي أن يعلم أن بعض الكاتبين في معجزتي الإسراء والمعراج يخلط بين قول من يقول: كانا مناما، وقول من يقول: كانا بالروح، وبينهما فرق، فمن قال: كانا بالروح أراد أن الروح بما لها من قدرة على التصرف والانتقال هي التي انتقلت وجالت في هذه المعاني المقدسة في الأرض والسماء، وأما من قال في المنام، فإنما أراد حدوث صور وانكشافات للروح فيما وراء الحس من عالم الغيب من غير انتقال، ومفارقة للبدن، وقد نبه إلى هذا الفرق وبسطه الإمام ابن القيم في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٢/ ١٢٨)، فليرجع إليه من يشاء الاستزادة. اهـ.

(١) قد اختلف العلماء في تعيين زمن وقوع الإسراء والمعراج على أقوال، منها: أنه وقع قبل الهجرة بسنة، وإلى هذا ذهب الزهري وعروة بن الزبير وابن سعد، وادعى ابن حزم الإجماع =

.....

والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيّفًا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثمانية، وقد ثبت أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض، وأن الله تعالى قادر على كل الممكنات، فَيَقدِرُ أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ، وهذا من لوازم المعجزات التي يكون ظهورها خارقًا للعادة، فيجب التصديق بها.

= على هذا، ورجح النووي أنه كان ليلة سبع وعشرين قبل الهجرة بسنة. وقيل: كان في السَّنة التي اختار الله فيها النبي ﷺ للنبوة، واختاره الطبري. وقبل: كان قبل البعث، روي عن أنس والحسن. وقيل: كان بعد المبعث بخمس سنين، رجح ذلك القرطبي. وقبل: كان في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب في السنة العاشرة من النبوة. وقيل: كان قبل الهجرة بسنة عشر شهرًا، أي: في رمضان للسَّنة الثانية عشرة من النبوة. انظر: «المنهاج» (٢/ ٢٠٩)، للنووي؛ و«تاريخ دمشق»: (٣/ ٤٨٠)، لابن عساكر؛ و«تاريخ الرسل والملوك» (٢/ ٣٠٧)، للطبري؛ و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»: (١/ ٣٩٦ - ٤٠٨) لابن هشام؛ و«التمهيد»: (٨/ ٥١- ٥٨)، لابن عبد البر؛ و«سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٣/ ٦٥)؛ و«الوفا بتعريف فضائل المصطفى (ص١٦٢)، لابن الجوزي.

## [الكلام عن أشراط السَّاعة الكبرى]

وخروج الدجال، .....

(وخروج الدجال) كما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»(١).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»(٢).

وقد ثبت خروج الدجال بالأحاديث المتواترة المتعددة الطرق(٣)، ويَثْبُت من

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٥١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٥١٣٥).

(٣) منها حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم. فذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، أقرب الناس به شبهًا ابن قطن». رواه البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٨). وابن قطن رجل من بني المصطلق من خزاعة .
ومنها حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس، فقال: «إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية ...». رواه البخاري في «صحيحه» (٣١٨٤).
ومنها الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظننناه في طائفة النخل... فقال في وصف الدجال: «إنه شاب قطط - شديد جعودة الشعر- عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن». رواه مسلم في «صحيحه» (٥٢٢٨).

ويأجوج ومأجوج، .....

الأحاديث خروجُه في آخر الزمان، لكن على إبهام الوقت؛ لإلقاء الخوف على الأمة، حتى يلتجئوا إلى الله تعالى من خوفه.

(ويأجوج ومأجوج)؛ لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[1]، وهما قبيلتان من جنس الإنس[2]، يقال: إن الناس عشرة

---

ومنها حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين، ليس بناتئة ولا حجراء، فإن ألبس عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور». رواه أبو داود في «السنن» (٣٧٦٣)، والحديث صحيح الإسناد.

ومنها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «...وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفأ - انحناء -...». رواه أحمد في «المسند» (٧٥٦٤). حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج «المسند» (٧٩٠٥)؛ وكذا حسنه الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٥٩).

ومنها حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر - كثيره - معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار». رواه مسلم في «صحيحه» (٥٢٢٢).

ومنها حديث أنس ﷺ: قال النبي ﷺ: «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر». رواه البخاري في «صحيحه» (٦٥٩٨)، وفي رواية: «ومكتوب بين عينيه ك ف ر». رواه مسلم في «صحيحه» (٥٢١٩)، وفي رواية عن حذيفة: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب». رواه مسلم في «صحيحه» (٥٢٢٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.

(٢) وقد اختلف في أصلهم، فقال الخطابي: هم بنو قنطوراء أمة كانت لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقال كراع: هم الديلم. وتعقب بأنهم جنس من الترك، وكذلك الغز. وقال أبو عمرو: هم من أولاد يافث، وهم أجناس كثيرة. وقال وهب بن منبه: هم بنو عم يأجوج ومأجوج، لما بنى ذو القرنين السد، كان بعض يأجوج ومأجوج غائبين، فتركوا لم يدخلوا مع قومهم، فسموا الترك. وقيل: إنهم من نسل تبع. وقيل: من ولد أفريدون بن سام بن نوح. وقيل: ابن يافث لصلبه. =

.....

أجزاء، تسعة منها يأجوج ومأجوج[١]، رُوي أنهم يأتون البحر، فيشربون ماءه[٢]، ويأكلون الشجر[٣]، .....

= وقيل: ابن كومي بن يافث. انظر: «فتح الباري» (٦/ ١٠٤)؛ ومثل ذلك قال النووي. انظر: «فتاوى النووي» (ص١٦٩).

يقول البلاذري: الترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ باتفاق النسابين، وكان ليافث سبعة أولاد، منهم ابن يسمى كومر، فالترك كلهم من بني كومر. ويقال: الترك هو ابن يافث لصلبه، وهم أجناس كثيرة، ذكرناهم في «تاريخنا الكبير». انظر: «عمدة القاري» (١٤/ ٢٠٠).

(١) وعليه يدل ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٣٤٨)؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا، فإن منكم رجلا، ومن يأجوج ومأجوج ألفا. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا. فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا. فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود.

(٢) أخرج مسلم في «صحيحه» (٥٢٢٨) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم...».

(٣) أخرج الطبراني في «الأوسط» (٣٨٥٥) عن حذيفة بن اليمان قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج؟ قال: «يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل =

.....

وما ظفروا به من الناس[1]، .....

= حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل واحد قد حمل السلاح». قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز». قلت: وما الأرز؟ قال: «شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء». فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد، وصنف منهم يفترش بأذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهارالمشرق وبحيرة طبرية».

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٨٥٥)؛ وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٣٦٨-٣٦٩) (١٦٥٣) في ترجمة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عكاشة بن محصن الأسدي. قال الطبراني: «لم يروِ هذا الحديثَ عن الأعمش إلا محمد بن إسحاق، ولا عن محمد بن إسحاق إلا يحيى بن سعيد العطار». وقال ابن عدي: «هذه الأحاديث بأسانيدها مع غير هذا مما لم أذكره لمحمد بن إسحاق العكاشي، كلها مناكير موضوعة». وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٦) (١٢٥٧٢): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يحيى بن سعيد العطار، وهو ضعيف». وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ١٠٦): «وهو من رواية يحيى بن سعيد العطار، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، والعطّار ضعيف جدًّا، ومحمد بن إسحاق، قال ابن عدي: ليس هو صاحب المغازي، بل هو العكاشي. قال: والحديث موضوع». وقال ابن أبي حاتم: «منكر». قلت: «لكن لبعضه شاهد صحيح». وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» ١/ ٢٣٧ (٢٢): ورأيت بخط الشيخ تقي الدين القلقشندي على حاشية «الموضوعات» لابن الجوزي ما نصُّه: «لم ينفرد به العكاشي إلا من حديث حذيفة، وقد رواه ابن حبان». وقال الألباني في الضعيفة ٩/ ١٦٤ (٤١٤٣): «موضوع».

(١) أخرج أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤/ ٣٩) (٢٣٩٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٦٧) (٨٥٩٨) عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «إنّ يأجوج ومأجوج مِن ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولا يموت منهم رجلٌ إلا ترك مِن ذريته ألفًا فصاعدًا، وإنّ من ورائهم ثلاث أمم: تاويل، وتاريس، ومنسك». قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٠٠): «هذا حديث غريب، بل منكر ضعيف». وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٦) (١٢٥٧١): =

.....

ولا يقدرون على أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس[١]، ثم يبعث الله نغفًا في قفائهم، فيدخل آذانهم، فيموتون[٢].

وقد صح أن رسول الله ﷺ دعاهم إلى الإيمان ليلة أُسري به، فلم يؤمنوا، فهم خلق النار[٣].

---

= «رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، ورجاله ثقات». وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٩/ ١٥٩) (٤١٤٢): «منكر».

فائدة: واختلفوا في كيفية إفسادهم في الأرض. فقيل: كانوا يقتلون الناس، وقيل: يأكلون لحوم الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع، فلا يتركون شيئًا أخضر إلا أكلوه، ولا يابسًا إلا احتملوه. وهذا اللفظ: مأخوذ من تأجج الملح، وهو شدة ملوحته، فلشدتهم بالحركة سموا بذلك. راجع «تفسير الفخر الرازي» (٢٢/ ١٧٠).

(١) ورد في الحديث: إن الدجال هو الذي لا يدخل مكة والمدينة، كما قال رسول الله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة». متفق عليه. ولعل أمر يأجوج ومأجوج قيس على ذلك.

(٢) روي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ في السد، قال: «يحفرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا، فيعيده الله تعالى، كأشد ما كان، حتى إذا أراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله تعالى واستثنى، فيرجعون فيجدونه كهيئته، حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون على الناس، فيستقون المياه، ويفر الناس منهم فيرمون بسهامهم في السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض، وعلونا من في السماء قهرًا وعلوا، فيبعث الله عليهم نغفا -دود يظهر في أنف الإبل والغنم فتهلك- في أقفائهم فيهلكون، فوالذي نفسي بيده إن دواب الأرض تسمن وتبطر وتشكر شكرًا من لحومهم». رواه الترمذي بسند حسن.

(٣) أخرج نعيم بن حماد في «كتاب الفتن» (٢/ ٥٩٣) (١٦٥٣) عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثني الله ليلة أسري بي إلى يأجوج ومأجوج، فدعوتُهم إلى دين الله وعبادته، فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار مع مَن عصى مِن ولد آدم وولد إبليس». قال السيوطي: «بسند واه». وقال الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٠/ ١٨٥): «بسند واهٍ جدًّا».

وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء، .....

(وطلوع الشمس من مغربها)؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[1]، والمراد ببعض الآيات: طلوع الشمس من مغربها، يعني حين تطلع الشمس من مغربها، لا ينفع الكافر إيمانه[2]، والفاسق توبته.

(ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء) وقتله الدجال، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ - أي: نزول عيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[3] أي: علامة قرب الساعة.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها. ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض،.....

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٦) واللفظ له؛ ومسلم في «صحيحه» (٢٩٥٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها».

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦١.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٤٤٨) واللفظ له؛ ومسلم في «صحيحه» (١٥٥)؛ والترمذي في «جامعه» (٢٢٣٣).

.....

فيتزوج، ويولد له»، الحديث[١].

ويتبع عيسى بعد نزوله ملةَ رسول الله ﷺ، في حديث جابر ﷺ، قال: «فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة». رواه مسلم[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا، ما وسعه إلا اتباعي»[٣].

وكذا ظهور المهدي، لقوله ﷺ: «المهدي أجلى الجبهة»، الحديث، رواه أبو داود[٤].

---

(١) أورده التبريزي في «المشكاة» كتاب الفتن، باب: نزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٥٥٠٨)، وعزاه إلى «كتاب الوفاء»، لابن الجوزي. نعم، أورده ابن الجوزي في كتابه «الوفا في حقوق المصطفى» (٢/ ٨١٤) محذوف الإسناد، وأورده أيضا في «المنتظم» (٢/ ٣٩). قال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٤/ ٢٨١) بعد ما ذكر هذا الحديث وعزاه إلى ابن أبي الدنيا: فهذه مناكير غير محتملة. وحكم عليه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٥٦٢) بأنه منكر، وقال: «هذا حديث لا يصح، والإفريقي ضعيف بمرة».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٥٦) واللفظ له؛ وأحمد في «المسند» (١٤٧٢٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٥١٥٦) عن جابر بن عبد الله؛ والدارمي في «السنن» (٤٣٥)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٧)؛ والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦). أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٤) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ولم أر من ترجمه، وبقية رجاله موثقون». وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٨٥)، وحكم عليه بالصحة. قلت: وإن لم يخل كل واحد من طرقه من المقال، لكن يتقوى بعضه ببعض، وبذلك يرتقي إلى درجة الحسن، أو إلى الصحيح -كما قال ابن كثير.

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٢٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري، وتمامه: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلا، كما ملئت جورًا وظلما، يملك =

## وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن،....

(وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن)

لما رُوي عن حذيفة الأنصاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»، رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها على الناس ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها»[2]، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ - من قرب القيامة أو من مجيء أشراطها - ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[3].

ورُوي عن حذيفة بن اليمان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة، فقال حذيفة: «يا

---

= سبع سنين». وأخرجه أحمد في «المسند» (١١١٣٠)؛ وأبو يعلى في «المسند» (١١٢٨)؛ وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٢٦).

وذكر ابن الجوزي هذا الحديث في «العلل المتناهية» (١٤٤٣)، ثم قال: «لا بأس به». وجوَّد إسناده ابن قيم الجوزية في «المنار المنيف» (ص ١٤٤) وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٧)، لكن تعقبه الذهبي بقوله: «عمران ضعيف». ولكن القول قول من قوى هذا الحديث؛ لأن عمرانًا لم ينفرد به.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٥٠٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٤١)؛ وأبو داود في «السنن» (٤٣١٠) واللفظ له؛ وابن ماجه في «السنن» (٤٠٦٩)؛ وأحمد في «المسند» (٦٥٣١).

(٣) سورة النمل، الآية: ٨٢.

.....

رسول الله من أين تخرج»؟ قال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض من تحتهم تحرك القنديل وتشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا»، الحديث، رواه الإمام محيي السُّنة في «تفسيره»[١].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «اقرؤوا القرآن قبل أن يُرفع؛ فإنه لا تقوم الساعة حتى يُرفع»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»، رواه البخاري[٣].

والحشر والنشر حق، والتصديق بهما واجب، ومعناه الإعادة بعد الإنشاء، وذلك مقدور الله تعالى، كابتداء الإنشاء، والدليل عليه قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾[٤]، يدل على أنه تعالى أحياهم بعد أن ماتوا، والإعادة ابتداء ثان، فهو ممكن كالأول، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[٥].

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» تحت تفسير سورة النمل، الآية: (٨٢). قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٧٦): «رواه ابن جرير من طريقين، عن حذيفة بن الأسيد موقوفا، وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا، وأن ذلك في زمان عيسى بن مريم، وهو يطوف، ولكن إسناده لا يصح».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٥٥)؛ وابن المبارك في «الزهد» (٧٥٢)؛ والدارمي في «السنن» (٣٣٨٤). إسناده ضعيف؛ لضعف موسى بن عبيدة، وباقي رجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٣٢٩) بنحوه، وابن حبان، كما في «موارد الظمآن» للهيثمي (٢٢٥٣).

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٤.

(٥) سورة الحج، الآية: ٧.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يعني أن الهداية إلى الطريق المستقيم - وهي الملة الإسلامية - مخصوص بمشيئة الله تعالى، فهو يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

يقول العبد الضعيف أبو محمد عبد القادر - غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه -: قد فرغتُ من تسويد هذا الشرح بعون الله تعالى وحسن توفيقه يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين بعد المائتين وألف من هجرة صاحب الرسالة - عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات -.

وهذا رابع تأليفي في علوم الدين، وسميته بـ:

«الدُّرُّ الأزهر في شرح الفقه الأكبر»

راجيًا من الله تعالى أن يقبله خالصًا لوجهه الكريم، ويجعله حجة بيني وبينه يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

# الفهارس العامة

(١) فهرس الآيات القرآنية.

(٢) فهرس الأحاديث والآثار.

(٣) فهرس الأعلام.

(٤) فهرس المصادر والمراجع.

# فهرس الآيات القرآنية


| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ | [آل عمران، الآية: ١٩] | ٧ |
| ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ | [آل عمران: ١٨٥] | ٧ |
| ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا﴾ | [التوبة: ١٠٢] | ٢٤ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ ...﴾ | [النساء: ٤٨] | ٢٤ |
| ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾ | [المائدة: ٣] | ٧٧ |
| ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ | [طه: ٥] | ٧٨ |
| ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ | [الأنبياء: ٢٦] | ١٠٣ |
| ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ | [الشعراء: ١٩٢] | ١٠٤ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ....﴾ | [المائدة: ٦٧] | ١٠٥ |
| ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ | [المؤمنون: ١٦] | ١٠٥ |
| ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ | [النساء: ٧٨] | ١٠٥ |
| ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ | [ص: ٥٣] | ١٠٦ |
| ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ...﴾ | [الانشقاق: ٧] | ١٠٦ |
| ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ | [الأعراف: ٨] | ١٠٦ |
| ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ....﴾ | [الشعراء: ٩٠] | ١٠٦ |
| ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ....﴾ | [الانفطار: ١٣] | ١٠٦ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ ...﴾ | [البقرة: ١٦٣] | ١٠٧ |
| ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ | [القصص: ٨٨] | ١٠٩ |
| ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ...﴾ | [الشورى: ١١] | ١٠٩ |
| ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ | [الفاطر: ١٥] | ١١١ |
| ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ | [الفاطر: ١٥] | ١١١ |
| ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ | [غافر: ٦٥] | ١١١، ١١٢ |
| ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ | [الأعراف: ٥٤] | ١١١ |
| ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن...﴾ | [النحل: ٤٠] | ١١١ |
| ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ...﴾ | [الشورى: ٥١] | ١١٣ |
| ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ | [الشورى: ٥١] | ١١٣ |
| ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ | [البروج: ١٦] | ١١٣ |
| ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ | [الفرقان: ٢] | ١١٤ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ | [الذاريات: ٥٨] | ١١٥ |
| ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ | [الروم: ١١] | ١١٥ |
| ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ | [المؤمنون: ١٤] | ١١٥ |
| ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ | [البقرة: ١١٧] | ١١٥ |
| ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ | [النمل: ٨٨] | ١١٦، ١٦٨ |
| ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾ | [ق: ٤٣] | ١١٦ |
| ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ ...﴾ | [النحل: ١١] | ١١٦ |
| ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ | [غافر: ٦٤] | ١١٦ |
| ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ | [الروم: ٤٠] | ١١٦ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ | [طه: ٨] | ١٢٠ |
| ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ...﴾ | [الحشر: ٢٤] | ١٢٠ |
| ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ | [التغابن: ١٨] | ١٢٠ |
| ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ | [الشورى: ٥٠] | ١٢٠ |
| ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ | [الفرقان: ٢] | ١٢١ |
| ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ | [الحج: ١٤] | ١٢١ |
| ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ | [الحج: ١٨] | ١٢١ |
| ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن﴾ | [يس: ٨٢] | ١٢٢ |
| ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ....﴾ | [الشعراء: ١٩٣] | ١٢٤، ١٢٩ |
| ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ | [التوبة: ٦] | ١٢٩ |
| ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ | [الأعراف: ٨٩] | ١٣٠ |
| ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ....﴾ | [النمل: ٦٥] | ١٣٤ |
| ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ...﴾ | [البقرة: ٢٥٥] | ١٣٥ |
| ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا....﴾ | [الجن: ٢٦] | ١٣٥ |
| ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ....﴾ | [إبراهيم: ١٩] | ١٣٦ |
| ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ...﴾ | [الفاطر: ١٥] | ١٣٧ |
| ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ | [العلق: ١٤] | ١٣٦ |
| ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ | [الشعراء: ٢٢٠] | ١٣٨ |
| ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ | [آل عمران: ١٨٩] | ١٤١ |
| ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً...﴾ | [الأنعام: ١٩] | ١٤١ |
| ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ | [القصص: ٨٨] | ١٥٠، ١٤٤ |
| ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ | [الفتح: ١٠] | ١٥٠ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ | [البقرة : ١٥] | ١٥٠ |
| ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ....﴾ | [المائدة : ١١٦] | ١٥٠ |
| ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ | [طه : ٣٩] | ١٥٠ |
| ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ | [طه : ٥] | ١٥٣ |
| ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ | [فصلت : ١١] | ١٥٤ |
| ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ | [آل عمران : ٧] | ١٥٨ |
| ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ | [آل عمران:٧] | ١٥٨ |
| ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ | [الزمر : ٧] | ١٦٠ |
| ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ | [الزمر:٧] | ١٦١ |
| ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ | [المرجع السابق] | ١٦١ |
| ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ | [فاطر : ١] | ١٦٢ |
| ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ | [البقرة : ٢٨٤] | ١٦٣ |
| ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ | [الملك : ١٤] | ١٦٣ |
| ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ | [الفرقان : ٢] | ١٦٣ |
| ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ...﴾ | [يونس : ٦١] | ١٦٤ |
| ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ | [الإسراء : ٨٥] | ١٦٥ |
| ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ | [البقرة : ٢٥٥] | ١٦٥ |
| ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ | [الفرقان : ٢] | ١٦٦ |
| ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ....﴾ | [الحجر : ٢٤] | ١٦٧ |
| ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ | [الرحمن : ٢٦] | ١٦٨ |
| ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ | [القصص : ٨٨] | ١٦٨ |
| ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً...﴾ | [النمل : ٨٨] | ١٧٢ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ | [الانشقاق : ١] | ١٧٢ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ....﴾ | [يونس : ٤٤] | ١٧٤ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ | [غافر : ٦١] | ١٧٥ |
| ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ | [البقرة : ٢٨٦] | ١٧٥ |
| ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ | [البقرة:٢٨٦] | ١٧٥ |
| ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ | [الأعراف : ١٧٢ | ١٧٦ |
| ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ | [الروم : ٣٠] | ١٧٦ |
| ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ...﴾ | [الأعراف : ١٧٢] | ١٧٧ |
| ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ | [الأعراف : ١٠٢] | ١٧٨ |
| ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ | [آل عمران : ٨٣] | ١٧٩ |
| ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ | [الحج : ٤٦] | ١٨٤ |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ....﴾ | [التغابن : ٢] | ١٨٥ |
| ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ | [الصافات : ٩٦] | ١٨٧، ١٩٣ |
| ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ | [آل عمران : ٥٧] | ١٩٢ |
| ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ | [الزمر : ٧] | ١٩٢ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ | [الأعراف : ٢٨] | ١٩٢ |
| ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ | [النساء : ٥٩] | ١٩٣ |
| ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ | [الزمر : ٧] | ١٩٣ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ | [النجم : ٣٢] | ١٩٦ |
| ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ...﴾ | [الجن : ٣٢] | ١٩٨ |
| ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ | [هود : ١٨] | ١٩٨ |
| ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ....﴾ | [البقرة : ٤٤] | ١٩٨ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ ...﴾ | [هود : ٨٨] | ١٩٨ |
| ﴿كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ | [الأنبياء : ٩٠] | ١٩٨ |
| ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ | [ص : ٤٧] | ١٩٩ |
| ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا ...﴾ | [الحج : ٧٥] | ١٩٩ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ | [آل عمران : ٣٣] | ١٩٩ |
| ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ | [البقرة : ١٢٤] | ١٩٩ |
| ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ ...﴾ | [الأحزاب : ٧] | ٢٠١ |
| ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ | [الأحقاف : ٣٥] | ٢٠١ |
| ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ | [طه : ١١٥] | ٢٠٢ |
| ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ ...﴾ | [سورة طه:١١٥] | ٢٠٢ |
| ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ | [البقرة : ٢٥٣] | ٢١٧ |
| ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ | [الأنعام : ١٠٣] | ٢٢٧ |
| ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ | [سبأ : ٢٨] | ٢٢٨ |
| ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ | [الناس : ٥-٦] | ٢٢٨ |
| ﴿يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ...﴾ | [الأحقاف : ٣١] | ٢٢٨ |
| ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ | [الذاريات : ٥٦] | ٢٢٩ |
| ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ...﴾ | [الأعراف : ١٧٩] | ٢٣٠ |
| ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ ....﴾ | [الحجر : ١٨] | ٢٣٠ |
| ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ | [الأحقاف : ٣٠] | ٢٣٠ |
| ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ | [القلم : ٤] | ٢٣١ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا ...﴾ | [الأحزاب : ٤٥] | ٢٣١ |
| ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ...﴾ | [الفتح : ٢] | ٢٣٢ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ | [الأحزاب: ٤٠] | ٢٣٥ |
| ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ | [مريم: ٥٧] | ٢٣٧ |
| ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ...﴾ | [التوبة: ٤٠] | ٢٣٩ |
| ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ | [آل عمران: ٦١] | ٢٤٨ |
| ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ...﴾ | [التوبة: ١٠٠] | ٢٥٢ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ...﴾ | [النساء: ٤٨] | ٢٦٢ |
| ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ | [البقرة: ٢٧٥] | ٢٦٤ |
| ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ...﴾ | [المرجع السابق] | ٢٦٤ |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ | [النور: ١١] | ٢٦٤ |
| ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ | [النور: ٢٦] | ٢٦٤ |
| ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ | [الزلزلة: ٧] | ٢٨٣ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ | [الزمر: ٥٣] | ٢٨٣ |
| ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ | [النساء: ٤٨] | ٢٨٣ |
| ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ...﴾ | [الشورى: ٢٥] | ٢٨٤ |
| ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ...﴾ | [البقرة: ٨١] | ٢٨٥ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم ...﴾ | [البقرة: ٢٦] | ٢٨٥ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ | [هود: ١١٥] | ٢٨٦ |
| ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ | [الشورى: ٢٥] | ٢٨٧ |
| ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ | [الزمر: ٥٣] | ٢٨٧ |
| ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ | [النمل: ٢٥] | ٢٨٨ |
| ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾ | [الأنعام: ٥٩] | ٢٨٨ |
| ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ ...﴾ | [الرعد: ٣٨] | ٢٩١ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ | [البقرة : ٨٧] | ٢٩١ |
| ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾ | [آل عمران: ٤٩] | ٢٩١ |
| ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ | [القمر : ١] | ٢٩١ |
| ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ...﴾ | [آل عمران : ٣٧] | ٢٩٢ |
| ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ...﴾ | [يونس : ٦٢] | ٢٩٥ |
| ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ | [يونس : ٦٤] | ٢٩٥ |
| ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ | [الناس : ٥] | ٢٩٦ |
| ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ | [الزخرف : ٥١] | ٢٩٦ |
| ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | [الأعراف : ١٨٢] | ٢٩٧ |
| ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا...﴾ | [الشورى : ٢٠] | ٢٩٨ |
| ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ | [المدثر : ٣١] | ٣٠٠ |
| ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ...﴾ | [الحجر : ٢٤] | ٣٠٠ |
| ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ | [الحديد : ٤] | ٣٠١ |
| ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ | [آل عمران : ١٤٠] | ٣٠١ |
| ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ...﴾ | [النور : ٥١] | ٣٠٢ |
| ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ | [الأعراف : ١٧٩] | ٣٠٣ |
| ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ | [القيامة : ٢٢-٢٣] | ٣٠٤ |
| ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ | [يونس : ٢٦] | ٣٠٤ |
| ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ | [النجم : ١١] | ٣٠٦ |
| ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ | [النحل : ١٠٦] | ٣٠٩ |
| ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ | [المجادلة : ٢٢] | ٣١٣ |
| ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ | [الفتح : ٤] | ٣١٣ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن ...﴾ | [التوبة: ١٢٤] | ٣١٤ |
| ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ | [الأنفال: ٢] | ٣١٥ |
| ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ | [المرجع السابق] | ٣١٧ |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ | [الكهف: ١٠٧] | ٣١٩ |
| ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ ...﴾ | [النساء: ١٢٤] | ٣١٩ |
| ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ | [آل عمران: ٨٣] | ٣٢٠ |
| ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ | [الحجر: ٩٩] | ٣٢٠ |
| ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ | [يوسف: ١٧] | ٣٢٠ |
| ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ ...﴾ | [الحجرات: ١٤] | ٣٢١ |
| ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ | [آل عمران: ١٩] | ٣٢٣ |
| ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ | [البقرة: ٢٥٥] | ٣٢٤ |
| ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ | [التغابن: ١٦] | ٣٢٥ |
| ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ | [النحل: ١٧] | ٣٢٥ |
| ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ | [المائدة: ٢٣] | ٣٢٧ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ | [البقرة: ١٦٥] | ٣٢٨ |
| ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ | [السجدة: ١٦] | ٣٢٨ |
| ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ | [الزمر: ٩] | ٣٢٨ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ | [غافر: ٦١] | ٣٣٠ |
| ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ | [آل عمران: ١٦٤] | ٣٣٠ |
| ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ | [النحل: ٩٠] | ٣٣٠ |
| ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ | [البقرة: ٢٦١] | ٣٣٠ |
| ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ | [الأنعام: ١٦٠] | ٣٣٠ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ | [هود: ١١٤] | ٣٣٠ |
| وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا...﴾ | [الأنعام: ١٦٠] | ٣٣٠ |
| ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ | [الشورى: ٣٠] | ٣٣١ |
| ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ | [سبأ: ٢٣] | ٣٣٢ |
| ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ | [البقرة: ٢٥٥] | ٣٣٢ |
| ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ | [الإسراء: ٧٩] | ٣٣٢ |
| ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ | [الأنبياء: ٢٨] | ٣٣٢ |
| ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ | [الأعراف: ٨] | ٣٣٧ |
| ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾ | [الأنبياء: ٤٧] | ٣٣٧ |
| ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ | [العنكبوت: ١٣] | ٣٣٩ |
| ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ | [الأنعام: ٣٨] | ٣٤٠ |
| ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ | [التكوير: ٥] | ٣٤١ |
| ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ | [الصافات: ٢٣] | ٣٤٤ |
| ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ...﴾ | [مريم: ٧١] | ٣٤٤ |
| ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ...﴾ | [الحديد: ٢١] | ٣٤٧ |
| ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ | [الجمعة: ٤] | ٣٤٧ |
| ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ | [آل عمران: ١٣٣] | ٣٤٨ |
| ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ | [البقرة: ٢٤] | ٣٤٨ |
| ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ | [آل عمران: ١٣٦] | ٣٤٨ |
| ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ | [الرعد: ٣٥] | ٣٤٨ |
| ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ | [الرحمن: ٧٢] | ٣٥٠ |
| ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾ | [الأعراف: ٤٣] | ٣٥٠ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ | [الإنسان: ١٩] | ٣٥٠ |
| ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ | [البقرة: ٨٢] | ٣٥٢ |
| ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ | [البقرة: ٣٩] | ٣٥٢ |
| ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ...﴾ | [الأنعام: ١٢٥] | ٣٥٣ |
| ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا...﴾ | [الأنعام: ١٢٥] | ٣٥٣ |
| ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ | [الزمر: ٧] | ٣٥٤ |
| ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ | [الحجر: ٤٢] | ٣٥٥ |
| ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾ | [إبراهيم: ٢٢] | ٣٥٥ |
| ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ | [الحجر: ٤٢] | ٣٥٥، ٣٥٦ |
| ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ | [الحجر: ٤٢] | ٣٥٦ |
| ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...﴾ | [فاطر: ٦] | ٣٥٦ |
| ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ...﴾ | [إبراهيم: ٢٧] | ٣٥٧ |
| ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...﴾ | [غافر: ٤٦] | ٣٥٩ |
| ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ | [الطور: ٧٢] | ٣٥٩ |
| ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ | [البقرة: ٢٥٥] | ٣٦٠ |
| ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ | [الأعراف: ٥٦] | ٣٦٥ |
| ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ | [ق: ١٦] | ٣٦٦ |
| ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾ | [البقرة: ١٦٣] | ٣٧٠ |
| ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ | [آل عمران: ٢] | ٣٧٠ |
| ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا...﴾ | [التوبة: ١١٣] | ٣٧١ |
| ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾ | [القصص: ٥٦] | ٣٧٦ |
| ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ | [الأنعام: ٨٤] | ٣٧٩ |

| الآية | السورة ورقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ | [الأحزاب : ٦] | ٣٨٠ |
| ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ | [الأحزاب : ٥٣] | ٣٨٠ |
| ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ...﴾ | [الأنبياء: ٩٦] | ٣٩١ |
| ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ...﴾ | [الأنعام : ١٨٥] | ٣٩٥ |
| ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ | [الزخرف : ٦١] | ٣٩٥ |
| ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ...﴾ | [النساء : ١٥٩] | ٣٨٣٩٥ |
| ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ...﴾ | [النمل : ٨٢] | ٣٩٧ |
| ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ | [الأنبياء: ٨٤] | ٣٩٨ |
| ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا...﴾ | [الحج : ٧] | ٣٩٨ |

# فهرس الأحاديث الشريفة


| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| - «تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها...» | ٧ |
| - «من تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه...» | ١٤ |
| - «إن الله خلق آدم على صورته» | ٧٨ |
| - «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» | ٨١ |
| - «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» | ٨١ |
| - «أن تؤمن بالله، وملائكته...» | ١٠٥ |
| - «أقبلت مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلا...» | ١٠٧ |
| - «القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق...» | ١٢٤ |
| - «فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى...» | ١٣٣ |
| - «قام موسى رسول الله ذكر الناس يوما...» | ١٣٥ |
| - «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ﴾ | ١٥٩ |
| - «ما أخاف على أمتي إلا من ثلاث خصال...» | ١٦٠ |
| - «ما كنت أدري ما معنى ﴿فاطر السموات والأرض﴾ | ١٦٢ |
| - «إني صعدتُ بقدر علمي بالأشياء...» | ١٦٥ |
| - «لما خلق اللهُ آدمَ مسح ظهره، فسقط...» | ١٧٤، ١٧٧ |
| - «كل مولود يولد على فطرة الإسلام...» | ١٧٦ |
| - «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد...» | ٢٠١ |
| - «لأطوفن الليل على سبعين امرأة...» | ٢١٤ |
| - «رأيت ربي عَزَّوَجَلَّ» | ٢٢٤ |
| - «أنا أولهم خروجا وأنا قائدهم إذا وفدوا...» | ٢٢٧ |
| - «أنا قائد المرسلين ولا فخر...» | ٢٢٧ |
| - «إن الله تعالى فضَّل محمدا على الأنبياء...» | ٢٢٨ |

- «لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد...» ..... ٢٣٨
- «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة...» ..... ٢٣٨
- «أبو بكر الصديق خير الناس...» ..... ٢٣٨
- «أن خير أمتك بعدك أبو بكر» ..... ٢٣٨
- « لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر» ..... ٢٣٩
- «لو كان بعدي نبي، لكان عمر...» ..... ٢٤٠
- «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» ..... ٢٤٠
- «ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر...» ..... ٢٤١
- «من أبغض عمر فقد أبغضني...» ..... ٢٤١
- «ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمرَ...» ..... ٢٤١
- «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء...» ..... ٢٤٢
- «اقتدوا بالذَين من بعدي أبي بكر وعمر» ..... ٢٤٢
- لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر...» ..... ٢٤٣
- «خير هذه الأمة بعد نبيه أبو بكر وعمر» ..... ٢٤٣
- «يُقتل فيها هذا مظلوما» ..... ٢٤٣
- «اشترى عثمان الجنة من النبي ﷺ مرتين» ..... ٢٤٤
- «مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة...» ..... ٢٤٤
- «إن الملائكة يستحي من عثمان » ..... ٢٤٤
- «لو لم يطلب الناس بدم عثمان، لرُموا بالحجارة...» ..... ٢٤٥
- «اللهم هؤلاء أهلي» ..... ٢٤٨
- «من كنت مولاه فعلي مولاه» ..... ٢٤٨
- «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون...» ..... ٢٤٩
- «لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق» ..... ٢٤٩
- «النظر إلى علي عبادة» ..... ٢٤٩
- «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا...» ..... ٢٥١
- «أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم» ..... ٢٥٢

- «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ..... ٢٥٢
- «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر...» ..... ٢٧٦
- «افترض الله عليكم صيامه وسننت...» ..... ٢٧٧
- «قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج...» ..... ٢٧٧
- «إني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل» ..... ٢٧٧
- «نعمة البدعة هذه» ..... ٢٧٧
- «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...» ..... ٢٧٨
- «صلوا على كل بر وفاجر» ..... ٢٧٩
- «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة...» ..... ٢٨٤
- قال ربكم : أنا أهل أن أُتقى...» ..... ٢٨٦
- «قاربوا وسددوا واعلموا أن أحدا منكم...» ..... ٢٨٦
- «إن الله يقبل التوبة ما لم يتغرغر» ..... ٢٨٧
- «من لقي الله تعالى لا يشرك به شيئا...» ..... ٢٨٧
- «من صلى يرائي فقد أشرك...» ..... ٢٨٩
- «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر...» ..... ٢٨٩
- «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا...» ..... ٢٨٩
- «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات﴾ ..... ٢٨٩
- «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» ..... ٢٨٩
- «يقول الله عَزَّوَجَلَّ : الكبرياء ردائي...» ..... ٢٩٠
- «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية» ..... ٥٩١
- «فمررنا بين الجبال والشجر قال : السلام...» ..... ٢٩١
- «إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم...» ..... ٢٩٩
- «خلق الله تعالى في جانب الغرب أرضا...» ..... ٣٠١
- «سيد الأيام الجمعةُ» ..... ٣٠٣
- «إنكم سترون ربكم...» ..... ٣٠٤
- «فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ» ..... ٣٠٤

- «أولئك أضعف الإيمان» ..... ٣٢٢
- «واعلموا أن أحدا منكم لن ينجيه عمله» ..... ٣٢٦
- «يدخل الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي أكثرُ من بني تميم» ..... ٣٣٢
- «إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس...» ..... ٣٣٣
- «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» ..... ٣٣٣
- «أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله الا الله...» ..... ٣٣٤
- «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا...» ..... ٣٣٨
- «يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم...» ..... ٣٣٩
- «أتدرون من المفلس؟» قالوا : المفلس فينا...» ..... ٣٣٩
- «إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا...» ..... ٣٤١
- «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن...» ..... ٣٤٦
- «لقد رأيت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار...» ..... ٣٤٧
- «في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين...» ..... ٣٤٩
- «ما في الجنه أحد إلا له زوجتان...» ..... ٣٥٠
- «نودوا : أن صحوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تبأسوا...» ..... ٣٥٠
- «إذا دخل النور في القلب، انشرح وانفتح» ..... ٣٥٤
- «إذا أُقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان...» ..... ٣٥٧
- «يأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له...» ..... ٣٥٧
- «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء...» ..... ٣٥٨
- «يُسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا...» ..... ٣٥٩
- «أقرب ما يكون العبد إلى الله...» ..... ٣٦٥
- «من قرأ آية الكرسي دبرَ كل صلاة مكتوبة...» ..... ٣٦٧
- «سيد البشر آدم ﷺ، وسيد البشر محمد ﷺ...» ..... ٣٦٨
- «من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن» ..... ٣٦٨
- «حبك إياها أدخلك الجنة» ..... ٣٦٩
- «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين...» ..... ٣٧٠

- «دعوة ذي النون إذا دعا به في بطن الحوت...» ..... ٣٧٠
- «ولما قدم رسول الله ﷺ مكة أتى قبر أمه آمنة...» ..... ٣٧١
- «لما حضرَتْ أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ...» ..... ٣٧٦
- «القلب يحزن، والعين تدمع...» ..... ٣٧٧
- «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني» ..... ٣٧٨
- «أو ما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين» ..... ٣٧٨
- «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به...» ..... ٣٧٩
- «بيننا في المسجد الحرام بين النائم واليقضان...» ..... ٣٨٤
- «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة...» ..... ٣٩٠
- «ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدثه نبي قومه...» ..... ٣٩٠
- «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم...» ..... ٣٩٥
- «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض، فيتزوج، ويولد له» ..... ٣٩٥
- «فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم...» ..... ٣٩٦
- «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا...» ..... ٣٩٦
- «المهدي أجلى الجبهة» ..... ٣٩٦
- «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر...» ..... ٣٩٧
- «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها...» ..... ٣٩٧
- «ذكر رسول الله ﷺ الدابة...» ..... ٣٩٧
- «اقرؤوا القرآن قبل أن يُرفع...» ..... ٣٩٧
- «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» ..... ٣٩٨

# فهرس الأعلام

الأعلام ..... الصفحة
١. الإمام أبو حنيفة ..... ١١
٢. السيد محمد مرتضى الزبيدي ..... ٣٦
٣. الإمام أبو منصور الماتريدي ..... ٣٧
٤. أبو عمرو عثمان البتي ..... ٣٨
٥. محمد بن يوسف البخاري ..... ٣٨
٦. القاصي أبو مطيع البلخي ..... ٤٠
٧. أبو مقاتل حفص السمرقندي ..... ٤٠
٨. إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ..... ٤١
٩. محمد بن مقاتل الرازي ..... ٤١
١٠. القاضي أبو عبد الله التميمي ..... ٤٢
١١. نصير بن يحيى البلخي ..... ٤٢
١٢. شداد بن حكيم البلخي ..... ٤٢
١٣. أبو العباس الأصم ..... ٤٣
١٤. فخر الدين المايمرغي ..... ٤٣
١٥. الإمام كمال الدين ابن الهمام ..... ٤٣
١٦. الإمام نور الدين الصابوني ..... ٤٤
١٧. أبو البركات حافظ الدين النسفي ..... ٤٤
١٨. القاضي أبو العلاء صاعد الأستوائي ..... ٤٥
١٩. نجم الدين بَكْبَرس بن يَلَنْقِلِج التركي ..... ٤٥
٢٠. جمال الدين محمود القونوي ..... ٤٥

٢١. عطاء بن علي الجوزجاني ..... ٤٥
٢٢. الإمام أبو جعفر الطحاوي ..... ٤٦
٢٣. الفقيه أبو الليث السمرقندي ..... ٦٥
٢٤. الإمام ف خر الإسلام البزدوي ..... ٦٥
٢٥. الإمام أكمل الدين البابرتي..... ٦٦
٢٦. العلامة صدر الدين الدهلوي ..... ٦٧
٢٧. شيخ الإسلام علاء الدين البخاري..... ٦٨
٢٨. العلامة إلياس بن إبراهيم السِّينوبي ..... ٦٨
٢٩. أبو المنتهى المغنيساوي ..... ٦٩
٣٠. حكيم إسحاق الرومي ..... ٧٠
٣١. الشيخ محيي الدين محمد البيرامي ..... ٧٠
٣٢. الملا علي القاري الحنفي ..... ٧١
٣٣. كمال الدين بياضي زاده ..... ٧٢
٣٤. نور الدين العمري ..... ٧٣
٣٥. مرزا مظهر جان جانان ..... ٨٥
٣٦. محمد بن عبد العلي الفرنكي محلي ..... ٨٦
٣٧. الإمام الحافظ محيي الدين النووي ..... ١٣١
٣٨. الإمام جعفر الصادق ..... ١٣٣
٣٩. الإمام حسين بن مسعود البغوي ..... ١٣٥
٤٠. جلال الدين الرومي ..... ١٥٣
٤١. أبو القاسم الكعبي..... ١٦٨
٤٢. الإمام جار الله الزمخشري..... ١٧٩
٤٣. الإمام القاضي البيضاوي ..... ١٨٢
٤٤. عطاء بن أبي مسلم الخراساني..... ٢٣٢

٤٥. يوشع بن نون عليه السلام ..... ٢٣٣
٤٦. ذو الكفل ..... ٢٣٤
٤٧. خضر عليه السلام ..... ٢٣٥
٤٨. الإمام الرباني أحمد السرهندي ..... ٢٣٧
٤٩. الشيخ عبد الوهاب الشعراني ..... ٢٥٨
٥٠. محمد بن أحمد الأقليدي ..... ٢٦١
٥١. الإمام سعد الدين التفتازاني ..... ٢٦٢
٥٢. أبو الفضل المروزي الحاكم الشهيد ..... ٢٨١
٥٣. الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي ..... ٢٨٨
٥٤. عفيف الدين عبد الله اليافعي ..... ٢٩٣
٥٥. الشيخ عبد القادر الجيلاني ..... ٢٩٤
٥٦. أبو العلاء المعري ..... ٣٠٠
٥٧. مارية القبطية رضي الله عنها ..... ٣٧٧

## فهرس المصادر والمراجع

١ - «الإبانة عن أصول الديانة» للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧.

٢ - «أبو حنيفة: حياته وعصره - آراؤه وفقهه»، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.

٣ - «أبو حنيفة النعمان - إمام الأئمة الفقهاء»، وهبي سليمان غاوجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٤ - «الإمام أبو حنيفة وأصحابه المحدثون»، للعلامة ظفر أحمد العثماني التهانوي. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٥ - «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» للإمام مرتضى الزبيدي الحنفي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت سنة الطبعة ١٤١٤هـ ١٩٩٤ م.

٦ - «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» للإمام شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٧ - «إتمام الدراية لقراء النقاية» للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٨ - «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت.

٩ - «أحكام أهل الذمة» للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية.

١٠ - «أحكام القرآن»، للإمام القاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٢ - «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» لأبي عبد الله الصَّيْمَري الحنفي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣ - «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران» لأبي الحسن علي بن الحسين بن على المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٤ - «الأدب المفرد» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩ م.

١٥ - «الآداب الشرعية»، للإمام عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط - عمر القيام، مؤسسة الرسالة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

١٦ - «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» لأبي يعلى الخليلي القزويني، تحقيق د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

١٧ - «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، للإمام أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر - ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

١٨ - «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للشيخ أبو شُهبة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

١٩ - «الأسماء والصفات» للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.

٢٠ - «الأشباه والنظائر» لابن نجيم الحنفي، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢١ - «إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين»، للقاضي كمال الدين البياضي زاده المتوفى ١٠٩٧ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.

٢٢ - «أصول الدين» للإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، تركيا إستانبول، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨ م.

٢٣ - «أصول الدين» للإمام أبي اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، المعروف بصدر الإسلام البزدوي (المتوفى ٤٩٣هـ)، تحقيق الدكتور هانز بيتر لنس، ضبط وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٤ - «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

٢٥ - «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» المسمى بـ«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»: لعبد الحي اللكنوي؛ تحقيق غلام سرور لاهوري.

٢٦ - «أعلام الحديث» (شرح صحيح البخاري)، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٧ - «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث»، للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

٢٨ - «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن

سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٢٩ - «الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع» للعلامة زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار القاهرة - مصر، ١٣٦٨هـ.

٣٠ - «إنباء الغمر بأبناء العمر» للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٣١ - «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للإمام العلامة القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٢ - «الأعلام» لخير الدبن الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ١٤٢٢هـ.

«أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم» لحمد السنان وفوزي العنجري، دار الضياء للنشر والتوزيع.

٣٣ - «الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» لابن عبد البر القرطبي، مكتبة القدسي بالقاهرة عام ١٣٥٠هـ.

٣٤ - «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» لإسماعيل باشا البغدادي، مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٥ - «بحر الكلام» أبو المعين ميمون بن محمد النسفي، دار الفرفور، الطبعة الثانية، ١٤٦١هـ.

٣٦ - «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» للعلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨ هـ، تحقيق: عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣٧ - «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» لمحمد بن علي الشوكاني اليمني، دار المعرفة - بيروت.

٣٨ - «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم الحنفي، دار الكتاب الإسلامي.

٣٩ - «البداية والنهاية» لعماد الدين ابن كثير الدمشقي، مطبعة السعادة - القاهرة، ودار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى.

٤٠ - «البدر الأنور في شرح الفقه الأكبر»، للعلامة نضال آله رشي، دار النور المبين، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٧ م.

٤١ - «البدور المضية في تراجم الحنفية»، للعلامة محمد حفظ الرحمن بن محب الرحمن الكُمِلَّائي، دار الصالح، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

٤٢ - «البناية شرح الهداية»، للإمام محمود بن أحمد بن موسى، المعروف بـ «بدر الدين العيني» الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٣ - «تاج التراجم» لقاسم بن قُطلوبغا الحنفي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ؟؟؟؟١٤١هـ.

٤٤ - «تاريخ بغداد» لأبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٥ - «تاريخ التراث العربي» للدكتور فؤاد سزكين، ترجمة د محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

٤٦ - «تاريخ نيسابور» للحاكم أبي عبد الله النيسابوري، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٤٧ - «تاريخ الرسل والملوك» للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٤٨ - «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للحافظ شمس الدين الذهبي، المكتبة التوفيقية.

٤٩ - «تاريخ الخلفاء» للسيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

٥٠ - «تبصرة الأدلة»، للإمام أبي المعين النسفي، تحقيق الدكتور محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.

٥١ - «تبيين كذب المفتري» للإمام تقي الدين السبكي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٥٢ - «تبييض الصحيفة» للسيوطي، طبعة دار الكتب العلمية.

٥٣ - «التحرير والتنوير» للإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤ هـ.

٥٤ - «تفسير القرآن العظيم» للإمام ابن كثير الدمشقي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٥٥ - «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، رياض، ١٤١٩هـ.

٥٦ - «تفسير الخازن»، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٧ - «تفسير مقاتل بن سليمان» لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي المتوفى سنة ١٥٠هـ، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٥٨ - «تفسير البغوي»، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

٥٩ - «تيسير التحرير على كتاب التحرير» لأمير بادشاه الحنفي الخراساني المكي، مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢ م.

٦٠ - «تذكرة علماء الهند» (بالفارسية): مطبع منشي نولكشور، لكنو - الهند، ١٩١٤.

٦١ - «تذكرة الحفاظ» للحافظ شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦٢ - «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المَرْوَزِي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائ، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٣ - «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للإمام أبي الحجاج المزي، تحقيق د بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٦٤ - «تهذيب التهذيب»، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني؛ دار الكتاب الإسلامي ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٦٥ - «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» لأبي المظفر الإسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٦ - «التبيان في آداب حملة القرآن»، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

٦٧ - «الترغيب والترهيب من الحديث الشريف» لعبد العظيم المنذري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٦٦ - «التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح» للعلامة المحدث الشيخ إدريس الكاندهلوي، مطبعة الاعتدال، دمشق.

٦٧ - «التفسير البسيط» للواحدي، تحقيق وطبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٦٨ - «التقرير والتحبير» لابن أمير حاج الحنفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٩ - «التمهيد لقواعد التوحيد» لأبي المعين النسفي، دار الفرفور، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٧٠ - «التمهيد» لأبي بكر الباقلاني، المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م.

٧١ - «التمهيد» للإمام الحافظ ابن عبد البر القرطبي، تحقيق سعيد أحمد أعراب ومحمد فلاح.

٧١ - «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٧٢ - «جامع بيان العلم وفضله» للإمام ابن عبد البر القرطبي، طبع إدارة الطباعة المنيرية بمصر.

٧٣ - «الجامع لأحكام القرآن» للإمام أبي عبد الله محمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٧٤ - «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» لأبي الوفاء القرشي الحنفي المصري، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ.

٧٥ - «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٧٦ - «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للإمام أبي نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٧٧ - «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، الهند، ١٣٢٤هـ.

٧٨ - «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٧٩ - «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ.

٨٠ - «الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار» لعلاء الدين الحنفي الحصكفي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨١ - «درء تعارض العقل والنقل» للإمام شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

٨٢ - «دلائل النبوة» للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٣ - «دلائل النبوة» للإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، تحقيق محمد رواس قلعه جي، دار النفائس - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٨٤ - «دلائل النبوة ومعجزات الرسول»، للعلامة الشيخ عبد الحليم محمود، دار المعارف.

٨٥ - «ذيل ديوان الضعفاء والمتروكين» للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة الأولى.

٨٦ - «رسائل العز بن عبد السلام في التوحيد»، للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المتوفى سنة ٦٦٠هـ تحقيق إياد خالد الطباع، الطبعة الأولى، دار الفكر - دمشق، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٤٥هـ - ١٩٩٥م.

٨٧ - «رسالة إلى أهل الثغر» لإمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٨٨ - «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» لجعفر الكتاني، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٨٩ - «الرد على الجهمية»، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العام (١٣)، العدد (٤٩)، ١٤٠١هـ.

٩٠ - «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد»، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق الدكتور هيثم عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٩١ - «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، (ت: ١٣٠٤هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٩٢ - «الروح»، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٣ - «الروض الأنف»، للسهيلي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩٤ - «روح البيان» للعلامة المول أبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت.

٩٥ - «روح المعاني» للإمام السيد شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٩٦ - «الزهر النضر في حال الخضر» للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية - جوغابائي نيودلهي - الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٧ - «سؤالات حمزة السهمي للدارقطني»، طبعة مكتبة المعارف.

٩٨ - «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، لمحمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٩٩ - «سنن الترمذي» لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٠٠ - «سنن أبي داود» لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

١٠١ - «سنن النسائي» للإمام أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤١٤هـ - ١٩٨٤م.

١٠٢ - «سنن ابن ماجه» محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٠٣ - «سنن الدارمي» للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠٤ - «سنن الدارقطني» للإمام الحافظ أبي الحسين علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٥٨هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٠٥- «السنن الكبير» للإمام أبي بكر البيهقي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١ م.

١٠٦- «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٠٧- «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للشيخ ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى.

١٠٨- «السنة»، للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (ت: ٢٩٠هـ)، تحقيق د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦ م.

١٠٩- «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة» للعلامة محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، دار القلم - دمشق، الطبعة الثامنة، ١٤٢٧هـ.

١١٠- «السَّيفُ الصَّقِيلُ في الرَّدِّ عَلَى ابنِ زَفِيل»، لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، وبهامشه تكملة الرد على نونية ابن القيم= تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم، لمحمد زاهد بن الحسن الكوثري (١٣٧١هـ).

١١١- «سير أعلام النبلاء» للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م.

١١٢- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لأبي الفلاح العَكري الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

١١٣- «شرح العلامة الصاوي على جوهرة التوحيد» للإمام أبي العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي المتوفى: ١٢٤١هـ، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الفتاح البزم، مطبعة دار ابن كثير دمشق - بيروت.

١١٤- «شرح الأصول الخمسة» لعبد الجبّار بن أحمد؛ مكتبة الوهبة، مصر.

١١٥- «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للعلامة أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١١٦- «شرح السنة» للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط - زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

١١٧- «شرح المواقف» للسيد شريف الجرجاني، مع حاشيتي السيالكوتي والفناري، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

١١٨- «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام العلامة عبدالغني الغنيمي الميداني الحنفي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر.

١١٩- «شرح العقيدة الطحاوية» تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٢٠- «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٢١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٢٢- «شرح العقائد النسفية» للإمام سعد الدين التفتازاني، تحقيق الدكتور الشيخ أحمد حجازِي السقّا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٢٣- «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» للحافظ جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، لبنان، ١٤١٧هـ.

١٢٤- «شرح وصية الإمام أبي حنيفة» لأكمل الدين البابرتي، تحقيق محمد صبحي عايدي وحمزة البكري، دار الفتح، عمان، ١٤٣٠هـ.

١٢٥- «شرح الفقه الأكبر» للملا علي القاري الحنفي، تحقيق علي محمد دندل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢٦- «شرح الفقه الأكبر» لأبي المنتهى المغنيساوي، في ضمن الرسائل السبعة في العقائد، دار البصائر، مصر.

١٢٧- «شرح مشكل الآثار» للإمام الحافظ أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

١٢٨- «شرح معاني الآثار» للإمام الحافظ أبي جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار وغيره، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٢٩- «شعب الإيمان للبيهقي» تحقيق د عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد الرياض والدار السلفية ببومباي - الهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.

١٣٠- «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ» للقاضي عياض المالكي، تقديم وتحقيق عامر الجزار، دار الحديث - القاهرة، طبعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٣١- «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» لأحمد بن مصطفى طاشْكُبْري زَادَهْ، دار الكتاب العربي - بيروت.

١٣٢- «صحيح البخاري» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب - محمد فؤاد عبد الباقي.

١٣٣- «صحيح مسلم» للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة - دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

١٣٤- «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان» للإمام ابن حبان البستي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٣٥- «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لتقي الدين ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

١٣٦- «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة»، للإمام شيخ الإسلام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي، (ت: ٩٧٤هـ) تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٧- «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة»، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٣٨- «ضوء المعالي شرح بدء الأمالي» لعلي القاري الهروي الحنفي، إستانبول، ١٣١٩هـ.

١٣٩- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للحافظ شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

١٤٠- «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» لتقي الدين التميمي الداري الغزي، دار الرفاعي للنشر والطباعة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١٤٠٣هـ.

١٤١- «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠.

١٤٢- «طبقات المفسرين» للداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٣- «الطبقات الكبرى» لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.

١٤٤- «طبقات الحفاظ»، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٤٥- «طريق الهجرتين وباب السعادتين» للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الدار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٤٦- «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٤٧- «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للإمام الحافظ بدر الدين العيني الحنفي، تحقيق عبد الله محمود عمر محمد، دار الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٤٨- «عصمة الأنبياء»، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق إرشاد الرحمن المعتصم، دار الكتب العلمية ٢٠١٩ م.

١٤٩- «عمدة التفسير مختصر تفسير ابن كثير» للعلامة الشيخ أحمد شاكر، دار الوفا، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

١٥٠- «العقيدة السفارينية» لأبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

١٥١- «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للإمام الحافظ أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨ م.

١٥٢- «العالم والمتعلم» للإمام أبي حنيفة، تحقيق العلامة زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠١٨.

١٥٣- «عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، للإمام محمد بن يوسف الصالحي، لجنة إحياء المعارف النعمانية، ١٩٧٤م.

١٥٤- «عيون الأثر» للإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي (ت: ٧٣٤هـ)، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٥٥- «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للإمام شمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

١٥٦- «الفتاوى الحديثية» لشيخ الإسلام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (ت: ٩٧٤هـ)، دار الفكر.

١٥٧- «فتاوى الإمام النووي المُسمَّاةِ بـ المَسَائِل المنْثورَةِ» للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق محمَّد الحجَّار، دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة، بَيروت - لبنان، الطبعة السادسَة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١٥٨- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد الله بن باز، دار التقوى للتراث، القاهرة- مصر.

١٥٩- «فتح المبين بشرح الأربعين» لابن حجر، الهيتمي، دار المنهاج، ٢٠٠٩م.

١٦٠- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، للإمام أبي الطيب محمد صديق حسن خان القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصريَّة صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٦١- «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي - القاهرة.

١٦٢- «الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية» لعبد القاهر الأسفراييني التميمي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

١٦٣- «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها»، تأليف د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.

١٦٤- «فضائل الصحابة»، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ - ١٤٠٣ م.

١٦٥- «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، مطبعة دار السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٤ هـ.

١٦٦- «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للعلامة محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٧- «فيض الباري على صحيح البخاري» للإمام أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (ت: ١٣٥٣هـ)، بإملاء تلميذه محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

١٦٨- «القاموس المحيط» لمجد الدين الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة.

«قصص الأنبياء» للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١٦٩- «قيد الشريد من أخبار يزيد» تأليف محمد بن طولون المتوفى ٩٥٣هـ، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧٠- «كتاب التوحيد» للإمام الماتريدي، تحقيق: الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي، والأستاذ المساعد الدكتور محمد آروشي، دار صادر بيروت، ومكتبة الإرشاد إستانبول.

١٧١- «كتاب المواقف» بتحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧هـ.

١٧٢- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧٣- «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي» لعلاء الدين، عبد العزيز بن أحمد البخاري، شركة الصحافة العثمانية، إستانبول، الطبعة الأولى، مطبعة سنده، ١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ م.

١٧٤- «كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح» للإمام صدر الدين المناوي القاري الشافعي، (ت: ٨٠٣هـ)، تحقيق د. مُحمَّد إِسْحَاق مُحَمَّد إِبْرَاهِيم، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧٥- «كتاب العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق رضاء الله محمد إدريس المباركفوري، دار العصمة، الرياض.

١٧٦- «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» للإمام علاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٧٧- «الكامل في التاريخ» للإمام ابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٨- «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي الجرجاني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الكتب العلمية - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٧٩- «الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٨٠- «لباب التأويل في معاني التنزيل» المعروف بـ «تفسير الخازن» لعلاء الدين الخازن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٨١- «لسان الميزان» للحافظ ابن حجر العسقلاني، دائرة المعرف النظامية - الهند، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.

١٨٢- «لمعة الاعتقاد» للإمام ابن قدامة المقدسي، المكتب الإسلامي.

١٨٣- «لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح» للشيخ عبد الحق المحدث الدّهلوي الحنفي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤ م.

١٨٤- «اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

١٨٥- «متن السنوسية» لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، طبعة البابي الحلبي، ١٣٥٣هـ.

١٨٦- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للإمام نور الدين علي الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٨٧- «محاسن التأويل» للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٨٨- «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لعلي القاري الحنفي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

١٨٩- «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي، تحقيق محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

١٩٠- «مـدارك التنزيل وحقائق التأويل» المعروف بـ تفسير النسفي، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى ٧١٠هـ، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

١٩١- «معارف السنن شرح جامع الترمذي»، للإمام محمد أنور شاه الكشميري، بجمع وإملاء تلميذه محمد يوسف البنوري، إيج - أيم - سعيد كمبني - كراتشي ١٤١٣هـ.

١٩٢- «معجزات النبي» للإمام الحافظ ابن كثير، تحقيق إبراهيم أمين محمد، طبعة التوفيقية.

١٩٣- «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن المَبرِد، تحقيق عبد العزيز بن محمد الفريع، الطبعة الأولى، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ.

١٩٤- «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه»، لشمس الدين الذهبي، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

١٩٥- «معجم المطبوعات العربية والمُعرَّبة» ليوسف سركيس، المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة.

١٩٦- «معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم» لعلي الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري - تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩٧- «منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر» لملا علي القاري الحنفي، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٨.

١٩٨- «مناقب أبي حنيفة» للإمام الموفق بن أحمد المكي، طبعة دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٩٩- «مناقب الإمام أحمد» للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

٢٠٠- «مسند الإمام أحمد بن حنبل» للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

٢٠١- «مسند أبي يعلى الموصلي» للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي المتوفى ٣٠٧هـ تحقيق حسين سليم آسد الداراني، دار المأمون للتراث دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ

٢٠٢- «مسند أبي داود الطيالسي» للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٠٣- «مسند البزار» للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار المتوفى سنة ٢٩٧هـ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله غيره، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م .

٢٠٣- «مسند الفردوس» للإمام الحافظ أبي شجاع الديلمي المتوفى سنة ٥٠٩هـ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٠٤- «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

٢٠٥- «مقدمة ابن خلدون» لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٠٦- «معالم السنن شرح سنن أبي داود» لأبي سليمان الخطابي، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٢٠٧- «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» لأبي محمد

عفيف الدين اليافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٠٨- «مصنف ابن أبي شيبة» للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، دار التاج - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٢٠٩- «مصنف عبد الرزاق» للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢١٠- «معاني القرآن وإعرابه» للإمام إبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢١٢- «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٢١٣- «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م.

٢١٤- «ملجمة المجسمة» لعلاء الدين البخاري، تحقيق د. سعيد فودة، دار الأصلين.

٢١٥- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، للإمام ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١٦- «المعين على تفهم الأربعين» للإمام ابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: ٨٠٤ هـ)، تحقيق الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر، حولي - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

٢١٧- «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١٨- «المهمات في شرح الروضة والرافعي» لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، تحقيق أبو الفضل الدمياطي، مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء - المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٢١٩- «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» لشهاب الدين القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

٢٢٠- «المواقف» لعضد الدين الإيجي، عالم الكتب، بيروت- لبنان.

٢٢١- «الملل والنحل» لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٢٢- «المسامرة في شرح المسايرة» للعلامة الكمال بن أبي شريف بن الهمام، معه حاشية تلميذه الحافظ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، المكتبة الأزهرية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٦م.

٢٢٣- «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٢٤- «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية الطبعةالأولى، ١٤١٩هـ.

٢٢٥- «المعجم الكبير للطبراني» تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٢٦- «المعجم الأوسط للطبراني تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

٢٢٧- «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٢٢٨- «منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين» للدكتور عبد الفتاح ثريا ملحس، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢ م.

٢٢٩- «مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول»، للإمام أبي عبد الله التلمساني، تحقيق محمد علي فركوس، مكتبة مكية، ١٤١٩هـ.

٢٣٠- «مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة»، للإمام يوسف بن تغري بردي الحنفي، (ت: ٨٧٤هـ)، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية - القاهرة.

٢٣١- «نتائج الأفكار» للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٣٢- «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٢٣٣- «نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر»، للدكتور يوسف المرعشلي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، دار المعرفة بيروت - لبنان.

٢٣٤- «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٣٥- «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للعلامة جعفر الكتاني (ت: ١٣٤٥هـ)، تحقيق شرف حجازي، دار الكتب السلفية - مصر، الطبعة الثانية.

٢٣٦- «النكت والعيون» للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٣٧- «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيِّم ودار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

٢٣٨- «هداية الساري في دراسة البخاري»، للعلامة إمداد الحق الحبيب غنجي البنغلاديشي.

٢٣٩- «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٠هـ.

٢٤٠- «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤١- «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

٢٤٢- «الوفا بتعريف فضائل المصطفى» للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ، دار المعرفة.

٢٤٣- «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» للإمام نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي الشافعي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

* والبواقي من المصادر والمراجع تُعرف من خلال الهوامش.

# فهرس المحتويات

الإهداء ..... ٥
كلمات التحقيق ..... ٧
المبحث الأول: ترجمة الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «الفقه الأكبر» ..... ١١
الاسم والنسب والولادة ..... ١١
شرفه بإدراك الصحابة ..... ١١
أمانته وصدقه في التجارة ..... ١٣
اتجاهه إلى طلب العلم ..... ١٣
اشتغاله بالكلام وبراعته فيه ..... ١٤
طلب أبي حنيفة الفقه ..... ١٦
طلب أبي حنيفة الحديث ..... ١٨
شيوخ أبي حنيفة ..... ٢٢
تلاميذ أبي حنيفة ..... ٢٢
عقيدة أبي حنيفة ..... ٢٣
ذكاء أبي حنيفة ..... ٢٥
عبادة أبي حنيفة ..... ٢٧
جودُ وكرمُ أبي حنيفة ..... ٢٨
زُهد وورع أبي حنيفة ..... ٢٩
أقوال العلماء في أبي حنيفة ..... ٣١
حُسن جوار أبي حنيفة ..... ٣٣

ابتلاء أبي حنيفة ..... ٣٤
وفاة أبي حنيفة ..... ٣٥
المبحث الثاني: نسبة «الفقه الأكبر» إلى أبي حنيفة ..... ٣٦
المبحث الثالث: أقسام مؤلفات الإمام أبي حنيفة بالإيجاز ..... ٤٨
المبحث الرابع: وقفة مع من أنكر نسبة «الفقه الأكبر» ..... ٥٠
المبحث الخامس: الفرق بين «الفقه الأكبر» و«الفقه الأبسط» ..... ٥٥
المبحث السادس: الكلام حول سند «الفقه الأكبر» ..... ٥٦
ملاحظة ..... ٥٨
المبحث السابع: عناية الأمة برسالة «الفقه الأكبر» ..... ٦٣
المبحث الثامن: شروح «الفقه الأكبر» مع ذكر الأوصاف ..... ٦٥
المبحث التاسع: تأثُّر القاري في شرحه بابن أبي العز الحنفي ..... ٧٥
المبحث العاشر: سبب تسمية الرسالة بـ«الفقه الأكبر» ..... ٨١
المبحث الحادي عشر: نسبة «الفقه الأكبر» إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ..... ٨٣
المبحث الثاني عشر: ترجمة العلامة عبد القادر السلهتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «الدر الأزهر». ٨٤
اسمه ونسبه وولادته ..... ٨٤
تحصيل العلوم والتخرج ..... ٨٦
اشتغاله بالتدريس والتأليف ..... ٨٧
رئاسته وثروته وسخاؤه ..... ٨٨
رسائله ومؤلفاته العلمية ..... ٨٩
رحلته من الدنيا الفانية ..... ٩٠
المبحث الثالث عشر: تحقيق نسبة «الدر الأزهر» إلى الشارح ..... ٩١
بعض صور الصفحات للمخطوطة المطبوعة ..... ٩٢
منهج عملي في تحقيق الكتاب ..... ٩٧

## الدرّ الأزهر في شرح الفقه الأكبر

مقدمة الكتاب ..... ١٠١
بحث في بيان أصول الإيمان ..... ١٠٣
عقيدتنا حول وحدانية الله تعالى ..... ١٠٧
صفات الله تعالى الذاتية والفعلية ..... ١١٠
بحث في أن صفات الله تعالى أزلية ..... ١٢٠
القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ..... ١٢٤
كلام الله تعالى مع الأنبياء وغيرهم ..... ١٣٠
صفات الله تعالى ليست كصفات المخلوقين ..... ١٣٤
جواز إطلاق لفظ «الشيء» على الله ..... ١٤١
إيضاح معنى كون الله تعالى شيئًا ..... ١٤٧
بحث في الصفات المتشابهة والاستواء ..... ١٥٠
عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ..... ١٦٢
فطرة الله التي فطر الناس عليها ..... ١٧٤
عدم إجبار الله الخلقَ على الكفر ..... ١٨٥
أفعال العباد بعلم الله تعالى وقضائه ..... ١٩٣
عقيدة أهل السنة في عصمة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ..... ١٩٦
عقيدتنا في محمد رسول الله ﷺ ..... ٢١٦
المفاضلة بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ..... ٢٣٣
عقيدة أهل السنة في مشاجرة الصحابة ..... ٢٥٢
مناقب أئمة المذاهب الأربعة ..... ٢٥٨
لا يُكفَّر مسلم بذنب ما لم يستحله ..... ٢٦٢
مسائل فقهية تتعلق بعقيدة أهل السّنة ..... ٢٧٥

تضرُّ مع الإيمان المعاصي والذنوب ..... ٢٨٣
آيات الأنبياء وكرامات الأولياء حق..... ٢٩١
عقيدة خالقية الله ورازقيته ..... ٢٩٩
رؤية الله تعالى في الآخرة حق ..... ٣٠٤
الإيمان هو التصديق والإقرار..... ٣٠٨
الإيمان لا يزيد ولا ينقص ..... ٣١١
استواء المؤمنين في الإيمان ..... ٣١٥
مبحث الاستثناء في الإيمان ..... ٣١٧
تفاضل المؤمنين في الأعمال ..... ٣١٩
العلاقة بين الإسلام والإيمان ..... ٣٢٠
الدين اسم جامع للشرائع..... ٣٢٣
معرفتنا بالله تعالى ..... ٣٢٤
العبد قاصر عن عبادة الله حق عبادته ..... ٣٢٥
استواء المؤمنين في جملة من الأمور ..... ٣٢٧
تفضُّل اللهِ في الإثابة وعدالته في العقاب ..... ٣٣٠
شفاعة الأنبياء يوم القيامة حق ..... ٣٣٢
الميزان للأعمال يوم القيامة حق ..... ٣٣٧
القصاص بالحسنات يوم القيامة حق..... ٣٣٩
الصراط والحوض يوم القيامة حق ..... ٣٤٣
الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان..... ٣٤٧
تفضُّلُ الله في الهداية وعدله في الإضلال ..... ٣٥٣
سلب الشيطان الإيمانَ من المؤمن ..... ٣٥٥
سؤال منكر ونكير وعذاب القبر..... ٣٥٧
ترجمة صفات الله تعالى بغير العربية..... ٣٦٣

القول في معنى القرب والبعد ..... ٣٦٥
القول في تفاضل آيات القرآن ..... ٣٦٧
عقيدتنا في والدي رسول الله ﷺ وعمه ..... ٣٧١
العقيدة في أبناء رسول الله وبناته ﷺ ..... ٣٧٧
قاعدة كلية لمن أشكل عليه العقيدة ..... ٣٨٣
عقيدة أهل السنة والجماعة في المعراج ..... ٣٨٤
الكلام عن أشراط السَّاعة الكبرى ..... ٣٩٠
الفهارس العامة ..... ٤٠١
فهرس الآيات القرآنية ..... ٤٠٣
فهرس الأحاديث الشريفة ..... ٤١٥
فهرس الأعلام ..... ٤٢١
فهرس المصادر والمراجع ..... ٤٢٥
فهرس المحتويات ..... ٤٥١